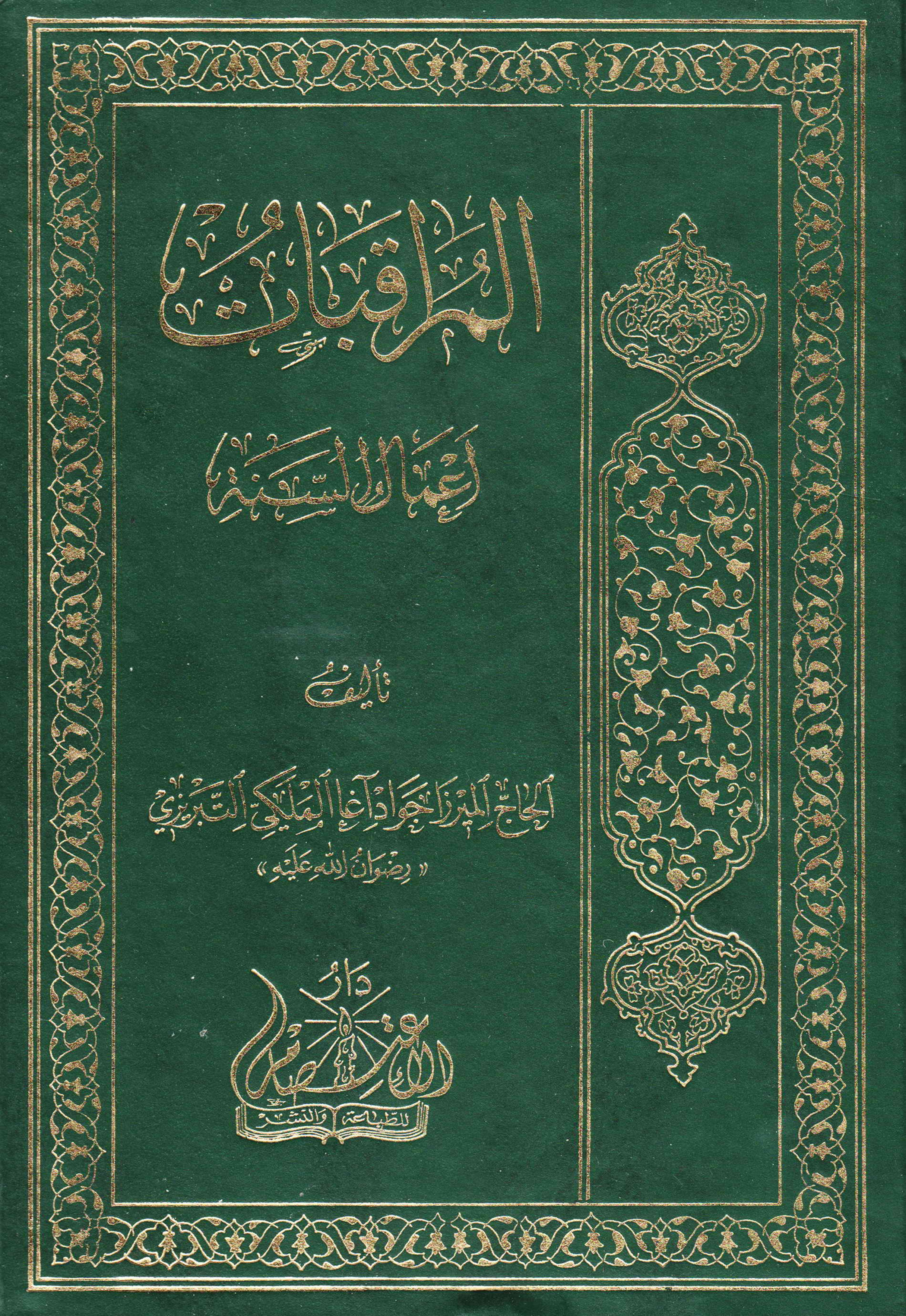

المراقبات
لأعمال السنة
تأليف
الحاج الميرزا جواد آغا الملكي التبريزي
«رضوان الله عليه»
دار الاعتصام
للطباعة والنشر

المراقبات

«أعمال السنة»

تأليف

الحاج الميرزا جواد آغا الملكي التبريزي

«رضوان الله عليه»

تحقيق

سيد عبد الكريم محمّد الموسوي

مراجعة وتصحيح

مؤسسة دار الاعتصام

للطباعة والنشر والتحقيق



تقريظ

بسمه تعالى

اللّهمّ ربّنا لك الأسماء الحسنى ، والأمثال العليا ، والكبرياء والآلاء ، ربّنا إنّا نحمدك بما حمدت به نفسك ، ونثني عليك بما أثنيت به على نفسك ، ونصلّي على عبدك ورسولك محمّد وآله -صلى الله عليه وآله- ربّنا ونسألك أن لاتزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وأن تهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب .

فهذه أسطر أعلّقها على كتاب أعمال السّنة للعَلَم الحجّة الآية ، لمرحوم ، الحاجّ الميرزا جواد آقا الملكيّ التبريزيّ قدس سره ، ولست أُريد بها أن أمدح هذه الصحيفة الجليلة ، أو أُثني على مؤلّفه العظيم ، فليست هي إلاّ بحراً زاخراً لا يوزن بمنّ ولا صاع ، ولا هو إلاّ علماً شامخاً لا يقدّر بشبر أو ذراع ، وكفى بالقصور عذراً وباليأس عن البلوغ راحة ، وإنّما أُريد أن أُواجه إخواني من أهل الولاء ، سادتي من أرباب الصدق والصفاء ، بما فيه بعض التذكرة وإنّ الذكرى تنفع المؤمنين .

يا إخواني ! ما الحياة الدُّنيا إلاّ لعب ولهو ، وإنّ الدار الآخرة لهي الحيوان ، ولا وظيفة للإنسان في أدون حياتيه -إن كان إنساناً- إلاّ التجهّز للأُخرى ، وسلوك سبيل القربى فليس عليه إلاّ سمة العبوديّة ، ورسم الرقّيّة والمذلّة ولا حجاب بينه وبين ربّه ، ولا مناص من المثول بين يديه .

فعليه أن يقف موقف المسكنة ، وينصب من نفسه شاخص العبوديّة ، يقيم وجهه لربّ العزّة ، ويستقبل ساحة الكبرياء والعظمة ، ويتقرّب إليه بأسمائه الحسنى ، وصفاته ، ووسائل الدعاء .

ويتوسّل إليه بالمراقبة في مختلف اللّيالي والأيّام ، والشهور والأعوام ، يتعرّض لنفحات أنسه ، ونسائم قدسه ، كما قال صلى الله عليه وآله : إنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها ، ولاتعرضوا عنها .

فهذه لعمري هي سيرة السابقين المقرّبين ، من رفقة هذا الطريق : طريق العبودية ، أعني محمّداً وإله الطاهرين ، وسائر النبيّين والصدّيقيّن ، والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

وما بين أيديكم من الكتاب من أحسن ما عمل في هذا الشأن ففيه لطائف ما يراقبه أهل ولاية الله ، ورقائق مايهجس في قلوب الوالهين في محبّة الله ، وجمل ما يلوح للرائضين في عبادة الله ، نوّر الله مرقد مؤلّفه العظيم ، وأفاض عليه من سحائب رحمته ومغفرته ، وألحقه بنبيّه وآله الطاهرين .

العلامة

آية الله محمد حسين الطباطبائي

حياة المؤلف قدس سره [1]

نسبه :

هو الشيخ الحاجّ الميرزا جواد آغا ابن الميرزا شفيع الملكيّ التبريزيّ نزيل قم المحميّة .

نشأته ورحلته إلى النجف الأشرف

عالمٌ عاملٌ فقيهٌ كاملٌ أخلاقيٌّ مهذَّبٌ بارعٌ ورعٌ ، انتقل إلى النجف الأشرف فاشتغل فيها على أعلام الفنّ ، فقد أخذ مراتب السلوك والأخلاق عن مظهر أنوار

---

(١) نقلنا ترجمة المؤلّف عن المصادر التالية :
أعيان الشيعة : ٤ / ٢٥٤ ؛ ريحانة الأدب (فارسي) : ٥ / ٣٩٧ ؛ نقباء البشر في القرن الرابع عشر : ١ / ٣٢٩ ؛ معجم المؤلفين : ٣ / ١٦٦ ؛ الذريعة : ٢ / ٤٧ و ج ١٨ / ٣٣٧ ؛ علماى بزرگ اسلام (فارسي) : ٣٥٤ - ٣٥٦ ؛ علماء معاصرين (فارسي) : ١٣٧ برقم ٨٩ ؛ الفوائد الرجالية : ١٤١ .

الهداية ، والإنسان الملكوتيّ ، الأستاذ الأكبر ، الشهير بالمولى حسين قلي الهمدانيّ فاستكمل فضائل النفس وتربّى عنده ، وتتلمذ في الفقه والأصول على العلاّمة الشيخ آغا رضا الهمدانيّ والعلاّمة النوري ، والآخند الخراساني . وغيره من العلماء .

عودته إلى إيران :

ثمّ عاد إلى إيران حدود عام ١٣٢٠ هـ حيث رجع إلى موطنه الأصلي تبريز ، وقام بواجبه الديني والشرعي في توعية الناس وتعليمهم وتهذيب أخلاقهم عبر مجالس الخطابة والوعظ ثم استوطن دار الإيمان «قم المشرّفة» وقام فيها بوظائف التربية والتكميل علماً وعملاً وحالاً .

وكان رضي الله تعالى عنه فيما يذكر من علامات الإيمان ، وآثار الايقان ، المصداق البارز ، وفي اضطرام نار محبّة الله – جلّ جلاله – وخلفائه عليهم الصلاة والسلام في مشكوة قلبه الشريف كأنّه الجمر .

تصانيفه ومؤلفاته :

١ – كتاب «أسرار الصلاة» ألّفه في قم المقدّسة وطبع على الحجر سنة ١٣٣٩ هجريّة ، وأخرى بالحروف سنة ١٣٨٠ هجريّة

٢ – كتاب «لقاء الله والسلوك إليه» : المعروف بالرسالة اللقائية .

قال العلّامة الطهراني في ذريعته : فارسي في السير والسلوك ، رأيته عند بعض تلاميذه واستنسخه السيد عبد الحسين الحجّة في ١٣٥٨ هـ بعنوان «السير والسلوك» يوجد في المكتبة الرضوية . ذكر صاحب الفهرس أنّه دوّنها ورتّب فصولها الميرزا خليل الكمره‌يي وذيّلها بترجمة أحوال مؤلّفه وسمّاه : «لقاء الله والسلوك إليه» وطبع بطهران ١٣٧٩ هـ.

٣ - رسالة في الأصول .

٤ - رسالة في الفقه .

٥ - كتاب «المراقبات أو أعمال السنة» وهو هذا الكتاب الماثل بين يديك ، وقد طبع سابقاً طبعتين : الطبعة الأولى في عام ١٣٨١ هجريّة ، والطبعة الثانية في بيروت عام ١٤٠٣ هـ.

وهذه الطبعة الثالثة وهي طبعة محقّقة ومنقّحة ومصحّحة ، بذلنا الجهد في إخراجها بحلّة جديدة زاهية ، حيث استخرجنا مصادر الأحاديث المروية وطابقناها مع متن الكتاب وأشرنا إلى الاختلاف في الهامش .

نبذة مختصرة عن حياة أُستاذه :

وأمّا أُستاذه قدس سره فهو كما في أعلام الشيعة هوالشيخ المولى حسين قلي بن رمضان الشونديّ [(١)] الدرجزينيّ الهمداني النجفيّ من أعاظم العلماء وأكابر فقهاء

(١) «شَوَنْد»: اسم قرية من توابع همدان بينها وبين همدان أربعة عشر فرسخاً، والمترجم له من =

الشيعة، وخاتمة علماء الأخلاق في عصره.

كان على منهاج السيد ابن طاووس في القول والعمل وعدم التصدّي لشيء من أُمور الرئاسة الشرعية حتى صلاة الجماعة.

نعم كان يدرس الفقه والأُصول عن كتابه الذي كتبه في تقريرات أُستاذه الأنصاري، وتخرّج على يديه العديد من فطاحل العلم والأخلاق نذكر منهم: السيد أحمد الكربلائي والسيد أبو القاسم الأصفهاني والشيخ باقر القاموسي والشيخ محمد باقر البهاري والسيد حسن الصدر وغيرهم.

توفي في كربلاء زائراً في ٢٨ شعبان من سنة ١٣١١ هـ ودفن في الصحن الشريف[(١)].

المدح والثناء عليه:

١ - قال السيد محسن الأمين في موسوعته «أعيان الشيعة»:

ميرزا جواد آقا الشهير بملكي التبريزي نزيل قم، عالم فاضل أخلاقي.

=ذراري الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري - رضوان الله عليه - وأُسرته هناك كبيرة وفي القرية من أولاد جابر جمع كثير، وهذا مما ثبت بالتواتر روته طبقة عن طبقة، ومثله في صحة الانتساب: قميص بالٍ يعتقدون أنّه ممّا وهبه الإمام أمير المؤمنين - عليه الصلاة والسلام - وقد وصل إليهم بالإرث عن آبائهم، وقد اطّلع عليه السلطان الشاه عباس الصفوي، فأخذه اتزاراً به، بعد أن ترك لهم قطعة، وهم محتفظون بهذه البقية يتقون بها الشر والبلاء، فإذا انتشر طاعون عند القرى المجاورة بقريتهم، أسرعوا فغسلوها في النهر الذي يستقون منه، وشربوا منه جميعاً نجوا، ولم يصبهم أي مكروه.

(١) نقباء البشر: ٢ / ٦٧٤.

٢ ـ وقال في حقّه العلّامة المحقّق آقا بزرگ الطهراني في «نقباء البشر في القرن الرابع عشر» :

الشيخ الميرزا جواد آقا الملكي ، عالم فقيه ، وأخلاقي فاضل ، وورع ثقة ... ، قام بوظائف الشرع ، وكان مروّجاً للدين ، مربياً للمؤمنين إلى أن توفي .

٣ – وقال مثنياً عليه م – جرفادقاني في «علماى بزرگ إسلام» :

حاج ميرزا جواد آقا فقيه بارع ، عالم عامل ، عارف خاشع ، زاهد شامخ ، متهجّد ، في كل الأحوال بذكر الله ، جسده مُلئ علماً وورعاً وتقوىً ، سكوته تفكّر ، وتفكّره أفضل من العبادة ، يعجز اللسان والقلم عن شرح فضائله وسمو أخلاقه ... .

٥ – وقال آية الله الشيخ محمد المظفري في «الفوائد الرجالية» نقلاً عن تلميذه آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي قدس سره :

وممّن أروي عنه العلّامة الأخلاقي جمال السالكين وقدوة السائرين الأُستاذ الأُستاذ آية الله الحاج ميرزا جواد آقا الملكي التبريزي نزيل قم .

٦ – وقال الأُستاذ العلّامة محمد علي مدرس في «ريحانة الأدب» :

الحاج ميرزا جواد من أكابر علماء الأخلاق والعرفان ، قمة في الأخلاق الفاضلة ، كمال في الجوانب الروحية والمعنوية ، بعيد عن الرذائل وذمائم الأخلاق ... .

وفاته :

توفّي ﷺ يوم عيد الأضحى سنة ١٣٤٣ هـ، أو ١٣٤٤ هـ على ما في بعض المصادر .

ورثاه تلاميذه الشيخ إسماعيل بن الحسين المتخلص بتائب بقصيدة أرّخ في آخرها عام وفاته وسمّاها بـ«القصيدة الجواديّة» .

وكان مادّة تاريخ وفاته : (از جهان جان رفت وازملّت پناه) .

وقد دفن في قم المقدّسة في مقبرة شيخان أو مقبرة الشهداء القريبة من الحرم المطهر للسيدة فاطمة المعصومة – سلام الله عليها – ليصبح ضريحه مزاراً للعشاق والعلماء والعارفين ، تغمّده الله بواسع رحمته .

اللّهم لك الحمد على ما وفقتنا لنشر هذا السفر القيم والصحيفة الغراء وابرازه أمام العقول الطاهرة والافكار الزاهرة ليكون برنامجاً لسيرها إلى حضرة العظمة والقدس ، ربّنا وكما بدأت فتمم ، وكما أنعمت فزد لنكون ممن بدل السيئة بالحسنة ، والادبار بالاقبال ، والنقص بالكمال ، وصلّى الله على محمّد وآله الطيبين المعصومين .

❋ ❋ ❋

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً.

أقول مخاطباً لنفسي :

إعلم أيّها العبد اللّئيم الذّميم البطّال أنّ هذه الأيّام والأوقات الّتي ولدت فيها إلى أن تموت ؛ بمنزلة منازل سفرك إلى وطنك الأصليّ الّذي خلقت لمجاورته والخلود فيه ، وإنّما أخرجك ربّك ومالكك ووليّ أمرك إلى هذا السفر لتحصيل فوائد كثيرة ، وكمالات جمّة غفيرة ، لايحيط بها عقول العقلاء وعلوم العلماء ، وأوهام الحكماء ، من بهاء ونور ، وسرور وحبور ، بل وسلطنةٍ وجلال ، وبهجة وجمال ، وولايةٍ وكمال ، فإن عملت برضاه ، واتّبعت هداه ، وراقبت وصاياه ، حصل لك من منافع هذا السفر أرباحٌ عظيمة ، وفضائل جسيمة ، الّتي لايقدر على إحصاء أنواعها - فضلاً عن تعداد أفرادها - جميع الحاسبين ، ولا يقدّر قدر عظمتها أحد من العالمين ، بل ولاخطر على قلب بشر ، ولم ير منها عين ولم

يحك منها أثر .

فإن شئت تقريب هذا المعنى إلى فهمك ، وتصديق هذا المغزى بلبّك ، من طريق المنقول ، ففي كتاب الله - جلَّ جلاله - أنعم قبول : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم من قُرَّةِ أعْيُنٍ﴾[1] . ﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾[2] وما في الأخبار المتواترة ، في تضاعف نعم الآخرة ، كلّ جمعة إلى ما لا نهاية له[3] ، بل وفي حديث المعراج : «أنظر إليهم في كلّ يوم سبعين نظرة ، وأكلّمهم كلّما نظرت إليهم ، وأزيد في ملكهم سبعين ضعفاً»[4] .

وأمّا من طريق المعقول فيكفيك التأمّل في النّعم الدُّنيويّة الجسمانيّة ، قياسها بالنّعم الأُخرويّة ، والله تعالى ما نظر إلى الأجسام مذخلقها ، وعالم الآخرة عالم القرب واللّقاء .

قال بعض المتألّهة من الحكماء : الأشياء الّتي في بعض عوالم الآخرة كلّها مملوءة غنىً وحياة كأنّها حياة تغلي وتفور ، وجري حياتها إنّما تنبع من عين واحدة لا كأنّها حرارة واحدة أو ريح واحدة فقط ، بل كلّها كيفيّة واحدة فيها كلّ طعم وإنّك تجد في تلك الكيفيّة طعم الحلاوة والشراب وسائر الأشياء ذوات الطعوم وقواها ، وسائر الأشياء الطيّبة الروائح ، وجميع الألوان الواقعة تحت البصر ، جميع الأشياء الواقعة تحت السمع ، أي اللحون وأصناف الإيقاع ، وجميع

(١) السجدة: ١٧.

(٢) إبراهيم : ٣٤.

(٣) روضة الواعظين : ٢ / ٣٨٩ ؛ عنه البحار : ٨٩ / ٢٧٤ .

(٤) إرشاد القلوب : ٢٠٠ ، ضمن المجلس ٥٤ ؛ عنه البحار : ٧٧ / ٢٣ ضمن ح ٦ .

الأشياء الواقعة تحت اللمس ، وجميع الأشياء الواقعة تحت الحسّ ، وهذه كلّها موجودة في كيفيّة واحدة مبسوطة على ما وصفناه ، لأنّ تلك الكيفيّة حيوانيّة عقليّة تسع جميع الكيفيّات الّتي وصفناها ، ولا يضيق عن شيء منها ، من غير أن يختلط بعضها ببعض وينفسد بعضها ببعض بل كلّها فيها محفوظة كأنّ كلًّا منها قائم على حدة .

فتفكّر يا إنسان أنّك تكون فيما له دخل في مراتب منافع هذه الدُّنيا الدنيّة تعمل في حركاتك وسكناتك كلّها بما هو أنفع لك ، وأجلب لنفعك ، فلا تختار إلّا الأرجح في ذلك ، بل تتعب نفسك ، وتضيع وقتك ، في تجويد مطعمك ومشربك ، تلطيف منامك ، وأنت تعلم أنّه لا يحصل من ذلك التعب إلاّ تفاوت يسير لا يدوم بل يزول بسرعة ، فكيف لاتفعل ذلك بالنسبة إلى منافع آخرتك الّتي فيها تفاوت عظيم مع دوام وخلود .

مثلاً إذا اشتريت بمالك متاعاً للتجارة ، ثمّ انتبهت أنّك لو اشتريت مكانه متاعاً آخر لكان نفعه أزيد منه ضعف الأوّل مرّة ، اغتممت من ذلك ، وتأسّفت أسفاً شديداً ، ولمت نفسك لغفلتك عنه ، وعزمت إلى الاستظهار فيما بعد ، ولكن لاتغتمّ ممّا يفوتك في تجارة الآخرة من النفع بسبعين ضعفاً وأزيد ، وإن شئت تصديق ذلك فانظر إلى ما ورد في تضعيف ثواب الأعمال ببعض الكيفيّات الخاصّة ، الأفراد الخاصّة .

مثلاً صلاتك منفرداً في بيتك ، وصلاتك جماعةً في الجامع مع إمام عالم تقيّ لاسيّما إذا كانت الجماعة كثيرة ، إنّما يزيد تضاعف ثوابها على الألوف ، ومع

ذلك أنت تسامح في اختيار الأنفع والأفضل ، ولاتغتمّ من فوت هذه الجماعة عُشْر ماتغتمّ من فوت نفع قليل من منافع التجارة الدنيويّة .

فتأمّل في هذا التّواني لأمر الآخرة ، هل هو إلاّ من ضعف الإيمان بها ؟

فاحذر أن ينصرم هذا الإيمان الضعيف عند شدائد الأهوال ، لا سيّما عند سكرات الموت ، ويختم لك بسوء العاقبة ، واستعدّ لعقوبة كبر همّ الدّنيا من همّ الآخرة ، وتذكّر فيما ورد في ذلك من قوله عليه السلام : «من أصبح وأكبر همّه الدّنيا فليس من الله في شيء ، وألزم الله قلبه أربع خصال : همّاً لاينقطع عنه أبداً ، وشغلاً لا يفرغ عنه أبداً ، وفقراً لا ينال غناه أبداً ، وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً»(١) ولاتغفل عمّا في قوله : «فليس من الله في شيء» فإنّه عقوبة عظيمة ما أعظمها .

وزِن ياعاقل ! هذا الخسران العظيم والشّقاوة العظمى في قسطاس عقلك ، مع كلّ ما يتصوّر في هذه الدّنيا من الخسران ، فانظر هل بينهما نسبة محدودة ؟ وتفكّر في مصيبتك في زمان المهلة ، ولاتفوّت عن نفسك الفرصة ، وتجهّز ليوم الحسرة والنّدامة وطول مقام يوم القيامة ، وأهوال يوم الطّامّة ، وآبك على نفسك الّتي عوّدتها في هذه الدّنيا بالنّعمة والرّاحة ، من العذاب والنقمة ، ونكال يوم القيامة .

وقل : «يا إلهي وسيّدي ومولاي لأيّ الأمور إليك أشكو ، ولما منها أضجّ وأبكي ، لأليم العذاب والشدّة ، أو لطول البلاء والمدّة ، أو من العقرب والحيّة ،

---

(١) المحاسن : ٢٠٤ صدره ، عنه البحار : ٧٠ / ٢٤٣ ح ١٢ ، وذكر نحوه في الكافي : ٢ / ٣٢٠ ح ١٧ وص ٣١٩ ح ١٥ ؛ عنه البحار : ٧٣ / ١٧ ح ٦ .

والمقامع والسّلسلة» .

لعلّك تأخذ موعظتك من هذه الفكرة ، وتتأهّب لسفرك بالتّوبة الصّادقة ، تمحو الحسنة السيّئة ، فإنّ الربّ ودودٌ غفور ، والملك رؤوفٌ شكور يقبل التّوبة عن عباده ، ويشكر القليل من حسناته ، بالكثير من مثوباته ، ويمحو الخطيئات ، يبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات .

وقل : يا أيّها السّفيه العاطل ، والمجنون المماطل ، ياشقيّ الفعال ، وياقبيح الأعمال ، إلى مَ ؟ وحتّى مَ ؟ أو كيف ؟ أو لماذا هذا التّواني والكسل ، والتسويف ، المطل ؟ بل العصيان والطّغيان ، والجحود والكفران ؟ أما ترحم (ضعف) بدنك ، ورقّة جلدك ، ودقّة عظمك ، كيف تطيق مشاهدة هذه الأهوال العظيمة ، والشّدائد الفظيعة ؟ كيف يكون حال بدنك الّذي حميته من لبس المغزّل ، عوّدته القطن والكتّان ، إذا لبس القطران ، ومن مقطّعات النيران ، وصفّد مع الشّيطان ، وأُلقي في نار قعرها بعيد ، وحليتها حديد ، وشرابها الحميم والصّديد : **﴿يُصَبُّ مِن فَوقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِم والجُلُودُ * وَلَهُم مَقَامِعُ مِن حَدِيد﴾**[١] فياله من شدّة ووبال ما أفظعه ، ومن صبّة[٢] عذاب ما آلمه ، وخزي ونكال ما أفضحه .

أما كنت في الدّنيا تنافس الأقران ، وتحاسد الأشراف والأعيان ، وتفاخر الأغنياء والأعزّة ، وتجرع من الفقر والذُّل غصّة بعد غصّة ، فكيف بك إذا جيىء

---

(١) الحج : ١٩ - ٢١ .
(٢) منصبة - مصيبة خ ل.

بك إلى المحشر مصفّداً ، مكبّلاً مغلولاً ، أسود الوجه ، أزرق العين ، ونظرت مرّة عن يمينك ، وأخرى عن شمالك ، إذ الخلائق في شأن غير شأنك : ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَة * إلى رَبِّها ناظِرَة﴾[1] و ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَة﴾[2] قد ألبسوا خلع الأمان ، وتوّجوا بتاج الملك والسّلطان ، وأحيطوا بملائكة الرحمن ، وحفّوا بالرّوح والرّيحان ، والحور والغلمان .

أما تقول : وهبني يا إلهي وسيّدي ومولاي ، صبرت على حرّ نارك ، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك ، أم كيف أسكن في النّار ورجائي عفوك ؟

وبالجملة إن كنت مؤمناً بالله ورسوله ، والكتاب الّذي أنزله على رسوله ، لابدّ ولاحيلة إلاّ بالانقلاع عن التّهوّن والتّهوين ، والتشمّر بكمال الجدّ وغاية السّعي ، بذل الجهد والطّاقة في علاج هذه المصيبات الجليلة الّتي أوردتها على نفسك ، ولاتغرّنّ نفسك ولا يغررك بالله الغرور ، ولا يغرّنّك حلمه وأناته ، فإنّ حلمه وإن كان كثيراً ولكن أخذه أيضاً شديد ، أما سمعت ما بلغ به عاقبة المغرورين بحلمه ، أما بلغك ما ﴿فَعَلَ [رَبُّكَ] بعادٍ * إرَمَ ذَاتِ العِمادِ * [التي لَمْ يُخلَقْ مِثلُها في البِلاَد *] وثَمُودَ الّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بالوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأوْتَادِ * الّذِينَ طَغَوْا فِي البِلاد﴾[3] أما تذكر ما فعل بأصحاب السّبت ، حيث ناموا أناسيّ ، وأصبحوا قردة وخنازير ، وما فعل بأصحاب القرية حيث أمسوا في عافية وأصبحوا في هاوية ، أما تخاف أن يكون حالك مثل حالهم ؟ .

---

(١) القيامة : ٢٢ - ٢٣ .

(٢) عبس : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) الفجر : ٦ - ١١ .

من أين جاء لك الأمان ، من البيات والهـوان ؟ وكـيف يـنام مـن يـخاف النسمات وقد كان المراقبون من أهل العمل والاجتهاد يتصفّحون في كـلّ يـوم وجوههم مرّات عديدة ، هل بقي على حالها أم اسودّت مـن ظـلم المـعاصي ؟ وكيف بأهل الإهمال والتناسي ، والمنهمكين في الذّنوب والمعاصي ؟ .

فعليك بالبدار والمسارعة إلى مغفرة من ربّك ، وعلاج ما عملته في أمسك ، تجهّز لتعمير رمسك ، فإنّك إن صدقت في التّوبة ، واجتهدت في التّدارك والأوبة لوجدت الباب مفتوحاً ، والخطاء مصفوحاً ، والربّ مقبلاً يمحو الخطيئات ، يبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات ، ويوصلك إلى رفيع الدرجات ، يقبلك قـبول الأب العطوف ، والأمّ الرؤوف ، والشّفيق المشفق ، المحبّ العـاشق ، يكـرمك بلطف الخطاب ، ويلبّيك فـي الجـواب ، ويكشـف عـن بـصيرتك الحـجاب ، ويلحقك بالأحباب من ذوي الألباب ، وينظر إليك بعين الرّحمة ، ويتكلّم معك بالرّأفة ، ويكشف عن جماله النقاب ، ويرفع ما بينك وبينه من الحجاب ، جيبك من الخطاب ويخاطبك بالإكرام في الجواب ، وهو ملك الملوك ، وربُّ الأرباب .

العجل العجل ، الربُّ رحيمٌ رؤوف ، والسيّد ودودٌ عطوفٌ والملك جواد عوّاد ، والإله حنّانٌ منّانٌ ، والحبيب قريبٌ ، والقريب مجيب .

وأبشر يا ذا العقل والتّعريف ، والرّأي والتّصرف ، أنّ الرّاحل إليه قـريب المسافة ، وأنّه لا يحتجب عن خلقه ، إلاّ أن يحجبهم الآمال دونه ، فدع الأمانيّ والآمال ، فإنّه ذو الجلال والجمال ، والتفضّل والنّوال ، والكرم والافضال ، واقصد نحوه وتعال ، فانّ الحبيب قريبٌ ، والقريب مجيب .

نبّه العقل والفؤاد ، واترك الجحد والعناد ، واقصد السيّد الجواد ، إله العباد والبلاد ، فهو حاضر باد فانّ الحبيب قريبٌ ، والقريب مجيب .

واعلمي يا نفس ! أنّك تقدر على تحصيل قربه ورضاه ، في مدّة يوم وليلة ، بل في ساعة ولحظة ، إن علم منك صدق النيّة ، وخلوص الطّويّة ، في ترك ما سواه وقصد لقاه ، فإنّه حاضر ليس بغائب ، وباد ليس بمحتجب ، وظاهر ليس بمستور ، وطالب ليس بمعرض ، ومقبل ليس بمدبر ، ومشتاق ليس بفارغ .

أما سمعت قوله لعيسى بن مريم على نبيّنا وآله وعليه السلام : «ياعيسى كم أطيل النّظر ، وأحسن الطّلب ، والقوم لايرجعون» [١] .

أما تذكر الحديث القدسيّ : «لو علم المدبرون عنّي كيف انتظاري بهم ، وشوقي إلى توبتهم ، لماتوا شوقاً إليّ ، لتفرّقت أوصالهم» .

وروي أنّه تعالى يقول : «عبدي بحقّك عليّ إنّي أحبّك ، فبحقّي عليك أحبّني» [٢] . آه آه ، واحسرتاه ، وواخسراه ، ووا أسفاه ، وواثبوراه ، ووايلاه : **﴿على ما فرّطتُ في جَنْبِ اللهِ وإن كُنتُ لَمِنَ السّاخِرِين﴾** [٣] لنفسي .

وإن لم تكن أهلاً لهذه الهمّة ، فلا محالة من السّعي الجميل ، وترك التّضييع

---

(١) الكافي : ٨ / ١٣٤ ضمن ح ١٠٣ ؛ أمالي الصدوق : ٤١٨ باسنادهما إلى علي بن أسباط عنهم ـ عليهم السلام ـ ؛ تحف العقول : ٤٩٦ عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام مثله ؛ عنها البحار : ١٤ / ٢٩١ ضمن ح ١٤ .

(٢) إرشاد القلوب : ١٧١ .

(٣) الزمر : ٥٦ .

والتّعطيل ، بالرفق والمداراة ، والتّأنّي والمماشاة ، وعوّد نفسك بالخيرات فإنّ الخير عادة ، وحذّرها عن الشرور فالحذر عنها عبادة ، وإيّاك وإيّاك أن تتمحّض للغفلة في كلّ حالاتك ، فتكون أضلّ من الأنعام ، ومن أراذل العوامّ . ومن بعض هذا الرّفق أن تراقب أيّام سنتك ، وتعمل ببعض ما ورد في كلّ سنة مرّة .

وأنا أكتب في هذا مجملاً ، أختار من الأعمال الواردة أهمّها ، وأشير من المراقبات إلى ألزمها .

واعلم علماً يقيناً أنّك لاتقدر على إصلاح الظّاهر إلاّ بإصلاح الباطن ، لأنّ مجاري الإعمال من عين القلب ، والقلب الصّالح لا يأتي منه إلاّ العمل الصالح ، القلب الفاسد لايجيىء منه إلاّ الفساد ، فالعمدة والأهمُّ إصلاح القلب وهو يتأثّر من الخواطر والملكات السّابقة ، والخواطر تنشأ ممّا يحسُّ بالحواسّ ، ومن الملكات والمزاج فمن لم يقدر على ذلك كلّه فلاحيلة ولاعلاج ، من الاحتراف بباب اللّطف والكرم من اللّطيف الكريم ، والربّ الرّحيم ، للتّوفيق والتّأييد والتسديد .

فمن عرف عجزه عن إصلاح نفسه وقلبه بحقيقة المعرفة ، ورأى نفسه مضطرَّة إلى رحمة ربّه بحقيقة الاضطرار ، مثل رؤية الغريق ، هلاكه في البحر العميق ، أو المبتلا بالحريق ، والتجأ عن وجه الاضطرار ، وسلّم نفسه وقلبه وعمله ، وكل أمره[١] إلى ربّه ، مع حسن ظنّ بعنايته ، فقد نجا وتخلّص ، وفاز ونال ، إنّه قادرٌ لا يعجز ، وجوادٌ لا يبخل ، وأمين لا يخون ، وقد قيل - ونعم ما قيل - : لا منتهى للمجاهدة من مكائد النّفس والشّيطان إلاّ بمعرفة العجز معرفة حقيقيّة ، الالتجاء

(١) وسلم نفسه وقلبه وعمله وكله إلى ربه : خ .

إلى الله - جلّ جلاله - التجاءً صادقاً .

فكل أمرك ، وسلّم سرّك وروحك ، وقلبك وقالبك ، وإيمانك وعملك إلى ربّك ، فإنّه لايخونك ولايجفوك ، وليس بربّ جاف .

ثمَّ يفرض نفسه حاضراً بين يدي الله - جلّ جلاله - ويقول مخاطباً عن الحضور : أتقول : لا ، ويكون التلفّظ بلفظة «لا» أثقل عليه من الجبال ، ثمَّ يقول : فان قلت : لا ، فيا ويلي ياويلي ، ويا غوثي ياغوثي .

ثمَّ يتفكّر في خزي ردّه تعالى له في جميع عوالمه وآثاره ، في عقله وروحه، قلبه وبدنه ، ثمَّ ينوح على ذلك كلّه واحداً بعد واحد ، ويقول : ياويل عقلي إن حجبه ربّي وسيّدي ، كيف يكون حاله إذا احتبس عن مقام النّور ، وشرف الحضور وعن درجة التمكين مطاع ثمَّ أمين ، وصار عابداً للهوى ، ومطيعاً لخنزير الشّهوة وخادماً لكلب الغضب ، وحجب عن مجاورة الأطيبين ، وقرب ربّ العالمين ، فمسخ عن حقيقته ، فصار شيطاناً مفتّناً ، وإبليساً مدلّساً .

ثمّ يذكر ما يصل إلى روحه من النّكال ، من ردّ الملك المتعال ، ويقول : فياويل روحي إن مُنع عن جوار الله ، والتعلّق بعزّ القدس ، وطُرد عن مجلس الأنس ، حجب عن العلّيين ، وصار في مهوى دركات السجّين ، وقرن مع الشّياطين .

ثمّ يذكر قلبه ويقول :

«أياويح قلب من به مثل ما بيا» :-

إذا منع عن ذكر الرّحمن، ومحبّة الحنّان المنّان، ومال إلى الشّيطان، وعشق هذه الدُّنيا الدنيّة، واستهتر في حبّها، ووقع في جبّها، وأخلد إلى الأرض: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ إن تَحْمِل عَلَيهِ يَلْهَثْ [أو تَتْرُكْهُ يَلْهَث]﴾[1] واسودَّ من ظلم المعاصي واعتاض من ذكر الله تعالى بالتّناسي، ومن العلوم بالوسواس، فطبع عليه ولم يبق له طريق إلى الخلاص.

ثمَّ ينوح أجزاء بدنه واحداً بعد واحد، ويخاطب رأسه فيقول: يارأس! كيف بك من غضب الرّحمن إن عذَّبك في الدُّنيا، ومسخك برأس القردة والخنازير، أو سوّد وجهك وفضحك بين العالمين، أو أعمى بصرك، أو أصمَّ سمعك، أو أخرس لسانك، أو شوَّه خلقك، أما رأيت وسمعت رؤوساً كثيرة من العصاة، غضب عليهم الرحمن، وعذَّبهم بذلك أو بغيرها من المخازي، أو أرسل إليهم ناراً فأحرقها في الدُّنيا وساقها بعده إلى نار الآخرة، أو أخّر أخذك بما بعد الموت، وما بعد الموت أخزى وأدهى.

فياذا العقل والتّعريف، والرّأي والتّصريف، أما تذكر أحوال القبر والبلى والدّود والبلوى، إذا غيّبت في الثّرى، يأكل التّراب لحمك، ويدخل الدّود في أنفك، يجري حُدَيقتك على خدّك، وتُبدَّل من المنظر النّظيف، والجمال اللّطيف، إلى الحطب الكثيف، فيرمل وجهك في الثّرى، ويقبر في الغبراء، فيرهقه قتر وذلّة، وبؤس ومذلّة، وكسر ومثله.

فانظر في مرآة عقلك جمال صورتك، وتأمّل في قبح منظرك وشوهتك،

(١) الأعراف: ١٧٦.

خذ من هذه السّوانح موعظتك ، ثمّ اعطف عنان فكرك في عذاب الآخرة الجحيم ، وتدبّر في الحميم ، الّذي يصبُّ على رأسك : ﴿يُصْهَرُ بِهِ ما فِي بُطُونِهِم والجُلُودُ * وَلَهُم مَقَامِعُ مِن حَدِيد﴾[١] وألقي في نار حرُّها شديد ، وقعرها بعيد ، حليتها حديد ، وشرابها الحميم والصّديد .

وبالجملة ينوح على أعضائه واحداً بعد واحد ، ويذكر ما يفعل بها إن كان من أهل العذاب ، وإن شاء أن يجعل نوحه كلّ ليلة بواحد منها ، وإن شاء يقرأ في بعض اللّيالي ما رواه الزُّهريُّ من نوح السجّادعليه السلام على نفسه بالنّثر والشّعر[٢] .

ويجعل ليلة من لياليه - أيضاً - ينوح فيها على (قلّة) حيائه ، فيذكر أوّلاً من جميل صنع الله عليه ، وطول أناته ، وحسن طلبه ولطفه ، في دعوته إلى خلوته وقربه ، مجلس أنسه ، ثمّ يذكر معاملته مع هذا الرّبّ الجليل ، ويتأمّل فيما يجب عليه في قبال هذه الكرامات العظيمة ، ويندب وينوح على مروءته ، وحيائه

---

(١) الحج : ٢٠ - ٢١ .

(٢) قال ابن كثير الشامي في تاريخه البداية والنهاية : ٩ / ١٠٩ باسناده الى الزهري قال : سمعت علي بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه :
يانفس حتام إلى الدنيا سكونك ، وإلى عمارتها ركونك ، أما اعتبرت بمن مضى من أسلافك ، ومن وارته الأرض من آلافك ؟ ومن فجعت به من إخوانك ، ونقل الثرى من أقرانك ؟

فهم في بطون الأرض بعد ظهورها ... محاسن فيها بوال دوائر
خلت دورهم منهم وأقوت عراصهم ... وساقتهم نحو المنايا المقادر
وخلوا عن الدنيا وما جمعوا لها ... وضمتهم تحت التراب الحفائر

ومضى في سرد المناجاة بالنثر والشعر فمن أراد التفاصيل فليراجع :
البداية والنهاية : ٩ / ١٠٩ - ١١٣ ، مناقب ابن شهر اشوب : ٣ / ٢٩٢ ؛ عنه البحار : ٤٦ / ٨٢ - ٨٧ ح ٧٦ .

ووفائه ، يقول : فواسوأتاه وواخجلتاه من افتضاحي وقلّة حيائي ، هذا ربّي وسيّدي ومنعمي ، ملك الملوك جبّار الجبابرة ، أكرم الأكرمين ، هو يدعوني إلى ذكره ، ومجالسته والأنس معه ، وهو ملك الملوك ، أغنى الأغنياء ، وإله الأرض والسّماء ، وأنا أستثقل من قبول هذه الكرامات العظيمة ، وأنا أذلُّ الأذلاّء ، فقير من كلّ الجهات ، بل فقر محض ، لا شيء مفلس ، مرهون نعمه ، موجود بعنايته ، حيٌّ بحياته ، مرزوق بنعمته ، قصّر جان في خدمته .

كيف ؟ لولا حلمه عنّي وقد أمهلني وشملني بستره ، وأكرمني بمعرفته ، وهداني السّبيل إلى طاعته ، وسهّل لي المسلك إلى كرامته ، وأحضرني سبيل قربته ، وتحبّب إليّ بنعمته ، وأرسل لدعوتي إلى مجلس كرامته ، والاستئناس بمناجاته ، أكرم خلقه عنده ، وأحبَّ عباده إليه ، ولم يقنع في إكرامي بنعمة دون أخرى ، بل كرامة فوق كرامة ، حتّى أعزّني بإرسال ملك في كلّ ليلة إلى دعوتي ، كان جزاؤه منّي أن كافأته عن الإحسان بالإساءة ، وقبح المعاملة ، حريصاً على ما أسخطه ، سريعاً أي ما أبعد عن رضاه ، مستبطئاً لمزيده ، مستسخطاً لميسور رزقه ، ستفيضاً لجوائزه بعمل الفجّار ، كالمراصد رحمته بعمل الأبرار ، أتمنّى عليه العظائم كالمدلّ الآمن من قصاص الجرائم .

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، مصيبة عظم رزؤها ، وجلَّ عقابها ، فما أقبحني وألأمني ، وما أفضحني وأشنعني ، وأقلَّ حيائي ، وأعدم وفائي ، حين جاهرته بالكبائر ، ستخفياً عن أصاغر خلقه ، فلا راقبته وهو معي ، ولا راعيت حرمة ستره عليَّ .

آه واسوء صباحاه ، بأيّ وجهٍ ألقاه ، بأيّ لسان أناجيه ، وقد نقضت العهود والأيمان بعد توكيدها ، ودعوته حين دعوته وأنا متقحّم في الخطايا ، فأجابني وهو غنيٌّ عنّي ، وسكتُّ عنه فابتدأني ، ودعاني فلم أجبه ، وأقبل عليَّ فأعرضت عنه ، واسوأتاه وقبيح صنيعاه ، أيّة جرأة تجرّأت ، وأيَّ تغرير غرّرت بنفسي ، فيالله من هذه العظائم الفظيعة ، والأحوال الشنيعة الفجية .

فوعزّتك وجلالك ياسيّدي ومولاي ، وياملجائي ومنجاي ، لو كان لي جلد على عذابك ، وقوّة على انتقامك ، ما سألتك العفو عنّي ، بل دعوتك إلى عذابي وعقابي ، سخطاً على نفسي (ولؤمها) كيف عصتك بعد هذه الكرامات الجليلة ؟ وأقبلت عليها وأعرضت مدبرة عنك بعد هذه الألطاف الجميلة ، وياسبحان هذا الربّ الودود ، وياسبحان هذا الحلم العظيم ، وياسبحان هذا اللّطف الألطف ، فقد فتح لأمثالي من العصاة اللّئام ، والطغاة المِلام باب التّوبة ، ولم يمنعه عن الأوبة ، ووعد التائب القبول ، وعفا عن السيّئات ، وبدّلها بأضعافها من الحسنات .

وبالجملة يكون جدّه في إظهار حقيقة جناياته ، وما يعرفه من كرامات ربّه ، يكثر حسراته ، ووجده وبكاؤه فيؤثّر في نزول الرّحمة ، وشمول الكرامة .

ثمّ إنّه من أهمّ المهمّات أن يتوسّل في آخر كلّ ليلة بخفراء اللّيلة ، وحماة الأمّة من المعصومين عليهم السلام ويسلّم عليهم ويسألهم أن يشفعوا له عند ربّه بالقبول وبتبديل السيّئات بالحسنات ، و(أن) يجعلوه من همّهم ، وحزبهم ودعاتهم ، يرغبوا إلى الله في أن يرضى عنه ويقبله ويلحقه بهم ، ويجعله من شيعتّهم المقرّبين ، أوليائهم السّابقين السّالفين هذا .

[الفصل الأول

في مراقبات شهر محرم الحرام]

ينبغي لأولياء آل محمّد صلوات الله عليهم بحكم الولاية والوفاء، والإيمان بالله العليّ العظيم، والرّسول الكريم، أن يتغيّر حاله في العشر الأوّل من المحرّم فيظهر في قلبه ووجهه وهيئته آثار الحزن والتّفجّع، من هذه المصائب الجليلة، الرّزايا الفجيعة، ويترك بعض لذّاته لامحالة، في مطعمه ومشربه، بل منامه وكلامه ويكون بمثابة من أصيب في والده أو ولده، ولا يكون حرمة ناموس الله جلّ جلاله وحرمة رسوله العزيز وحرمة إمامه، أهون عنده من حرمة نفسه وأهله، يكون حبّه لنفسه وولده وأهله أقلّ وأدون من حبّه لربّه ونبيّه وإمامه - صلوات الله عليهم - والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إن كانَ آباؤُكُمْ وأبْناؤُكُم - إلى أن قال - أحَبَّ إليكُم مَنَ اللهِ ورَسُولِهِ وجِهادٍ فِي سَبِيلهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ [1].

---

(١) التوبة: ٢٤.

وقد رأيت بعض أولادي الصّغار ترك في العشر الأوّل في مأكله الإدام، كان يأكل الخبز الخالي! ولم يكن - فيما أعلم - أن يقول له ذلك أحدٌ، وظننت أنّ حبّه الباطنيّ بعثه على ذلك.

فإن لم يسمح بذلك نفسه في العشر كلّها، فلامحالة يتركه في اليوم التاسع والعاشر، واللّيلة الحادية عشر، ويزور لامحالة في العشر الأوّل كلّ يوم بالزّيارة المعروفة بـ(عاشوراء) ويترك في العاشر الأكل والشّرب إلى العصر، بل والتكلّم إلاّ عن ضرورة، ولقاء الإخوان، ويكون يوم حزنه وبكائه.

فإن قدر أن يقيم عزاءه عليه السلام في بيته خالصاً لله فليفعل، وإلاّ ففي المساجد أو بيوت أصدقائه، ويخفي ذلك عن النّاس ليبعد عن الرياء ويقرب من الإخلاص، أن يحضر بعض يومه في مجامع العزاء ويخلو في الباقي، ويكون نظره في الحزن والبكاء مواساة أهل البيت - صلوات الله عليهم - وما أصاب الحسين عليه السلام من جهة الأعداء من الصدمات الظاهرة، ولكن لا يغفل أنّه عليه الصّلاة والسّلام وإن كان يصيبه في الظّاهر من الصّدمات مالم يسمع أن يصيب مثله أحداً من الأنبياء والأوصياء، بل أحداً من العالمين - لا سيما عطشه الّذي ورد فيه ما لا يحتمله العقول من ألفاظ الأحاديث القدسية وغيرها، ومصيبته من جهة المستشهدين من أهله، والمأسورات من حرمه، فكأنّه عاهد مع الحبيب أن يتحمّل في رضاه القتل بكلّ ما يقتل به سائر المقتولين، من الذّبح والنّحر والصّبر والجوع والعطش والأحزان وغيرها - ولكن كان يصل مع ذلك إلى روحه الشّريف من بهجات تجلّيات أنوار الجمال، وكشف سبحات الجلال، وشوق

اللّقاء والوصال ، ما يهوّن به تلك الشّدائد ، بل يحوّل شدّتها إلى اللّذة كما أخبر عنه بعض أصحابه حيث قال : وكان كلّما اشتدَّ عليه الأمر أحمرَّ لونه وابتهج حاله [(١)] .

ولكنَّ المصيبات والشّدائد الواردة على جسده المبارك ، وعلى قلوب أهل بيته المحترمين ، وما هتك في الظّاهر من حرمته ، إنّما يذهب الأرواح ويهيّج الأحزان .

فليظهر من كان من أوليائه أيضاً من المواسات بسيّد السّادات بالحزن والفجيعة ما يناسب هذه المصيبة الجليلة ، فكأنّها وردت على نفسه ، وعلى أعزّته ، أولاده وأهله ، فأنّه عليه السلام أولى به من نفسه بنصّ جدّه صلوات الله عليه وآله وإنّه صلوات الله عليه قَبِل هذه المصيبات ، وفدى بنفسه الشّريفة لشيعته ، لينجيهم من العذاب الأليم وأيتم أولاده وأعزّته ، ورضي باسارة حرمه ونسوته ، وزينبه وسكينته سلام الله عليهما وذبح أصغره وأكبره ، وإخوته وعترته ، لينقذهم من الضّلالة والاقتداء بالمضلّين الهالكين المهلكين ، لئلاً يعذّبوا بالنّار ، وينجوا من عظيم الأوزار .

وقد تحمّل هذا العطش العظيم ليسقي شيعته من عطش يوم القيامة

---

(١) روى الصدوق في معاني الأخبار : ٢٨٨ ، باب معنى الموت باسناده الى الحسين بن علي الناصري عن أبيه عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم السلام أنّه قال : «لما اشتد الأمر بالحسين بن علي عليهما الصلاة والسلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لانّهم كلما اشتد الأمر تغيرت ألوانهم ، وارتعدت فرائصهم ، ووجلت قلوبهم ، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خواصه تشرق ألوانهم ، وتهدأ جوارحهم ، وتسكن نفوسهم .
وقال بعضهم : انظروا لا يبالي بالموت فقال لهم الحسين عليه السلام صبراً بني الكرام ، فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء إلى الجنان والواسعة والنعيم الدائمة ، فأيكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر ، وما هي لا عدائكم إلاّ كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب ، إن أبي عليه السلام حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والموت جسر هؤلاء إلى جنانهم وجسر هؤلاء إلى جحيمهم ما كذبت ولا كذبت». عنه البحار : ٤٤ / ٢٩٧ ح ١.

بالرّحيق المختوم ، فيجب بحكم كرائم الصّفات ، في الوفاء والمؤاسات ، أن يبذل شيعته أيضاً له ما بذله - صلوات الله عليه - لهم ، وفدوا بأنفسهم له كما فدى لهم بنفسه ، وإن فعلوا ذلك لما أدّوا حقّ المواساة لأنّ نفسه الشّريفة لا يقاس بالنّفوس لأنّه بمنزلة نفس النبيّ الكريم وهي علّة إيجاد العالمين ، وسيّد الخلائق أجمعين من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين ، وهو حبيب الله وحبيب حبيب الله .

ويقول في صادق المقال ولسان الحال : ياسيّدي ياليتني كنت فداءً لك من جميع هذه البلايا ، وجلّ هذه الرّزايا ، فياليت أهلي وأولادي كانوا مكان أهلك وأولادك مقتولين مأسورين ، ويا ليت سهم حرملة - لعنة الله عليه - ذبح رضيعي ، ياليت ولدي - عليّاً - قطع عوض ولدك إرباً إرباً[١] ، وياليت كبدي تفتت من شدة العطش ، وياليت العطش حال بيني وبين السّماء كالدخان ، وياليتني فديتك بنفسي من ألم هذه الجراحات ، وياليت ذاك السّهم كان بمتحري ، وياليت ذاك السهم كان بمنحري ، وياليت ذاك السهم كان بمهجتي وياليت حرمتي وأخواتي وبناتي وقعن في هوان الأسر ، يُسقن في البلاد سوق الإماء ووضع بذلك عن أهلك الذلّ والهوان ، فياليتنا دخلنا النّار ، وابتلينا بالعذاب ، ودفع عنكم هذه المصائب .

فإن كان الله جلّ جلاله علم من قلبك صدق هذه المقالات ، قبلك لصدق المواساة لأكرم السّادات ، وأقعدك مقعد الصّدق في جوارهم ، وجعلك من أهل ديارهم ، ولكنّ الحذر الحذر من الغرور في الدّعوى ، وإظهار هذا الرّضا بالبلايا ،

---

(١) كان للمؤلف ﷺ ولد يسمى عليّاً .

ولا يصدّقك حالك وقلبك بعشر عشيرها ، ولاتقبل عند الإمتحان إلاّ قليلا من كثيرها ، بدّلت مقعد الصّدق ودرجة الصدّقين ، بهوان الكذب وأسف درك المنافقين .

فإن لم تجد نفسك تسمح بمثل هذه المواساة ، فلا تظهر الدّعوة الكاذبة ، لاتهن نفسك فقل : ياليتني كنت معك ، وأُقتل دونك ، وفزت فوزاً عظيماً ، إن لم يصدّقك حالك بحقيقة هذا التمنّي أيضاً ، فعالج مرض قلبك من حبّ هذه الدُّنيا الدنيّة ، والركون إلى حياتها ، والاغترار بزخارفها ، وتأمّل فيما خاطب الله به اليهود واقرأ قوله تعالى : **﴿يا أيُّها الّذِينَ هادُوا إن زَعَمْتُم أنَّكُمْ أولياءُ للهِ مِن دُونِ النّاسِ فَتَمَنَّوا الموتَ إن كُنتُمْ صادِقِينَ﴾**[1] .

ويقرأ في آخر اليوم زيارة التسلية ، ويختم يوم عاشورا بتوسّل كامل ، بحامي يومه وخفيره من المعصومين عليهم السلام في إصلاح حاله وعزائه مع الله – جلّ جلاله – ومع الحسين وجدّه وأبيه وأُمّه وأخيه عليهم السلام ويعتذر عن تقصيره .

وأمّا سائر أعمال العشر الأوّل : فمن المهمّات دعاء أوّل الشهر فإنّه من جهة كونه أوّل السنة مؤكّد عند التأمّل الصّادق ، للعبد المراقب ، لاسيّما للعافية والاحتراز عن آفات السنة ، الدينيّة والدنيويّة ، واستصلاح الحال فيها ، واستجلاب الخيرات فإنّ في الدّعاء قبل الوقت تأثيراً خاصّاً للمهمّات ، وقضاء الحاجات ، والدّعاء المرويُّ في الاقبال[2] دعاء كامل لهذه الجهات جداً .

---

(١) الجمعة : ٦ .

(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٣٠ – ٤١ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٢٤ – ٣٣٣ ح ١ .

الأَوْلى أن يصلّي في اللّيلة الأولى من الصّلوات الواردة أيضاً بعضها على حسب نشاطها فلا أقلَّ من الركعتين اللّتين يقرأ فيهما الحمد وإحدى عشر مرّة ﴿قل هوالله أحد﴾ ، ويدعو بالدّعاء المرويّ في الاقبال [(١)] ، الّذي دعا به النبيُّ صلى الله عليه وآله بعد صلاة ركعتين .

ويصوم صبيحتها ، وقد ورد لمن فعل ذلك أنّه كمن يدوم على الخير سنة ، لا يزال محفوظاً من السنة إلى القابل ، فان مات قبل ذلك صار إلى الجنّة [(٢)] .

ويصوم اليوم الثالث وقد ورد أنّه يوم خروج يوسف – على نبينا وآله وعليه السلام – من الجبّ ، من صامه فرّج الله عنه الكرب ، ويسّر له الصعب [(٣)] .

وورد أيضاً استحباب صوم الشهر كلّه [(٤)] ، وورد خصوص صوم التّاسع [(٥)] والعاشر [(٦)] ولكنَّ الأحوط ترك صوم العاشورا [(٧)] ولكن يمتنع من الطعام

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ٤٣ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٣٤ ضمن ح ٢ .
(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٤١ باسناده إلى أحمد بن جعفر بن شاذان ، رفعه عن النبي صلى الله عليه وآله ، عنه الوسائل : ٨ / ١٨٠ ذيل ح ١ .
(٣) إقبال الأعمال : ٣ / ٤٤ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٣٥ ح ٤ .
(٤) إقبال الاعمال : ٣ / ٤٤ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٣٤ ح ٣ .
(٥) إقبال الأعمال : ٣ / ٤٥ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٣٥ ح ٥ .
(٦) إقبال الأعمال : ٣ / ٥١ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٤٠ ضمن ح ٣ .
(٧) إقبال الأعمال : ٣ / ٥٠ .
ورد النهي أكيداً عن صوم اليوم التاسع والعاشر ، بل عن صوم اليومين الحادي عشر والثاني عشر أيضاً ، فإنّ بني أُمية – لعنهم الله – صاموا تلك الأيام فرحاً وتعييداً وشماتة بالعترة النبوية الطاهرة ، وشكراً على قتلهم وسبيهم وهتكهم حرم الرسول صلى الله عليه وآله ، فمن فعل فعلهم حشره الله يوم القيامة مع يزيد وابن زياد وبقية بني أُمية وأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله.
وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة، منها: ما رواه الكليني في الكافي: ١٤٦/٤ ح ٥ باسناده إلى =

والشراب إلى العصر، ويفطر عند العصر من جهة انخلاص الحسين - صلوات الله وسلامه عليه - وأصحابه من هموم هذه الدنيا الدنيّة، وفوزهم ووصولهم إلى مطلوبهم من لقاء الله جلّ جلاله في ذلك الوقت ولعلّه لذلك يتراءى لمواليه المتعزّين بعزائه في عصر هذا اليوم من خفّة الهموم وانفراجها.

وأمّا سائر أعمال ليلة عاشورا ويومها من الصلوات والدعوات - غير الزيارات وصلواتها- ففي النفس منها شيء ويحتمل وضعها من المخالفين كوضع استحباب الاكتحال وغيرها ولو كانت واردة أيضاً يمكن أن يحكم بترجيح الاشتغال بمراسم التعزية والصلوات له والمستشهدين بين يديه ولعن قاتليهم، فانّ تأكيدها أيضاً ثابت من الرّوايات.

ثمّ إنّه من اللّوازم العقليّة زيارة أهل بيته المستشهدين بين يديه وزيارة أصحابه الشّهداء لاسيّما بالزيارة المأثورة [1] وإقامة عزائه عليه السلام.

=جعفر بن عيسى قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء، وما يقول الناس فيه ؟فقال: «عن صوم ابن مرجانة تسألني ؟! ذلك يوم صامه الأدعياء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام. وهو يوم يتشاءم به آل محمد، ويتشاءم به أهل الاسلام، اليوم الذي يتشاءم به أهل الإسلام لا يصام ولا يتبرك به ويوم الاثنين ويوم الخميس - إلى أن قال: - ويوم عاشوراء قتل الحسين عليه السلام وتبرّك به ابن مرجانة، وتشاءم به آل محمّد صلى الله عليه وآله فمن صامهما أو تبرّك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب، وكان محشره مع الذين سنّوا صومهما والتبرك بهما».

ورواه في التهذيب: ٤ / ٣٠١ ح ٩١١ مثله؛ والاستبصار: ٢ / ١٣٥ ح ٤٤٢؛ عنهما الوسائل: ١٠ / ٤٦٠ ح ٣.

وقد رويت أحاديث كثيرة غيرها فمن أراد التفصيل فليراجع وسائل الشيعة: ١٠ / ٤٥٩، باب ٢١ باب عدم جوار الصوم التاسع والعاشر من المحرّم على وجه التبرّك.

(١) إقبال الأعمال: ٣ / ٧٣ - ٨٠؛ عنه البحار: ٤٥ / ٦٤ - ٧٣ ضمن ح ٣ و ج: ١٠١ / ٢٦٩ - ٢٧٤ ح ١.

والمهمُّ في هذا الباب وفي كلّ باب أن يراقب فيما يعمله أن يكون بنيّة ولا يكون على الرَّسم والعادة ، وأن تكون النيّة خالصة ، ويكون صادقاً في إخلاصه فانَّ العمل القليل عن نيّة خالصة صادقة خيرٌ من الأعمال الكثيرة الخالية عنها ، وإن بلغ كثرتها بآلاف أضعافها ، اعتباراً بعبادة آدم عليه السلام وإبليس ، فانَّ عبادة آلاف سنين منه لم يؤثّر في منع الخلود في النّار ، وتوبة واحدة من آدم صار سبباً للعفو عن خطائه ، لاجتبائه واصطفائه ، وإن كان الإخلاص الصادق لا يمكن أن يتأتّى من أغلب النّاس بل ومن كلّهم إلاّ بلطف خاصّ من الله اللطيف بعباده إلاّ أنّه تعالى بكرم عفوه قد يرضى عن العبد ببذل طاقته ودونها إن عرف واقعاً أنّه عاجز ، لاحول ولا قوّة إلاّ بالله وهذه المعرفة إنّما يضطرُّه إلى اللجاء بالله والالتجاء إلى عنايته وهذا الاضطرار إنّما يدخله في مفاد قوله : **﴿أمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء﴾**[1] ويفتح له أبواب عنايات ربّه الكريم ، لأنّه كريم يحبُّ الكرامة لعباده المضطرّين إليه ، المحترفين على بابه .

ثمَّ إنَّ ألزم ما يجب مراعاته في مقام العمل أن يراعي قلبه حتّى لايدخل في نيّة عمله مراءاة النّاس ولذّة ثنائهم ، ويستكشف ذلك بأن يقيم العزاء مثلاً في بيت صديقه بحيث يظنُّ النّاس أنَّ المقيم صديقه ، ثمَّ ينظر في قلبه هل يتغيّر من ذلك ويتفاوت حاله في ثقل مؤونة العزاء ومخارجه ، وخفّته ، ومسرّته من شوكة مجلسه ، وخفّته بما إذا علم الناس أنّه مقيم العزاء أو لم يعلموا ، وإن لم ير تفاوتاً فلينظر هل رغبته في دعوة القرّاء المعروفين الّذين يقرؤون في مجالس الأعيان ، ام

---

(١) النمل : ٦٢ .

لا ، لا سيما إذا كان قراءتهم أدون شرعاً - من جهة الصحة أو غيرها- من غير المعروف ، أو كيف ميله بكون أهل مجلسه من أعيان النّاس أو أعيان العلماء أو فقرائهم .

فإن تأمّل في هذه الكواشف ، يرى أنّ للريّاء في عزائه مدخلاً عظيماً ، ليستظهر في عمله بالإخفاء والستر ، بأن يقيم العزاء في بيت صديقه ، يوصي إليه بالكتمان ، ويهتمّ لتصحيح عمله ، بأن يدعو للقراءة قارئاً صادقاً متّقياً ، ويسوّي في إكرام الحاضرين من الأغنياء والفقراء ، بل يرجّح بالترجيحات الشرعيّة الدينيّة لا الدنيويّة فانَّ في تصحيح كيفيّات خصوصيّات الأعمال أسرار كثيرة لها دخلٌ في القبول وتضاعف الأجر .

ثمَّ إنّه يتأكّد البيتوتة ليلة العاشورا عند (قبر) الحسين عليه السلام وروى الشيخان أنَّ «من زاره وبات عند قبره ليلة العاشورا حتّى يصبح حشره الله ملطّخاً بدم الحسين عليه الصلاة والسّلام أو لقي الله يوم القيامة ملطّخاً بدمه »[(١)] .

ثمَّ إنّه روي عن المفيد عليه الرّحمة أنَّ في ليلة إحدى وعشرين من المحرَّم كان زفاف سيّدة نساء العالمين كلّها إلى دار سيّد الأوصياء وخاتم الأولياء أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما وعلى آلهما الطّاهرين ، فيستحبُّ صومه شكراً لله[(٢)] .

(١) مصباح المتهجد : ٢ / ٧٧١ باسناده إلى جابر الجعفي عن الصادق عليه السلام ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٥٠ ؛ عنها البحار : ١٠١ / ١٠٣ ح ٤ ؛ وفي ج ٩٨ / ٣٤٠ ح ٢ عن الإقبال . وفي مسار الشيعة : ٢٥ مرسلاً ؛ عنه الوسائل : ١٠ / ٣٧٢ ح ٣ و ٤ وعن مصباح المتهجد . كامل الزيارات : ١٧٣ ح ١ ؛ عنه البحار : ١٠١ / ١٠٤ ح ٧ ، ومستدرك الوسائل: ١٠ / ٢٩١ ح ١. مزار المفيد : ٥١ ح ٢ عنه الإقبال . وأورده مرسلاً في مصباح الكفعمي : ٤٨٢ (حاشية) .

(٢) إقبال الإعمال ٣ / ٩٢ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٤٥ ح ١ ، و ج ٤٣ / ٩٢ ح ١ .

أقول: وقد اختلف في ذلك فمن أراد الاستظهار والتفطّن لما في هذه اللّيلة الشريفة من عظيم منن الله على خواصّ أوليائه وعموم المسلمين، وأنّ بناء جميع الخيرات المنتشرة في العالم من بركات وجودات الأئمّة الأحد عشر، وبركات هداياتهم وتصرّفاتهم وأنوار تربتهم، لا سيّما بركات أنوار الإمام القائم الّذي به يتمّ عنايات الله جلّ جلاله لأهل الدين من هذه الأمّة، وسائر الأمم في الدين والدنيا، يظهر عدل الله الأعظم ويكون الدين كلّه لله، كلّها في هذه اللّيلة، لابدّ أن يتحرّك نفسه بشكر واهب النعم إما بصوم أو بغيره من العبادات والقربات.

والمرجوّ لمن راقب أمثال هذه الأيّام بتعظيم وإجلال أن يدخل في زمرة من وصفهم الله جلّ جلاله في كتابه الكريم بتقوى القلوب حيث قال: **﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعائِرَ اللهِ فإنّها مِن تَقْوى القُلُوب﴾**[1] فإنّ تأثير المراقبات إنّما يكثر ويعظم بالأمور الدقيقة اللطيفة وكلّما زاد اللطف والدقّة ازداد العمل شرفاً ونوراً، فالشكر عند احتمال النعمة (و) لطفه في المراقبة على الشكر عند يقينها لا يخفى على ذوي الألباب فكيف بربّ الأرباب، هذا.

وقد أشرنا سابقاً أنّ لخروج شهر محرّم الحرام تغيّراً وتأثّراً لأهل المراقبة فانّ للخروج من حمى ملك الملوك تعالى حقّاً للعبيد، ومن حقّه أن يناجيه تعالى بواسطة خفير يومه من المعصومين، ويعترف أوّلاً بأنّي لم أكن مستحقّاً لهذا الأمان، بل كنت أستحقّ بأعمالي وحالاتي وملكاتي كلّها منك الخزي والهوان، بل العذاب الأليم، فبفضلك الذي ابتدأت به ذلك الأمان، وتفضّلت على عبيدك

---

(١) الحج: ٣٢.

بالشهر الحرام لاتخرجنا بخروجه من أمانك وحماك ، حتّى توصلنا إلى دار السلام، ولا تؤاخذنا بتقصيرنا في حقّ أداء شكرك ، ورعاية أدب حرمته ، بل عاملنا بكرم عفوك الّذي يبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات ، ويوصلنا إلى رفيع الدّرجات ؛ ويختمها بالصلوات والمشيئة [(١)] .

ثمّ إنّ هذا الّذي ذكرنا من مراقبة آخر المحرّم فهو غير ما يلزم المراقب في أواخر سائر الشهور ، من جهة رفع الأعمال فيها فانّ له من المحاسبة والاستغفار واستصلاح الشأن بالدّعاء مع الله جلّ جلاله تكليفاً خاصّاً يذكر في كتاب المحاسبة من كتب الأخلاق .

❊ ❊ ❊

(١) كذا .



الفصل الثاني

في ما يتعلق بشهر صفر الخير

أقول : المعروف أنَّ شهر صفر فيه نحوسة لا سيّما يوم أربعائه الآخرة ، ولم يرد فيه شيء مخصوص من الروايات ، إلاّ أن يكون ذلك لأجل أنَّ فيه وفات رسول الله ﷺ وورد عنه ﷺ : «من بشّرني بخروج صفر بشّرته بالجنّة» وهذا أمر تحكم به العقول ، وإذا صحّ ذلك فللمراقب أن يستقبل هذا الشهر بما يليق به ، يجعله من مواسم المصائب الجليلة ، ويناجي مع الله جلَّ جلاله في ذلك ببثٍّ الشكوى من غيبته ﷺ وفقد بركات أنوار حضوره ، وما ترتّب على وفاته من فتن الأمّة ، وطغيان المنافقين ، وغشم الظالمين ، وكيد المعاندين .

واتّفق في هذا الشهر من الأمور المهمّة المهيّجة للأحزان أنَّ يوم العشرين منه أربعين الإمام الشّهيد ، عليه سلام الله الملك المجيد ، ومحتملٌ أن يكون دفن رأسه الشريف أيضاً فيه .

في «الإقبال» أنَّ إعادة الرأس المقدَّس لمولانا الحسين صلوات الله عليه إلى جسده يشهد به القرآن العظيم المنيف ، حيث قال الله جلَّ جلاله : **﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبيلِ اللهِ أمواتاً بَلْ أحياءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون﴾** [١] فهل بقي شكٌّ حيث أخبر الله أنّه من حيث استشهد حيٌّ عند ربّه مرزوقٌ مصونٌ فلا ينبغي أن يشكَّ في هذا العارفون وأمّا كيفيّة إحيائه بعد شهادته ، وكيفيّة جمع رأسه الشريف إلى جسده بعد مفارقته فهذا السؤال يكون فيه سوء أدب من العبد على الله جلَّ جلاله أن يعرّفه كيفيّة تدبير مقدوراته ، وهو جهل من العبد ، وإقدام لما لم يكلّف العلم به ، ولا السؤال عن صفاته - إلى أن قال - فليقتصر الإنسان على ما يجب عليه من تصديق القرآن من أنَّ الجسد المقدَّس تكمّل عقيب الشهادة ، وأنّه حيٌّ يرزق في دار السعادة ، ففي بيان الكتاب العزيز ما يغني عن زيادة دليل وبرهان [٢] انتهى .

أقول : ظاهر هذه البيانات أنَّ سيّدنا وقدوتنا - قدَّس الله سرَّه العزيز - كأنّه فهم من ظاهر الآية الكريمة أنَّ الحياة الّتي للمقتولين في سبيل الله - وأشير إليها في هذه الآية الشريفة - إنّما يستلزم استكمال هذا البدن ، فتكلّم في ذلك بما ذكر وهو كما ترى . ولعلّه عرف ذلك الاستلزام من غير الآية الشريفة من الأدلّة الّتي لم تصل إلينا ، أو لعلَّ مقصوده من كلماته خفي علينا .

وأيضاً ما ذكره أنَّ السؤال من كيفيّة الإحياء ، وجمع رأسه الشريف مع الجسد سوء أدب على الله جلَّ جلاله أن يسأله أن يعرّفه كيفيّة تدبير مقدوراته

(١) آل عمران : ١٦٩ .
(٢) إقبال : ٣ / ٩٨ - ٩٩ .

وهو جهل من العبد انتهى ، لم يتّضح مقصوده - رضوان الله عليه - من هذا الكلام، لأنّ السؤال من جهة المعرفة والفهم ، من كيفيّة مقدوراته جلَّ جلاله أمر معمول بين العلماء بل الأولياء وسؤال تعريف هذه المراتب منه - جلَّ جلاله - سؤال لزيادة المعرفة ، وهو أمرٌ مرغوبٌ فيه عند أهله ، ولكنّه يمكن أن يكون مراده غير ظاهر كلامه ، وهو أعلم بما قال .

وكيف كان يلزم على الرجل المراقب أن يجعل يوم الأربعين يوم حزنه . يسعى أن يزوره صلوات الله عليه عند قبره [1] ولو مرَّة في عمره ، لمكان الخبر الشريف الوارد في (أنَّ) علائم الشيعة - أو المؤمن - الخمس : صلاة إحدى وخمسين ، وزيارة الأربعين والتختّم باليمين ، وتعفير الجبين ، والجهر ببسم الله الرّحمن الرّحيم [2] . وإن لم يمكن إتيان قبره الشريف ، يزوره في أيّ مكان كان . كما أنّه يلزمه بعد العلم بهذه الرواية أن يكون قيده ومراقبته بجميع ما في هذه الرواية من العلائم أكثر من كونها مستحبّات حتّى أنّه يلزمه أن لا يتختّم باليسار أبداً ، ولا يصغي لما قيل من جوازه إذا كان متختّماً باليمين أيضاً وإن كان القائل به من أعيان الفقهاء ، لما يظهر من بعض الأخبار لا سيّما الأخبار المرويّة في

---

(١) في الأصل : في قبره .

(٢) مصباح المتهجد : ٢ / ٧٨٧ ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ١٠٠ ؛ والوسائل : ٣ / ٤٢ ح ٢٩ والبحار : ٨٢ / ٢٩٢ ح ٢١ ، و ج ٨٥ / ح ٧ ؛ مزار المفيد : ٥ / ٥٣ ح ١ عنه الإقبال . وفي مصباح الزائر : ٣٤٧ ؛ والمزار الكبير : ١٤٣ ح ١٧٨ بالأسناد إلى أبي هاشم الجعفري . وأورده في روضة الواعظين : ٢٣٤ ، ومصباح الكفعمي : ٤٨٩ (حاشية) . ورواه في التهذيب : ٦ / ٥٢ ح ٣٧ وفيه : (صلاة الخمسين ، عنه الوسائل : ٣ / ٣٩٦ ح ١ و ج ١٠ / ٣٧٣ ح ١ ، والبحار : ١٠١ / ١٠٦ ح ١٧ ، وجامع الأحاديث : ٤ / ٩٨ ح ٢٥ .

«مستدركات الوسائل» للفاضل النوريّ تتيُّ أنَّ الأخبار المجوّزة فيه وردت مورد التقيّة ، وإن كانت من بعض الوجوه ، ومن أراد العلم بذلك (عن تحقيق) فليراجع الكتاب المذكور .

ويختم يوم الأربعين بما يختم به الأوقات المهمّة بمراجعة حماة اليوم من أئمّة الدين صلواة الله عليهم أجمعين في استصلاح العمل والحال ، مع الله جلَّ جلاله .

ثمَّ إنّه يجب أن يكون حاله يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في التأثر وإظهار العزاء لائقاً لما وقع فيه من هذا الأمر العظيم ، وترتّب عليه من الأمور العظام فيما بعد ويزوره صلى الله عليه وآله ببعض زياراته الواردة أو ينشيء هو في ذلك زيارة مناسبة بما يفتح الله عليه ويذكر فيها ما قاله صلوات الله عليه وآله من حديث كون حياته ومماته خيراً لأمّته ، وأن يظهر الحياء ممّا يصله صلى الله عليه وآله من مساءة العلم بسيّئاته .

ثمَّ يشير فيها إلى أمّهات المصائب الواردة على بضعته وحبيبته ، ونفسه وخليفته وعترته وذريّته ، ويقول : يارسول الله وكيف بك لو رأيت سيّدة نساء العالمين تندبك وتقول : يا أبتاه ، واصفيّاه ، وامحمّداه ، واربيع الأرامل واليتامى ، من للقبلة والمصلّى ، ومن لا بنتك الوالهة الثكلى ، وكيف لو رأيتها بين الباب والجدار . كيف لو رأيت قد اسودَّ جنبها وانكسر ضلعها ، وكيف لو سمعتها تقول[1] :

---

(١) كأنه لسان حالها عليها السلام .

نفسي علـى زفراتـها مـحبوسةٌ يـاليتها خـرجت مـع الزفـرات

لا خير بعدك فـي الحـياة وإنّـما أبكي مخافة أن تطول حياتي [1]

وا أسفاه عليك يا أبتاه والثكل حبيبك أبي الحسن المؤتمن ، وأبي سبطيك الحسين والحسن ، ياخير الأنام فها هو يقاد في الأسر كما يقاد البعير . وتئنّ أنّة وتنادي وامحمّداه ، واحبيباه ، واأبتاه ، وا أحـمداه ، وا قـلّة نـاصراه ، واغـوثاه ، واكربتاه واحزناه ، وامصيبتاه ، واسوء صباحاه ، يارسول الله . وأنا أعتقد أنّك كنت تسمع ما تشتكي إليك ابنتك ، وترى ما يفعل بأهلك وعترتك ، وأتفكّر فيما صار إليه حالك ممّا تسمع وتـرى ، آجـرك الله يـارسول الله مـمّا أصـابك مـن هـذه المصيبات العظيمة ، الرزايا الجليلة ، والوقائع الفجيعة ، أجراً جميلاً ، وجزاك الله خير ما جزى نبيّاً عن أمّته ، وكيف لو لا صبرت في الله وبالله ، ودعوت الله على الأمّة من هذه المظالم ، أهلكت العالمين من هذه الجرائم .

ثمّ يزور الإمام أبي محمّد الحسن عليه السلام فانّ شهادته أيضاً في هـذا اليـوم ، يتذكّر في ذلك اليوم مظلومتيه المقرحة للقلوب ، والمهيّجة للأحزان ، ويـصلّي عليه ويلعن قاتله معاوية ابن أبي سفيان - لعنه الله - ثمّ يختم اليوم الآخر بما قرّر في كتاب محاسبة النفس .



(١) البحار : ٤٣ / ٣١٢ ح ٤٤ عن بعض كتب المناقب القديمة باسناده الى الحكم ؛ عوالم فاطمة عليها السلام : ١١ / ٥٣٠ ح ٢ .



الفصل الثالث

في مراقبة شهر ربيع الأوّل

وهذا الشّهر كاسمه ربيع الشّهور، لما ظهر فيه من آثار رحمة الله جلّت آلاؤه ونزل فيه من ذخائر بركاته وأنوار جماله على الأرض، حيث اتّفق فيه ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله الّذي يمكن أن يدّعي مدّع أنّه ما نزل - منذ خلقت الأرض - عليها رحمة مثلها فمقدار عظمة هذه الرّحمة على غيرها يساوق عظم شرافة رسول الله صلى الله عليه وآله على سائر المخلوقات، فكما أنّه أعلم خلق الله وأشرفهم وسيّدهم وأقربهم إلى الله وأطوعهم له، وأحبّهم لديه، فكذلك شرف هذا اليوم على سائر الأيّام، فكأنّه يوم بنيت فيها من الهدايات أتمّها، ومن الكرامات أعظمها، ومن الرّحمات أشملها، من البركات أشرفها، ومن الأنوار أبهاها، ومن الأسرار أخفاها.

فعلى المسلم المصدّق بشرف رسول الله صلى الله عليه وآله المراقب في معاملة مولاه، ن يعظم هذا اليوم عنده في الشرف بما لا يبلغه وصف الواصفين، وأن يكون فضله

لديه أكثر وأعظم من كلّ ما يقدّر أو يفرض من فضل الأوقات ، لأنّ في مثل هذا اليوم نزل أصل سائر الفضائل والشرافات ، لهذه الأمّة ، فجميع بركات النبوّة والإمامة والكتاب والشريعة إنّما ظهرت بوجود رسول الله صلى الله عليه وآله وقد استهلّ في مثل هذا اليوم المبارك ، فإذا ثبت ذلك بصريح حكم العقل ، وكشف عنه طريق النقل ، فعلى المسلم المراقب أن يجتهد بتمام جهده في شكر هذه النّعمة العظيمة، ويكون سعيه لسعة هذه الرّحمة الواسعة ، ويجعله يوم عيده الأعظم ويتقرّب إلى الله جلّ جلاله فيه بالقربات الوافية ، ويتوسّل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالتوسّلات الكافية الشّافية .

ومن المراقبة لهذا اليوم العظيم أن يعظّم الشّهر كلّه بالمساعي الجميلة ، القربات الفاخرة الجليلة ، ويناجي ربّه في عيد استهلاله [(١)] بما يناسب معرفته ، بمقدار منّة الله جلّ جلاله عليه من جهة هذه النّعمة الحاضرة الفاخرة .

واعلم أنّك لو أتيت بعبادة الثّقلين، وخلوص النبيّين ، لما أدّيت حقّ شكر هذه النّعمة ، لامن جهة أنّ هذه الأعمال أيضاً من نعمه وموجبة لشكر آخر ، بل من أجل عظمة هذه النعمة الّتي يقصر عن شكرها أعمال العباد ، فعليك بحكم العقل بعد العلم بالقصور أن لا تقصّر في مقدورك من الجدّ والجهد ، ويكفيك بحكم الفضل أن يكون شكرك بدون الطّاقة إذا وقع خالصاً لوجهه الكريم فإنّه يقبل اليسير إذا كان خالصاً ويشكر الكثير ، هذا .

ولكنّ المهمّ أن لا تغفل عمّا يجب عليك من حقّ هذا الموسم الجليل

---

(١) ويناجي ربّه عند استهلاله ، ظ .

بالقلب ويكون عليك خجل القصور، وحياء التقصير، وتعمل عملاً يخرجك من حدّ الغفلة والتضييع، وتبالغ في صدق الإخلاص مع خجل وحياء، ويكون هذا اليوم في نفسك عظيماً بقدر عظمته الواقعيّة وإن كنت في أداء حقّ شكره قاصراً أو مقصّراً.

وبالجملة، الّذي يجب على العبد بذل غاية الطاقة فيه [(١)] هو عبادة القلب بالمعرفة والذكر والشكر وغيرها من عباداته، وأمّا العبادة البدنيّة فالمرغوب شرعاً فيها الاقتصاد لا الجهد الشديد، وأمّا تلطيف القلب بالمعرفة وما يتبعها من كرائم صفاتها فالمرغوب فيه الإدمان بقدر الوسع والطّاقة، حتّى يصير حاله كما قال الصادق عليه السلام في حقّ العارف: «لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه» [(٢)]، وإذا انكشف عن قلبه أغشية الأوهام، وارتفعت عنه الحجب الظلمانيّة، وتجلّى فيه أنوار جمال الصّفات، وسبحات جلال الذات، وبرق له لا مع كثير البرق، لا يمكنه الغفلة والسهو، وينقلب أحوال قلبه بتجلّيات خصوص الصّفات الجماليّة والجلاليّة، والله جلّ جلاله يتولّى رياضة قلبه بالخوف والرّجاء من هذا الطريق حتّى يورده مقعد الصدق في جواره، ويسكنه في الفردوس الأعلى جنّة النّور مع النبيّين والشّهداء والصّدّيقين، وحسن أُولئك رفيقاً.

❊ ❊ ❊

(١) في الأصل: غاية بذل الطاقة.
(٢) مصباح الشريعة: ١٩١؛ عنه البحار: ٣ / ١٤ ح ٣٥.

في أهم أعمال الشهر

ومن أهمّ أعماله كما أشرنا إليه الدُّعاء في أوَّله بما روي في ذلك [(١)] ، وبما يراه مناسباً وبما يقتضيه حاله للدخول في هذا المنزل من منازل سفره إلى ربّه ، ويتبعه بالتوسّل إلى خفير يومه من الأئمة والحماة في استصلاح الحال في الشّهر كلّه وفي أيّامه الخاصّة بالشفاعة والدّعاء وطلب التوفيق .

ثمّ اليوم الثامن: روي أنّه وقع فيه وفاة الإمام أبـي مـحمّد الحسـن الزكـيّ العسكريّ عليه السلام [(٢)] فللمراقب أن يحزن فيه لا سيّما بلحاظ أنَّ صاحب المصيبة فيه حجّة عصره وإمام زمانه أرواح العالمين فداه ، عليه وعـلى آبـائه صـلوات الله ، يزوره بما يبدو له ويعزِّي الإمام عليه السلام بما يناسبه .

ثمّ يشكر الله لخلافة إمامه عليه السلام ويتأثر من غيبته وفقده ، ويتذكّر زمن ظهوره وفوائد أنواره ، وخيره وبركته .

ثمّ اليوم التاسع: ورد فيه رواية واحدة فاخرة في كونه يوم هلاك عدوّ الله [(٣)] وفي فضله وفضل الفرح فيه ، وأنّه يوم السرور لشيعة آل محمّد صلوات الله عليهم

---

(١) راجع إقبال الأعمال : ٣ / ١١١ - ١١٣ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٤٨ ح ١ .

(٢) راجع الكافي : ١ / ٥٠٣ ، إرشاد المفيد : ٣٤٥ ، تهذيب الأحكـام : ٦ / ٩٢ ؛ عـنها إقـبال الأعمال : ٣ / ١١٣ - ١١٤ .

(٣) إقبال الأعمال : ٣ / ١١٣ ؛ ورواه في البحار : ٩٨ / ٣١٥ ح ١ عن زوائد الفوائد .

أجمعين واشتهر بين الشيعة بذلك ، وإن كان لايساعده سائر الروايات ، ولكن يمكن أن يكون التقيّة اقتضت تغيير الوقت ، ومع ذلك لايبعد أن يكون لهذا جهة انطباق أيضاً بوجه من الوجوه .

وكيف كان ينبغي لموالي آل محمّد ولو تعبّداً لهذه الرواية إظهار السرور لهلاكه في ذلك اليوم ، ولكن مع الالتفات بأنّ السرور بهلاك الأعداء ، إنّما يحسن للأولياء والأحبّاء ، فمن كان أعماله لايصدّق الولاية والمحبّة ينبغي أن يكون مع إظهار السرور خجلاً عمّا يقصّر من مراسم الولاية والمحبّة ولا أقلّ من أن لا يكون في إظهار سروره لهلاك عدوّ الله وعدوّ أوليائه سالكاً مسلك الأعداء بارتكاب المحرّمات لأنّ المخالفة يضادّ المحبّة ، وهي تناقض إظهار السّرور لهلاك عدوّ المحبوب والمولى .

وفي اليوم العاشر : تزويج رسول الله صلى الله عليه وآله (من) خديجة سلام الله عليها[1] فعلى الشيعة تعظيم هذا الأمر لما وقع من تأثير هذا التزويج المبارك الميمون في الخيرات والبركات ، وانتشر منه الأنوار الباهرات الطّاهرات ، من جهات شتّى .

وأمّا اليوم السابع عشر : وقد أشرنا ببعض شرافتها آنفاً ولكن لا بأس بالاشارة الاجماليّة ببعض ما طوينا ذكره .

أقول : لا يبلغ فطنة أحد من الرعيّة بل أغلب الأنبياء والأولياء صلوات الله وسلامه عليه و(على) آله وعليهم أجمعين من اكتناه فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله وقد

---

(١) إقبال الإعمال : ٣ / ١١٥ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٥٧ ح ١ .

يشير إلى ذلك الأخبار المستفيضة الواردة في عدم احتمال كلّ نبيّ إلاّ المرسل منهم بعض مقامات آله المعظّمين ، فضلاً عن فضائل نفسه الشريفة ، كيف وهو أشرف الخلائق كلّهم وأقربهم إلى الله ، وهو علّة إيجاد الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقرّبين وجميع العالمين ، وهو صلوات الله عليه وإله سيّد الخلائق وأعلمهم ، وهو العقل الأوّل والنّور الأوّل ، والخلق الأوّل ، والاسم الأعظم . وهو الحجاب الأقرب ، وهو طرف الممكن ، وهو واسطة فيض الإله جلّ جلاله لجميع عالم الامكان .

وإذ فرض كونه علّة إيجاد العالم ، وواسطة فيض الأقدس ، فلا يعقل أن يكتنه أحد من العالمين معرفة صفاته وفضائله كما هي ، وجميع الهدايات منسوبة إليه ، وهو معلّم الملائكة ، والمبعوث على أرواح الأنبياء وهو صاحب الخُلق العظيم في كتاب الله [1] ، وآله وخلفاؤه الاثنا عشر بعده أشرف الخلائق أجمعين أوّلهم أمير المؤمنين عليه السلام الّذي كان مع الأنبياء باطناً ينصرهم ومعه ظاهراً ، وآخرهم المهديُّ الّذي به وعد الله النصرة لأهل الحقّ من الأوّلين والآخرين ، وبه يكمّل التّوحيد في الأرض ، ويتمُّ دينه حتّى لا يبقى عليها دين إلاّ دين الله .

وهو الفاتح ، وهو الخاتم ، وهو الّذي بشّر بنبوّته الأنبياء وبشّر به الكتب السماويّة ، كتابه مهيمن على الكتب كلّها ، ووصيّه سيّد الأوصياء ، وأمّته أفضل الأمم ، شريعته أكمل الشّرائع ، وسيرته أفضل السّير .

وهو صاحب الحوض ولواء الحمد ، وهو صاحب الوسيلة والشفاعة

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وإنَّكَ لَعلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤) .

الكبرى وهو الّذي أُنزل فيه : ﴿وَلَسَوْفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [١] وهو المأخوذ على الأنبياء ميثاقهم ، في تفضيله وتفضيل خلفائه على من سواهم ، وهو الّذي كان نجاة أهل البلاء من سائر الأُمم بالتوسّل به وبذرّيته صلوات الله عليهم ، وهو رحمةٌ للعالمين ، حبيب إله العالمين ، ولا فضيلة تبلغها وهو أُمّ الفضائل .

وأسماؤه عند الله وفي كتب أنبيائه ولسان أوليائه : محمّد ، وأحمد ، والماحي ، العاقب ، والحاشر ، ورسول الرّحمة ، ورسول التوبة ، رسول الأمم ، والمقتفي ، والقثم [٢] ، والشّاهد على الأنبياء والأمم ، والبشير ، والنّذير ، السّراج المنير ، والضّحوك ، والقتّال ، والمتوكّل ، والفاتح ، والأمين ، والخاتم ، والمصطفى ، الرسول والنبيُّ الأمّيُّ ، والحاد ، والمزَّمّل ، والمدَّثّر ، والكريم ، والنّور ، والعبد ، والرّؤوف ، الرّحيم ، طه ، يس ، منذر ، ومذكّر [٣] .

وعن كتب الأخبار أنَّ اسمه عند أهل الجنّة عبد الكريم ، وعند أهل النّار عبد الجبّار ، وعند أهل العرش عبد المجيد ، وعند سائر الملائكة عبد الحميد ، وعند الأنبياء عبد الوهاب ، وعند الشياطين عبد القهّار ، وعند الجنّ عبد الرّحيم ، وفي الجبال عبد الخالق ، وفي البر عبد القادر ، وفي البحر عبد المهيمن ، وعند الحيتان عبد القدُّوس ، وعند الهوامّ عبد الغائب وعند الوحوش عبد الرزَّاق ، وعند السّباع عبد السّلام ، وعند البهائم عبد المؤمن ، وعند الطّيور عبد الغفار ،

---

(١) الضحى : ٥ .

(٢) قال ابن منظور : القُثَم : المُجتمع الخُلق ، وقيل : الجامع الكامل ، وقيل : الجَمُوع للخير وبه يُسمّى الرجل قُثَم ، وقيل قثَم معدول قاثم وهو الكثيرالعطاء . (لسان العرب : ١١ / ٤١ ، مادة «قثم») .

(٣) رواه مفصلاً في كشف الغمة : ٤ - ٦ ؛ عنه البحار : ١٦ / ١١٤ - ١٢١ ضمن ح ٤٤ .

وفي التوراة مودمود وفي الإنجيل طاب طاب ، وفي الصّحف عاقب ، وفي الزّبور فاروق ، وعند الله طه ويس ، وعند المؤمنين محمّد ، وكنيته أبو القاسم ، وسلّم عليه جبرئيل بأبي إبراهيم [١] .

وقال هو صلّى الله عليه وآله : أنا الأوّل وأنا الآخر ، وفي بعض الروايات المعتبرة أنّه المراد من كلّ ما أقسم الله جلّ جلاله به في كتابه ، ولا بأس أن نذكر رواية واحدة في فضله ، فضل أخيه وخليفته أمير المؤمنين من طرق العامّة ، لكونها من جهة اشتمالها لفضيلة علي عليه السلام شاهد صدق في زماننا .

روى أحمد بن حنبل في «**مسنده**» ، وابن أبي ليلى في كتاب «**الفردوس**» وفي منهج التحقيق عن ابن خالويه يرفعه إلى جابر بن عبد الله الأنصاريّ قال : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : «**إنَّ الله خلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد فعصر ذلك النّور عصرة فخرج شيعتنا فسبّحنا فسبّحوا ، وقدَّسنا فقدَّسوا وهلّلنا فهلّلوا ، ومجّدنا فمجّدوا ، ووحّدنا فوحّدوا ، ثمَّ خلق الله السّماوات والأرض وخلق الملائكة ، مائة عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً ، فسبّحنا فسبّح شيعتنا فسبّحت الملائكة**» ، وكذلك في البواقي -الحديث- فلينظر الإنسان إلى هذه الرّواية الّتي يرويها المخالف وهي ناصّة في أنّه صلوات الله عليه وآله الطيّبين علّموا التّسبيح والتّهليل والتّكبير لشيعتهم ، وشيعتهم علّموا الملائكة فصار بذلك شيعتهم أفضل من الملائكة» [٢] .

---

(١) وردت هذه الأسماء في أحاديث متفرقة ، راجع المناقب : ١ / ١٥٢ ؛ عنه البحار : ١٦ / ١٠٤ و ١٠٥ و ١٣١ .

(٢) راجع كشف الغمة : ١ / ٤٥٨ ؛ عنه البحار : ٣٧ / ٨٠ ح ٤٩ .

هذا من جهة المنقول وأمّا من جهة الحسّ والشّهادة ، فتأمل فيما انتشر منه صلى الله عليه وآله في مدّة سنين قليلة – مع تشتّت باله ، واشتغاله بالجهاد – من العلوم ما لم ينتشر عشر عشيرها من سائر الأنبياء بأجمعهم في سياسة عوالم الأرواح والقلوب والأجسام ، سائر فنون العلم والحكمة ، وأنّه صلى الله عليه وآله نشر من أسمائه تعالى وصفاته وآلائه وفضائل الأنبياء ما لم ينتشر إلى زمانه من جميع الأنبياء في مدّة سبعة آلاف سنة ولعمري إنَّ أمثال هذه الخوارق للعادات ، أمتن المعاجز ، وأحكم في إثبات النبوّات من شقّ القمر [(١)] ، لأنَّ شقَّ القمر قد يشتبه بالسّحر ، والفرق بينه وبين السّحر لا يعرفه إلاّ القليل الأقلّ ، ولكن أمثال ما ذكر منها لا تشتبه بشيء من السّحر والكهانة والشّعبذة وغيرها ، وإذا تقرَّر هذه الإجماليّات فللمسلم أن يتفطّن من ذلك إلى بعض تفصيلاتها ، ويعرف من ذلك بعض شرف نبيّه صلى الله عليه وآله فيعظم عنده فضيلة هذا اليوم فيستقبله بما ينبغي أن يستقبل مثله ، ويعرف قدر منّة الله جلّ جلاله عليه بهذا الميلاد الميمون المبارك ويتأثّر قلبه وعقله بما يليق به ، ويظهر آثار ذلك على أعماله من حركاته وسكناته ، ولا يكذّب عمله قلبه ، فانَّ العمل إنّما ينشأ من صفات القلب ، ولا خلف .

ومن مهمّات الأعمال في ذلك اليوم أوّلاً التوسّل بحماة اليوم من المعصومين وإيداع عقله وقلبه بل تسليم كلّه بهم إلى الله تعالى مع توقّع أن

---

(١) روى الطبرسي في مجمع البيان : ٩ / ١٨٦ في تفسير الآية ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ القمر : ١ باسناده إلى ابن عباس قال : «اجتمع المشركون إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالوا : إن كنت صادقاً فشق لنا القمر فلقتين ، فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله : إن فعلت تؤمنون ؟ فقالوا : نعم ، وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ربّه أن يعطيه ما قالوا فانشقّ القمر فلقتين ، ورسول الله صلّى الله عليه وآله ينادي : يافلان يافلان اشهدوا» عنه البحار : ١٧ / ٣٤٧ .

يصلحوا حاله في جميع تقلّباته مع الله جلّ جلاله في جلب أنوار هذا اليوم وبركاته في جميع آناته ، وفي جميع حركاته وسكناته وتقلّباته ، فان صدق في التوسّل والتّسليم ، فانّه لا يخونه في أمانته .

وزيارته صلى الله عليه وآله وتفصيلها مرويّة في إقبال سيّدنا الأجلّ[1] - قدس سرّه العزيز - وزيارة أخيه ووصيّه عليهما الصّلاة والسّلام كما رواها أيضاً رحمه الله في «الاقبال»[2] .

ومن المهمّات صيام ذلك اليوم شكراً[3] وصلاة ركعتين يقرأ في كلّ ركعة منهما الفاتحة مرّة والقدر والإخلاص عشر مرّات ، ثمّ يجلس في مصلاّه ويدعو بالدّعاء المرويّ[4] .

ثمّ إنّ من المهمّات أن يظهر في هذا اليوم المراسم المعروفة الشّرعيّة للأعياد العظيمة حتّى يعرفه العوامُّ والنّساء والأطفال بالعيد ، ولكن يعوّدهم بعمله في أعيادهم بما يوافق حقيقة العيد ، كما ورد به الشّرع لا ما يخالفها كما عرف من سنن الجهّال من اللّعب واللّهو ، بل وبعض المحرّمات ، فانّ العيد عبارة عن وقت جعله ملك الملوك تعالى موسماً للإذن العامّ يشمل البرّ والفاجر ، للحضور بين

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٢٣ - ١٣٠ .
وأوردها في مصباح الزائر : ٣٤ ـ ٣٦ ؛ ومزار الشهيد : ٢ ـ ٦ ؛ عنهما البحار : ١٠٠ / ١٨٣ .
(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ١٣٠ ـ ١٣٦ .
وأوردها الشهيد في مزاره : ٢٧ ـ ٣٠ ؛ والمزار الكبير : ٦٢ ؛ عنهما البحار : ١٠٠ / ٣٧٣ - ٣٧٧ .
(٣) إقبال الأعمال : ٣ / ١٢١ ـ ١٢٢ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٥٨ ح ٢ .
(٤) إقبال الأعمال : ٣ / ١٣٧ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٥٩ ح ٣ .

يديه ، عرض الاستكانة لديه ، وإظهار مراسم العبوديّة ، وإطلاق الجائزة والموهبة ولبس خلع الأمان ، وأخذ صكك الملك والسّلطان فحقٌّ امن عرف ذلك أن يتدارك لحضور هذا المحضر الجليل الشّريف ، ويتهيأ لكلّ ما يمكن التهيّؤ به لمثل هذا المجلس المنيف ، ويتزيّن بما هو مرسوم عند أهل هذا المحفل النّظيف ، فانّ لكلّ مجلس لباساً مخصوصاً وزينة يناسبه ، ولباس هؤلاء لباس التّقوى ، وتاجهم تاج الكرامة والوقار ، ولباس (أهل) هذا المجلس – في وجه – الأخلاق الحسنة وتاجهم المعارف الربّانية وتطهيرهم تطهير القلب عن الشّغل بغير الله ، وعطرهم ذكرالله ، والصّلوات على رسول الله وآله الطّاهرين .

وإيّاك وإيّاك أن تحضر مجلس الأطهار ، وقلبك متدنّس بذكر الدُّنيا ، وبدنك عار من لباس التّقوى ، ورأسك مكشوف من عمائم المراقبة ، وتفوح منك نتن قاذورات محبّة الدُّنيا ، وخلقك مشوّه بقبائح الأعمال السيّئة ، ورأسك خال عن عقل المعرفة ، قلبك خال من الإيمان ، وعينك أرمد بالنّظر على محارم الله ، ولسانك أبكم عن التكلم في رضاء الله ، وسمعك أصمُّ عن استماع ذكر الله ، ويدك مغلولة بالبخل عن مساعي الجود والسخاء ، والانفاق في سبيل الله ، ومفلوجة عن القدرة على الجهاد في نصرة دين الله ، وبطنك مبطونة من أكل السحت وما حرَّم الله ، وفرجك (. . .) [١] عن الانتشار في محارم الله ، ورجلك زمن عن السّعي في قضاء حوائج أولياء الله ، ومقعد عن المشي إلى بيوت الله ، فانّك إن حضرت في مجالس هؤلاء الملوك الأحرار الأطهار افتضحت من دنس

(١) كذا بياض في الاصل ويشبه أن يكون : متلذّذ أو غير قابضة ، ونحوهما .

لباس الأرذال وشوهة هذه العاهات وسوء الحال ، فتدبّر لنفسك العزيزة الشّريفة يا مسكين ، كيف تضّيعها وتذلّها بيد الغفلات ، والتّهوين بالشّعائر والحرمات ، وترضى عن مسابقة الأقران في ميدان تحصيل الكمال ، بالكسل والتّضييع والإهمال ؟

وروي عن الحسن عليه السلام أنّه نظر إلى النّاس يوم الفطر يضحكون ويلعبون فقال لأصحابه : إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق شهر رمضان مضماراً لخلقه ، يستبقون فيه بطاعته ورضوان ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلّف آخرون فخابوا ، فالعجب كلّ العجب من الضّاحك واللاّعب في اليوم الّذي يثاب فيه المحسنون ، ويخسر فيه المقصّرون ، وايم الله لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيىءٌ بإساءته [١] .

وفي رواية أُخرى : واللّه لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيىءٌ بإساءته عن ترجيل شعر ، وتصقيل ثوب [٢] . هذا ويأتي بقيّة لذلك في العيدين إن شاء الله تعالى .

ثمّ إنّه من أهمّ المهمّات [٣] أن يختم يومه بالسلام على الحماة والخفراء ، التضرّع إليهم في أن يشفعوا له بإصلاح (الأعمال ، واستصلاح) الحال ، ع ذي الجلال والجمال ويضمَّ إلى ذلك بمناسبة الوقت تسليم الأعمال بحضرت سيّد المرسلين ، إن لم يكن يومه في خفارته فانَّ له حقّاً ثابتاً أيضاً في خفارة آله

(١) الفقيه : ١ / ٣٢٤ ؛ عنه إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٧ ؛الكافي : ٤ / ١٨١ ؛ عنها الوسائل : ٧ / ٤٨

(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٨ ؛ عنه البحار : ٩١ / ١١٩ .

(٣) في الاصل : من الاهميات .

الطّاهرين ، وخلفاءه المعصومين ولكن مع خجل وحياء من التّقصير في أداء حقّ شكر النعمة بقدر المنّة ، ومع لطف في المقال وألفاظ التضرُّع والابتهال ، فانَّ لذلك أثراً عظيماً في بلوغ الأعمال [1] ، واستنزال الخير من معدن الإفضال .

فتوجّه بخفير اليوم إلى الشّفاعة في حضرته العزيزة ، وبه صلوات الله عليه وآله على عرض أعمالك إلى مقدّس ! حضرة الألوهيّة من باب كرم عفوه ، وتبديله السيّئات بأضعافها من الحسنات ، ثمَّ قبوله ورضاه بالمكارم والعنايات ، فإنّه يفعل ما يشاء ، ولا يفعل ما يشاء أحد غيره ، واسأله أن يزيد في توفيقك في ما بعد للجدّ والاجتهاد ، في خدمة مالك العباد ، والموافاة مع الرَّسول العماد ، وآله الأمجاد ، فإنَّ للوفاء في أيّام الغيبة حقوقاً عظيمة في حكم العقل عند ذوي الألباب ، مع السّادات والأحباب .



(١) أي بلوغ الأعمال إلى حضرته . ولعل الصحيح : بلوغ الآمال .



الفصل الرابع

في مراقبات شهر ربيع الثاني

ومن مهمّات الأعمال في هذا الشّهر كما ذكرنا لجميع الشّهور، الدُّعاء في أوّله لا سيّما بالمرويّ فإنّه دعاء جليل فاخر[1].

ثمّ إنّ اليوم العاشر منه روي أنّه يوم ولادة مولانا وإمامنا أبي محمد الحسن الزكيّ العسكريّ[2] عليه الصّلاة والسلام ومراقبة أيّام ولادة الموالي عليهم السلام قد مضى فيها ما ينفعك في يوم ولادة النبيّ صلى الله عليه وآله فأيّام ولادة خلفائه المعصومين شريكة مع يوم ولادته في مراسم الشكر والفرح والتعظيم بالأعمال القلبيّة والقالبيّة وإن كان ليوم ولادته حقّاً خاصّاً به، ولهذا اليوم خصوصيّة من جهة أنّه على الصّلاة والسلام والد إمامنا أرواحنا وأرواح العالمين فداه بلا واسطة، فينبغي لرعيّته عليه السلام تهنيته بما يليق بجنابه الأقدس، وحضرته القدسيّ أيضاً وأن يزيد في حوائجه

(١) إقبال الأعمال: ٣ / ١٤٥ ـ ١٤٩؛ عنه البحار: ٩٨ / ٣٦٤ ـ ٣٦٧ ح ١.
(٢) إقبال الأعمال: ٣ / ١٤٩.

الّتي يعرضها لصاحب الولادة بالتضرّع والسؤال في أن يوصيه لصاحب العصر عليه السلام في ان يدخله في همّه، ونظر لطفه، ويخصّه من بين رعيّته بمكارمه، فانّ لوصيّة الوالد خصوصيّة في تأثير القبول.

ثمّ ليعلم السالك أنّ لصاحب الولادة عليه السلام خصوصيّة في الحوائج الأخرويّة فإنّ المعصومين عليهم السلام وإن كان كلّ واحد (منهم) وسيلة للعباد في جميع حوائجهم إلاّ أنّ لكلّ واحد منهم خصوصيّة لبعض الحوائج أيضاً كما يشهد عليه دعاء التوسّل، فإنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله وكريمته صلوات الله عليها وسبطيه عليهما السلام خصوصيّة في الحوائج المتعلّقة بتحصيل طاعة الله - جلّ جلاله - ورضوانه ولأمير المؤمنين عليه السلام في الانتقام من الأعداء وكفاية مؤونة الظّالمين وللإمام السجاد عليه السلام في جور السلاطين، ونفث الشّياطين، وللإمام الباقر والصادق عليهما السلام في الإغاثة على أمر الآخرة، وللإمام الكاظم عليه السلام في العافية من المحذورات من العلل، والأسقام والأوجاع، وللإمام الرّضا عليه السلام في النّجاة من مخاوف الأسفار في البحار، والبراري والقفار، وللإمام الجواد عليه السلام في الوسعة والاستغناء عما في أيدي الناس وللإمام الهادي عليه السلام في قضاء النوافل وبرّ الإخوان وكمال الطّاعات، وللامام الزّكي العسكري عليه السلام في الإعانة على أمر الآخرة، ولإمام عصرنا، وملاذنا ومعاذنا، رجائنا وعصمتنا، ونورنا وحياتنا، الإمام المهديّ عليه السلام في جملة هذه الحوائج وغيرها ممّا تسمّى حاجة هذا.

ويختم اليوم بما يختم به الأيّام الشّريفة، والشهر أيضاً بما يختم به الشّهور على ما اسلفناه من غيره.

الفصل الخامس

في [مراقبات] شهر جمادى الأولى

ومن مهمّاته أيضاً الدّعاء لاسيّما بالمرويّ[1]

ويوم النّصف منه أيضاً روي أنّه يوم ولادة الإمام السجاد عليه الصلاة والسلام[2] ، فللشيعة تعظيم اليوم بالعمل كما مضى في مثله فانّ لأيام الولادات عند الملوك آداباً وتكاليف على رعيّتهم ، فأيّ ملك أحقُّ بالتعظيم من هؤلاء الملوك ، ملوك الدُّنيا والآخرة ، وملوك الدّنيا ملكوا الدُّنيا عن غير حقّ وهؤلاء ملكوا الدُّنيا والآخرة من الله ملك الملوك تعالى بالاستحقاق .

وأيضاً أيُّ ملك تحمّل في سياسة رعيّته مثل ما تحمّلوا ، وواساهم بما واسونا أئمّتنا ، بل آثرونا على أنفسهم واستشهدوا في طريق نجاتنا وهدايتنا ، وأي ملك

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٥١ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٦٧ ـ ٣٧١ ح ١ .
(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ١٥٦ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٧١ ح ١ .

انتفع رعيّته منه مثل انتفاع الشيعة من أئمّتهم في أمور دينهم ، ودنياهم وآخرتهم ، بقدر فضلهم وتحمّلهم ونفعهم يقدّر تكليف تعظيم أيّام ولادتهم في حكم العقل .

ويختم يومه بما يختم به الأيّام الشّريفة كما أشرنا إليه غير مرّة ، وهكذا يختم الشّهر بما يختم به الشّهور كما مضت إليه الإشارة .



الفصل السادس

في [مراقبات] شهر جمادى الآخرة

ومن المهمّات فيه أيضاً الدّعاء في أوّله لا سيّما بالمأثور [1].

وفي اليوم الثالث منه اتّفق وفاة سيّدة النساء صلوات الله عليها [2]، بل الصحيح أنّه يوم شهادتها فإنّها - صلوات الله عليها - مضت مقتولة مظلومة مغصوبة (حقّها)، فعلى شيعتها من أهل الوفاء أن يقدّروا هذا اليوم من أيّام الأحزان والمصائب، فإنّ يومها كان ثاني اثنين ليوم رسول الله صلى الله عليه وآله على أهلها، لم يرَ لأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أشدّ مصيبة وأجلّ رزءاً وأعظم نائبة منه، واشتدّ عليه شأن [3] هذا اليوم حيث أظهر فيه أمراً عظيماً من المواجد والأحزان وجعل يرثيها، ويندب عليها، ويشتكي

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٥٧ ـ ١٥٩ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٧٢ ـ ٣٧٤ ح ١.
(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ١٦١.
(٣) في الأصل : بيان هذا اليوم.

فراقها [١] ويقول:

نفسي على زفراتها محبوسة ... ياليتها خرجت مع الزَّفرات

لاخير بعدك في الحياة وإنّما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي [٢]

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنّه قال أشعاراً مفجعةً من جملتها:

وإنَّ افتقادي فاطماً بعد أحمد ... دليلٌ على أن لا يدوم خليل

وكيف هنأك العيش من بعد فقدهم ... لعمرك شيء ما إليه سبيل

يريد الفتى أن لا يموت خليله ... وليس إلى ما يبتغيه سبيل [٣]

ولعمري إنَّ هذه الأشعار وما طوينا (عن) ذكره،من شعره ونثره في ذلك أمرٌ عظيم من أمير المؤمنين عليه السلام يبهر العقول ويكشف عن عظم مقامها وفضلها عند

---

(١) روى الشيخ المفيد في «أماليه»: ٢٨١ ح ٧ ، والشيخ الطوسي في «أماليه»: ١ / ١٠٧ بأسنادهما الى علي بن محمد الهرمزاري عن الامام زين العابدين عن ابيه عليهما السلام - في حديث - أنّ أمير المؤمنين عليه السلام . دفن فاطمة - عليها السلام - ليلاً وعفى موضع قبرها حسب وصيّتها فلمانفض يده من تراب القبر ، هاج به الحزن ، فأرسل دموعه على خدّيه وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله - صلى الله عليه وآله - فقال: السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك من ابنتك وحبيبتك ، وقرّة عينك وزائرتك ، والبائته في الثرى ببقيعك - إلى أن قال:-
يارسول اللّه أما حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسهد لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار اللّه لي الدار التي فيها أنت مقيم ...» عنها البحار: ٤٣ / ٢١٠ ح ٤٠.
وأورده في دلائل الإمامة: ٤٧ ؛ بشارة المصطفى: ٣١٨.

(٢) البحار : ٤٣ / ٢١٣ ح ٤٤ بأسناده الى الحاكم عن بعض كُتب المناقب القديمة ؛ عوالم العلوم (عوالم فاطمة عليها السلام): ١١ / ٥٣٠ ح ٢.

(٣) البحار: ٤٣ / ٢١٦ ح ٤٨ عن الديوان المنسوب إلى إمير المؤمنين عليه السلام ؛ عوالم العلوم (عوالم فاطمة عليها السلام): ١١ / ٥٣١ ح ٢.

الله ، فانَّ وجده في هذا الأمر مع كونه فـي الصـبر كـالجبل الشـامخ لا تـحرّكـه العواصف ، ولا يزيله القواصف ، ينحدر عنه السّيل ، ولا يرقى إليه الطّير ، مـن أعجب العجائب كيف ولو لم يكن فضيلتها في الدَّرجة العليا الّتي يحسن فـيها الجزع لم يكن يظهر منه عليه السلام هذا الجزع العظيم .

فكيف كان فلشيعته - صلوات الله عليه - التأسّي بـه فـي إظـهار الحـزن والكآبة ، وإقامة المأتم في يوم وفاتها ، وقراءة مصائبها ، فإنّها واحدة أبيها صلى الله عليه وآله وحبيبته التي (كان) يعامل معها معاملة لا يعامل مع أحد من الناس .

وروى المخالف والمؤالف قوله فيها : «فاطمة بضعة منّي من آذاها فـقد آذاني[1] » وبذلك احتجّت حين وفاتها على الأوّل والثّاني بعد أخذ الإقرار منهما على أنّهما سمعا ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قالت وهي رافعة يديها : «اللّهمَّ اشهد

(١) روى هذا الحديث من الفريقين بأسانيد معتبرة وطرق متعددة لايشك فيها عـاقل ، نـقتطف منها ما يلي :
روى مسلم في صحيحه : ٧ / ١٤١ في كتاب فضائل الصحابه في باب فضائل فاطمة بـنت محمد عليها صلاة والسلام بالأسناد إلى المسور بن مخرمة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها» وذكره الفخر الرازي في تفسيره ، في تفسير آية المودة (٢٣) في سورة الشورى . وروى الترمذي في سننه : ٢ / ٣١٩ بأسناده إلى عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويغضبني ما أغضبها» . ورواه الحاكم في مستدركه : ٣ / ١٥٩ ؛ وأحمد في مسنده : ٤ / ٥ . كما ورد هذا الحديث بأختلاف يسير في الألفاظ في المصادر التالية :
صحيح البخاري : ٧ / ٤٧ في كتاب النكاح ، في باب ذب الرجل عن ابنته ؛ ومسند أحمد : ٣٢٨/٤ ، حلية الأولياء : ٢ / ٤٠ ، وغيرها . فمن أراد المزيد فـليراجـع كـتاب «الفـضائل الخمسة من الصحاح الستة» : ٣ / ١٨٤ ، باب في قول النبي صلى الله عليه وآله : «فاطمة بضعة مني فـمن أغضبها أغضبني» .

أنّهما آذياني» وأوصت لعلي عليه السلام أن يخفي دفنها وقبرها عنهما [١].

ولعمري إنّ هذه الوصيّة منها - صلوات الله عليها - مجاهدة ونصرة لدين الله الحقّ ، أنفع في إثبات مذهب الشيّعة ، وإبطال مذهب العامّة ، من كلّ آية وبرهان كيف واختفاء دفنها وقبرها شيء لا يخفى مدى الدّهر ، ومتى سئل عن سببه ، وظهر أنّ ذلك إنّما صار من جهة وصيّتها ، يظهر منه كالشّمس في رابعة النّهار أنّها مضت ساخطةً على الشيخين ، ولقيت أباها ومولاها شاكية عنهما ، ذلك إنّما يلزم لهما شناعة ليس فوقها شناعة ، لاسيّما بملاحظة ما أنزل الله في كتابه العزيز :﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أجراً إلّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبى﴾ [٢] وتأكيد هذا الحكم بقوله : ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ [٣] ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وليس على وجه الأرض أقرب له من فاطمة سلام الله عليها .

وكيف يشكُّ العاقل في أنّ من خان رسول الله في أجر رسالته ، لا يليق أن يكون مأموناً في خلافته ، وأنّ من لم يراعه في قريبه ، كيف يراعيه في بعيده ؟ ومن ظلمه في ابنته كيف يعدل في أمّته ؟ وهذا الأمر يعرفه العالم والجاهل ، والخاصُّ والعامُّ لا سيما أنّ فاطمة - سلام الله عليها - نزلت في شأنها آية التطهير [٤] بإجماع الشيعة ، وبتصديق جماعة من أعيان مفسّري العامّة

---

(١) راجع علل الشرائع : ١ / ١٨٥ ح ٢ ، عنه البحار : ٤٣ / ١-٢ ح ٣١ . وقد روى هذا الحديث بأختلاف في البحار : ٤٣ / ١٧١ ح ١١ عن كتاب دلائل الأمامة ، وص ١٩٧ ح ٢٩ عن كتاب سليم بن قيس الهلالي .

(٢) الشورى : ٢٣ .

(٣) سبأ : ٤٧ .

(٤) (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِجْسَ أَهْلَ البَيْتِ ويُطَهِرَكم تَطهِيرا) الأحزاب : ٣٣ .

وعلمائهم [١] ، فلا يمكن لمن ظلمها ، وغصب حقّها التعلّل - في إيذائها - بوجه صحيح شرعيّ ، بعد تصديق محكم الكتاب طهارتها ، وإيجاب مودّتها .

يا أهل العالم ابكوا على هذه القطعية الفجيعة الفظيعة بالنسبة إلى الرسول الكريم الأكرم والنبيّ الرؤوف الأرحم ، في بضعته الطاهرة ، وكريمته المطهّرة غصبوا حقّها ، وأخذوا نحلتها ، ومنعوها من إرث أبيها ، ولطموا وجهها ، وأسقطوا جنينها ، وأكفان رسول الله طريّة ، ودعوا بالنّار على إحراق بابها الّذي طالما وقفت الملائكة المقرَّبون عليه لطلب الاذن بالدّخول .

وكيف كان فللشيعة أن يعامل معها صلوات الله عليها في هذا اليوم من

---

(١) روى مسلم في صحيحه : ٧ / ١٣٠ ، في كتاب فضائل الصحابة ، في باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله بسنده عن صفية بنت شيبة قالت : قالت عائشة : خرج رسول الله صلى الله عليه وآله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء علي فأدخله ثم قال : ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ ورواه الحاكم في المستدرك : ٣ / ١٤٧ والبيهقي في السنن : ٢ / ١٤٩ وابن جرير الطبري في تفسيره : ٢٢ / ٥ وذكره السيوطي في الدر المنثور : ٦ / ٦٠٥ ، في تفسير آية التطهير (٣٣) في سورة الأحزاب . وذكره الزمخشري في الكشاف : ١ / ١٩٣ ؛ في تفسير آية المباهلة (١٦) في سورة آل عمران

وفي روى الترمذي في سننه : ٢ / ٣١٩ بسنده عن أم سلمة قالت : «إن النبي صلى الله عليه وآله جلّل على الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، فقالت أُم سلمة : وأنا معهم يارسول الله ؟ قال : إنك على خير» ورواه الطبري في تفسيره : ٢٣ / ٦ وأحمد في مسنده : ٦ / ٣٠٦ وابن الأثير الجزري في أُسد الغابة : ٤ / ٢٩ وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب : ٢ / ٢٩٧ .

وقد ورد الحديث بألفاظ أُخرى وأسانيد معتبرة فمن أراد التفصيل فليراجع : الدر المنثور : ٦ / ٦٠٣ ـ ٦٠٧ . فضائل الخمسة من الصحاح الستة : ١ / ٢٧٠ ، باب في آية التطهير نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم اجمعين .

الزّيادة والصّلوات ما يرضي الرسول ، ويرتضيه ربّ فاطمة البتول - سلام الله عليها - ويلزمه حقُّ التشيّع .

وفي **ليلة التاسع عشر** منه ليلة ابتداء الحمل برسول الله صلى الله عليه وآله [1] ويعلم حقُّ تعظيمها للمراقب مع الله جلّ جلاله ، والموافي لحقوق رسول الله صلى الله عليه وآله ممّا ذكرناه في ميلاده ، فانَّ اللّيلة كالمفتاح لسعادة يوم الميلاد ، بل مقام إجمال له ، كما أنَّ الميلاد من مفاتح يوم المبعث ومقاماته ، والعبد المراقب يستوفي حظوظه من هذه المراتب كلّها ولا يفوّت شيءٍ من الخير للكسل ، فانَّ العاقل لا يجوّز ردّ السعادات إن أحلّت بساحته.

ويوم العشرين منه يوم ولادة فاطمة - صلوات الله عليها - على رواية الشيخ المفيد - رضوان الله عليه - قال : يوم العشرين منه مولد السيّدة الزهراء - صلوات الله عليها - سنة اثنين من المبعث ، وهو يوم شريف يتجدَّد فيه سرور المؤمنين ، ويستحبُّ صيامه والتطوّع فيه بالخيرات والصدقات [2] .

أقول : ويقدّر تعظيم هذا اليوم بمقدار عظمها ، فإنّها المعظّمة عند الله جلَّ جلاله ، وعند الملائكة الأطهار ، وأولياء الجبّار ، وقد وردت في صحيح الأخبار أنّها سيّدة نساء العالمين ، ومريم - صلوات الله عليها - سيّدة نساء عالمها [3] ،

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٦٢ .

(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ١٦٢ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٧٥ ح ٣ .

(٣) روى الشيخ الصدوق في «معاني الأخبار» : ١٠٧ ح ١ بالاسناد إلى المفضّل ، قال : «قلت لأبي عبد الله عليه السلام في فاطمة عليها السلام : إنّها سيّدة نساء العالمين ، أهي سيّدة نساء عالمها ؟ فقال : ذاك لمريم ، كانت سيّدة نساء عالمها . وفاطمة سيّدة نساء العالمين من الأولين والآخرين» . ورواه في دلائل الإمامة : ٥٤ ؛ وروضة الواعظين : ١٨٠ .

فثبت بذلك سيادتها لمريم الصدّيقة بتصديق القرآن العظيم ، بل جزم جمع من أعاظم العلماء أنّها أشرف من سائر الأنبياء والمرسلين ، ولعمري إنّ هذا لهو الفضل المبين.

ومن جملة ما وردت إلينا بالطريق القطعيّ من فضائلها الّتي اختصّت بها من جميع نساء العالمين ، أنّ لها مصحفاً كبيراً جليلاً جاء به جبرئيل بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله وكتبه أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو عند أولادها المعصومين عليهم السلام وفيها علم ما كان وما يكون وما هو كائن كما في رواية ثقة الإسلام عن الصادق عليه السلام [1].

وبالجملة روى المخالف والمؤالف في فضائلها أخباراً يملأ مجلّدات كبيرة لا يحتملها هذا المختصر ، وفيما ذكرناه كفاية **﴿لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أو ألقى السّمعَ وهو شَهِيد﴾** [2] ولو لم يكن من فضائلها إلاّ ما وردت من شفاعتها لمحبّيها ومحبّي ذرّيّتها بل ومحبّي محبيّها ، لكفى الشيعة في إثبات حقّ تعظيمها ، وتعظيم ولادتها ، بقدر الوسع والطاقة ، والاعتراف بعد ذلك بالقصور ، فانَّ بعض الحقوق لا يؤدّى

---

(١) الكافي : ١ / ٢٤١ ح ٥ بالاسناد إلى أبي عبيدة قال : «سأل أبا عبد الله عليه السلام بعض أصحابنا عن الجفر ، فقال : هو جلد ثور مملوء علماً ـ إلى أن قال : ـ قال فمصحف فاطمة عليها السلام ؟ قال فسكت طويلاً ثم قال : إنّكم لتبحثون عمّا تريدون وعمّا لا تريدون ! إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً ، وكان دخلها حزن شديد على أبيها ، وكان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ، ويطيّب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها ، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام » . عنه البحار : ٤٣ / ١٩٤ ح ٢٢.

ورواه في بصائر الدرجات : ١٥٣ ح ٦ عنهما البحار : ٤٣ / ٧٩ ح ٦٧ .

وقد وردت روايات كثيرة عن مصحف فاطمة ، فمن أراد المزيد فليراجع بصائر الدرجات : ١٥٠ ، الباب ١٤ ، دلائل الإمامة ، ٢٧ .

(٢) ق : ٣٧ .

وإن بلغ المجهود غايته.

ومن مهمّات العمل في هـذا اليـوم زيـارتها ، والصـلوات عـليها ، ولعـن ظالميها[(١)] ويختم يومه بما يختم به أمثاله.

❊ ❊ ❊

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٦٤ ؛ عنه البحار : ١٠٠ / ١٩٩ - ٢٠١ ح ٢ .

الفصل السابع

في [مراقبات] شهر رجب الحرام

وهذا الشهر بمحلّ عظيم من الشرافة ، ومن أسباب شرافته أنّه من أشهر الحرم ، أنّه من مواسم الدّعاء ، وكان معروفاً بذلك في أيّام الجاهليّة ، وكانوا ينتظرونه لحوائجهم ، ولذلك حكاية عجيبة نقل بعضها السيّد الجليل - أعلى الله مقامه - في «**الإقبال**» [1] ، وأنّه شهر أمير المؤمنين عليه‌السلام كما ورد في بعض الرّوايات كما أنّ شعبان شهر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وشهر رمضان شهر الله [2] ، وأنّ اللّيلة الأولى (منه) من اللّيالي الأربعة الّتي يتأكّد فيها الإحياء بالعبادات [3] ، وأنّ

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٨١ ؛ عنه البحار : ٩٧ / ٣٩ ح ٢٦ .

(٢) روي في كتاب «مسار الشيعة» : ٣٢ ، قال : «روي عن أمير المؤمنين عليه‌السلام أنه كان يصوم رجباً ، ويقول : رجب شهرُي ، وشعبان شهر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ، وشهر رمضان شهر الله عزّ وجلّ » عنه الوسائل : ١٠ / ٤٨٠ ح ١٦ ، الباب ٢٦ من أبواب الصوم المندوب .

(٣) ورد في عدة الداعي : ٥٣ - ٥٤ : «وليالي الإحياء وهي : أول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلتا العيد فإنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام كان يعجبه أن يفرغ نفسه في هذه الليالي».

يوم النصف منه ورد فيه أنّه من أحبّ الأيّام إلى الله [١] ، وأنّه ممّا خصّ الله جلّ جلاله هذه الآية به ، وأنّه موسم عمل الاستفتاح كما يأتي تفصيله ، وأنّ اليوم السّابع والعشرين منه يوم مبعث النبيّ ، الّذي هو يوم ظهور الرّحمة الرّحيميّة ، ظهوراً لم ير مثله من أوّل العالم إلى هذا اليوم ، وهو أشرف الأيام من الجهات الباطنيّة ، وبالجملة فضائل هذا الشهر لا يحيط بها العقول .

ومن مهمّات المراقبات فيه من أوّله إلى آخره تذكّر حديث الملك الدّاعي على ما روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّ الله تعالى نصب في السماء السابعة ملكاً يقال له الدّاعي فإذا دخل شهر رجب ينادي ذلك الملك كلّ ليلة منه إلى الصباح : «طوبى للذّاكرين طوبى للطّائعين ، يقول الله تعالى : أنا جليس من جالسني ، ومطيع من أطاعني ، غافر من استغفرني ، الشهر شهري والعبد عبدي ، والرّحمة رحمتي ، فمن دعاني في هذا الشهر أجبته ، ومن سألني أعطيته ، ومن استهداني هديته ، وجعلت هذا الشهر حبلاً بيني وبين عبادي ، فمن اعتصم به وصل إليّ» [٢] .

أقول : فياحسرتاه على ما فرّطنا في جنب الله ، أين الشاكرون ؟ أين المجتهدون ؟ أين العقلاء من تقدير حقّ هذا النداء ، ما لي لا أرى من يجيبني على ندائي ؟ ولأنادي أين العارفون الّذين يعرفون أنّ شكر هذه النعمة لا يمكن أداؤها من أحد ، أين المعترفون المقرّون بالقصور والتقصير ، ليجيبوا هذا المنادي فيقولوا : لبّيك وسعديك ، والصلاة والسلام عليك أيّها المنادي من الله الجليل الجميل ، ملك الملوك أرحم الرّاحمين ، الحليم الكريم ، الرفيق الشفيق ، كريم

---

(١) راجع إقبال الأعمال : ٣ / ٢٣٥ - ٢٣٦ .
(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ١٧٤ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٧٧ ضمن ح ١ .

العفو، مبدّل السيّئات بالحسنات، هؤلاء العبيد العصاة، واللّئام الطغاة، رهائن الشهوات، لمأسورين بأيدي الغفلات، فاعلم أيّها الرّسول الكريم أنّك تنادي أمواتاً في صور الأحياء، فانَّ القلوب ميّتة، والعقول هاجرة، والأرواح مختلّة، فكيف تنادي الأموات والأموات لاينتفع من النداء إلاّ أن تحيي بندائك القلوب، وتردَّ العقول على الرُّؤوس، وتنبّه الأرواح فيعقلوا موقع هذا النداء من الكرامة العظمى، عظمة الربّ، وخسّة النفس، وشدَّة البلوى، ومساءة الحال. وأنّ مقامهم وحالهم يقتضي الطرد والإبعاد، واللّعن والعذاب، ولكن سعة رحمة الربّ اقتضت هذه الدّعوة اللطيفة الكريمة بهذا اللّسان والبيان الألطف الّذي يبهر العقول، ويزيد على كلّ مسؤول ومأمول، فبشفاعة هذا الشأن الجميل، واللطف النبيل، نسأل أيّها الملك إلهنا جلّ جلاله أن يوفّقنا لإجابة هذه الدّعوة اللّطفى. الكرامة العظمى.

ونجيبك أيّها الواعد للطوبى للذّاكرين والطائعين بالترحيب والدّعاء، والتفدية بالنفوس والأرواح، حيث نبّهتنا بذكر مالكنا اللّطيف الكريم، ورغّبتنا إلى طاعة مولانا وسيّدنا الرؤوف الرّحيم، وبلّغتنا كرامة إلهنا الرفيق الشفيق.

فيجيبك أيّها المنادي المبلّغ، لسانُ حال هذه النفوس اللئيمة، ذوي الأوصاف الذميمة: قد أنعمت وأكرمت، ودعوت إلى السعادة العظمى، والمحلّة الكبرى فما أبعد محلّنا الخسيس، ومقامنا الأرذل، وحالنا الخبيث، ومكاننا الأخسّ، من ذكر ربّنا، وأن نكون محلاً لتقديس إلهنا، وما للتّراب وربّ الأرباب؟ وأين المتلطّخ بالأقذار ومجالس الأطهار؟ وأين المكبّل الأسير من

منازل الأحرار ؟ ولكن كرم ربّنا قد اقتضى الإذن لنا في ذكره ، وحكمته اقتضت التشريف بالتكليف ، وما أفضحنا إن قصّرنا بعد هذه الموهبة الجليلة في الذّكر ، وما أخزانا بعد هذا التشريف إن أهملنا في الطاعة ، فما أكرم السيّد وما ألأم العبيد ، وما أحلم الإله ، وما أسفه العباد .

ثمّ إنّا قد سمعنا بأسماع قلوبنا ما بلّغته من قول ربّنا وإلهنا : «أنا جليس من جالسني» وقد أبكم عظمة هذا الإبلاغ والتشريف كلَّ لسان في عالم الإمكان والتكليف عن الجواب ، وحارت العقول - من جمال هذه الكرامة - من ذوي الألباب ، ولو كان لكلّ نفس من المشرَّفين بهذا الخطاب أنفس تمام العالمين ، وأرواح جميع ذوي الأرواح وبذلوها في الجواب ، وفدوا بها لتعظيم هذا الخطاب ، لما أدّوا بذلك شيئاً من حقوقه ، وشكر جزء من أجزاء نعمه ، وكيف للبطّال اللّئيم ، والخسيس الذميم،ن يغفل عن إجابته ويهمل عن مراتب عنايته ، بل يختار بدل ذكر الجبّار،كر من يستوجب ذكره النّار ، ويرضى من مرافقة الملائكة المقرَّبين ، والأنبياء والمرسلين ، في مجلس الحضور ربّ العالمين ، بمقارنة الجنّة والشياطين ، في مهوى دركات السّجين .

فيالله والخطب البديع ، والشأن الفظيع ، أن يندب الخالق المخلوق لمجالسته فيثقل المخلوق في إجابته ، ويرغب السيّد في مناجاة العبد ومؤانسته ، ويستنكف العبد من قبول عنايته ، فنقول بإظهار الأسف والحسرات ، والاعتراف بسوء الحال والغفلات ، وقد ألجأتنا الضرورة بالجواب : نعم يا إلهنا وسيّدنا ، ويا مالكنا ومولانا ، إن أعطيتنا التوفيق ، وأدركتنا عنايتك بما أكرمتنا به من الدَّعوة ، وشرفتنا به من الكرامة -كما هو المرجوّ من كرمك ، والمتوقّع من كمال جودك ،

لأنَّ من تمام نعماء الكريم ، استتمام نعمائه ، ومن شواهد آلاء الجواد استكمال آلائه - فطوبى لنا ثمَّ طوبى لنا ، فقد فزنا وسعدنا ، ونلنا فوق آمالنا ، وإن لم يدركنا توفيقك ، ولم يجدْ بنا عنايتك [١] فلنا الويل ، ثمَّ الويل الطويل ، والعناء والعويل ، نحن الأشقياء المحرومون واللّئام المعذَّبون ، بالعذاب الأليم ، والنكال الرجيم [٢] فنقول : لا إلّا أنت سبحانك إنّا كنّا من الظالمين ، إلهنا **﴿ظَلَمْنا أنفُسَنا وإن لَمْ تَغفِر لَنا وتَرْحَمْنا لنكُوننَّ من الخاسِرينَ﴾** [٣] بل نزيد في الخسارة [٤] من باب الضرورة .

ونكشف عن ذلّ المقام والخسيسة ، ونؤكّدها بالأقسام العظيمة ، ونناديك عن مهوى عالم الطبيعة والسجّين ، وسفلى دركات المنافقين ، ونقول : وعزَّتك وجلالك يا إلهنا لنعصينّك ونهلك أنفسنا ، ونطغينَّ ونفسدَ حالنا ، إن لم تعصمنا بتوفيقك ، وإن لم تجُد علينا بفضل عنايتك فإنّه لاحول ولاقوّة إلاّ بك .

ثمّ نزيد في المقال (بتوفيقك) ونلحُّ في السؤال بتأييدك ، ونعرّض إلى جناب قدسك ، بل إلى حضرة رحمتك ولطفك ، استعطافاً لسيّدنا ، واستنزالاً لرحمة ربّنا ، ندعوك : يا أكرم الأكرمين ، ويا أجود الأجودين ، يا من سمّى نفسه باللّطف ، قد دعانا هذا المنادي في (هذا) الشهر العظيم إلى كرمك ، وأشار إلى لطفك ورحمتك ، حيث حكى عن كرمك وإكرامك : «الشهر شهري ، والعبد عبدي، الرّحمة رحمتي» فصرنا بذلك الدَّعوة أضيافاً لك مدعوّين، ووفداً لبابك مضطرّين .

---

(١) ولم يجذ بنا - خ - .
(٢) والنكال الوخيم ، ظ .
(٣) الأعراف : ٢٣ .
(٤) في الخسارة - خ - .

وأنت الّذي كرهت للمضيف أن يمنع ضيفه القرى ، وإن كان الضيف ممّن لا يهلكه المنع ، والمضيف ممّن ينقصه الإحسان ، ونحن إذا ما منعتنا من قراك ، بتنا طاوين في حماك ، ووصلنا إلى الهلاك ، وأنت لا يزيد إحسانك إلاّ في ملكك ، امن لا ينقصه الإحسان ، ولا يزيده الحرمان ، لا تؤاخذنا بسوء حالنا ، فقد كان الّذي كان.

وأنت الّذي زدت على نفسك لي بالسّوم [(١)] ووعدت المضطرّين غير الأضياف إجابتهم ، وأنزلت في كتابك الكشف عن سوء حالهم ، فنحن يا إلهنا مضطرّون إلى مغفرتك ، والنجاة من أليم عقابك ، ولا يوجد في عالم الإمكان اضطرارٌ فوق هذا الاضطرار ، فأين الإجابة ياغفّار ، والكشف عن سوء الحال ، فخذ بأيدينا من ورطة الهالكين ، وسقطة الخاسرين ، فكما أنَّ الشهر شهرك ، والعبد عبدك،الرحمة رحمتك ، فالاعتصام بحبلك أيضاً بتوفيقك ، لأنَّ الخير كلّه منك ، لا يوجد في شيء سواك ، وأين لنا الخير ولا يوجد إلاّ من عندك ، وأين لنا النجاة ولا تستطاع إلاّ بك.

فان أجابنا أيّها الكريم عدلك ، وردّنا ميزان حكمتك : بأنَّ الفضل عليكم خلاف الحكمة ، وتوفيقكم خلاف العدل في القضيّة ، لأنّكم لاتستحقّون الفضل ولا يستحسن بكم الاحسان ، لأنَّ المعاصي قد سودَّت وجوهكم ، والغفلة من ذكري قد أظلمت قلوبكم ، ومحبّة الدُّنيا قد أمرضت وأهلكت نفوسكم وعقولكم، فانَّ رحمتي وإن كانت وسعت كلَّ شيء ، ولكن قد سمعتم ما أنزلت

---

(١) على نفسك فيّ بالسوم ، ظ .

من قولي في كتابي :

﴿فَسَأَكْتُبُها لِلَّذِينَ يَتَّقُون﴾ [١] وإنّي وإن كنت أرحم الرَّاحمين ، الغفور الرّحيم ، ولكنّي أيضاً شديد العقاب ، وإن لم يحكم حكمتي في خليقتي بتمييز أهل العدل والفضل فأين يكمل ظهور جمالي وجلالي .

فنقول بتعليمك وتأييدك في جواب هذه القضايا : أمّا عدم استحقاقنا لفضلك ، فهو حقٌّ لا ريب فيه ، ولا شكَّ يعتريه ، إلاّ أنَّ فضلك يا كريم لو كان مشروطاً بالاستحقاق لما ظهر شيء منه في العالم ، لأنّ الممكن ليس فيه من جهته استحقاق ولا غيره ولا شيء من الخير فانَّ الاستحقاق أيضاً فضل منك ، لا يمكن أن يوجد بالاستحقاق .

وأمّا سواد وجوهنا ، وظلمة قلوبنا ، فهو أيضاً كذلك إلاّ أنَّ النور أيضاً كلّه فيك ومنك ، فمن أين نجيىء بالنّور ، إن لم تجُد علينا به ، فانّك إن وهبتنا ذرّةً من نورك وضيائك ، وأكرمتنا بحياتك ، أحييتنا وشفيتنا ، ونوّرتنا وأكملتنا.

وأمّا ما أنزلت في كتابك من قولك ، فهو أيضاً لا ينافي رجاءنا ، وآمالنا ودعاءنا ، لأنّا نتوقّع من فضلك أن تهب لنا التقوى كما وهتبه للمتّقين ، ثمّ تكتب لنا رحمتك ، وأيضاً قولك هذا لم يصرّح إلاّ بأنّك تكتب رحمتك للمتّقين ، ولم تنزل أنّك لا تكتب لغير المتّقين.

وأمّا ظهور جلالك ، ومحلُّ عدلك وعقابك ، فيكفي له المعاندون لحضرة

---

(١) الأعراف : ١٥٦ .

كرمك والمتكبّرون عن عبادتك ، فانّك تجد من تعذّبه غيري ، ولا أجد من يرحمني غيرك فما للمقرّين المعترفين السائلين الدّاعين الراجين الوجلين المستحيين وظهور الجلال ؟

لاسيّما أنّا وإن كنّا عصاةً ، ولكنّا نتوسّل إليك بأوليائك المطيعين ، ووجوهنا وإن كانت مسودّة عندك ، ولكنّا نتوجّه إليك بوجوه أوليائك الطاهرين المنيرة عندك ، قلوبنا وإن كانت مظلمةً ولكنّا نستضيىء من أنوار عبادك العارفين بك .

وإن كان حبُّ الدُّنيا قد أمرض قلوبنا ، وأهلك عقولنا ، ولكن محبّة أحبّائك أيضاً قد أحياها ، فان كان فضلك يظهر في عبادك المتمسّكين بعروة فضلك ، وذيل كرمك ، فليظهر فضلهم أيضاً في أهل ولايتهم المتمسّكين بعروة محبّتهم وولايتهم.

وإن ناقشنا عدلك في ثبوت ولايتهم ، ولم يثبت ذلك من حالنا ، فلاشكّ في أنَّ أعداءك وأعداءهم إنّما يبغضوننا بنسبة ولايتهم ، وطال ما ابتلينا في دنيانا بايذائهم في أوليائك فهذه النسبة الجزئيّة تكفي لنا في التشبّث بأذيال عفوك ، وعروة فضلك وكرمك ، وحبل أوليائك .

فبفضلك وكرمك ، وبجاه أوليائك محمّد وآله صلّ عليهم صلاة لا غاية لعددها،لا نهاية لمددها ، مبلغ علمك ، ومنتهى رضاك ، وما لا نفاد له ، وصلّ عليهم صلاة تغفر بها ذنوبنا ، وتصلح بها عيوبنا ، وتكمل بها عقولنا ، وتتمُّ بها نورنا ، وتعرّفنا بها نفسك وإيّاهم ، وتقرّبنا بها منك ومنهم ، وتزلفنا لديك في جوارهم ، وترضى بها عنّا رضى لا سخط علينا بعده أبداً حتّى توردنا عليك

راضين مرضيّين،تلحقنا بآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين ، مع شيعتهم المقرّبين ، وأوليائهم السابقين ، **﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾** [١] ، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله .

ومن مراقبات هذا الشّهر أن يعرف السّالك معنى الشّهر الحرام وحقّه حتّى يراقبه في حركاته وسكناته ، بل وخطرات قلبه ، وأن يعلم أنَّ هذه الأشهر الثّلاثة مواسم العبادة ، فينبغي لطّلاب العلم أن يزيدوا فيها جهة العبادات على جهة تحصيل العلم ، وإن كان تحصيل العلم أيضاً من أفضل العبادات .

وأوّل ليلة منه من اللّيالي الأربعة الّتي يتأكّد استحباب إحيائها ، والدّعاء عند الاستهلال بما روي [٢] ، وينبغي الالتفات بما في الدّعاء المأثورة في ذلك من ذكر شهر شعبان وشهر رمضان بالدُّعاء للتأهّل للعبادة فيهما فيكثر في أوقات دعائه ذكرهما حتّى يكمل الاستعداد للدُّخول فيهما بدعائه ويستحبُّ أن يدعو بعد صلاة العشاء بالدّعاء المرويّ في **«الإقبال»** [٣] .

وأورد في **«الاقبال»** صلوات لهذه اللّيلة أنا أذكر منها أخفّها لأمثالي من الضّعفاء وهي ما رواه في **«الإقبال»** عن روضة العابدين قال : روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله : من صلّى المغرب أوّل ليلة من رجب ، ثمَّ صلّى بعدها عشرين ركعة يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب و**﴿قل هو الله أحد﴾** مرّة ، ويسلّم بين كلّ ركعتين - قال رسول الله صلى الله عليه وآله - أتدرون ما ثوابه ؟

---

(١) القمر : ٥٥ .

(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ١٧٣ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٧٦ صدر ح ١ .

(٣) إقبال الأعمال : ٣ / ١٧٤ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٧٧ ضمن ح ١ . ورواه في مصباح المتهجد : ٢ / ٧٩٨ .

قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : إنّ روح الأمين علّمني ذلك - وحسر رسول الله ﷺ عن ذراعيه - وقال : حفظ في نفسه وأهله وماله وولده ، وأُجير من عذاب القبر، جاز عن الصراط كالبرق الخاطف من غير حساب[١] .

وأخفُّ منها أيضاً ما رواه أيضاً في هذا الكتاب عن النبي ﷺ يقول : من صلّى ركعتين في أوّل ليلة من رجب بعد العشاء يقرأ في أوّل ركعة فاتحة الكتاب ﴿وألم نشرح﴾ مرة و﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاث مرّات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب و ﴿ألم نشرح﴾ و﴿قل هو الله [أحد]﴾ والمعوّذتين ، ثمّ يشهد ويسلّم ثمّ يهلّل الله تعالى ثلاثين مرّة ، ثمّ يصلّى على النبيّ ثلاثين مرّة ، فانّه يغفر له ما سلف من ذنوبه ، ويخرجه من الخطايا كيوم ولدته أمّه[٢] .

ثمّ يصلّي في هذه اللّيلة وفي غيرها من ليالي الشّهر كلّه فى كلّ ليلة ركعتين كما رواه في «**الإقبال**» عن كتاب التحفة للحلوانيّ قال رسول الله ﷺ : من صلّى في رجب ستّين ركعة في كلّ ليلة منه ركعتين يقرأ في كلّ ركعة منهما فاتحة الكتاب مرّة ، و ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ثلاث مرّات و ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة وإذ سلّم منهما رفع يديه وقال : «**لا إلهَ إلاّ الله وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ، يُحْيي وَيُميتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ ، بيدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شيءٍ قدير ، وَإليهِ المَصِيرُ ، ولا حَوْلَ وَ قُوَّةَ إلاّ باللهِ العليّ العظيمِ اللّهمَّ صَلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ النبيّ الأُمّيّ**» . يمسح بهما وجهه ، فانّ الله سبحانه يستجيب الدُّعاء ويعطي ثواب

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٧٨ ؛ عنه الوسائل : ٨ / ٩٤ ح ٢ ؛ البحار : ٩٨ / ٣٧٩ ضمن ح ١ .
(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ١٧٨ ؛ عنه الوسائل : ٨ / ٩٤ ح ٣ ؛ البحار : ٩٨ / ٣٧٩ ضمن ح ١ .

ستّين حجّة ، ستّين عمرة [(١)] .

ثمّ يشتغل بقيّة ليله بما يراه مناسباً لحاله من الذّكر والفكر والمناجاة إلى وقت صلاة اللّيل ، ويسجد بعدها - أي بعد الركعة الثّامنة - ويقول في سجوده ما رواه في «**الإقبال**» عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام [(٢)] .

ويقرأ بعد الوتر ما رواه في «**الإقبال**» من الدُّعاءين [(٣)] ، ولا يغفل عن فقرات الدُّعاء الثّاني فيكون حظّه من الدُّعاء التّلفّظ المحض فيرضى أن يكون في عباداته نظير الأنعام في عباداتها ، ويجتهد في صدق مقاله لئلاّ يكذب مع الله جلّ جلاله في مجلس حضوره في دعائه ، فانّ فيه خطراً عظيماً لأهله ، وإن لم يصدّقه حاله في إظهار هذه الأحوال الّتي يحكيها إلى ربّه فليعالج حكايته بقصد بعض المعاني المجازية ، وإن لم يقدر على ذلك أيضاً فليغيّر الألفاظ بما ليس فيه كذب صريح ، ودعاوي باطلة ، فانّ من لم يعرف معنى حبّ الله كيف يقدر أن يدّعي الأنس معه ؟ ومن لم يعرف حقيقة التقريب كيف يقول : وأرفعني بمجاورته من ورطة الذُّنوب إلى ربوة التقريب ؟ وهكذا.

وبالجملة يراقب قلبه حتّى يكون حيّاً بذكر الله والحضور بين يديه بما

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٧٨ - ١٧٩ ، عنه الوسائل : ٨ / ٩٥ ح ٤ ؛ البحار : ٩٨ / ٣٨٠ ضمن ح ١ .

(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ١٨٦ - ١٨٧ ؛ عن مصباح المتهجد : ٢ / ٧٩٩ ؛ عنه البحار : ٣٨١/٩٨ ح ٢ .

(٣) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٠٠ ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ١٨٨ - ١٨٩ ؛ والبحار : ٩٨ / ٣٨٣ ضمن ح ٢ .

يرضى من مراسم العبوديّة فانَّ المقصود من إحياء اللّيالي إحياء القلب فيها ، وحياة القلب إنما هو بالذكر والفكر ، والقلب الغافل كالميّت ، والمشغول بغير رضا الله من المكروهات أدون من الميّت ، والمشتغل بالمحرّمات في هذه اللّيالي يشتدُّ حاله من المشتغل بها في غيرها ، ولعلّه يورث سوء الخاتمة.

فجدّي يانفس ! ان لا تكوني -لامحالة - من الثالثة وأنت تحسب مع ذلك أنّك أحييت اللّيل ، ودخلت في زمرة الفائزين ، فتكون بذلك من ﴿**الأَخْسَرِينَ أعمالاً * الّذِينَ [ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحياةِ الدُّنيا وهُمْ] يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنعاً**﴾ [1] ويزعمي أنّك لاتخلو من المعاصي الخفيّة،ثل تأخير التّوبة عن بعض المعاصي ، فانَّ المشهور أنَّ المسارعة واجبة فوراً ، وترك الواجب محرّم ، ولا أقلَّ (من) أنَّ تزكية النفس من بعض الأخلاق واجبة عيناً ، وتركها والاشتغال بالعبادات المستحبّة محرّمة ، وأمثالهما.

وبالجملة فللسالك أن يراقب قبل دخول هذه اللّيالي والأوقات الشّريفة (و) يتفقّد حاله أشدّ ممّا يتفقّد في سائر الأوقات ، ويجتهد لئلا يبقى له معصية حاضرة فتكون صفقته خاسرة ، ويفوت عنه أنوار العابدين ، بل يكون مثله كمثل عبد أكرمه السلطان بالدّعوة إلى مجلسه للعطاء والإكرام ، بل للمؤانسة والمناجاة والأحوال السنيّة العظام ، مع الأولياء الكرام ، فحضر ذلك المجلس ، وارتكب حضوراً مخالفة السلطان ، وأظهر عبادة الشيطان ، في بيت الرّحمن ، فاستحقَّ بذلك الخزي العظيم والخذلان ، واستبدل بالكرامة الذُّلَّ والهوان.

---

(١) الكهف : ١٠٣ - ١٠٤ .

وكيف كان هذه اللّيلة وأمثالها يجب بحكم العقل الاستظهار فيها بكلّ ما هو في الإمكان ، في تحصيل رضا الملك المنّان ، وسلامة الأعمال والأحوال من الآفات،المبالغة في ذلك ببذل كلّ جهده ، ليكون مخلصاً لله تعالى جلّ جلاله وعمله خالصاً فيكفي عند ذلك قليل من العمل ، فانّ جزاء العمل الخالص من العبد المخلص بغير حساب والعبد الصحيح (النيّة) لا يرضى في معاملة المولى إلاّ بالخلوص الصادق ، ويسعى كلّ سعيه في ذلك ، ويكون ذلك أهمّ عنده من كلّ شيء ، فانّ هذا الأمر لايدرك بالمنى ، ولاينال بالهوينا ، وإلاّ فمن عميت بصيرته عن تفاوت هذه الأحوال ربما يجتهد في إكثار العبادات الظّاهرة ، وقلبه وباطنه مشحون بغوائل المخالفات لمالك المحيا والممات ، من الحالات الرذيلة،الأخلاق الخبيثة ، من قبيل ترك الواجبات ، والإتيان بالمحرّمات ، وصورة العبادات ، ويشوب عمله بالريّاء والسمعة والنفاق ، وخبائث العجب والجهل والشّقاق.

وأيضاً يكون اهتمامه بتلطيف العمل أكثر من تكثيره ، ويختار من الدّعوات والمناجاة ما يشتمل على زيادة التملّق والاستكانة ، والاعتراف بحقوق المنّة من الله الحنّان المنّان ، في التشريف بتكليف الذّكر والعبادة ، ويؤثر في الحالات والحركات والسّكنات ما يهيّج الرقّة ، ويكون أبلغ في التواضع والتبتّل من لبس المسوح ، والجلوس على التّراب والرّماد ، ووضع التّراب على الرّأس ، وشدّ الأيدي على الأعناق بالحبال والأغلال ، وعدم الاستقلال والاستقرار ، كالحيران والسكران ، بالقيام تارة ، والقعود أخرى ، والسّجود ثالثة ، والمشي أخرى ، ووضع الرّأس على الجدارن ، والخرور على الأذقان.

وقد كان السّابقون يضعون الأغلال في أعناقهم ويدخلون قبورهم ، ويأمرون من يشدّهم بالأغلال ويجرّهم إلى النّار ، ويخرقون تراقيهم ويدخلون فيها الحبل أو الغّل ، ويشدّونه في أسطوانة البيت المقدّس ، وهذه الأحوال إنّما ينشأ من أحوال القلب ، ومعرفة ذلّ النفس ، وعظمة الربّ ، فيورث حالاً أخرى أسنى وأفضل ، قد يوجد بالتعمّل فيورث الحال .

ويهتمّ في دعاء توفيق الإخلاص في الشّهر كلّه وشهر شعبان ، وشهر رمضان وتمام العمر ، ويكثر التوجّه إلى الله جلّ جلاله من أسمائه بكريم العفو ، ومبدّل السيّئات ، بالحسنات ، والتّوسّل إليه بمحمّد وآله - صلوات الله عليهم أجمعين - فانّ أمثال وجوهنا لا يليق بالتوجّه إلى حضرت قدس ربّنا فالأولى أن نعالج في ذلك بالتوجّه إليه بوجوه أوليائه المشرقة عنده ، ويختم ليله بما تكرّر ذكره من التوسّل بخفير ليلته من المعصومين عليهم السلام في استصلاح حاله وعمله مع الله جلّ جلاله .

وأيضاً إن كانت اللّيلة الأولى ليلة الجمعة ينبغي أن يعمل فيها بعمل ليلة الرغائب وهو ما روي أنّه صلى الله عليه وآله قال : ولا تغفلوا عن أوّل ليلة جمعة فيه فانّها ليلة تسمّيها الملائكة ليلة الرّغائب ، وذلك أنّه إذا مضى ثلث اللّيل لم يبق ملك في السماوات والأرض إلاّ يجتمعون في الكعبة وحولها ويطلع الله عليهم إطلاعه ، فيقول : ياملائكتي ! سلوني ماشئتم ، فيقولون : ربّنا حاجتنا أن تغفر لصُوّام رجب ، فيقول الله تبارك وتعالى : قد فعلت ذلك - والأنسب لمن سمع هذا الخبر أن يكثر في هذه اللّيلة من الصّلوات على الملائكة أداء لتكليف آية التحيّة بقدر المقدور - ثمّ قالَ رسول الله صلى الله عليه وآله :

ما من أحد صام يوم الخميس أوَّل خميس من رجب ثمَّ يصلّي بين العشاء والعتمة اثنتي عشر ركعة يفصل بين كلّ ركعتين بتسليمة يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرَّة و﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ ثلاث مرّات ، و ﴿قل هو الله أحد﴾ اثنتي عشر مرَّة ، فإذا فرغ من صلاته صلى على عليٍّ سبعين مرّة يقول : «**اللّهمَّ صلِّ على محّمدٍ النبيِّ الأُمّيِّ وعلى آله**» ، ثمَّ يسجد ويقول في سجوده سبعين مرّة: ﴿**سُبّوحٌ قُدُّوسٌ ، ربَّ الملائكة والرُّوح**» ، ثم يرفع رأسه ويقول :« **ربَّ اغفِرْ وارَحمْ ، وَتجاوَز عَمّا تَعْلَمُ ، إنّكَ أنتَ العليُّ الأعْظَم**» ، ثمَّ يسجد سجدة أُخرى ويقول : في سجوده مثل ما قال في السجدة الأُولى ، ثمَّ يسأل الله حاجته فإنّه يقضيها إن شاء الله تعالى.

ثمَّ قال رسول الله ﷺ : والّذي نفسي بيده لايصلّي عبد أو أمة هذه الصلاة إلاّ غفر الله له ذنوبه ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر وعدد الرّمل ، ووزن الجبال ، وعدد ورق الأشجار ، ويشفّع يوم القيامة في سبعمائة من أهل بيته ممّن قد استوجب النّار ، فإذا كان أوَّل ليلة نزوله إلى قبره ، بعث الله إليه ثواب هذه الصّلاة في أحسن صورة بوجه طلق ، ولسان زلق ، فيقول ياحبيبي ! أبشر فقد نجوت من كل شدّة،يقول : من أنت ؟ فما رأيت أحسن منك ، ولا شممت رائحة أطيب من رائحتك ، فيقول : ياحبيبي أنا ثواب تلك الصّلاة الّتي صلّيتها ليلة كذا ، في بلدة كذا، وشهر كذا ، في سنة كذا . جئت اللّيلة لأقضي حقّك ، وآنس وحدتك ، وأرفع عنك وحشتك ، فاذا نفخ في الصّور ظلّلت في عرصة القيامة على رأسك ، وإنّك لن تعدم الخير من مولاك أبداً [(١)] ، هذا.

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٨٥ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٩٦ ح ٢ ؛ والوسائل : ٨ / ٩٨ ح ١ نحوه .

وظاهر أوّل الرّواية أنّ ليلة الرّغائب أوّل ليلة الجمعة من رجب ، ولكنّه لا ينطبق عليه -إن كان العمل المذكور في آخرها من عمل تلك اللّيلة -إذا اتّفق كون أوّل الشهر جمعة ، والجمود على الظاهر إنّما يقتضي أن يقال : إنّ العمل بذلك فيما إذا لم يكن أوّل الشهر جمعة وأمّا إذا كان الأوّل جمعة يكون العمل للجمعة الثانية ، لو لم ينطبق بليلة الرّغائب ، وليس في الرواية تصريح باشتراط ذلك بليلة الرغائب :

ولكنّ الّذي يقوى في النّفس أن يكون العمل للجمعة الأُولى ولكن بإلغاء الصّوم إذا اتّفقت الجمعة في أوّل الشهر أو بالغاء قيد رجب من صوم الخميس في هذه الصورة .

وأمّا اليوم الأوّل فمن مهمّاته الصّوم وصلاة سليمان - رضوان الله عليه - والدُّعاء في أوّله بالمأثور في إقبال السيّد قدس سره [(١)] .

وأمّا الصوم فقد ورد فيه روايات معتبرة يذكر منها واحدة وهو ما رواه الصدوق عليه الرّحمة في «**ثواب الأعمال**» و «**الأمالي**» قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا إنّ رجب شهر الله الأصمّ ، لأنّه لا يقاربه شهر من الشهور حرمة وفضلاً عند الله ، كان أهل الجاهليّة يعظّمونه في جاهليّتهم ، فلمّا جاء الإسلام لم يزد إلاّ تعظيماً وفضلاً ، ألا إنّ رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر أُمّتي ، ألا فمن صام من رجب يوماً إيماناً واحتساباً استوجب رضوان الله الأكبر ، وأطفأ صومه في ذلك اليوم غضب الله ، وأغلق عنه باباً من أبواب النار ، ولو أعطى ملء الأرض ذهباً

---

(١) راجع إقبال الأعمال : ٣ / ١٩٨ ؛ عنه الوسائل : ٨ / ٩٦ ح ٧ .

ما كان بأفضل من صومه ، ولا يستكمل أجره بشيء من الدُّنيا دون الحسنات ، إذا أخلصه لله ، وله إذا أمسى عشر دعوات مستجابات ، إن دعا بشيء من عاجل الدّنيا أعطاه الله وإلاّ إدَّخر له من الخير أفضل مادعا به داع من أوليّائه وأحبّائه وأصفيائه [١] .

وقد وردت روايات كثيرة لصوم أيّام رجب ، ووردت مثوبات جزيلة فاخرة جدّاً لمن صام منه يوماً [٢] أو يومين [٣] أو ثلاثة [٤] إلى أن ينتهي إلى تمام الشهر [٥] ، فمن أراد الاجتهاد فليصم الشهر كلّه ليفوز بجميع المثوبات الواردة في

---

(١) ثواب الأعمال : ٨٧ صدر ح ٤ ؛ أمالي الصدوق : ٣١٩ باسنادهما إلى أبي سعيد الخدري ؛ عنهما إقبال الأعمال : ٣ / ١٩٠ - ١٩١ ؛ عنهما البحار : ٩٧ / ٢٦ صدر ح ١ .

(٢) روى الشيخ الصدوق في «ثواب الأعمال» : ٧٨ ؛ والشيخ الطوسي في «التهذيب» : ٤ / ٣٠٦ باسنادهما إلى أبي الحسن موسى عليه السلام أنه قال : «رجب نهر في الجنه أشد بياضاً من اللّبن وأحلى من العسل ، من صام يوماً من رجب سقاه الله من ذلك النهر» عنهما إقبال الأعمال : ٣ / ١٩٣ ؛ عنهما البحار : ٩٧ / ٣٧ .

(٣) روى الشيخ الصدوق في «ثواب الأعمال» : ٧٩ ؛ وفضائل الأشهر الثلاثة : ٢٥ ؛ والأمالي : ٤٣٠ باسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله : «من صام من رجب يومين لم يصف الواصفون من أهل السماء والأرض ماله عند الله من الكرامة ، وكتب له من الأجر مثل أُجور عشرة من الصادقين في عمرهم ، بالغة أعمارهم ما بلغت ، ويشفّع يوم القيامة في مثل ما يشفّعون فيه ويحشر معهم في زمرتهم حتى يدخل الجنة ويكون من رفقائهم» عنها إقبال الأعمال : ٣ / ٢١٩ - ٢٢٠ ؛ البحار : ٩٧ / ٢٧ .

(٤) روى الشيخ الصدوق أيضاً في ثواب الأعمال : ٧٨ ، والأمالي : ٤٣٠ ، فضائل الأشهر الثلاثة : ٢٥ باسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : «من صام من رجب ثلاثة أيام جعل الله بينه وبين النار خندقاً وحجاباً ، طوله مسيرة سبعين عاماً ، ويقول الله عزّ وجلّ له عند إفطاره : لقد وجب حقّك عليّ ووجبت لك محبّتي وولايتي ، اشهدكم ملائكتي اني قد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخّر» عنها الإقبال : ٣ / ٢٢٠ ، والبحار : ٩٧ / ٢٧ .

(٥) راجع إقبال الأعمال : ٣ / ٢٢٢ - ٢٨٣ .

كلّ واحد منها،لكن إذا اتّفق الشهر في فصل حارّ لا يوافق مزاجه أو حاله مع الصّوم، أو اتّفق له عذر شرعيٌّ من الصّيام كسفر أو ضيف يتضيّق من صيامه أو غير ذلك ، فليعمل بما ورد له من البدل وهو ما رواه الصّدوق في «ثواب الأعمال» و «الأمالي» باسناده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال :

ومن صام من رجب ثلاثين يوماً ، نادي مناد من السّماء : يا عبد الله أمّا ما مضى فقد غفر لك ، فاستأنف العمل فيما بقي ، فأعطاه الله في الجنان كلّها في كلّ جنّة أربعون ألف ألف مدينة من ذهب ، في كل مدينة أربعون ألف ألف قصر ، في كل قصر أربعون ألف ألف بيت ، في كلّ بيت أربعون ألف ألف مائدة من ذهب ، وعلى كلّ مائدة ألف ألف قصعة ، في كلّ قصعة أربعون ألف ألف لون من الطّعام والشراب ، لكلّ طعام وشراب من ذلك لون على حدة ، وفي كلّ بيت أربعون ألف ألف سرير من ذهب ، طول كلّ سرير ألف ذراع في عرض ألف ذراع ، على كلّ سرير جارية من الحور العين ، عليها ثلاثمائة ألف ذؤابة من نور تحمل كلُّ ذؤابة منها ألف ألف وصيفة تغلّفها بالمسك والعنبر إلى أن يوافيها صائم رجب ، هذا لمن صام رجب كلّه.

قيل : يانبيّ الله فمن عجز عن صيام رجب بضعف أو علّة كانت به ، أو امرأة غير طاهرة بصنع ماذا لينال ما وصفت ؟

قال : «يتصدّق عن كلّ يوم برغيف ، والّذي نفسي بيده إنّه إذا تصدّق بهذه الصدقة كلَّ يوم ينال ما وصفت وأكثر ، لأنّه لو اجتمع جميع الخلائق كلّهم من أهل السماوات والأرض على أن يقدّروا قدر ثوابه ما بلغوا عشر ما يصيب في الجنان

من الفضائل والدَّرجات».

قيل : يارسول الله : فمن لم يقدر على هذه الصدقة ، يصنع ماذا لينال ما وصفت ؟

قال : «يسبّح الله في كلّ يوم من أيّام رجب إلى تمام ثلاثين يوماً هذا التسبيح مائة مرّة : **﴿سبحان الإله الجليل ، سبحان من لا ينبغي التسبيح إلاّ له ، سبحان الأعزّ الأكرم سبحان من لبس العزَّ وهو له أهل﴾**»[1].

أقول : الصوم لله ، وهو يجزي به كما ورد في الخبر ، فينبغي للسالك إذا صام أن يصوم معه جوارحه ، كما روي ذلك عن الصادق عليه السلام : إذا صمت فليصم سمعك و بصرك وشعرك وجلدك - وعدَّ أشياء غير هذا -[2] فانَّ في عدّ الجلد والشعر كفاية في لزوم صوم جميع الجوارح ، وبالجملة فانَّ صوم الخواصّ ليس من البطن والفرج خاصّة بل يعمُّ سائر الجوارح كما أنَّ صوم خواصّ الخواصّ بضمّ القلب على الجوارح فهو أن يصوم جوارحه عن مخالفة إرادة الله وقلبه عن الهمم الدنيّة،الأخطار الدنيوية ويكفّه عمّا سوى الله بالكلّيّة.

أقول : الصوم وكذا كلُّ عبادة إنّما يعدُّه العوامُّ تكليفاً ، ويعمل به تكلّفاً ولكنَّ الخواصَّ يرونه تشريفاً ولطفاً من الله جلّ جلاله ويرون أنَّ الله في جعل العبادات

(١) ثواب الأعمال : ٨٣ ؛ أمالي الصدوق : ٤٣٣ ؛ عنهما الإقبال : ٣ / ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، والبحار : ٩٧ / ٣١ ذيل ح ١ .

(٢) التهذيب : ٤ / ١٩٤ ح ٥٤٤ ؛ الفقيه : ٢ / ٦٧ ح ٢٧٨ ؛ المقنعة : ٤٩ جميعاً بالأسناد إلى محمد بن مسلم ؛ عنها الوسائل : ١٠ / ١٦١ ح ١ .

وإيجابها منّةً عظيمة ونعمة جسيمة على عباده، ويستقبلونها استقبال التشريف لا التكليف، بفرح وسرور ونشاط، بل ولذّة وحبور من الخطاب.

روي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَام﴾[1] قال: لذّة الخطاب ذهب بالعناء. هكذا يجب أن يكون العبد العارف بالله وبحقّ الله، فانَّ العبد إذا عرف الله أحبّه وإذا أحبَّ الله أحبّه الله، فتصير جميع معاملاته مع الله معاملة الحبيب مع حبيبه، وهل رأيت حبيباً مستثقلاً عن خدمة حبيبه، لا سيّما إذا كانت الخدمة لطفاً من الحبيب وتشريفاً، بل دعوة لمجلس المؤانسة وكرامة،يلتذُّ من خطاب التكليف، ويفديه بنفسه ومهجته على قدر محبّته، ويراقب في إتيان تمام مراده، ويجتهد في تحصيل كلّ محابّه، وإن لم يردها منه، ولا يرى سعيه واجتهاده في ذلك إلاّ لذّة وسعادة، فيكون الإتيان بمحابّ الله جلَّ جلاله من أهمّ محابّ نفسه ومراداتها، فيعمل بها بالشوق التامّ الكامل، والامتنان من إذن الله -جلّ جلاله- له في ذلك، ولا يوجد في قصده غير الله تعالى وغير رضاه،لايشوبه قصد جزاء وثواب وجنّة ونعيم من نعم الله تعالى فضلاً عن شوب الرياء والسمعة واطّلاع الغير وتحصيل رضاه.

وتفكّر يا عاقل في هذا الصوم المعيّن الخارجيّ لو أتيت به على ما وصفناه من النيّات والقصود، فزت بجميع ما ورد من الكرامات السنيّة، والمقامات العليّة للصّائمين والمخلصين وأزيد، لأنّ فضل الله وكرامته لايقدَّر بالبيان، ويخدمك ملائكة الرَّحمن، بل يطعمك ويسقيك في قيلولتك الملك المنّان.

---

(١) البقرة: ١٨٣.

وإن أتيت به رياء وسمعة وجب لك الخذلان ، وكنت من عبدة الشيطان ، ونوديت بأربعة أسماء : ياغادر ! يا فاجر ! ياكاذب ! يامرائي ! واستحققت بذلك النيران فياسبحان الله هذا عمل واحد شخصيٌّ فما هذا الفرق العظيم إلاّ من جهة أمر القلوب والنيّات.

نعم لو لم يكن أمر القلوب والنيّات بهذه العظمة والحيثيّة ، لما أنزل الله في كتابه العزيز في سورة والشمس (أحد عشر) قسماً بفلاح من زكّيها ، وخيبة من دسّيها فللعاقل أن يبذل تمام جهده وسعيه في إخـلاص النـيّات وتـصحيحها ، والصدق في ذلك.

وقد ذكر سيّدنا ومولانا أسوة أهل المراقبة قدّس الله سرّه العزيز في كتاب **«الإقبال»** عدّة إشارات لاعتبار معرفة صوم الإخلاص من صوم الرّياء والشبهات ، وأنا اذكرها تيمّناً بما ذكره ثمّ أعقبه بما يفتح الله لي من البيان في ذلك.

الأوّل : اعتبار ذلك بالاستحياء من الإفطار ، عـن صـوم الأيّـام المسـتحبة بمحضر الصائمين من الأخيار ، فتعلم منه أنّ في صومك شبهة تزيد بها التقرُّب إلى قلوب الأنام.

الثاني : أن تعتبر ذلك برغبة قلبك على اطّلاع الغير من المخلوقين ، الّذين تظنُّ في اطّلاعهم على صومك خيراً لك في دنياك ، ولو بالمدح والثناء ، وزيادة الإكرام ، أو عدم ميلك إلى الاطّلاع به من غير الله ، أو لا يكون الغير في قـلبك بمقدار التأثير في رغبتك إلاّ أنّ اطّلاع الغير أجلُّ من اطّلاع ربّك فان كان كذلك فاعلم أنّ صومك سقيم ، وأنت عبد لئيم.

أقول : فليكن مراده ﵀ من الأخير أن يكون اطّلاع الغير أجلُّ في قلبه من اطّلاع الله وحده جلالة مّالا يؤثّر في الرّغبة ، وإلاّ لا يفارق ما في ظاهر كلامه من الرغبة.

الثالث : الاعتبار بالنشاط بكثرة الصائمين ، والكسالة بالوحدة ، وهذا أيضاً يكشف عن دخالة ما في كثرتهم في قصده وعمله ، فبقدر تأثير ذلك في القلب يتكدّر الإخلاص ويسقم الصوم.

الرابع : الاعتبار بأنّ القصد هل هو لمجردّ قصد الثواب ، أو لأجل مراد ربّ الأرباب ؟ إن كان الأوّل فقد عزلت الله جلّ جلاله عن أنّه يستحقّ الصوم لامتثال أمره ، وعن أنّه جلّ جلاله أهلٌ للعبادة بعظم قدره ، ولولا الرشوة والبرطيل ماعبدته ، ولا راعيت حقَّ إحسانه السالف الجزيل ، ولا حرمة مقامه الأعظم الجليل.

الخامس : الاعتبار بسعة الفطور كمّاً وكيفاً هل يزيد في نشاطك في صومك أم لا،ان زاد في نشاطك كثرة الطعام ولذّته ، فبقدر زيادة النشاط بغير جهة الله يتعلّل عملك من أوّله إلى آخره هذا فياعتبارات تمام الصوم.

وأمّا اعتبارات إتمامه مخلصاً إذا فيه بالإخلاص فهي أيضاً أمور:

منها : أن يعرض لك في أثناء الصيام طعام لذيذ ، أو زوجة جميلة ، أو سفر فيه نفع ، هل يقلُّ نشاطك بذلك عن الصيام ، وتكون مستثقلاً في صومك ، وتتوقّع خلاصك منه أم لا ، فانّك لاتقبل من عبدك خدمته مستثقلاً فيها ، بل تطرده وتهجره بذلك.

ومنها : أن يحدث أمر يرجّح إفطارك عند الله على صومك ، فانظر هل تستحيي من الإفطار عند النّاس ، فلا تبادر بالأرجح ، فلو كنت في عملك وقصدك مخلصاً في مراد الله لما راعيت غيره إذا ترجّح الإفطار عند الله جلَّ جلاله.

ومنها : أن ترى في أثناء صومك أنّه يعجزك ويمنعك عن إتيان بعض الفروض الواجبة ، أو ما هو أهمُّ عند الله ، فبادر بالأهمّ عند الله جلّ جلاله وصغّر ما صغّر الله ولا تراع عدم علم النّاس بعذرك ، فتدخل بذلك في المرائين في عباداتهم،تدخل عبادتك في كبائر الذُّنوب ، فانَّ هذه العوارض تفسد صيامك أو خلوصه ، وإن كان في أوَّله صحيحاً مرضيّاً لله جلَّ جلاله ، فان خطر لك بعض هذه العوارض أو غيرها ممّا يصرفك عن استمرار نيّة الإخلاص فبادر بالتوبة عنها.

واعلم أنَّ ما يصرفك عن خدمة مولاك ومراضي إلهك ، فهو كالعدوّ لك ولمولاك ،كيف تؤثر عدوّك وعدوَّه عليه ، وأنت في حضور سيّدك وهو يرك ، فإذا إثرت غيره عليه فمن يقوم بما تحتاج إليه في دنياك وأُخراك [١] . انتهى ملخّصاً.

أقول : ولقد أفاد وأجاد ، جزاه الله عن عباده خير الجزاء ، ولكنّه لم يبيّن مراتب هذه الآفات ، فانَّ بعض ذلك مبطل للصّوم ، وبعضه مفسد للإخلاص ، وبعضه مفسد للصدق والإخلاص ، وبعضه مرجوح بالنسبة إلى الدرجة العلياء ، ومع ذلك فهو من الصدق والإخلاص في درجة عالية.

فان شئت ترتيب ذلك فاعلم أنّه كلّما دخل في قصد عبادتك صوماً كان أو

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ١٩٤ ـ ١٩٦ .

غيره غير الله من مخلوقه سواءً كان من أوّل الأمر أو حدث في الأثناء فهو مبطل للعمل،ذلك مثل ما ذكره في العارض الراجح في الأثناء إذا لم يفطر من جهة عدم علم النّاس بعذره ، فانَّ إدامة الصّيام لأجل الغير مبطل له ، ومدخلٌ له في الرّياء المحرَّم ، ولم يذكر من هذا القسم مثالاً لما يقع في الابتداء.

وكذا ما ذكره أخيراً من الصارف عن استمرار النيّة وقال : إنّه كالعدوّ لك ولربّك ، هو أيضاً شامل لهذا القسم ، وهو كما ذكره كالعدوّ بل هو إيثار عبادة العدوّ، لأنَّ ذلك إمّا يكون بأمر الخبيث إبليس ، فيكون عبادة لعدوّ الله في الحقيقة وهي بمنزلة الكفر بالله وإن لم يوجب الله له كفراً من كثرة رفقه وأناته.

وكذا ما ذكره أوّلاً في العوارض المرجّحة للإفطار فانَّ إدامة الصوم مع رجحان الإكل من جهة إيراد المخلوق يجعل الصوم من صوم الرّياء ، فيكون باطلاً وموجباً لسخط الخالق ، ولم يذكر من هذا القسم المبطل ما يوجد في ابتداء العمل وذكر ممّا في الابتداء من الآفات ما يضرُّ في كمال الإخلاص لا في صحّه العمل.

وأمّا ما ذكره في أوّل الأقسام في الحياء من الإفطار بمحضر الصائمين ، فهو على أقسام ، لأنّه إمّا أن يكون الحياء مؤثّراً في صومه بحيث لو لم يكن لما صام، فهو أيضاً من الأقسام الباطلة سواءً كان مستقلاً في السببيّة أو جزء سبب ، ولكن يمكن أن نقول في ذلك بعدم العقاب ، وأمّا إذا لم يكن مؤثّراً فلا يكن مبطلاً إلاّ أنّه يحطّه عن الدرجات العالية وذلك مثل قصد الثّواب ودفع العقاب ، فانّه وإن كان صحيحاً وقصداً عاليّاً أيضاً في حدّ نفسه إلاّ أنّه من عمل العبيد والأُجراء بالنسبة إلى ما يعمل ، لأنّه جلَّ جلاله أهلٌ للعبادة أو لتحصيل رضاه أو لتحصيل قربه ، وإن

كان الأخيران أيضاً داخلين فيما يعمل للثواب ، ولكن هذا الثواب ليس كغيره من المثوبات فانّهما أيضاً قريبان من الأوّل.

وبالجملة الأحرار العارفين بالله جلّ جلاله لا يكون أعمالهم غالباً من باب الطمع والخوف ، بل يكون باعثهم على العمل ما يتجلّى لهم من عظمة ربّهم وكبريائه أو نوره وبهائه ، فيعملون ويتواضعون ويعبدون ربّهم ومولاهم من غير رويّة وتردّد واختيار ، بل يشبه عملهم عمل المضطرّين كما قال في حقّهم عليٌّ عليه السلام في حديث الهمّام : بل خامرهم من عظمة ربّهم ما طاشت به عقولهم [1] ، أو عمل المجذوبين الوالهين من ظهور بهاء الحقّ تعالى ، وسطوع أنوار جماله ، فصاروا بين يديه حيارى متضرّعين ، وسكارى متملّقين ، فإذا جنّهم اللّيل ، واختلط الظلام ، ونصبت الأسترة وخلى كلُّ حبيب مع حبيبه نصبوا بين يديه أقدامهم،افترشوا جباههم ، فهم بين متأوّه وباك ، ومتضرّع وشاك ، فبعين الله ما يتحمّلون لأجله ، وبسمع الله ما يشتكون من حبّه ، فيقبلهم ربّهم بقبول حسن،يريهم جماله ، ويؤنسهم بحسن صنيعه ، ولطف فعاله.

وأمّا الّذين لم يعرفوا من الله إلاّ جنّته وناره ، فيعملون خوفاً من النّار وشوقاً إلى الجنّة ، فلا يتأتّى منهم عمل العارفين ، المحبّين المشتاقين ، نعم لهم أن يقهروا أنفسهم بالتفكّر في عظمة خالقهم ، ونعمه السابغة الّتي لاتحصى ، ويسعوا في

---

(١) روى حديث همام في وصف المتقين بصيغ مختلفة ، فمنها ما رواه الصدوق في أماليه : ٣٤٠ المجلس : ٨٤ ؛ عنه البحار : ٦٧ / ٣٤٣ ضمن ح ٥١ ، ورواه في البحار : ٧٨ / ٢٩ ضمن ح ٩٦ وج : ٦٨ / ١٩٤ ضمن ح ٤٨ ؛ مطالب السؤول : ٥٣ ؛ عنه البحار : ٧٨ / ٢٥ ضمن ح ٨٩ .

تخلية أنفسهم وقلوبهم من ذكر الجنّة والنّار ، فيصحّحوا بالتعمّل قصداً خالصاً من باعث الرّغبة والرّهبة ، ومجرّداً لكونه تعالى أهلاً للعبادة ، أو يتفكّروا فيما سمعوا من أخبار الأنبياء والأولياء أن لا مرتقى فوق قرب الله ولقائه ، ويقدّروا في أنفسهم لذلك معنى صحيحاً ويجهدوا فيستقيم لهم في بعض الأحيان باعث الشوق ، إلى قربه ولقائه.

وإن أمكن ذلك لغير العارفين في بعض الأحيان لا يتيسّر لهم ذلك إلاّ نادراً فضلاً عن الاستمرار ، بل لم ينقل من أحد من الأنبياء والأولياء دعوى الاستمرار إلاّ ما روي عن أمير المؤمنين ، وأسوة العارفين ، وقدوة المشتاقين ، من قوله : «ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنّتك ، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[(١)] فهو من خصائصه وخصائص[(٢)] أخيه رسول الله ، حبيب الله ، سيّد خلق الله أجمعين ولعلّه يوجد في أولاده المعصومين أو في غيرهم من الأنبياء أيضاً من يقدر أن ينفي في كلّ عباداته أن يكون لرغبة أو رهبة ، أولا يوجد والله تعالى أعلم.

وقد روي عن شعيب النبيّ على نبيّنا وآله وعليه‌السلام أنّه قال في جواب الله جلّ جلاله عند سؤاله عن بكائه : إنّه ما كان بكاؤه من خوف نار ولا جنّة ، بل كان شوقاً إلى لقاء الله[(٣)] ، ولكن لا تصريح فيه يشمل سائر عباداته كلّها ، وكيف كان هذا مقام

(١) البحار : ٤١ / ١٤ ذيل ح ٤.

(٢) في الأصل : من خواصه وخواص أخيه.

(٣) رواه في علل الشرائع : ٣٠ ـ ٣١ باسناده إلى أنس عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله ؛ عنه البحار : ١٢ / ٣٨٠ ح ١.

يشكل على أغلب العلماء فهمه وتصديقه ، فضلاً على غيرهم ، فالأهمّ للسالكين أن يصحّحوا ويخلّصوا نيّاتهم عن شوائب الرياء ، حتّى يتخلّصوا بذلك عن فضيحة يوم القيامة ، وحياء العرض على الله حين يقال له : يا فاجر يا غادر يامرائي أما استحيت إذا اشتريت بطاعة الله عرض الحياة الدّنيا؟ راقبت قلوب العباد،استخففت بنظر سلطان المعاد ، وتحبّبت إلى الملخوقين ، بالتبغّض إلى ربّ العالمين ، وتزيّنت لهم بعمل الله ، وتقرّبت إليهم بالبعد عن الله ، وطلبت رضاهم وتعرّضت لسخطه ، أما كان أهون عليك من الله.

أقول : ورد عن الصادق عليه السلام «أنّه لو لم يكن للحساب مهولة إلاّ حياء العرض على الله ، وفضيحة هتك الستر ، لحقّ للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال، ولا يأوي إلى عمران ، ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام إلاّ عن اضطرار متّصل بالتلف»[1] فواغوثاه من أن ينكشف للانسان يوم القيامة عباداته ، ويرى أهل الحشر أنّه كان يراقب فيها نظر المخلوقين ، ويتزيّن بها لأمثاله من الضعفاء ، ويتحبّب إلى النّاس بالتبغّض إلى الله جلّ جلاله ، لاسيّما إذا كان واعظاً للنّاس وناهياً لهم عن الرّياء ، فلعمري إنّه لأشدّ من جهنّم وعذاب النّار.

لا سيّما إذا قال له الجليل : عبدي أما كنتُ لك خالقاً رازقاً ، ومنعماً مراقباً أما كنت لك حافظاً ، كنت تنام على معصيتي وأحفظك في نومتك هذه عن أعدائك ومكارهك كلّها ، وأنت تعصيني بنعمي عليك ، وأنا أنعمك بما تعصي به عليَّ ، فما وجه اختيارك غيري عليَّ ؟ أكان غيري أنعم عليك منّي فمن جهة نفعك

---

(١) مصباح الشريعة : ٨٥ ؛ عنه البحار : ٧١ / ٢٦٥ ح ٨.

اخترته ؟ أو كان أقوى منّي فلأجل خوفك اتّقيته ؟ أو كان حاضراً عندك وكنتَ غائباً فمن حضوره استحييته ، أليست الكبرياء ردائي والعظمة إزاري ، والنعم كلّها من فعلي ؟ ألست أنا أغنى الأغنياء ، ولا غنّي غيري ، أو ليس الخلق كلّهم فقراء وليس في الوجود فقير غيرهم؟.

أما وهبت لك ما تعرف به الخطاء من الصّواب ، أما أرسلت إليك رسلاً منذرين ومبشّرين ، وأولياء هادين (بعد هادين) ، اما أنزلت كتباً لهدايتك ، وحذّرتك من عدوّك إبليس ؟ ف﴿ **يا حَسْرَةً عَلَى العِبادِ مَا يَأتِيهِم مِن رَسُولٍ إلاّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون** ﴾ [(١)] فما كان في ذلك كلّه ما يحبّبني إليك أو ما يرضيك عنّي ؟ أو ما يلجئك إلى طاعتي ؟ أو ما وجدت أهون منّي فعصيتني بعين نعمي عليك في حضوري فيما هو صلاحك وسعادتك ؟ وأطعت عدوّي وعدوّك فيما فيه فسادك وهلاكك ، فيا بؤساً للمحرومين من رحمتي ، ويابعداً لمن أطاع غيري بمعصيتي. ف﴿ **ياحَسْرَتى على ما فَرَّطتُ فِي جَنبِ الله** ﴾ [(٢)] ، ويا سوأتاه ، ووافضيحتاه ، فياليت السماء أطبقت على الأرض ، ولم نسمع هذه الخطابات ، ويااليت الجبال تدكدكت على السّهل ، ولم نبدّل موقف الكرام بموقف اللّئام ، فأنا أُنادي إلهي وربّي وسيّدي من مهوى عوالم الطبيعة ، وذلّ هذه المخازي الفضيحة وأقول :

إلهنا وعزّتك وجلالك ، وبهائك وجمالك ، لو كان لي جَلَد على عذابك ، وطاقة على انتقامك ، ما سألتك العفو عنّي عن هذه الفضائح الشّنيعة ، والقبائح الفظيعة ، بل سألتك عذابي ونكالي ، ورضيت بشدّتي وسوء حالي ، سخطاً على

---

(١) يس : ٣٠ .

(٢) الزمر : ٥٦ .

نفسي بما جنت في صفقتها ، وأقبلت عليها وأدبرت معرضةً عنك في طاعتها ، ولكنّك يامولاي في سعة عفوك وطول أناتك وجميل سترك ، عوّدت هؤلاء الطغاة اللّئام من أمثالي أن يطمعوا في نجاتهم ، بعد هذه العظائم ، ويرجو منك السّتر عن هذه الجرائم ، لأنَّ هذه الدُّنيا من ضيقها ، وبعدها عن مقام لطفك وعوالم قربك ، ظهر فيها من حلمك وسترك وكرمك ما يسعنا ويشملنا فكيف بعوالم الآخرة الّتي جعلتها دار كرامتك ، وأشرقت فيها سبحات وجهك ، وتلألأ فيها أنوار جمالك ، بعظيم عفوك ، وواسع رحمتك ، وجميل صفحك ، نلتجىء إليك من هذه المهالك المردية ، والأحوال الرديّة.

وإن كانت ذنوبنا قد أخلقت وجوهنا عندك ، وعيوبنا قد سوّدتها لديك ، فبنور وجوه أوليائك نتوجّه إليك ، وبكريم مقامهم نتوسّل إليك ، في أن تعاملنا بعفوك العظيم ، وفضّلك القديم ، ولا تفضحنا على رؤوس الأشهاد ، فانّك قد أحسنت إلينا في الدّنيا إذ سترتنا عن عبادك الصّالحين ، فأدم لنا ما به سترتنا يوم القيامة عن أنظار العالمين ، وقد بلغنا عن أوليائك في تفسير جميل السّتر من صفاتك ، أنّك تستر فضائح أعمال عبادك عنهم ، لئلاً يتنغّص عليهم التنعّم بنعمك من الخجل،بلغنا في تحقيق «كريم العفو» أنّك تعفو عن الذُّنوب وتبدّلها بأضعافها من الحسنات ، فبكرمك وعفوك نرجوك ، وبجميل سترك نؤمّلك ، وأنت عند حسن ظنِّ عبدك بك ، فلا تؤيسنا من رحمتك ، ولا تقطع رجائي من رأفتك ، وإن قلَّ حيائي منك فارحمني ، وقد لزق بقلبي داء ليس له دواء إلّا منك ، فصرت مضطرّاً إليك ، ومن يجيب المضطرَّ غيرك ، ويكشف السّوء عنه سواك ، وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين ماشاء الله لا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم ، هذا.

وللصّوم جهات أخرى يلزم رعايتها للسّالك من جهة سحوره وفطوره كمّاً وكيفاً ، إجمال ذلك أن يكون طعامه في كلا الوقتين بقد القوت خالصاً من الشّبهات ويتواضع مع ذلك عن الالتذاذ بالأطعمة اللّذيذه لله تعالى ، فلا يأكل ولا يشرب إلّا لقوّة العبادة ، ويتحرّز عن خصوص إكثار اللّحوم وتقليله عمّا ورد به الشرّع ، فانّ إكثاره يورث قساوه القلب [١] ، وتقليله يقوّي قوّة الغضب [٢] ، وحدّه الشّرعي أن لا يترك فوق ثلاثة أيّام ولا يؤكل في كلّ يوم [٣] ، ويراعي عند الأكل آدابه الّتي تقرّر في محلّه [٤] .

ثمّ إنّ هذا الّذي ذكر في الخبر في بدل الصّوم من الصدّقه التّسبيح فظاهره التّرتيب مطلقاً ولكنّ السيّد‌ﷺ جعل التّسبيح للمعسر ، والصّدقه للموسر ، فالأولى أن يراعي المعسر أيضاً الصّدقه في صورة الإمكان ، ويجمع المكثر الّذي لا يرى

---

(١) روى ابو العباس المستغفري في كتاب «طب النبي» عن رسول الله ﷺ أنه قال : «من أكل اللحم أربعين قسا قلبه» عنه البحار : ٦٢ / ١٩٤ .

(٢) روى الطبرسي في «مكارم الأخلاق» : ١٨٥ مرسلاً عن رسول الله ﷺ : «من سرّه أن يقل غضبه فليأكل لحم الدرّاج» عنه البحار : ٦٦ / ٧٥ ذيل ح ٦٩ . وروى في «طب الأئمة» : ١٣٩ عن الصادق عليه السلام أنه قال : «من ترك اللحم أربعين صباحاً ساء خلقه وفسد عقله ، ومن ساء خلقه فأذنّوا باذنه بالتثويب» عنه البحار : ٦٦ / ٧٢ ح ٦٨ .

(٣) روى البرقي في المحاسن : ٤٧٠ عن عمار الساباطي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شرى اللحم ؟ فقال : في كل ثلاث ، قلت : لنا أضياف وقوم ينزلون بنا وليس يقع منهم موقع اللحم شيء ، قال : في كلّ ثلاث ، قلت : لانجد شيئاً أحضر منه ، ولو ائتدموا بغيره لم يعدّوه شيئاً فقال في كل ثلاث» عنه البحار : ٦٦ / ٧٠ ح ٥٨ . وروى الشهيد الأوّل في الدروس : ١ / ٣٢٩ : «روي كراهة إدمان اللحوم ، وأنّ له ضراوة كضراوة الخمر ، وكراهة تركه أربعين يوماً ، وأنّه يستحب في كل ثلاثة أيام ، ويكره أكله في اليوم مرتين» عنه البحار : ٦٦ / ٧٠ .

(٤) راجع بحار الأنوار : ٦٦ / ٥٦ ، الباب ٧ ، فضل اللحم والشحم وذم من ترك اللحم أربعين يوماً .

هذه الصّدقات في ماله معها التّسبيح.

وأمّا صلاة سلمان، روى السيّد تِتِّئِّ في **«الإقبال»** باسناده إلى الشّيخ في المصباح فقال: وروى سلمان الفارسي قال: دخلت على رسول الله صَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِه في آخر يوم من جمادي الأخرى في وقت لم أدخل عليه في ذلك الوقت قبله، قال: ياسلمان أنت منّا أهل البيت أفلا أحدّثك؟ قلت: بلى فداك أبي وأمّي يارسول الله صَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِه قال: ياسلمان ما من مؤمن ومؤمنة صلّى في هذا الشّهر ثلاثين ركعة - وهو شهر رجب - يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة و**﴿قل هو الله أحد﴾** ثلاث مرّات و**﴿قل يا أيّها الكافرون﴾** ثلاث مرّات إلّا محا الله تعالى عنه كلَّ ذنب عمله في صغره وكبره وأعطاه الله سبحانه من الأجر كمن صام هذا الشّهر كلّه، وكتب عند الله من المصلّين إلى السنة المقبلة، ورفع له في كلّ يوم عمل شهيد من شهداء بدر، وكتب له بكلّ يوم يصوم منه عبادة سنة، ورفع له ألف درجة، فإن صام الشّهر كلّه أنجاه الله من النّار، وأوجب له الجنّة، ياسلمان أخبرني بذلك جبرئيل وقال: يامحمّد هذه علامة بينكم وبين المنافقين لأنَّ المنافقين لا يصلّون ذلك.

قال سلمان: فقلت: يارسول الله أخبرني كيف أصلّي هذه الثلاثين ركعة ومتى أصلّيها؟ قال: ياسلمان تصلّي في أوّله عشر ركعات تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة واحده، و**﴿قل هو الله أحد﴾** ثلاث مرّات، و**﴿قل يا أيّها الكافرون﴾** ثلاث مرّات، وإذا سلّمت رفعت يديك وقلت: **«لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير، اللّهمَّ لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدُّ»**

ثمَّ امسح بهما وجهك [١] وتمام الرّواية في وسط الشّهر وآخره.

أقول : للمصدّق بالإسلام والمؤمن بالنبيّ الصّادق لابدَّ أن يشتاق بالعمل بمثال هذه العبادات الّتي كشفت أخبار الرّسالة فيها عن هذه المثوبات الجـزيلة الّتي يبهر العقول ، ولا يناقش في عدم صحّة الاسناد لوجهين:

أحدهما: أنَّ الأمر إذا صار بهذا الخطر والعظمة ، إنّما يكفي فيه الاحتمال عند العقول ، والحال أنَّ هذه الأخبار مظنون الصّدور.

والثّاني : ما وردت في أخبار كثيرة موثّقة أنَّ من سمع شيئاً من الثواب على عمل فعمله التماس ذلك الثواب أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كما سمعه [٢]. فهذه الأخبار المعتبرة قطع الأعذار من جهة إسناد الأخبار.

واجتهد أيّها العاقل فانَّ العقلاء لا يكسلون عن تحصيل الفوائـد الجـليلة وقدَّامك يوم عظيم مهول ، عظيم الأخطار ، كثير الأهوال ، وأحوج ما تكون في هذا اليوم،ما تدري لعلّك تحتاج في هذا اليوم بحسنة واحدة تـعادل بـها مـيزان حسناتك حتّى تدخل الجنّة بفضل الله تعالى ولا تجدها ، ولا يسمح بها عـليك أبوك وأمّك وأولادك الّذين فديتهم بعمرك ومالك ، بل ودينك ﴿**يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ**

(١) مصباح المتهجد : ٢ / ٨١٨ ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ١٩٨ ـ ١٩٩ ؛ عنهما الوسائل : ٨ / ٩٨ ح ١٥.

(٢) روى الكليني في الكافي : ٢ / ٧١ ح ١ باسناده إلى هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: «من سمع شيئاً من الثواب على شيءٍ فصنعه كان له وإن لم يكن كما بلغه» عنه إقبال الأعمال : ٣ / ١٧١ ؛ الوسائل : ١ / ٨٢ ح ٦.

﴿وَلاَ بَنُونَ﴾[١] هذا .

ولايذهب عليك أنَّ ذكر هذه المثوبات الواردة في الأخبار لهذه العبادات ليس كما توهّم سبباً لعدم تأتّي نيّة أهل الفضل من كونه تعالى أهلاً للعبادة أوعدم الفائدة لأهل هذه النيّة ، لأنَّ تعيّن المثوبات إنّما يكشف عن درجة محبوبيّته عند الله فيقوى نيّة العمل ولو لا لهذه المثوبات بل لكونه أحبَّ إلى الله فيكون إتيان محبوبه أيضاً لكونه أهلاً له.

ومن مهمّات الأعمال في هذا الشّهر الأذكار والدّعوات الواردة .

منها: أن يقول في تمام الشّهر ألف مرّة : «أستغفِرُ اللهَ ذا الجلال والإكرام من جميع الذّنوب والآثام روى الصدوق عليه الرّحمة أنّه من قال ذلك في رجب ألف مرّة قال الله تعالى إن لم أغفر لست بربّكم لست بربّكم لست بربّكم .

ومنها : أن يقرأ (سورة) التوحيد في تمام الشهر عشر آلاف مرّة[٢] ،

وورد أيضاً ألف مرّة وروي أنّه من قرأها ألف مرّة جاء يوم القيامة بعمل ألف نبيّ وألف ملك ، ولم يكن أحد أقرب إلى الله منه إلاّ من زاد عليه ، وإنّها لتضاعف في رجب[٣] .

وفي رواية أُخرى أنّ من قرأها في رجب مائة مرّة بني الله له اثنتي عشر قصراً في الجنّة مكلّلة بالدّر والياقوت ، وكتب الله (له) ألف ألف حسنة ثمّ يقول :

---

(١) الشعراء : ٨٨ .

(٢ و ٣) إقبال الأعمال : ٣ / ٢١٧ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرسلاً .

اذهبوا بعبدي فأروه ما أعددت له فيأتيه عشرة آلاف قهرمان ، وهم الّذين وكّلوا بمساكنه في الجنّة فيفتحون له ألف ألف قصر من درّ ، وألف ألف قصر من ياقوت أحمر كلّها مكلّلة بالدرّ والياقوت والحليّ والحلل ، ما يعجز عنه الواصفون ، ولا يحيط بها إلاّ الله تعالى ، فإذا رآها دهش وقال : هذا لمن من الأنبياء ؟ فيقال هذا لك بقراءتك ﴿قل هو الله أحد﴾ [(١)] .

ومنها : أن يهلّل فيه كلّه ألف مرّة ، وورد أنّه من قال ذلك كتب الله له مائة ألف حسنة ، بنى له مائة قصر في الجنّة .

ومنها : أن يقول فيه كلّه ألف مرّة «**لا إله إلّا الله**» روي أنّه من قاله فيه كتب الله له [مائة] ألف حسنة وبنى له [مائة] مدينة في الجنّة [(٢)] .

ومنها : أن يقول فيه كلّه مائة مرّة : «**أستغِفرُ اللهَ الّذِي لا إلهَ إلّا هُوَ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وأتوبُ إليه** ». و(إذا) ختمها بالصدقة ختم الله له بالرحمة والمغفرة ، ومن قالها أربعمائة مرّة كتب الله له أجر مائة شهيد [(٣)] .

ومنها : أن يجعل ذكر سجوده في الشهر كلّه : «**عَظُمَ الذّنْبُ مِن عَبْدِكَ ، فَلْيَحْسُنِ العَفْوُ مِن عِندك**» تأسّياً لعليّ بن الحسين عليهما السلام [(٤)] .

ومنها : أن يقول في الصّباح والمساء وفي دبر كلّ صلاة : «**يا مَنْ أرجُوهُ لِكُلِّ خَيْرٍ وآمَنُ سَخَطَهُ عِندَ كُلِّ شَرّ ، يامَن يُعطي الكثِيرَ بالقَلِيلِ ، يامَنْ يُعطِي مَن سَألَهُ يا**

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ٢١٧ عن رسول الله صلى الله عليه وآله مرسلاً .
(٢ و ٣) إقبال الأعمال : ٣ / ٢١٦ عن رسول الله صلى الله عليه وآله مرسلاً .
(٤) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٠١ ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٢١٨ .

مَنْ يُعطِي مَنْ لَمْ يَسْأَلْهُ ومَن لَمْ يَعْرِفْهُ تَحَنُّناً مِنهُ ورَحْمَةَ أعطِنِي بـِمَسْأَلَتِي إيّـاكَ جَمِيعَ خَيرِ الدُّنيا وجَمِيعَ خَيرِ الآخِرَةِ ، واصرِف عَنّي بِمَسْألتِي إيّاكَ جَمِيعَ شَـرِّ الدُّنيا وشَرِّ الآخِرَة ، فإنّهُ غير منقُوصٍ ما أعطَيْتَ وزِدنِي مِن فَضْلِكَ يا كَرِيم» ثـمَّ يقبض لحيته بيده اليسرى ويلوي بسبّابته اليمنى ويبكي ثمَّ يقول :

«ياذا الجَلالِ والإكرامِ ، يا ذَا النّعْماءِ والجُودِ ، يا ذَا المَنِّ والطّوْلِ حَرِّمْ شَيْبَتِي على النار» [١] .

أقول : لا تغفل أنّك تقول في أوّل هذا الدّعاء إنّك ترجو الله لكلّ خير ، وتأمن سخطه عند كلّ شرّ ، ومن بعض هذا السخط مكر الله ، والحال أنَّ الأمن من مكر الله من المعاصي الكبيرة ، فليكن قصدك من هذه العبارة بشرط التّوبة فكأنّك تقول:امن جعل لعباده طريقاً إذا سلكوه أمنوا من سخطه ، وهو التّوبة ، وهذا ليس أمناً فعليّاً من مكر الله وكذا قولك : «أرجوه لكلّ خير» فكأنّك تقول : يامن جعل لعباده طريقاً إذا سلكوه وفتح لهم باباً إذا دخلوا منه نالوا به لكلّ خير يريدونه وهو الدّعاء.

ثمَّ إنّك لو تدبّرت في قولك : أعطني جميع خير الدّنيا وجميع خير الآخرة ، بتكرار لفظ الجميع في المعطوف وفي قولك : واصرف عنّي جميع شرّ الدُّنيا وشرّ الآخرة ، بلا إعادة لفظ الجميع لعلّك تتفطّن أنّ في تغيير الأُسلوب إشارة إلى أنَّ الشرَّ عبارة عن أمر عدميّ ، وهو البعد عن رحمة الله ، والحرمان عن روح الله، لكنَّ

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ٢١١ بأسناده عن محمد السجّاد عن الامام الصادق عليه السلام ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٩١ ضمن ح ١.

الخير من جهة كونه أمراً وجودياً فكأنّه أنواع لا نهاية لعددها ، وأمّا ذكر لفظ الجميع في شرّ الدّنيا فكأنّه أيضاً لأجل عدم انكشاف هذا المعنى في شرور الدّنيا لعامّة أهلها بخلاف الآخرة .

فإذا تقرّر ذلك فاعلم أنّك لا تنال لخير الدّعاء وإجابته كمالاً إلاّ إذا اتّصف سرُّك وروحك وقلبك بصفات الدعاء والاتّصاف بصفاته عبارة عن أن يكون المنشئ بالدّعاء سرّك وروحك وقلبك ، مثلاً إذا قلت : أرجوك لكلّ خير ، تكون راجياً لله بسرّك وروحك وقلبك ، ولكلّ منها آثار فليظهر آثاره في عملك ، فمن تحقّق الرّجاء في سرّه وحقيقته ، فكأنّه يصير رجاءً كلّه ، ومن كان ذلك في روحه فكأنّه يكون حياته بالرّجاء ، ومن كان راجياً بقلبه يكون أعماله الّتي يصدر عن قصد واختيار ملازماً للرجاء ، فاحذر أن لا يوجد في شيء من شؤونك شيء من الرّجاء.

واعتبر ذلك من أعمالك ، فانظر هل ترى في حركاتك أثر الرّجاء وهو الطلب أم لا ؟ أما سمعت قول المعصوم عليه السلام من رجا شيئاً طلبه [(١)] ، وهو كذلك لأنّك ترى في أحوال الرّاجين من أهل الدّنيا في الأمور الدنيويّة أنّهم إذا رجوا خيراً من أحد أو شيء طلبوه من هذا الشخص ومن هذا الشيء الّذي رجوه فيه بقدر رجائهم ، ألا ترى أنّ التاجر لا يفارق تجارته والصانع ملازم لصنعته ، فذلك كلّه من جهة أنّهم يرجون الخير في التجارة والصنعة ، وهكذا كلّ فرقة يطلبون ما

---

(١) الكافي : ٢ / ٦٨ بأسناده الى ابن أبي نجران ، عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام ؛ عنه البحار : ٧٠ / ٣٥٧ ضمن ح ٤ ، وفي ص ٣٩٠ ذيل ح ٥٦ عن فقه الرضا عليه السلام .

يرجونه فيما يرجونه ولا يفارقونه حتّى ينالوا به إلّا راجي الجنّة والآخرة وإلّا راجي فضل الله وكرامته غالباً ، هيهات هيهات هذه الآثار للصفات ممّا حكم به الله الحكيم ، ولا ترى تغيّراً لسنّة الله ، ولكنَّ التخلّف في اشتباه الدَّعوى بالحقيقة وإلّا فلا يوجد ذرَّة من الرجاء إلّا وعنده مثله من الطلب وهكذا ، هذا.

وقس على الرجاء غيره من مطالب الدّعاء من التّسبيح ، والتّهليل ، والتحميد والتضرّع والاستكانة ، والخوف ، والاستغفار ، والتوبة ، فإنَّ كلَّ ذلك لها حقائق ودعاوي ، فالأثر للحقيقة ، ولا خلف ، مثلاً إذا كنت بسرّك وروحك وقلبك منزِّهاً لله تعالى عن النقائص ، فكيف لا تأمن وعده في أمر رزقك وقد ضمن لك ، وإذا كنت منزِّها له من أن يكون له شريك في ملكه ، فكيف تخاف غيره في طاعته ولا تخافه في طاعة الغير بمعصيته ؟ .

بل لو كنت عارفاً بحقّ المعرفة أنَّ الله يسمع دعاءك ، ويرى باطنك كما يرى ظاهرك ، وأنت بين يديه مسخّر مربوب وهو يفعل ما يشاء بك ، من ثوابك وعقابك ، ونجاتك وهلاكك ، وقبولك وردّك ، فلا أقلَّ من أن تهابه أن تشافهه في حضوره بالكذب والفرية ، والدّعاوي الباطلة ، فالمظهر لمراسم العبوديّة صورة لا باطناً إذا كان (خلوُّ) الباطن معلوماً للطرفين يسمّى مستهزئاً عند أهل العرف،لكن واقع الأمر في الأغلب ليس كذلك ، لأنّ خلوَّ الباطن عن مراسم العبوديّة وحقائقها ليس معلوماً للعبد بل هو يرى أنَّ عبادته حقيقيّة وليست بصوريّة ، وهو مغرور ، بذلك يخرج عن المستهزئين ولكنّه يدخل في **﴿الأَخْسَرِينَ أعمالاً * الّذِينَ [ضَلَّ**

سَعْيُهُمْ في الحَياةِ الدُّنيا وهُم] يَحْسَبُون أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ [(١)].

ومن جملة أدعية كلّ يوم ما رواه في «الإقبال» عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال في جواب معلّى – إذ سأله أن يعلّمه دعاءً يجمع كلّ ما أودعته الشيعة في كتبها – قل: يامعلّى : **اللّهمّ إنّي أسأْلُكَ صَبْرَ الشّاكِرِينَ لَكَ** الخ [(٢)].

ومنها : ما رواه أيضاً عن الشّيخ في أدعية كلّ يوم منه وهو : «يا من يملك حوائج السائلين» [(٣)].

ومنها : ما رواه أيضاً باسناده عمّا كتب خير [(٤)] بن عبد الله عن التوقيع المبارك :

بسم الله الرّحمن الرحيم ، ادع كلّ يوم من رجب : اللّهمّ إنّي أسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك الخ ، وهو دعاء عالية المضامين يفتح منه أبواب من العلم لأهله [(٥)].

ومن مهمّات الدعاء ، الدعاء الّذي قرأه إمامنا وسيّدنا أرواحنا وأرواح

---

(١) الكهف : ١٠٣ – ١٠٤ .

(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٢١٠ ، عنه البحار : ٩٨ / ٣٩٠ ضمن ح ١ ، رواه في مصباح المتهجد : ٢ / ٨٠١ .

(٣) مصباح المتهجد : ٨٠١ بأسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن الإمام السجاد عليه السلام ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩ ، البلد الأمين : ١٧٨ ، مصباح الكفعمي : ٥٢٧ .

(٤) في الأصل : حر ، وما أثبتناه من مصباح المتهجد وإقبال الأعمال والبحار .

(٥) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٠٣ ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٢١٤ ـ ٢١٥ ؛ والبحار : ٩٨ / ٣٩٣ ضمن ح ١ .

العالمين فداه وعليه صلوات الله في مسجد صعصعة على رواية الشيخ وهو دعاء جليل أوّله «اللّهم ياذا المنن السابغة»[(١)] .

ومنها : أيضاً دعاء رواه ابن [أبي] عيّاش على ما في «الإقبال» عن التوقيع المبارك (أوّله) : «اللّهمّ إنّي أسألك بالمولدين في رجب»[(٢)] .

ومن المهمّات في أعمال رجب زيارة الحسين عليه السلام في أوّله[(٣)] ووسطه[(٤)] .

---

(١) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٢٠ ، إقبال الأعمال : ٣ / ٢١٢ ـ ٢١٤ ؛ والبحار : ٩٨ / ٣٩٢ ضمن ح ١ .

(٢) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٠٥ ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٢١٥ ـ ٢١٦ ؛ والبحار : ٩٨ / ٣٩٤ ضمن ح ١ .

(٣) إقبال الأعمال : ٣ / ٣٤١ ـ ٣٤٧ ؛ عنه البحار : ١٠١ / ٣٣٦ ـ ٣٤٢ ح ١ ؛ ورواه في مصباح الزائر : ١٥٤ ـ ١٥٨ .

وقد ورد في فضل هذه الزيارة الشيء الكثير ، منها : ما رواه السيد في الأقبال : ٣ / ٢١٩ بأسناده إلى بشير الدهان عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : «من زار الحسين بن علي عليهما السلام أول من رجب غفر اللّه له البتّة» عنه الوسائل : ١٤ / ٤٦٥ ح ١. ورواه في مصباح الكفعمي : ٥٢٤ عن مصباح الزائر : ١٥٤ . وفي التهذيب : ٦ / ٤٨ ح ١٠٧ مثله ؛ مسار الشيعة : ٧٠ مرسلاً .

(٤) قال السيد ابن طاووس في الإقبال : ٣ / ٢٣٧ : «وأمّا ما يزار به الحسين صلوات اللّه عليه في هذا النصف من رجب المشار إليه ، فإنّني لم أقف على لفظ متعيّن له إلى الآن ، فيزار بالزيارة المختصّة بشهر رجب » . وللاطّلاع على هذه الزيارة ولفظها راجع مصباح المتهجّد : ٢ / ٨٢١ عنه الإقبال : ٣ / ١٨٣ وأمّا فضلها فقد روى ابن قولويه في «كامل الزيارات» : ١٨٢ بأسناده إلى أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام : في أي شهر نزور الحسين عليه السلام ؟ قال : في النصف من رجب والنصف من شعبان» عنه البحار : ١٠١ / ٩٦ ح ١٤ و ١٥ و ١٦ وعن مصباح المتهجد: ٥٦١ ، مزار المفيد: ٤٠ ح ١، واخرجه في التهذيب : ٦ / ٤٨ ح ٢٣ عن ابن قولويه. قال السيد في الإقبال : ٣ / ٢٣٧ : «وحسبك تنبيهاً على تعظيم زيارة النصف من رجب أنّها تضاف إلى زيارة النصف من شعبان ، وسيأتي في ثواب زيارة النصف من شعبان ما يدلّك على أن زيارة النصف من رجب على غاية من علوّ الشأن» .

وأمّا الصلوات الواردة في لياليها ، الأولى أن لا يترك رأساً فيصلّي الصلوات الخفيفة الّتي لا تستغرق وقته ، فيمنعه عن سائر أوراده من العلم والعمل ، ويعمل السالك بهذا المنوال إلى (ال) أيّام البيض ، فيزيد في لياليها على قدر إقباله ونشاطه.

وإن صلّى فيها الصلاة الّتي رواه في «الإقبال» باسناده عن أحمد بن أبي العيناء ، عن الصادق عليه‌السلام ب﴿يسٓ﴾ وتبارك ، ﴿وقل هو الله أحد﴾ ، ففيه فضل مرويٌّ [(١)].

وإن اقتصر على بعض الصلوات المختصرة المرويّة في اللّيلتين وصلّى في الخامسة عشر ما رواه في «الإقبال» بأسناده إلى الشيخ وهو بأسناده إلى داود بن سرحان عن الصادق عليه‌السلام قال : تصلّي ليلة النّصف من رجب اثنتي عشرة ركعة ، تقرأ في كلّ ركعة : الحمد وسورة ، فإذا فرغت من الصلاة قرأت بعد ذلك : الحمد ، المعوّذتين ، وسورة الإخلاص وآية الكرسي أربع مرّات وتقول بعد ذلك :

«**سُبحانَ اللهِ والحَمدُ لله ولا إلهَ إلّاالله واللهُ أكبرَ**» أربع مرّات ثمّ تقول : «**اللهُ اللهُ رَبّي ولا أُشرِكُ بِهِ شَيئاً ما شاءَ اللهُ ولا قوّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيّ العَظِيم**» [(٢)] وإذا ساعده التوفيق يزيد لا محالة في اللّيلتين مقدار ورده من قيام اللّيل وصيام الأيّام الثلاثة وإحياء ليلة النصف على ما وصفناه في إحياء اللّيلة الأولى على جهة المراقبة.

ويعرف تعظيم اليوم الثالث عشر من جهة أنّه يوم ولادة خاتم الأولياء ، وسيّد الأوصياء ، أخ الرسول ، وزوج البتول ، وسيف الله المسلول ، أمير المؤمنين

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٣٠ ، عنه الوسائل : ٨ / ٢٥ ح ١ .
(٢) مصباح المتهجد : ٧٤٢ ؛ عنه الإقبال : ٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ؛ والوسائل : ٨ / ٩٧ ح ١٣ .

عليه الصلاة والسّلام [١] ، فانَّ لهذا اليوم في حكم العقل لشأناً من الشّأن ،يقصر عنه البيان والتقرير ويكلّ عنه اللسان والتحرير ، فانَّ حقَّ الأوقات والأيّام وشؤونها إنّما تتقدَّر بقدر ما يظهر فيها من ألطاف الله جلّ جلاله ، فانَّ ما ظهر في هذا اليوم ونزل على وجه الأرض من نور ولاية خاتم الأولياء الّذي هو شرط الإيمان وركنه، بل روحه ونفسه ، والّذيهو كالجزء الأخير للعلّة التامّة من الإيمان والاسلام نعمة لا يقدَّر قدرها بهذه العقول لأنّها لا تحيط بما أعدَّ الله لأهل الولاية والإيمان من النور والكرامة ، ودرجات القرب في دار المقامة ، وبهجات لذّة اللقاء ، ومجاورة أهل الملاء الأعلى ، وجملة نعيم دار البقاء ، وكلّها مترتّبة على أصل الإيمان وهو ركنه الأعظم.

وأيضاً لو لم يكن سيف أمير المؤمنين وقد نصر الله الإسلام بسيفه لأباد أهل الكفر المسلمين وما قام للإسلام من دعامة ، فاذكر ما فعل يوم بدر وحنين، وتفكّر في قول الرسول الصادق الأمين في يوم الخندق [٢] حيث قال : «برز الإسلام كلّه إلى الكفر كلّه» [٣] وبالجملة فضائل أمير المؤمنين أخفاها الوليّ تقيّة والعدّو ضنّة ، فمع ذلك انتشر منه ما ملأ الخافقين.

وهو النبأ العظيم ، والصراط المستقيم ، والقرآن الكريم .

وهو إمام المسلمين وأمير المؤمنين ، ووصيُّ رسول ربّ العالمين ، وقائد

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٣١ .

(٢) في الأصل : خيبر ، وما أثبتناه هو الصحيح .

(٣) الطرائف : ١٦ عن أبو هلال العسكري ؛ عنه البحار : ٣٩ / ١ ح ١ .

الغرّ المحجّلين ، ونور الله المبين ، وباب حطّة ربّ العالمين ، وجنب الله في خلقه، ووجهه في أوليائه أجمعين.

وهو العلم العلّام ، والبحر القمقام ، وكاسر الأصنام ، وفلّاق الهامّ ، ونور الله التامّ.هو مبيد الكفّار ، وقاصم الفجّار ، ومعدن الأسرار ، ونور الأنوار ، والمولود في البيت ذي الأستار .

وهو الأصل القديم ، والفرع الكريم ، والإمام الحليم .

وهو حبل الله المتين وجنبه المكين ، وقيّم الدّين .

وهو صاحب الدّلالات ، والآيات الباهرات ، والمعجزات القاهرات الزاهرات ، والمنجي من الهلكات الّذي ذكره الله في محكم الآيات فقال تعالى : ﴿وإنّهُ في أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيم﴾[1] .

وهو صنو الرسول ، وزوج البتول ، وسيف الله المسلول .

وهو عين الله الناظرة ويده الباسطة ، وأذنه الواعية .

وهو المعصوم من الزلل ، والمهذّب من الخلل،المطّهر من العيب ، والمهذّب من الرّيب . أخو النبيّ ﷺ ووصيّه ، والبائت على فراشه والمواسي له بنفسه ، وكاشف الكرب عن وجهه.

الّذي جعله الله سيفاً لنبوتّه ، وآيةً لرسالته ، وشاهداً على أمّته ، وحاملاً

(١) الزخرف : ٤ .

لرايته، وقايةً لمهجته ، ويداً لبأسه ، وتاجاً لرأسه ، وباباً لسرّه ، ومفتاحاً لظفره.

وهو اسم الله الأعظم ، والقرآن الأكرم ، والبيت الحرام ، وصفا وزمزم ، وصاحب العصا والميسم .

وهو مظهر العجائب ، ومظهر الغرائب ، والشهاب الثاقب ، ومفرّق الكتائب ، ونقطة دائرة المطالب.

وهو أبو الأئمة ، ومحيي السنّة ، وكاشف الغمّة ، وسيّد الأمّة ، وسنّي الهمّة .

وهو صاحب الاجتباء ، والمخصوص بالإخاء ، وخامس أصحاب الكساء ، وحامل اللّواء والنقطة تحت الباء ، وصاحب الأنبياء .

وهو معلّم جبرائيل ، وأمير ميكائيل ، حاكم عزرائيل .

وهو قاسم طوبى وسقر ، وأبو شبير وشبّر .

وهو سيّد البشر ، ومن أبى فقد كفر[1] .

وهو ملاذ اللائذين ، وغياث المضطرّين ، والحاكم يوم الدّين ، وحبيب إله العالمين ، وحجّة الله على الأوّلين والآخرين ، وحياة العالمين ، وضياء العالمين أمير المؤمنين .

وهو سرُّ الأسرار ، ونور الأنوار ، وإمام الأطهار ، ووليُّ الجبّار ، نعمة الله على الأبرار ، ونقمته على الفجّار .

---

(١) روى الصدوق في أماليه : ٤٧ بأسناده الى حذيفة ، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : «علي ابن أبي طالب خير البشر ومن أبى فقد كفر» عنه البحار : ٣٨ / ٦ ح ٩ ، وروى مثله عن جابر بن عبد الله ؛ عنه البحار : ٣٨ / ٦ ح ١٠ .

وهو جنب الله العليّ ، ووجهه المضيء ونفسه الوفيّ،الإمام أبـو الحسـن عليّ[١] .

فلأوليائه أن يعتقدوا ليوم ولادته كـلَّ شـرف ، ويـجعلوه العيد الأكـبر ، ويشكروا الله جلَّ جلاله شكراً لم يشكر مثله أحد من الأمم الماضية ، والقـرون السالفة ، لأنَّ مثل هذه النعمة لم تنزل إليهم قطُّ ، ولشيعته أن يستقبلوا هذا اليوم بشكر (ليس) دونه شكر لأنّه أتى بنعمة صغر عندها كلُّ النعم.

اعلم أنَّ الإنسان إذا عزل العقل عن الحكم ، فلا حكم لشيء ، ولاترجيح ولا تكليف فأمره أمر البهائم يأكل ويتمتّع ويروث ويبول ، حتّى يأتيه الموت ، وأمّا إذا جعل العقل حاكماً في حركاته وسكناته فله بالنسبة إلى كلّ ما في الوجود حكم فعليٌّ أو تقديريّ بلا حيف ولا ميل ، ولا تعطيل في حكمه مقدار ذرَّة ، كلّ ما ناله فهمه فله فيه حكم ، وكلّ ما لم يحط به أيضاً له حكم من هذه الجهة.

فإذا عقل العاقل أنَّ سيّداً من أولياء الله قد صار سبباً لنـجاته مـن عـذاب وعقوبة مّا،له حكم بوجوب شكره بقدر هذه الفائدة.

فكيف إذا قطع بأنَّ أمر العالم قبل بعثة النبيّ صلى الله عليه وآله قد انجرَّ إلى أن انطمست أنوار الهداية في بحر الضلالة ، وكسفت شموس الدّين في ظـلمات الغـوايـة ،

---

(١) راجع كشف الغمة : ١ / ٩٣ - ٩٩ ، باب في ذكر ألقابه ، والبحار : ٣٥ / ٤٥ ـ ٦٧ باب في أسمائه عليه السلام ؛ وج : ٣٩ / ١٩٣ ـ ٢١٩ ، باب أنه قسيم الجنة والنار وساقي الحوض وحامل اللواء ؛ وص ٣٣٥ - ٣٥٣ ، باب ما بين مـن مـناقبه القـدسية ، فـقد وردت هـذه الأسماء والالقاب التي ذكرها المصنّف - قدّس سره - مع تفصيل وتوضيح .

وانخسفت أقمار الأديان في تيه الغماية ، وكسدت أسواق العلوم ، وفسد مزاج الحلوم ، حتّى أقاموا سوقاً يفتخر أشرافهم فيه بصفات البهائم ، وعدُّوا الكذب والدعاوي الباطلة من العظائم.

وانتهت أمر العالمين إلى أن خرطوا أخشاباً ، وصنعوا أحجاراً ، فعبدوها وجعلوها بمنزلة ربّ العالمين ، وخالق المخلوقين ، وسجدوا لها سجود العبادة ، ووضعوا لها مناسك عن وجه البلادة ، واستحقّوا بذلك هلاك الأبد وعذاب الخلد وشارفوا بكفرهم نار الجحيم ، والعذاب الأليم ، واستثاروا بالزّيغ والأهواء غضب الرّحمن ، وسجّروا بظلمهم وعميهم لظى النيران ، وكم من نار أوقدوها لقبورهم ؟ وكم من ظلمة بدَّلوها من نورهم ؟ وكم من ظُلَم سنّوها من جهلهم ، وأذيّة ابتلوا بها من حمقهم؟ .

قد خرَّبوا بظلمهم البلاد ، وهلكوا العباد ، واتّبعوا الشهوات ، وضيّعوا الصّلوات ، أنكروا القربات ، ودفنوا البنات ، وهجروا الصلوات ، ونازعوا مالك المحيا والممات ، وخالفوا النبوّات ، واستحقّوا بذلك أسوأ الهلكات المرديات.

فبعث الله جلَّ جلاله رسوله صلى الله عليه وآله علماً للهداية ، وأنزل عليه الكتاب ، فدفع به الجهالات ، ونشر به الهدايات ، وأكمل به الكمالات ، وأحيا به الصلوات ، وقمع به الضلالات ، فجمع به الحلوم ، وأكمل به العلوم ، وأتمَّ به النور ، حتّى أورى قبس القابس ، فأضاء به الطريق ، وسلك به السبيل ، قد جاء من الله بنور وكتاب مبين ﴿**يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ**

بإذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[١] .

فشرع شريعة كاملة ، وأتى بحكمة بالغة ، حتّى بيّن لجميع حركات الإنسان وكلّ سكناته أحكاماً خاصّة روعي فيها أنواع الحكم والمصالح ، وأوضح لأُمّته كلّ ما يقرّبهم من الله والجنّة ، ويبعّدهم من النار ، حتّى أرش الخدش ، ولم يترك شيئاً من الأشياء ، ولا حالاً من الحالات ، كليّةً أو جزئيّة ، شريفةً أو وضيعة ، كبيرةً أو صغيرة ، إلّا ووضع لها أحكاماً مطابقة لحكم الله الحكيم تعالى لها ، بما اقتضته حكمته البالغة الّتي لا يبلغ كنهها عقول العقلاء ، وأوهام الحكماء ، حتّى جاء بشريعة تامّة ، كاملة جامعة لحكم الظاهر والباطن ، وسياسة الدّين والدّنيا[٢] .

حتى بيّن لأخسّ حالات الإنسان ، وهو حال تخلّيه أحكاماً ومصالح ، وسبراً وأذكاراً ، ودعوات يحار فيه اللّبيب ، ويبهر منه العقول ، ولم يسوّ بين الدُّخول على المستراح في تقديم الرِّجل ، وبين الخروج إلّا حكم في الدخول بتقديم اليسرى لأنّه دخول على ما يناسب اليسرى ، وفي الخروج بتقديم اليمنى لأنّه خروج من الأخسّ وهو يناسب الأيمن[٣] .

وبالجملة انتشر في زمانه وزمن أوصيائه من العلوم ما يملأُ الخافقين ، من علم الفقه ، وعلم الأخلاق والمعارف ، وأكمل الحكمة في اُمّته في زمان قليل بما لم يبلغه حكمة القدماء في أزمنتهم الطويلة.

---

(١) المائدة : ١٦ .

(٢) روى الكليني في الكافي : ١ / ٥٩ ح ٤ بأسناده إلى حمّاد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : «ما من شيءٍ إلّا وفيه كتاب أوسنّة» .

(٣) راجع بحار الأنوار : ٨٠ / ١٨٠ ح ٢٩ عن مصباح الشيخ : ٥ ـ ٦ ، آداب التخلّي .

وبالجملة جاء بشريعة وحكمة ونور يوصل بها العالمين في مدَّة أعمالهم[١] القصيرة إلى أقصى درجات الكمال ، وأبهى بهجات الوصال ، من الله ذي الجلال.

وبالجملة إذا عرف الإنسان من عظمة مقدار نعمة البعثة ما عرفت وإن كان لا يبلغ ما ذكرناه قطرة من (بحار) حقائقها وعلم أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان لرسول الله صلى الله عليه وآله أخاً ووزيراً بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعده[٢] ، وكان باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله[٣] ، وكان أمر الإسلام قائماً بسيفه ، وأمر الهداية دائراً

---

(١) في مدة أعمارهم، ظ.

(٢) روى الأربلي في كشف الغمة : ٩٦ ـ ٩٧ بأسناده إلى زيد بن أبي أوفى قال : «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله – فذكر قصة مؤاخاة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : – قال علي عليه السلام : لقد ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري ، فإن كان هذا من سخط عليّ فلك العتبى والكرامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق مااخترتك إلّا لنفسي ، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووزيري ووارثي ... » عنه البحار : ٣٨ / ٣٤٢ ح ١٨ . إنّ حديث المنزلة من الأحاديث المتواترة بين الفريقين ، رواه الخاص والعام ، الموالف والمخالف . أما من علماء العامة فقد ذكره نخبة نشير إليهم :
فقد رواه في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق في باب مناقب علي بن أبي طالب وفي باب غزوة تبوك ؛ وابن ماجة في سننه : ١٢ ؛ وأحمد في مسنده : ١ / ١٧٤ و ١٨٢ ؛ وأبو داود في مسنده : ١ / ٢٨ ـ ٢٩ ؛ وابو نعيم في حليته : ٧ / ١٩٤ ـ ١٩٦ ؛ والنسائي في خصائصه : ١٥ ـ ١٦ ، ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة ، في باب فضائل علي بن أبي طالب ؛ وفي سنن الترمذي : ٢ / ٣٠١ . ومن أراد التفصيل فليراجع «فضائل الخمسة من الصحاح الستة» : ١ / ٣٤٧ ، باب قول النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى .
أما ما رواه الخاصة فإنه من الكثرة بحيث لايخلو مصدر من مصادرهم الموثوقة من ذكره وقد عقد في البحار باباً خاصاً له ، راجع بحار الأنوار : ٣٧ / ٢٥٤ ـ ٢٨٩ الباب ٥٣ .

(٣) روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢٢٥ ؛ بأسناده إلى التميمي ، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : «أنا مدينة العلم وعلي بابها» عنه البحار : ٤٠ / ٢٠١ ح ٤ وهو أيضاً من الأحاديث المتواترة بين الفريقين وقد عقد له في البحار باباً خاصاً فراجع ج ٤٠ / ٢٠٠ ، باب ٩٤ . أمّا في كتب العامة فقد ورد في الكتب التالية : =

بتعليمه ، جعله الله بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه وآله في كتابه [(١)] ، وجعل ولايته ركناً للاسلام،شرطاً في الإيمان ، يعرف بذلك نبذة من عظمة شأن هذا اليوم ، ويشمُّ رائحة من علوّ مقامه ، فبقدر معرفة النعمة يجب شكرها ، ومن شكرها تعظيم اليوم بالقلب والرّوح ، ومن عظم في نفسه مكانة زمان ، أو شرافة مكان ، فلابدَّ أن يعامله معاملة بقدر شرفه ، وأوَّل ذلك أن لا يضيّعه ولايتركه معطّلاً ، بل يصرفه بكلّ ما يعتقد شرفه ، ولا شرف فوق شرف الإخلاص لله تعالى في العبادة من الصوم والصلاة والانفاق في سبيل الله ، وتعظيم حرمات الله ، وتكريم شعائر الله ،

=مستدرك الصحيحين : ٣ / ١٢٦ ـ ١٢٧ ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه : ٤ / ٣٤٨ وج ٧ / ١٧٢ بطريق آخر ، وبطريق ثالث في ج ١١ / ٤٨ ورواه أبن الأثير في أسد الغابة : ٤ / ٢٢ ؛ وأبن حجر في تهذيب التهذيب : ٦ / ٣٢٠ وج ٧ / ٤٢٧ ، والمتقي الهندي في كنز العمال : ٦ / ١٥٢ ؛ والمناوي في فيض القدير : ٣ / ٤٦ ، وغيرها . راجع «فضائل الخمسة من الصحاح الستة» : ١ / ٢٨١ ، باب في قوله صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعلي بابها.

(١) إشارة إلى آية المباهلة : ﴿**فَمَن حاجَّكَ فيهِ مِن بَعدَ ما جاءَكَ مِن العلم فَقُل تَعالوا نَدعوا أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ (آل عمران : ٦١).

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فكانا ابنيه ، ودعا فاطمة عليها السلام فكانت في هذا الموضوع نساءهُ ، ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله عزّ وجل . (الفصول المختارة : ١ / ٦١ - ١٧).

وهو حديث متفق عليه بين الفريقين وقد روي بطرق مختلفة :

أما ما كتب العامة فقد رواه مسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة في باب فضائل علي ابن أبي طالب : ٧ / ١٢٠ و ١٢١ ، والترمذي في سننه : ٢ / ١٦٦ ؛والزمخشري في الكشّاف في ذيل تفسير آية المباهلة (٦١) في سورة آل عمران ، والشبلنجي في نور الأبصار : ١٠٠ ورواه ابن جرير الطبري في تفسيره : ٣ / ٢١٢ ـ ٢١٣ والدر المنثور : في تفسير آية المباهلة والواقدي في أسباب النزول : ٧٥ وابن حجر في الصواعق المحرقة : ٩٣ .

أمّا من كتب الشيعة فهي أكثر من أن تحصى ، فمن أراد المزيد فليراجع البحار : ٣٥ / ٢٥٧ ، باب ٧ آية الباهلة .

والتزيّن بالذّكر والفكر في الباطن، والفرح والسرور في البشرة، واللباس النظيف في الملبس.

وزيارته عليه السلام والتهنئة لرسول الله صلى الله عليه وآله وللأئمة عموماً ولصاحب الزمان أرواحنا وأرواح العالمين فداه خصوصاً وذكر شمة من فضائله ويختم يومه بما مرَّ من ختم الأيّام الشريفة بتسليم الأعمال على الحماة والخفراء حتّى يصلحوها.

ثمَّ من الأهمّ أن يصلّي صلاة سلمان المحمّدي صلى الله عليه وآله حصته يوم النصف في الخامس عشر، وهو أيضاً عشر ركعات على ما صلّى في اليوم الأوّل إلاّ أنّه يرفع يديه ويدعو بين الركعتين بدل ما ذكرناه في اليوم الأوّل: «**لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلهُ الحَمدُ يُحيي ويُميتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بَيدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ إلهاً واحداً أحداً فَرداً صَمَداً لَمْ يَتّخِذ صاحِبَةً ولا ولداً**» ثمَّ يمسح بهما وجهه[(١)].

واعلم أنَّ هذا اليوم من الأوقات الشريفة المخصوصة روى سيّدنا في «الإقبال» باسناده إلى ابن عباس[(٢)] قال: قال آدم: يارَبِّ أخبرني بأحبِّ الأيّام إليك وأحبِّ الأوقات؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: يا آدم أحبُّ الأوقات إليَّ يوم النصف من رجب، يا آدم تقرَّب إليَّ يوم النصف بقربان، وضيافة وصيام، ودعاء واستغفار، قول لا إله إلاّ الله، يا آدم إنّي قضيت فيما قضيت، وسطرت فيما

---

(١) مصباح المتهجد: ٢ / ٨١٤؛ عنه إقبال الأعمال: ٣ / ٢٣٧؛ والوسائل: ٨ / ٩٧ ح ١٥.

(٢) في الأصل: ابن عياش، وفي المطبوع: ابن [أبي] عياش، الظاهر أنه تصحيف، وما أثبتناه من المصدر بطبعتيه الحجرية والحديثة.

سطرت ، إلى باعث من ولدك ، لا فظّ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق ، حليم رحيم ، كريم عليم عظيم البركة أخصّه وأُمّته بيوم النصف من رجب لا يسألوني فيه شيئاً إلاّ أعطيتهم ، ولا يستغفروني إلاّ غفرت لهم ، ولا يسترزقوني إلاّ رزقتهم ، ولا يستقيلوني إلاّ أقلتهم ، ولا يسترحموني إلاّ رحمتهم ، يا آدم من أصبح يوم النصف من رجب صائماً ذاكراً ، خاشعاً ، حافظاً لفرجه ، متصدّقاً من ماله ، لم يكن له عندي جزاءٌ إلّا الجنّة ، يا آدم قل لولدك أن يحفظوا أنفسهم في رجب فانَّ الخطيئة فيه عظيمة [(١)] .

أقول : ليس للعاقل - بعد ما عرفت أنَّ اليوم بهذه المكانة عند الله - إلّا أن يرحم نفسه ألّا يفوّت مثل هذا السبب القويّ في استعلاج حالاته السالفة ، وتقصيراته الماضية ، ويستصلح في يوم واحد ما قدَّم وأخّر من عمره ، ويخاطب نفسه مخاطبة الأخ الشفيق ويقول : أفما تتفكّر فيما أتاك من هذه النصيحة الإلهيّة الّتي إن تعرَّضت لها أنجاك من نار الجحيم ، والعذاب الأليم ، وأخرجك من الظلمات إلى النور ، ألا فقد ناداك الجليل إلى مجلس الرّحمة والأمان ، وموهبة الملك والسلطان وعطاء الخلع والهدايا ، وصكك الفضل والمزايا ، وأحضرك إلى مجلس أوليائه وأحبّائه ، وندبك لرفاقة أصفيائه وأهل اجتبائه ، وقد صرَّح في مواعيده أن يغفر لك بالاستغفار فلا تقصّر فيه ، واجتهد في صدق حال الاستغفار ، واحذر أن تبدّله منه بالاستهزاء ، ووعدك من الدعاء بالإجابة فحصّل لنفسك حال الدُّعاء ، فانّه حال سنيٌّ ، لا يشتبه على العاقل بقراءة ألفاظ الدعاء.

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٣٥ - ٢٣٦ .

والأهمُّ في الدعاء أن يعرف المدعوَّ ، ويرجو إجابته ، والأغلب [من الناس] في معرفة الله مبتل بالتنزيه الصرف الملازم للإبطال ، وبعض أيضاً يتخيّلون شيئاً مجوّفاً محيطاً فوق الأفلاك ينادون إلهاً بعيداً في جهة الفوق ، أو يزعمون العالم وأنفسهم صمداً قائماً بنفسه.

وبالجملة الأهمُّ في الدعاء استكمال شرائطه ، وهو أن يعرف الله تعالى معرفة إجماليّة لائقة بشأن الداعي لا محالة ، ويدعوه عن حضور بل ويرى أنَّ دعاءه أيضاً منه برز إليه ويظنَّ حسن عنايته ، ويرجو إجابته إن كان صلاحاً.

ويذكر في أوّل دعائه من أسماء الله الجماليّة ، أو مناسباً لدعائه ، ويمجّد الله تعالى ويثني عليه ويعقّبه بـ«يا أرحم الرّاحمين» سبع مرّات ويعترف بذنوبه وعيوبه وعدم استحقاقه للإذن في الدعاء وللإجابة ثمَّ يصلّي على النبيّ وآله ﷺ ، ويتوسّل بهم ، يقسم على الله تعالى بحقّهم ، في إجابته ، والأولى أن لا يذكر مطلوبه مستقلاً بل يجعله شرطاً وقيداً وصفة - للصلوات عليهم -كأن يقول: صلّ عليهم صلاة تغفر بها ذنوبي.

ثمَّ يختمه أيضاً بصلوات ، وبقوله : ما شاء الله لا قوّة إلاّ بالله ، ويبكي عند دعائه ولو مثل رأس الذباب ، ويكرّر هذا التفصيل لا محالة أربع مرّات فإنَّ الله يحبُّ السائل اللّجوج ، وله شرائط غيرها مذكورة في محلّها[1] .

---

(١) راجع عدة الداعي : ٤٥ ، الباب الثاني في أسباب الإجابة ؛ والبحار : ٩٣ / ٣٠٤ ، أبواب الدعاء .

كما سيأتي تفصيل آداب الدعاء وشروطه مفصلاً مع تخريجاته في الفصل التاسع ضمن أعمال شهر رمضان المبارك ، فراجع .

وبالجملة للسالك أن يقوّي اعتقاده بصدق مواعيد الله تعالى ، ويتفكّر في شأن هذه المواعيد ، ومبلغها من السعادة ، ويلتفت أنَّ هذا اليوم وهذا المقام محال أن يوجد في سنة مرَّتين ، وأنّه لا اطمئنان بل ولا ظنَّ للبقاء إلى مثله في السنّة الآتية ، مع توفيق التدارك ، وعند ذلك يضنُّ أن يتركه مهملاً ، لا سيّما إذا رأى شدّة احتياجه لمثله في غداة غد ، عند الوقوف بين يدي الملك الجبّار للحساب ، في يوم عظيم لا أعظم منه .

وإن وفّق لدعاء الاستفتاح مع الشرائط فهو وإلّا لا يترك لا محالة نفس الدعاء ويزور الحسين عليه السلام [(١)] .

والأولى أن يصلّى أربع ركعات الّتي صلاّها عليٌّ عليه السلام ويقرأ بعدها الدعاء الّذي قرأه وأوّله : [اللّهمَّ] يا مذلَّ كلّ جبّار [(٢)] . ويدعو بعده بحوائجه ويتذكّر في خلال اليوم أنَّ هذا اليوم من خصائص هذه الأمّة ويشكر هذا التخصيص ، ومن لأجله الاختصاص ، وكثر الصلاة والدعاء عليه صلّى الله عليه وعلى آله المعصومين ، يختم يومه أيضاً كما مرَّ مراراً بما يختم به أمثاله من الأيّام الشريفة . لسيّد المراقبين قدس سره في هذا المقام تفصيلاً في ذكر رواية دعاء الاستفتاح وعنايات هذه الواقعة الميمونة ، ومراقبات جليلة ، فليطلب الطالب ذلك من كتاب **«الاقبال»** [(٣)] ، ولا يزهد فيه فانَّ فيه فوائد جليلة عند أهله ، وإن كان غير عزيز على

---

(١) راجع إقبال الأعمال : ٣ / ٢٣٧ .

(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨ بأسناده إلى عدي بن ثابت الأنصاري .

(٣) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٣٩ – ٢٥١ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٣٩٧ – ٤٠٦ ح ١ ، فضائل الأشهر الثلاثة : ٢٧ ؛ عنه البحار : ٩٧ / ٤٢ – ٤٦ ح ٣٠ .

الغافلين.

ثمّ بعد ذلك من منازل رجب وأشرفها بل أشرف من كلّ يوم .

يوم السابع والعشرين وليلتها :

أمّا اللّيلة فقد روى في **«الإقبال»** عن **محمّد بن عليّ الطرازيّ** في كتابه باسناده إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام قال : قال : «في رجب ليلة هي خيرٌ للناس ممّا طلعت عليه الشمس ، وهي ليلة سبع وعشرين منه ، بعث النبيُّ في صبيحتها ، وإنَّ للعامل فيها - أصلحك الله - من شيعتنا مثل أجر عمل ستيّن سنة .

قيل : وما العمل فيها ؟ قال : إذا صلّيت العشاء الآخرة ، وأخذت مضجعك ثمّ استيقظت أيَّ ساعة من ساعات الليل كانت قبل زواله أو بعده صلّيت اثنتي عشرة ركعة باثنتي عشرة سورة من خفاف المفصل من بعد يسَ إلى الحمد ، فإذا فرغت من كلّ شفع جلست بعد التسليم وقرأت الحمد سبعاً ، والمعوذّتين سبعاً ، **﴿وقل هو الله أحد﴾** سبعاً ، **﴿وقل يا أيّها الكافرون﴾** سبعاً ، **﴿وإنّا أنزلناه﴾** سبعاً ، وآية الكرسيّ سبعاً ، وقلت بعد ذلك من الدعاء : **«الحمدُ للهِ الّذِي لَم يَتّخِذ صاحِبةً ولا ولداً الخ»** ، ادع بما أحببت ، فانّك لا تدعو بشيء إلاّ أجبت ما لم تدعو بمأثم ، أو قطيعة رحم ، أو هلاك قوم مؤمنين.

وتصبح صائماً فانّه يحتسب لك صوم سنة»[1] ، وإن عاقه ما نع من هذا التفصيل صلّى ما رويناه في ليلة النصف . وهي أيضاً ورادة في هذه الليلة.

(١) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٢٠ ؛ عنه الإقبال : ٣ / ٢٦٥ ـ ٢٦٧ ؛ والوسائل : ٨ / ١١١ ح ٣.

والأهمُّ معرفة حقّ الليلة ويومها ، ويعرف (ذلك) إجمالاً ممّا ذكرناه في يوم ولادة أمير المؤمنين عليه السلام من نعمة وجود رسول الله صلى الله عليه وآله ونعمة بعثته ، فانّه لا مرتقى على رسول الله صلى الله عليه وآله في الشرف فانّه سيّد خلق الله أجمعين . وأشرفهم وأقربهم وأحبّهم إلى الله ، وهو النور الأوّل ، والحجاب الأقرب ، والعقل الأوّل ، والاسم الأعظم ، ولامطمع لأحد في هذه الصفات من نبيّ مرسل ، وملك مقرَّب.

وهو رحمة للعالمين . فبقدر شرف وجوده الأشرف ، وخيرات مبعثه الشريف يعظم شرف هذا اليوم ونوره وخيره وبركاته ، وبقدر ذلك يعظّم عند العقول حق شكره لأمّته ولشيعته ، فتفكّر ياعاقل هل تصدّق لما ذكرناه ؟ فلابدَّ من الجدَّ ولا تحتاج في ذلك إلى ترغيب ، والخير نفسه مرغّب فيه ، وإن لم تصدّق فإمّا أن ترضى بالخروج عن عقائد أهل الإسلام ، وإمّا تعالج نفسك وقلبك ، حتّى تحصّل الإيمان ، ولكنَّ الّذي أظنّ لأغلب المسلمين أن ليس مسامحتهم في هذه المقامات من جهة عدم التصديق والايمان رأساً - العياذ بالله منه - ولكن من كثرة ابتلائهم وافتتانهم بزخارف هذه الدنيا الدنيّة ، قد ألهاهم التكاثر حتّى يزوروا المقابر ، وأشغل قلوبهم ذكر الدُّنيا عن ذكر ربّهم ، وفهم مبدئهم ومعادهم.

وبالجملة للسالك أن يسعى بتمام سعيه وجدّه في ذكر حقّ تعظيم اليوم ، ومعرفة حقّ نعمته ، وما أتى به من السعادة العظمى ، والخير الأعظم ، والبركات والنور،يختبر قلبه كيف فرحه بهذا اليوم وسروره ؟ ولو رأى قلبه أنَّ يوماً من أيّام المسارّ الدنيويّة عنده بمثابة هذا اليوم أو أزيد في الفرح والسرور ، فليعالج نفسه فانّه من لئامة النفس وخسّتها ، والأُنس بعوالم الطبيعية ، والصفات البهيميّة والبعد

عن عالم النور ، وانعكاس القلب وانتكاسه.

ومن مهمّات هذا اليوم الصوم [(١)] والغسل [(٢)] وزيارته صلى الله عليه وآله ، وزيارة أمير المؤمنين عليه السلام بالزيارة المخصوصة العظيمة الشأن الواردة في هذا اليوم [(٣)] ، وأن يصلّي قبل الزوال ما رواه في «الإقبال» عن محمّد بن عليّ الطرازيّ في كتابه باسناده إلى التوقيع الخارج من جهة أبي القاسم الحسين بن روح ـ قدّس روحه ـ أنّ الصلاة يوم سبعة وعشرين من رجب اثنتا عشرة ركعة تقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب وما تيسّر من السور ، وتسلّم وتجلس وتقول بين كلّ ركعتين : «**الحمدُ لله الّذي لَم يَتّخِذ الخ**» ، فإذا فرغت من الصلاة والدعاء قرأت الحمد ، و﴿**قل هو الله أحد**﴾ ، ﴿**وقل يا أيّها الكافرون**﴾ ،المعوذّتين ،﴿ **وإنّا أنزلناه في ليلة القدر**﴾ ، وآية الكرسيّ سبعاً سبعاً ثمّ تقول:«**لا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبرُ وسُبحانَ اللهِ ولا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا بالله** سبع مرّات ، وتقول :«**اللهُ اللهُ ربِّي لا أُشركُ بهِ شيئاً**» سبع مرّات ثمّ ادع بما أحببت [(٤)] .

ثمّ [إنّ] من مهمّات أعمال اليوم الدعاءين الواردين أوّل .

---

(١) روى الصدوق في أماليه : ٣٤٩ إلى الصادق عليه السلام قال :«من صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب اللّه له أجر صيام سبعين سنة» عنه الإقبال: ٣ / ٢٧٠ ؛ والبحار : ٣٤/٩٧ ح ١١.

(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٧٢ .

(٣) مصباح الزائر : ٩٣ ـ ٩٨ ، المزار الكبير : ٣٠ ـ ٣٥ ؛ عنهما البحار : ١٠٠ / ٣٧٧ ح ١٠ .

(٤) مصباح المتهجد : ٢ / ٨١٧ ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٢٧٤ - ٢٧٥ ؛ ومستدرك الوسائل : ٦ / ٢٩١ ح ٥ .

إحداهما : «يا من أمر ب[العفو و][(١)] التجاوز»[(٢)].

وثانيهما : «اللّهمّ إنّي أسألك بالتجلّي الأعظم الخ»[(٣)].

إنَّ السيّد – قدّس الله روحه – ضرب في **«الإقبال»** مثلاً للفاقدين لنعمة البعثة ثمَّ للواجدين لها ، وعرَّف بذلك الإشارة إلى قدر عظمة النّعمة ، فراجع.

وأنا أقول : فليتفكّر الإنسان في أيّام الجاهليّة ، وأيّام الفترة قبل البعثة ، ولينظر إلى ما آل إليه أمر الناس ، فبعض تهودّوا ، وآخر تنصّروا ، وعموم النّاس عبدوا الأصنام ، وهجروا أحكام الإسلام ، وفارقوا أخلاق الإنسانيّة ، وأنسوا بطبائع الحيوانيّة ، البهيميّة والسبعيّة .

حتّى أدّى حالهم إلى أن دفنوا البنات ، وهاجروا بذلك الصلوات ، وافتخروا بالمحالات ، وفارقوا العدل ، وتركوا الحقوق بين الملل ، وغلّبوا الأقوياء [على] الضّعفاء واستأصلوا الشّرفاء ، وعاندوا العلماء ، واستوحشوا من الحكماء ، وطووا بساط العلم ، وأنكروا حسن الحلم ، وقطعوا الأرحام ، وتشبّهوا بالأنعام ، اقتسموا بالأزلام ، وشربوا الخمور ، وتركوا العقول ، وقتلوا الأولاد ، وخرّبوا البلاد ، ونسوا الصّنائع ، وأبطلوا الشّرائع ، وأهلكوا البضائع ، وارتكبوا الشنائع .

وشاعت الخيلاء والكبر ، وافتخروا بعدم الصّبر ، وسنّوا الفحشاء والمنكر

---

(١) من المصدر .
(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٧٦ باسناده الى أبي علي بن اسماعيل بن يسار .
(٣) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٧٨ .

وجاءُوا بقول الزُّور ، وقتلوا الأنبياء ، وأخرجوا الأولياء ، وأحكموا الأشقياء وأطاعوا الأدعياء ، وعبدوا الشيطان ، وأسخطوا الرحمن ، وسجّروا النيران ، فتلاطم من ذلك أمواج غضب الربّ وقرب أمر العالم من الهلاك والفناء ، وأن يسوقهم سياط غضب الله إلى جهنّم وبئس المصير ، أو يأخذهم في تقلّبهم إلى الهلاك والتدمير ولم يبق شيء من نزول العذاب بنار تحرقهم عن آخرهم ، أو خسف في الأرض ، أو رمي بالحجارة ، أو مسخ بالخنازير ، أو غير ذلك من العذاب والنّكال ، البلاء وسوء الحال ، فسبقت عناية الربّ بحكم الحلم والأناة، لإتمام الحجّة ، وإكمال الرّحمة.

فبعث الله خاتم النبيّين بما أشرنا إليه من الفضائل والفواضل ، رحمة للعالمين وعلماً للهداية ، وبصراً من العماية ، فيخرجهم من الظلمات إلى النور، وأبدل جهلهم بالعلم ، وضلالتهم بالهدى ، وهلاكهم بالنجاة ، وظلمهم بالعدل ، وحمقهم بالعقل ، وفقرهم بالغنىٰ ، وذلّهم بالعزّ ، وخرابهم بالعمران ، وهوانهم بالسلطان ، كفرهم بالإيمان ، وجحيمهم بالجنان ، وظلمتهم بالنور ، وخوفهم بالأمن ، ويأسهم بالرجاء وأسارتهم بالإطلاق ، وعبوديّتهم بالحرّيّة .

وبالجملة بعث إليهم من **﴿الأُمِيّينَ رَسُولاً [مِنهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ و] يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وإن كَانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِين﴾**[1] .

فالنّاس بعد بعثته على أقسام وأحزاب :

---

(١) الجمعة : ٢ .

حزب كفروا برسالته ودعوته ، فاستحقّوا بذلك الحرب والقتل والعذاب الخالد .

وحزب أسلموا ظاهراً ونافقوا ولم يسلموا بقلوبهم ، فاستحقوا بالإسلام (الظاهر) حقن الدماء ، وأحكام الإسلام في الدّنيا ، وخلّدوا بنفاقهم أسفل الدركات.

وحزب أسلموا ظاهراً وباطناً ، وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً ، وكانوا مرجوّاً في حقّهم الجنّة بغير عذاب.

وحزب عملوا مع ذلك الصالحات ، وزادوا في الحسنات ، ووعدهم ربّهم جنّات تجري من تحتها الأنهار ، لا يرون نكالاً وعذاباً ، وغفر لهم ذنوبهم ، وبدّل سيّئاتهم بأضعافها من الحسنات.

وحزب زادوا مع ذلك تزكية النفس من الأخلاق الرّذيلة ، وتحليتها بالأخلاق الكريمة ، وتقرّبوا بذلك إلى الله جلّ جلاله ، فقرّبهم ورفع لهم الدّرجات.

وحزب زادوا مع ذلك تحصيل معرفة ربّهم بإكثار الذكر والفكر ، والمجاهدة الشديدة ، واشتغلوا بذكر ربّهم عمّا سواه ، حتّى عرفوه ووحّدوه بالتوحيد الخالص عن جميع وجوه الشرك ، وأحبّوه فتقرّبوا إليه ببذل كلّ ما سواه ، واشتاقوا إلى لقاه ، فقبلهم ربّهم بقبول حسن ، فقرّبهم وأدناهم ، وكشف عنهم الحجب كلّها ، وأراهم جماله فرأوه بأبصار قلوبهم بغير حجاب ، وألحقهم بنبيهم

وآله ، أقعدهم مقعد صدق في جوارهم عند مليك مقتدر ، أُولئك هم السابقون المقرّبون ، رفقاء الأنبياء والشّهداء وحسن أُولئك رفيقا.

وكيف كان فمن عرف النبيّ صلى الله عليه وآله وعرف نعمة بعثته ، وفوائدها ، وأنوارها،بركاتها،خيراتها ، يعظم عنده يوم المبعث ، ويعظم فرحه به ، وسروره وشكره ، ويكثر من الصلوات والثّناء على المبعوث فيه عليه وآله جميع صلوات الله المباركات التامّات الخالدات ، وهدّية الأعمال اللّائقة بحضرة قدسه .

ثمّ يجتهد في آخر النّهار في التوسّل بخفراء الأيّام بتسليم عمله واستصلاحه وتلطيف مناجاته معهم ، ليقع في موقع القبول والزيادة ، فانَّ لتلطيف الأعمال والأقوال لشأناً في التأثير ، هذا.

والمنزل المهمُّ الآخر للسّالك من هذا الشهر بعد المبعث يوم آخره فليجتهد وليتلطّف في عرض الأعمال ، والقصور والتقصيرات ، مع اعتراف صادق ، وحياء خالص ، واحتراف واستعلاج كامل من باب فضله العظيم ، والتوسّل إليه بأحبّائه ووجوه أوليائه ، فانّه كريم يحبُّ الكرامة لأوليائه ، وعباده المحترفين على بابه المضطرّين إلى رحمته ، وقد أنزل في كتابه : ﴿**أمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ ويَكشِفُ السُّوء**﴾[1] وأنّه كريم العفو ، وقد فسّر بأنّه يعفو عن السيّئات ، ويبدّلها بأضعافها من الحسنات ، فلينظر أن لا يخرج بخروج الشهر عن حمى مولاه ، يتضرّع إلى الله جلَّ جلاله أن يجعله دائماً في حماه ، ولا يكون ذلك

(١) النمل : ٦٢ .

في شهر دون شهر ، وحال دون حال ، ومكان دون مكان وليهتمَّ بذلك ولا يكن فيه من الغافلين [(١)] .

❊ ❊ ❊

(١) ثم من الأهم ان يصلّي في اليوم الآخر الحصة الثالثة من صلاة سلمان التي مر شرحها في اليوم الأوّل وبيان حصتها الثانية في يوم النصف ، وهي أيضاً عشر ركعات على ما صلّى في اليوم الأوّل إلاّ أنّه يرفع يديه ويدعو بين الركعتين بدل ما مرّ : «لا إلهَ إلّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ لَهُ المُلكُ ولهُ الحمدُ يُحيِي ويُمِيتُ وهُوَ حيٌّ لا يَموتُ بِيَدهِ الخَيرُ وهو عِلى كُلِّ شِيءٍ قدِيرٌ وصلّى اللهُ على مُحمّدٍ وآلهِ الطاهِرينَ ولا حَولَ ولا قوةَ إلّا باللهِ العليِّ العظِيم» . مصباح المتهجد : ٢ / ٨١٩ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٢٨٥ .
قال سيدنا الكاتب : وقد سها عن ذكرها قلمه الشريف مع أنّه وعد بالتعرض لها في اليوم الأوّل .

الفصل الثامن

في [مراقبات شهر] شعبان [المعظم]

وهذا المنزل من منازل العمر للسالك إلى الله تعالى ، له شأن عظيم ، وفضل كثير،فيه ليلة من ليالي القدر ، وقد ولد مولود فيه وعد الله به النّصر لكلّ مظلوم من أوليائه ، وأنبيائه وأصفيائه ، مذ هبط أبونا آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام على الأرض ، وأن يملأ به الأرض قسطاً وعدلاً ، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً ، على ما يأتي تفصيله في محلّه.

وكفى في شأنه أنّه شهر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال فيه : «شعبان شهري ، رحم الله من أعانني على شهري» ومن عرف منزلة هذه الدعوة العظمى ، فلابدّ أن يكون اهتمامه في اشتمالها عليه ودخوله فيها ، وذلك خليفته وأخوه أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال :

«ما فاتني صوم شعبان مذ سمعت منادي رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي في شعبان

فلن يفوتني أيّام حياتي صوم شعبان إن شاء الله»[١] . هذا في صومه وقس عليه إعانته صلى الله عليه وآله من سائر الجهات من الصلاة والصدقة ومناجاة ، ووجوه البرّ كلّها.

ومناجاته الشعبانيّة معروفة وهي مناجاة عزيزة على أهله يحبّونها ، ويستأنسون بشعبان لأجلها ، بل ينظرون ويشتاقون لمجيئ شعبان وفيه علوم جمّة في كيفيّة معاملة العبيد مع الله جلّ جلاله ، وبيان وجوه الأدب في طريق معرفة حقّ السؤال،الدعاء والاستغفار ، من الله جلّ جلاله ، واستدلالات لطيفة تليق بمقام العبوديّة ، لاستحكام مقام الرجاء ، المناسب لحال المناجاة ، ودلالات صريحة واضحة في معنى لقاء الله وقربه والنظر إليه ، ترفع شبهات السالكين ، وشكوك المنكرين ، ووحشة المرتابين ، وإشارة إلى معرفة النفس وأنّها طريق معرفة الربّ على ما فَسّرَ بعض فقراته شخص جليل من أهل المعرفة.

وبالجملة هذه المناجاة[٢] من مهمّات أعمال هذا الشهر بل للسالك أن لا يترك بعض فقراته في تمام السنة ، ويكثر المناجاة بها في قنوتاته ، وسائر حالاته السنيّة ولا تغفل عن قولك حين تقول : «وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك ، حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور ، فتصل إلى معدن العظمة ، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك»[٣] وليتأمّل هل بقلبه بصر يدرك به النور ؟ وما حجب النور ؟ وما المحتجب بالنور المتّصف بمعدن العظمة ؟ حتّى يعلم ما يقول ، وما

(١) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٢٥ ، عنه البحار : ٩٧ / ٧٩ ح ٤٤ ، ورواه في إقبال الأعمال : ٣ / ٢٨٨ باسناده إلى صفوان الجمال عن الصادق عليه السلام .

(٢) راجع إقبال الأعمال : ٣ / ٢٩٥ فقد روى هذه المناجاة عن ابن خالويه الحسين بن محمد.

(٣) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٩٩ ، مصباح المتهجد : ٢ / ٨٢٨ .

يستدعي من ربّه أن يعطيه ، فانّ الإنسان إذا لم يعرف ما يسأل ربّه أصلاً لا يصدق عليه أنّه سأل ربّه الفلان ، بل يصدق أنّه قرأ الألفاظ ، والقارئ للألفاظ غير الداعي والسّائل ، والله تعالى يقول :

﴿أمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاه﴾[1] ويقول : **﴿ادعُونِي أستَجِب لَكُم﴾**[2] ويقول : **﴿واسْأَلوا اللهَ مِن فَضْلِهِ﴾**[3] **﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُم رَحِيماً﴾**[4] ولا يقول : اقرأ الألفاظ .

وكيف كان هذه مناجاة جليلة ، ونعمة عظيمة من بركات آل محمّد عليهم السلام يعرف قدر عظمته **﴿لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أوْ ألْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيد﴾**[5] والغافلون بمعزل عن معرفته ، وعن عظم فوائده وأنواره.

ولعمري إنّ الأغلب لا يعرفون شأن نعمة المناجاة ، وأنّ من شأنها علوم عزيزة ، معارف جليلة ، لا يطّلع عليها وعلى حدودها ، إلّا أهله من أولياء الله الّذين نالوا بها عن طريق الكشف والشهود ، وأنّ الوصول بحقائق هذه المقامات عن وجه المكاشفة إنما هو من أجلّ نعم الآخرة ، ولا يقاس بشيء من نعيم الدّنيا.

وإليه أشار الصادق عليه السلام بقوله : لو علم الناس ما في فضل معرفة الله ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع به الأعداء من زهرة الحياة الدّنيا ، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا

(١) النمل : ٦٢ .

(٢) غافر : ٦٠ .

(٣) النساء : ٣٢ .

(٤) النساء : ٢٩ .

(٥) ق : ٣٧ .

يطأونه بأرجلهم ، وتنعّموا بمعرفة الله ، وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله الخ.

ومن مهمّات هذا الشهر الصوم بقدر ما يناسب حاله ، أفضله إن لم يمنعه مانع – ولو مانع من جهة الترجيح – أن يصوم كلّه إلاّ يوماً أو يومين في آخره يفصل بإفطاره بينه وبين شهر رمضان فالأفضل أن يكثر من الصوم بحيث يدخل في مقدّس دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله بالإعانة ، وذلك لا أظنّ أن يصدق بيوم أو يومين.

ثمّ إنّه قد ورد أخبار مفصّلة في جزء جزء منه ، وأنا أقتصر على ذكر رواية منها [ما] رواه الصدوق – عليه الرحمة – في كتاب «من لا يحضره الفقيه» ، عن الحسن بن محبوب عن عبد الله بن حزم الأزدي ، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «من صام أوّل يوم من شعبان وجبت له الجنّة البتّة ، ومن صام يومين نظر الله إليه في كلّ يوم وليلة في دار الدّنيا ودام نظره إليه في الجنّة ، ومن صام ثلاثة أيّام زار الله في عرشه وجنّته كلّ يوم» [١].

في «الإقبال» : لعلّ المراد بزيارة الله في عرشه أن يكون لقوم من أهل الجنّة مكان من العرش من وصل إليه يسمّى زائر الله ، كما جعل الله الكعبة الشريفة بيته الحرام من حجّها فقد حجّ الله [٢] انتهى.

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٢ / ٩٢ ح ١٨٢٤ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٢٩٣ ، ورواه في ثواب الأعمال : ٨٤ ، ومصباح المتهجد : ٢ / ٨٣٠ مثله .

(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٢٩٣ .

وأنا أقول : لم يعلم مراده قدس سره وأنّه تأويل أيّ جزء من الرواية أيريد تأويل كون الزيارة في العرش أو أصل الزيارة ؟ وإن كان ظاهره الثاني إلاّ أنّه ليس هو قدس سره من المستوحشين من بعض مراتب المعرفة واللّقاء ، فراجع ما ذكره في «**فلاح السائل**» في ذيل قول الصادق عليه السلام في سبب غشوته : «كرّرتها حتّى سمعتها من قائلها ولم يثبت جسمي» [١] فإنّ في كلامه قدس سره تصريحاً على تصوير الزيارة و الملاقاة بوجه من الوجوه المعنويّة الّتي لا يخالف تنزيهه تعالى عن الشوائب الجسمانيّة.

وأنا أقول : الأولى أن يقال : المراد : الزيارة بعينه [و] هو الّذي فصّل في المناجاة الشعبانيّة بأن تخرق أبصار القلوب حجب النور ، فتصل إلى معدن العظمة وتصير الروح معلّقة بعزّ قدسه الأقدس ، ولا خلف في ذلك أبداً يحتاج إلى التأويل ولعلّ مراده قدس سره تأويل تقييد الزيارة بكونها في العرش.

ومن مهمّات الأعمال : الصلاة الواردة عند الزوال كلّ يوم منه أوّلها : اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد ، شجرة النبوّة [٢].

ومن أعمال الشهر الصلوات الواردات في اللّيالي على التفصيل الّذي في «**الإقبال**» [٣] ، والسالك يجتهد في ذلك ويعمل بما فيه له نشاط في العمل به ، من هذه ومن الذكر والفكر ، مع ملاحظة الترجيح بينها ، ومع ملاحظة العمل بأخبار

---

(١) فلاح السائل : ١٠٧ ؛ عنه البحار : ٨٤ / ٢٤٧ ، والمستدرك : ٤ / ١٠٦ ح ٤ .
(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٣٠٠ وهو من أدعية الإمام السجاد عليه السلام عند زوال كل يوم من شعبان وفي ليلة النصف منه .
(٣) راجع إقبال الأعمال : ٣ / ٢٨٧ ، الباب التاسع في فضل شهر شعبان موارده .

ذلك من باب المسامحة وببالي أنّ الأولى - على الغالب - أن يعمل بما فيه خفّة وسهولة يمكن أن يفعله بالنشاط، ويجمع بينه وبين ورده من سائر أعماله وفكره على حسب حاله.

ومن ذلك أن يعمل بما رواه في «**الإقبال**» عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تتزيّن السماوات في كلّ خميس من شعبان، فيقول الملائكة: إلهنا اغفر لصائمه وأجب دعائهم. فمن صلّى فيه ركعتين يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة و﴿**قل هو الله أحد**﴾ مائة مرّة، فإذا سلّم صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله[1] مائة مرّة، قضى الله له كلّ حاجة من أمر دينه ودنياه، ومن صام فيه يوماً واحداً حرّم الله جسده على النّار»[2].

واليوم الثالث منه يوم ولادة الحسين عليه السلام وهو يوم يتقدّر شرفه بمقدار شرف صاحبه عليه السلام فللسالك أن يأتي من شكره بما تيسّر له من الصوم والزيارة والدعاء الوارد[3] وغيره من القربات، ومن أجله أنّ من خصائص اليوم أمر فطرس[4]، فيمكن للسالك أن يجعله عليه السلام في هذا اليوم معاذه في تحصيل

---

(١) من المصدر.
(٢) إقبال الأعمال: ٣ / ٣٠١ عنه الوسائل: ٨ / ١٠٤ ح ٥.
(٣) راجع إقبال الأعمال: ٣ / ٣٠٣.
(٤) فطرس: ملك من ملائكة الله بعثه الله في شيء فأبطأ فكسر جناحه، فألقاه في جزيرة، فعبد الله سبعمائة عام. فلما ولد الحسين عليه السلام أمر الله تعالى جبرئيل أن يهبط في ملاء من الملائكة فيهنئ محمّداً صلى الله عليه وآله، فهبط فمر بالجزيرة المذكورة، فقال فطرس لجبرئيل: إلى أين؟ فقال: إلى محمّد، قال: احملني معك لعلّه يدعو لي. فلما دخل جبرئيل وأخبر النبي صلى الله عليه وآله بحال فطرس، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قل له يتمسح بهذا المولود، فتمسّح بمهد الحسين عليه السلام، فأعاد الله عليه في الحال جناحه ثم ارتفع مع جبرئيل إلى السماء. رواه في الخرائج والجرائح: ١ / ٢٥٢ ح٦؛ =

نجاته، وجناحي روحه وعقله حتّى يطير مع الرّوحانيّين في سماوات القرب والرضوان ، ويكون فرحه في هذا اليوم مشوباً بمراسم العزاء والحزن ، كما كان الشأن كذلك لأهله المطهّرين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ويختم يومه بما يختم به كلّ يوم شريف .

ثمّ بعد اليوم الثّالث ليلة النصف ويومها ، وهو موسم شريف جدّاً عظيم المنزلة كثير البركات ، ساطع الأنوار ، اجتمع فيها من جهات الشرف والخير اُمور عظيمة كلُّ واحد منها يكفي في الحثّ على الجدّ والسعي غايته.

منها : أنّها من ليالي القدر ، وليلة قسمة الأرزاق والآجال [(١)] ، كما ورد في الأخبار المستفيضة ، وفي بعضها أنَّ الله تعالى جعل اللّيلة للأئمّة كما جعل ليلة القدر لرسول الله صلى الله عليه وآله [(٢)] والإشكال في كون ليلة القدر أزيد من واحد يتصوّر ذلك بمراتب التقدير.

=عنه البحار : ٤٤ / ١٨٢ ح ٧. ورواه الصفار في بصائر الدرجات : ٦٨ بأسناده إلى الأزهر البطيخي عن الصادق عليه السلام ؛ عنه البحار : ٢٦ / ٣٤٠ ح ١٠ ، ومدينة المعاجز : ٢٣٦ ح ٥ .
ورواه ابن قولويه في كامل الزيارات : ٦٦ ، والصدوق في أماليه : ١١٨ ح ٨ بأسناديهما عن إبراهيم ابن شعيب عن الصادق عليه السلام ، عنهما البحار : ٤٣ / ٢٤٣ ح ٨.

(١) روى شيخ الطائفة في مصباح المتهجد : ٥٩٤ بأسناده إلى سعد بن سعد ، عن الرضا عليه السلام : قال : «كان أمير المومنين لاينام ثلاث ليال : ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان وليلة الفطر ، وليلة النصف من شعبان وفيها تقسم الأرزاق والآجال وما يكون إلى السنة» عنه البحار : ٩٧ / ٨٨ ح ١٥ .

(٢) روى شيخ الطائفة في «الأمالي» : ١ / ٣٠٢ - ٣٠٣ بأسناده إلى أبي يحيى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - في حديث - قال : «سئل الباقر عليه السلام عن فضل ليلة النصف من شعبان ، فقال هي أفضل ليلة بعد ليلة القدر ، فيها يمنح الله تعالى العباد فضله ، ويغفر لهم بمنّه - إلى أن قال - : وإنّها الليلة التي جعلها الله لنا أهل البيت بازاء ما جعل ليلة القدر لنبينا صلى الله عليه وآله فاجتهدوا في الدعاء والثناء على الله تعالى عزّ وجل ... » عنه البحار : ٧ / ٨٥ ح ٥ .

ومنها أنّها من مواقف زيارة الحسين عليه السلام ، يـزوره فـيه مـائة ألف نـبيّ سـوى الملائكة[١] ، هذا موقف جليل يكشف عن أمر عظيم يكون فيه.

ومنها : أنّها من اللّـيالي المـؤكّد فـيها الإحـياء[٢] ، ووردت فـيها أعـمال وعبادات فاخرة جدّاً يمكن أن يقال : إنّه لم يرد في شيء من اللّيالي – ليلة القدر وغيرها – مثلها أو أزيد منها.

ومنها : أنّها ليلة ولد فيها مولود لم يولد مثله في تطهير الأرض والفرج العامّ للمؤمنين من الأمم ، ونشر رايات عدل الله على أهل الأرض ، وكمال الجمع بين سياسة الدّين والدّنيا ، والسالك إذا بلغ هذا المنزل (عليه) أن يقطع أوّلاً نظره في هذه اللّيلة من اللّذّة بالدنيا ومن الراحة فيه ، ويوطّن نفسه أنّه ليلة وداعه للدنيا ، وإن قدّر نفسه فيها أنّها مثل ليلة يقوم في صبيحتها يوم القيامة ، يخفُّ عليه ثقل الأعمال بل يثقل عليه مضيّ اللّيلة وتامها ، ويودُّ أن يكون أطول من هذا الكائن

---

(١) مزار المفيد : ٥ / ٤٢ ح ١ ضمن مصنفات الشيخ المفيد بأسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام . رواه في كامل الزيارات : ١٧٩ ح ٢ ، بطريقين : الأول بأسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام . والثاني عن أبي حمزه عن علي بن الحسين عليه السلام . ورواه في الإقبال : ٣ / ٣٣٨ – ٣٣٩ ؛ عنه الوسائل : ١٠ / ٣٦٧ ح ٨ ، والبحار : ١١ / ٥٨ ح ٦. وفي التهذيب : ٦ / ٤٨ ح ٢٤ بأسناده عن سعد بن عبد الله ... ، عنه الوسائل : ١٠ / ٣٦٤ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٢٨٦ . وأخرجه في البحار : ١٠١ / ٩٣ ح ٢ و ٣ و ٤ عن الكامل والإقبال والتهـذيب . ورواه في المزار الكبير : ١٦٧ ح ٢٢٤ ومصباح المتهجد : ٥٧٦ عن أبي بصير . وأورده مرسلاً في مصباح الكفعمي : ٤٩٨ (حاشية) .

(٢) روى الحميري في «قرب الاسناد» : ٢٧ باسناده إلى أبو البختري ، عن الصادق ، عن أبـيه عن علي عليهم السلام قال : «كان يعجبه أن يفرغ الرجل أربع ليال من السنة : أوّل ليلة من رجب ، وليلة النحر ، وليلة الفطر ، وليلة النصف من شعبان » عنه البحار : ٩٧ / ٨٤ ح ١ ، ورواه في مصباح المتهجد : ٥٩٣ ؛ عنه البحار : ٩٧ / ٨٧ ح ١٢ .

وإن عمل فيها وهو مقدّر نفسه أنّه مودّع لكلّ واحد من الأعمال، وهو آخر عمله من عمر الدنيا، يكون جدُّه في تصحيح الأعمال أزيد، وإذا أحضر نفسه وقلبه بهذا الميزان للعمل، فله أن ينظر قبل دخول اللّيلة في اختيار الأعمال، وترتيبها بما يناسب حاله، وإن رأى عملين متساويين في الفضل والمناسبة فليؤثر ما هو الأشقّ على النفس.

ومن مهمّات أعمالها الصلوات الواردات لا سيّما مائة ركعة بألف **﴿قل هو الله أحد﴾**، قال السيّد قدس سره قال راوي الحديث: ولقد حدثني ثلاثون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آخر ما نرويه آنفاً ودونه في الفضل، ومثله في الاعتبار أربع ركعات في كلّ ركعة مائة **﴿قل هو الله أحد﴾**[(١)].

وعن الشيخ أنّه رواه عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام ثلاثون رجلاً ممّن يوثق به[(٢)].

وروى أيضاً التخيير بينها وبين قراءة خمسين في كلّ ركعة وقراءة مائتي وخمسين، فإذا فرغت قلت الدّعاء الّذي أوّله: اللّهمّ إنّي إليك فقير الخ[(٣)].

وأيضاً روى الشيخ عن أبي يحيى قال لسيّدنا الصادق عليه السلام: فأيّ شيء أفضل الأدعية؟ فقال: إذا أنت صلّيت العشاء الآخرة فصلّ ركعتين تقرأ في الأولى

---

(١) إقبال الاعمال: ٣ / ٣١٤، عنه البحار: ٩٨ / ٤٠٨ ح ١؛ ورواه في الكافي: ٣ / ٤٦٩ ح ٧ التهذيب: ٣ / ١٨٥ ح ٤١٩، مسار الشيعة: ٧٥؛ عنها الوسائل: ٨ / ١٠٦ ح ٢.

(٢) مصباح المتهجد: ٨٢٩، عنه إقبال الأعمال: ٣ / ٣١٤؛ والبحار: ٩٨ / ٤٠٩ ضمن ح ١؛ والوسائل: ٨ / ١٠٧ ح ٤.

(٣) إقبال الأعمال: ٣ / ٣١٩، عنه البحار: ٩٨ / ٤١٢ ضمن ح ١.

الحمد وسورة الجحد وفي الثانية الحمد والإخلاص ، فإذا أنت سلّمت قلت : سبحان الله ثلاثاً وثلاثين مرّة الحمد لله ثلاثاً وثلاثين مرّة والله أكبر أربعاً وثلاثين مرّة ثمّ قل : يا من إليه يلجأ العباد الخ ثمّ تسجد وتقول عشرين مرّة ياربّ يا الله سبع مرّات ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله سبع مرّات ، ما شاء الله [عشر مرّات] (١) لا قوّة إلّا بالله عشر مرّات ثمّ تصلّي على النبيّ وتسأل الله حاجتك فوالله لو سألت بها بعدد القطر لبلّغك الله عزّ وجلّ إيّاه بكرمه وفضله ، وفي بعض الروايات اختلاف في السجدة فمن أراد الاستظهار فليراجع «**الاقبال**» (٢) هذا.

ولو كان في اللّيلة سعة وجمع الموفّق بين هاتين الركعتين ومائة ركعة بألف ﴿**قل هو الله أحد**﴾ لكان له شأناً من الخير فإنّ في روايات هذه المائة مع اعتبارها فضل عظيم يبهر العقول.

منها : ما رواه في الإقبال قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كنت نائماً ليلة النصف من شعبان فأتاني جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمّد أتنام في هذه اللّيلة ؟! فقلت : ياجبرئيل ما هذه الليلة ؟ قال : ليلة النصف من شعبان ، قم يا محمّد ، فأقامني ثمّ ذهب بي إلى البقيع ثمّ قال لي : ارفع رأسك فإنّ هذه ليلة يفتح فيها أبواب السّماء ، فيفتح فيها أبواب الرحمة ، وباب الرضوان ، وباب المغفرة ، وباب الفضل ، وباب التوبة ، باب النعمة ، وباب الجود ، وباب الإحسان ، يعتق الله فيها بعدد شعور

---

(١) من المصدر .

(٢) إقبال الأعمال : ٣١٤ – ٣١٨ عن مصباح المتهجد : ٢ / ٨٣١ ، عنه البحار : ٩٨ / ٤٠٨ – ٤١١ ح ١ ، ورواه الشيخ في أماليه : ١ / ٣٠٢ عنه البحار : ٩٧ / ٨٥ ح ٥ ، والوسائل : ٨ / ١٠٦ ح ٣.

النعم وأصوافها،ثبت فيها الآجال ، ويقسّم فيها الأرزاق من السنة إلى السنة ، وينزل ما يحدث في السنة كلّها .

يا محمّد من أحياها بتكبير وتسبيح وتهليل ودعاء وصلاة وقراءة وتطوُّع واستغفار ، كانت الجنّة له منزلاً ومقيلاً ، وغفرله ما تقدَّم من ذنبه وما تأخّر .

يا محمّد من صلّى فيها مائة ركعة يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرَّة و﴿**قل هو الله أحد**﴾ عشر مرَّات ، فإذا فرغ من الصلاة قرأ آية الكرسيّ عشر مرَّات وفاتحة الكتاب عشراً ، وسبّح الله مائة مرَّة غفر الله له مائة كبيرة موبقة موجبة للنّار ، وأعطاه بكلّ سورة وتسبيحة قصراً في الجنّة ، وشفّعه الله في مائة من أهل بيته وشرَّكه في ثواب الشهداء ، أعطاه ما يعطي صائمي هذا الشهر ، وقائمي هذه الليلة ، من غير أن ينقص من أجورهم شيء .

فأحيها يا محمّد وامر اُمّتك بإحيائها والتقرُّب إلى الله بالعمل فيها ، فانّها ليلة شريفة ، ولقد أتيتك يامحمّد وما في السماء ملك إلّا وقد صفَّ قدميه قائم يصلّي وقاعد يسبّح وراكع وساجد وذاكر ، وهي ليلة لا يدعو فيها داع إلاّ استجيب له ولا سائل إلّا أعطي ، ولا مستغفر إلّا غفر له ، ولا تائب إلّا تيب عليه ، من حرم خيرها يامحمّد فقد حرم ، وكان رسول الله ﷺ يدعو فيها ويقول : اللّهمَّ اقسم لنا من خشيتك الخ .

وفي رواية اُخرى قال راوي الحديث : حدَّثني ثلاثون من أصحاب رسول الله ﷺ أنّه قال : من صلّى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة ، وقضى الله له بكلّ نظرة سبعين حاجة ادناها المغفرة ، ثمَّ لو كان شقيّاً فطلب

السعادة لأسعده الله ﴿يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وعِندَهُ أمُّ الكِتاب﴾[(١)] ولو كان والداه من أهل النّار أخرجا من النار بعد أن لا يشركا بالله شيئاً ، ومن صلّى هذه الصلاة قضى الله كلّ حاجة طلب وأعدَّ له في الجنّة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً من صلّى هذه الصلاة يريد بها وجه الله تعالى جعل الله له نصيباً في أجر جميع من عبد الله في تلك الليلة ، ويأمر كرام الكاتبين أن يكتبوا له الحسنات ، ويمحو عنه السيّئات حتّى لا يبقى له سيّئة ، ولا يخرج من الدُّنيا حتى يرى منزله في الجنّة،يبعث الله إليه ملائكة يصافحونه ويسلّمون عليه ، ويحشر يوم القيامة مع الكرام البررة فان مات قبل الحول مات شهيداً ، ويشفّع في سبعين ألف من الموحّدين ، فلا يضعف عن القيام في تلك الليلة إلّا شقيٌّ[(٢)] .

وقال : قال السيّد يحيى بن الحسين في كتاب «**الأمالي**» حديثاً أسنده إلى مولانا عليّ عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صلّى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بألف مرّة ﴿**قل هو الله أحد**﴾لم يمت قلبه يوم يموت فيه القلوب ، ولم يمت حتّى يرى مائة ملك يؤمّنونه من عذاب الله ، ثلاثون منهم يبشرونه بالجنّة ، وثلاثون كانوا يعصمونه من الشيطان ، وثلاثون يستغفرون له آناء الليل وأطراف النهار ، وعشرة يكيدون من كاده[(٣)] .

أقول : ارحم يا مسكين نفسك المرهونة ، بما أسلفت في الأيّام الخالية ،

---

(١) الرعد : ٣٩ .
(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٣٢٠ ـ ٣٢٢ عنه البحار : ٩٨ / ٤١٤ ضمن ح ١ .
(٣) إقبال الأعمال : ٣ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ؛ عنه الوسائل : ٨ / ١٠٥ ح ٧ ؛ والبحار : ٩٨ / ٤١٥ ضمن ح ١ .

وعالج هذه العظائم من الأوزار ، الّتي احتطبتها على ظهرك بالأعمال القبيحة الماضية فسيأتيك يوم تقول فيه : ﴿أينَ المُفَرُّ * كَلّا لا وَزَر * إلى ربِّكَ يَومَئِذٍ المُسْتَقَرُّ * يُنَبَّؤا الإنسانُ يَومَئِذٍ بِما قَدَّم وأخّر﴾[1] وأنصف من نفسك هل لك إيمان بمواعيد الله ، اليوم الآخر وجزاء الأعمال ؟ وهل ترى قدّامك موقفاً تبكي منه عيون الأنبياء وترتعد منه فرائص الأولياء ، وغشي عليهم عند ذكره الأتقياء ، فما بالك تأمن ممّا يخاف منه الأنبياء المعصومون ، والملائكة المطهّرون ، هل ترى ما لا يرون ؟! أو عملت من الخير ما لم يعملوا ؟ أو اتّقيت ممّا لم يتّقوا ؟ أم تأمن مكر الله ولا ﴿يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إلاّ القَوْمُ الخَاسِرُون﴾[2].

وتفكّر في أمرك ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والملائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إلّا مَن أذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ وقَالَ صَوَاباً﴾[3] وقدّر نفسك من المأذون في الكلام ، وانظر هل لك جواب صواب لخطاب الله جلّ جلاله ؟ والحال أنّك لا تعلم أن يؤذن لك في الكلام ، أو يقال : اخسؤوا ولا تكلّمون .

ثمّ تفكّر فيما وعد الله جلّ جلاله لهذا العمل القليل - عمل ليلة صلاة مائة ركعة - فهل يسامح العاقل في ذلك ؟ وخاطب نفسك العوّاد ، وقل : أين أنت يا أيّها الّذي تدّعي الإيمان بمواعيد الله جلّ جلاله ، من هذه المنافع الجليلة الفاخرة ، هل تقدّر لها قيمة من أمور الدّنيا ، ومتاعها الدّنيا وما فيها ؟

---

(١) القيامة : ١٠ - ١٣ .

(٢) الأعراف : ٩٩ .

(٣) النبأ : ٣٨ .

قوّم في نفسك قصراً من قصور الجنّة الّتي وعدك بتسبيحة في تلك الليلة هل تعلم قيمتها ؟ ثمّ ترقَّ وقوّم في قسطاس عقلك نظرة الله ، هل يقدر أحد أن يعلم ما فيها من الكرامة ؟

ثمّ انظر إلى حالك وحرصك في أمر الدنيا كيف تموت من حسرة ضياع الأمتعة النفيسة ، الفانية الحقيرة ، في جنب أصغر متاع الآخرة منها ، وتأمّل هـل تجد علّة زهدك ورغبتك فيها إلّا أن تكون ضعيف الإيمان بعالم الغيب ومتعلّقاتها فان كان كذلك فادع لنفسك الويل والثبور بأنّك لم تؤمن بعدُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأنت بعد في الضلال البعيد ، والخسران المبين ، واستعدَّ لما أوعد الله من النّار ، لمن لم يؤمن بالله العزيز الحميد ، لأنَّ هذا الإيمان الضعيف قد ينصرم بسبب ضعيف ، وهول قليل مـن الأهـوال ، لا سيّما عـند اغـتشاش الحواسّ من المرض عند الموت ، فما لم يكن الإيمان مستقرّاً راسخاً لا يؤمن أن يكون من المستودع ويبدَّل عند شدائد الموت بالكفر ، فتجهّز لبلائك من عافيتك ويوم سقمك من صحتّك ، وانتهز الفرصة في أيّام المهلة قبل أن يأتيك رسل الله فتستدعي تأخير ساعة وتجاب قد فنيت ، وتـرضى بـلحظة ولا تـعطي ، فـبادر للتمسّك بهذه الأسباب القويّة ، وتمسّك من العرى بأوثقها ، ومن الحبال بأمتنها ، ادع الله في هذه الأوقات الشريفة ، دعاء الغريق ، وتوسّل إليه بأوليائه توسّل من ابتلي بالحريق ، فانّه كريم يحبُّ الكرامة لعباده المضطرّين المحترفين على بابه ، والمتوسّلين إليه بأوليائه ، فانظر من أيّ باب تدخل على موائد هذه الليلة ، قـد سمعت الأبواب المفتّحات، أمن باب الرّحمة ؟ أو الرضوان ؟ أو المـغفره ؟ أو التوبة ؟ أو الفضل ؟ أو الاحسان ؟ أو باب النعمة ؟ أو [باب] الجود ؟ فانَّ لكلّ من

هذه الأبواب أهلاً ، وأهله من كان له حظٌّ من صفة هذا الباب بقدر ما يمكن له .

وحظّك من باب الرَّحمة أن ترحم عباد الله الغافلين ، فتصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف ، وأن تنظر إلى العصاة بعين الرَّحمة لا بعين الإيذاء ، وأن يكن كلُّ معصية تجري في العالم كمعصية لك في نفسك ، فلا تألو جهداً في إزالتها بقدر وسعك ، رحمة لهذا العاصي أن يتعرَّض لسخط الله ، ويستحقَّ المنع عن جواره ، وأن لا تدع فاقة لمحتاج إلاّ تسدّها بقدر طاقتك ، وأن لا تترك فقيراً في جوارك إلّا وتقوم بتعهّده ودفع فقره بمالك وجاهك ، فإن عجزت عن جميع ذلك فبالدُّعاء وإظهار الحزن من جهة ابتلائه .

وحظّك من باب الرضوان أن تكون راضياً من ربّك ، بل ومرضيّاً له ، لأنّهما متلازمان وسهّل الرضا عن خلقه لا فظّاً غليظاً.

وحظّك من باب المغفرة أن تستغفر ربّك بقدر معصيتك بشروط الاستغفار وتعتذر إلى من له الحقّ من خلقه بقدر إساءتك وظلمك وبغيك وجفائك في حقّهم وتغفر لمن عليه الحقُّ منك وتقبل عذر المعتذر.

وحظّك من باب التوبة أن لا ترجع إلى ذنب ومكروه وإساءة لخلق ولا خالق وتتدارك ما يمكنك التدارك.

وحظّك من باب الفضل أن لا ترضى في حقوق الله بقدر الواجب ولا في حقّ الناس بالعدل والمساواة ، بل تجهد أن يكون لك الفضل ، ومن ذلك أن تجيب التحيّة بأحسن منها ولا ترضى بردّها.

وحظّك من باب الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه ، وإن لم تكن تراه فهو يراك ، وأن تحسن إلى من أساء إليك وتعفو عمّن ظلمك ، وتصل من قطعك .

وحظّك من باب الجود أن تبذل كلّك لله لأنّه أهل لذلك ، وأن يكثر فوائدك للنّاس لا لغرض تصيبه منهم ، فانّ هذه أبواب مفتّحة عموماً ، وخصوصاً في هذه الليلة،انظر من أيّها تدخل على ربّك ، فكرّم بقدر فضيلة الباب وبقدر حظّك واجتهد في تحصيل هذه الحقائق أكثر ممّا تجتهد في تكثير صور العبادات ، فانّ ركعة من العبد المتحلّي نفسه بهذه الصفات ، يزيد نوره على صلاة ألف ركعة وأزيد ممّن لم يتّصف بها ، فانّ المتّصف بصفة الفضل - مثلاً - أترى أنّ الله المتفضّل المنّان واهب الفضل يعامله بعدله ؟ حاش لله ، بل يعامله بفضله ، ومن عامله الله بفضله يشكر بقليله الكثير ، ويضاعف عليه بغير حساب ، ويبدّل سيّئاته بأضعافها من الحسنات .

ومن المهمّات سجدات بدعوات مخصوصة [١] ، وفي بعضها إشارة إلى المراتب الثلاثة للإنسان حيث قال فيه : «سجد لك سوادي وخيالي وبياضي» [٢] وهو كالنصّ بعالمه المحسوس فانّه مركّب من مادّة ومقدار وعالمه المثال ، وهو مركّب من صورة وروح وعالمه الحقيقيّ الّذي به صار إنساناً يعني حقيقة نفسه وهو عالمه الّذي لا صورة فيه ولا مادّة ، وهو حقيقته العالمة اللّطيفة الربّانيّة الّتي من عرفها فقد عرف ربّه ، أي يكون معرفته وسيلة لمعرفة الربّ تعالى.

---

(١) راجع الإقبال : ٣ / ٣٢٤ ، الفصل ٤٧ .

(٢) مصباح المتهجد: ٢ / ٨٤١ ؛ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٣٢٤ والبحار : ٩٨ / ٤١٥ ضمن ح ١.

ثمَّ من المهمّات التقرّب بإمام زماننا ، وحجّة العصر ، ووليّ الأمر ، والناموس الأكبر ، صاحب الغيبة الإلهيّة ، والدعوة النبويّة ، وارث الأنبياء [١] ، وخليفة الخلفاء ، خاتم الأوصياء ، مظهر عدل الله الأعظم ، وناشر رايات الهدى ، ومبيد العتاة وجحدة الحقّ ، ومستأصل أهل العناد والتضليل والإلحاد ، وطامس آثار الزيغ والأهواء ، وجامع الكلم على التقوى ، والسبب المتّصل بين أهل الأرض وأهل السماء ، حجّة الله الكبرى ، وآيته العظمى ، نصر الله العاجل وفتحه القريب ، وَدّب العالمين ، والسلطان الأعظم ، والمولى الأكرم ، سيّدنا وإمامنا وعصمتنا وملاذنا ومولانا الامام المهديّ القائم أرواحنا وأرواح العالمين فداه بزيارة ومناجاة، وعرض شوق وبثّ شكوى ، ودعاء وصلاة ، واحتراق قلب من فراق ، شكر نعم وإهداء قربات ، وبذل روح ، وفداء مهجة ، وتوسّل ، وتعلّق ، اعتصام ، وتظلّم ، واستغاثة ، وانتصار ، واستفاضة ، واستشفاع .

ويتفكّر فيما فاته من سعادات زمن ظهوره وسلطنته ، وينظر إلى غيره كيف يتصرّفون في ملكه ، ويغصبون حقّه وسلطانه ، ويتأمّرون على أوليائه بغير حقّ ، يسوقونهم بغير عدل إلى أهوائهم ، ويتألّم من ذلك كلّه ، ويشتكي على الله ممّا وقع فيه ، ويدعوه عن ظهر القلب واحتراقه ، ويطلب فرجه - صلوات الله عليه وآله - ويرغب إليه ليلاً ونهاراً في أن يمنّ عليه بزيارة جماله ، وكمال طاعته ، بلوغ رضاه والاهتداء بهداه ، ويتذكّر في الحوادث كلّها وجوده وظهوره وتصرّفه وسلطانه ، ويكون في ذلك مثل من غاب عنه أبوه قبل ولادته ولم يره ، يتوقّع مجيئه وتولّيه لأموره .

---

(١) في الأصل : ورثة الانبياء .

وقد كان لي أخ ولد بعد أبي وسمع بعد شعوره أنّ أباه مات ، وكان يدعو ويتوقّع حياته ، ويذكر في كلّ أمر صغير وكبير مجيئه ، وأنّه يجيئ ويفعل كذا وكذا ، فلا يكون أبوك أحبَّ إليك من إمامك وهو أبوك الرُّوحانيُّ الحقيقيُّ ، وعلّة إيجاد روحك وجسمك ونعمك كلّها ، وخليفة ربّك.

وبالجملة فليظهر من حركاتك في افعالك وأقوالك أنّك فاقد إمامك ، منتظر ظهوره ، ومتوقّع وصاله ، ويظهر من حقّ وفاء زمن غيبته [(١)] ما يصدّق دعوى تعلّقك به فانَّ الكرام يظهرون من الوفاء في الغيبة ما لا يظهرونه في الحضور . ولا يكن لك في تمنّي ظهوره وزيارته غيره من المقاصد فانَّ زيارته وقربه المقصد الأسنى ، وهو مقصد المقاصد ، ومعرفته وقربه ورضاه غاية الغايات ، ونهاية الآمال.

ومن المهمّات أيضاً أن يقرأ الدعاء الّذي أوّله : اللّهم بحقّ ليلتنا ومولودها [(٢)] .

ثمَّ من أهمّ [(٣)] أعمال الليلة زيارة الحسين عليه السلام وحضور مرقده الشريف فقد ورد في الأخبار حثٌّ أكيدٌ بذلك [(٤)] ، وليزره عليه السلام بالزيارة المخصوصة بهذه

---

(١) في الأصل كذا ، (غيبته الأحياء).

(٢) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٤٢ ؛ إقبال الأعمال : ٣ / ٣٣٠ .

(٣) في الاصل : من أهمات .

(٤) روى السيد في الإقبال : ٣ / ٣٤٠ ، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : «يغفر الله لزائر الحسين عليه السلام في نصف شعبان ما تقدم من ذنبه وما تأخر» عنه البحار : ١٠١ / ٩٨ ح ٢٨ .

اللّيلة [١] .

ومن أعماله المخصوصة دعاء كميل - عليه الرَّحمة - يقرأه في السجدة تأسيّاً بأمير المؤمنين عليه السلام روى في «الإقبال» عن الشيخ أنّه روى أنَّ كميلاً رأى أمير المؤمنين يقرأه في السجدة في ليلة النصف من شعبان ، وقال : ووجدت في رواية أُخرى ما هذا لفظه : قال كميل بن زياد : كنت جالساً مع مولاي أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد البصرة ومعه جماعة من أصحابه ، فقال بعضهم : ما معنى قول الله عزَّ وجلَّ : **﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾** [٢] ؟ قال عليه السلام : هي ليلة النصف من شعبان ، والّذي نفس عليّ بيده إنّه ما من عبد إلاّ وجميع ما يجري عليه من خير وشرّ مقسوم له في ليلة النصف من شعبان إلى آخر السنة في مثل تلك اللّيلة المقبلة ، وما من عبد يحييها ويدعو بدعاء الخضر عليه السلام إلاّ أُجيب له.

فلمّا انصرف طرقته ليلاً فقال عليه السلام : ما جاء بك يا كميل ؟ قلت : يا أمير المؤمنين دعاء الخضر ، فقال : أجلس يا كميل ، إذا حفظت هذا الدُّعاء فادع به كلّ ليلة جمعة ، أو في شهر مرّة ، أو في السنة مرّة ، أو في عمرك مرّة تكفّ وتنصر وترزق،لن تعدم المغفرة ، يا كميل أوجب لك طول الصحبة لنا أن نجود لك بما سألت ثمَّ قال : اكتب : «اللّهمَّ إنّي أسألك برحمتك الّتي وسعت كلّ شيء» إلى آخر الدعاء [٣] .

---

(١) روى الزيارة في إقبال الأعمال : ٣ / ٣٤١ - ٣٤٧ ؛ عنه البحار: ١٠١ / ٣٣٦ - ٣٤٢ ح١، ورواه في مصباح الزائر : ١٥٤ - ١٥٨ .

(٢) الدخان : ٤ .

(٣) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٤٤ - ٨٥٠ عنه إقبال الأعمال : ٣ / ٣٣١ - ٣٣٨ .

وللسالك أن لا يقرأ هذا الدُّعاء عن قلب ساه حتّى يعلم ما يقول، ولا يتكلم بما ليس مناسباً وموافقاً لحاله الحاضر ويجدُّ حين يقول: «وهبني يا إلهي وسيّدي ومولاي وربّي صبرت على عذابك، فكيف أصبر على فراقك؟» أن يكون صادقاً في دعوى أنَّ فراق ربّه أشدّ عليه من عذاب جهنّم، ولا يرض أن يكذب مع الله العالم بالخفيّات في مثل هذا الحال، فيكون بذلك مهيناً لسلطان الله العظيم.

وللصادق في هذه الدعوى أن يعرف معنى وصال الله ولو إجمالاً لا محالة حتّى يدَّعي أنَّ مفارقة هذه النعمة والبهجة أشدّ عليه من عذاب الله، وأيضاً له أن يتفكّر في حقائق كلّ ما يسأله من الله في دعائه ومناجاته حتّى يكون دعاؤه مناجاة لا مستطراً يقرأ لفظه ولا يعلم معناه، ولا يغفل عن قوله في أواخر الدّعاء «وأجتمع في جوارك مع المؤمنين» والغافل الساهي في مناجاته عمّا يسأل ويدعو في خطر عظيم.

ومن أهمّ[1] أعمال اللّيلة زيارة الحسين عليه السلام في مرقده الشريف، ولزيارته صلاة وعمل مخصوص مرويّ في «**الاقبال**»، أو في غيره من الأمكنة البعيدة، وقد ورد في فضل زيارته أمر عظيم، وعلّل ذلك بأنَّ زائره بمنزلة من زار الله في عرشه[2]، وللعبد المراقب أن يعتبر في هذه العبادة اعتبارات فاخرة:

منها أن يعتبر في جليل ثواب الله للحسين عليه السلام بحيث جعل زيارته في مرقده بعد قتله كمن زار الله في عرشه، هذا أمر عظيم لا يطيقه عقول العامّة.

---

(١) في الأصل: ومن أهميات.

(٢) إقبال الأعمال: ٣ / ٣٤٠ عنه البحار: ١٠١ / ٩٨ ح ٢٧.

ومن عظمته ، حكي أنّ السيّد الجليل ، والعالم النبيل ، والسيّد مهدي الملقّب ببحر العلوم جاء إلى الشيخ الكبير العارف الشيخ حسين المعروف بنجف وسأله عن مشكلاته ، وكان منها أن سأله عن عظم ما ورد في الأخبار من مثوبات ما يتعلّق بالحسين عليه السلام لزائره وللباكي عليه ونحوهما كيف يستقيم عند العقل هذه الأمور العظام بهذه الأعمال الجزئيّة الحقيرة ؟ فأجابه الشيخ بأنّ الحسين عليه السلام مع جميع ما فيه من الشؤون إنّما كان مخلوقاً ممكناً عبداً لله ، وهو مع كونه ممكناً عبداً أعطى في محبّة الله ورضاه كلّه من المال ، والجاه ، والعرض ، والإخوة ، والأولاد الصغير والكبير ، والرّوح ، حتّى بدنه بعد القتل وكيف تستكثر أن يعطيه الكريم الجواد أيضاً كلّه للحسين عليه السلام ؟ فرضي عليه الرّحمة بالجواب واستحسنه .

ومنها أن يعرف ما في قضاء الله وتقديره في شهادة الحسين عليه السلام من الحكم سوى ما أعطاه من المثوبات ، وبلّغه به من أفضل الدرجات : من كونه سبباً لنجاة الأمّة المرحومة ، وكفّارة لذنوبهم ، ووسيلة لهم إلى الفوز بدرجات عالية ، وسبباً قريباً لمعرفة شأن إمامهم.

ومنها أن يعرف أنّ من المثوبات الجليلة ، والمقامات العالية المعدّة لأولياء الله ، يارة الله ، فيشتاق إليه ويقصده ويهتمّ لتحصيله ، ويشتدّ شوقه إليه حتّى يصدق في دعائه : «وهبني صبرت على عذابك ، فكيف أصبر على فراقك ؟ » .

ثمّ من المهمّات في أعمال اللّيلة أن يسجد بما روي من سجدات رسول الله صلى الله عليه وآله ويقرأ ما قرأه صلوات الله وسلامه عليه وآله فيها [1] ، عن ظهر القلب ،

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ٣٢٤ .

غير ساه عن قصد معانيها ، وغير كاذب في قصدها.

ومن المهمّ أن يقرأ ما ورد في صلاة اللّيل من الدعوات بين الركعات على ما روي في «الاقبال» [١] ولا يغفل عن الدعاء المرويّ في الوتر أو بعده فانّه دعاء جليل [٢] ، ثمّ إذا صار آخر اللّيل فليجلس هنيئة لمحاسبة عمل الليلة ، وأظنّ أنّه إن حاسب عمله على علم ، ولم يحف في حسابه لا سيّما إذا كان مستعيناً بهداية اللّه تعالى لاستغفر من عمله أكثر من استغفاره لو فرض نفسه نائماً ليلته لأنّه لا يسلم من آفات العمل إلاّ المخلصون والمخلصون في خطر عظيم .

ثمّ لو فرض سلامة عمله من الآفات فليقوّمه ويقابله بأصغر نعم الله عليه . ويرى أنّه لا يؤدّي شكر الله بالأعمال بميزان العدل ، ولو رأى أنّ أعماله لا يخلو من الآفات والتقصير ، فليعالج ذلك بالتوسّل إلى خفير ليلته من المعصومين عليهم السلام ويسلّم عليه ويقول :

«يا من اختاره الله من عباده ، وجعله خفيراً وحامياً لهم فبحقّ هذه الخيرة أُقسم عليك أن تنظر إلى سوء حالي بعين الرحمة ، وترحم ضعفي وجهلي ومسكنتي وإفلاسي وفاقتي وابتلائي ، وترغّب إلى الله جلّ جلاله أن يعاملني بفضله وكرم عفوه ، ويبدّل سيّئات أعمالي بأضعافها من الحسنات ، وترغب إليه أن يكرمني بقبوله ورضاه ، وأن تدخلني في تلك اللّيلة في همّك ودعائك ، وشفاعتك وشيعتك ، وتدعو الله في ثوابي وخيري وهدايتي وإرشادي ،

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ٣٥٠ - ٣٥٢ .

(٢) إقبال الأعمال : ٣ / ٣٥٢ - ٣٥٤ .

وتأييدي،تسديدي،توفيقي ، وكلّ خير لي لديني ودنياي وآخرتي فانّك يامولاي كريم تحبُّ الكرامة ، ومأمور من الله بالاجارة ، واجعل تمام قراك لي في خفارتك أن تسأل الله لي بمعرفته ومحبّته وقربه ورضاه ، وأن يلحقني بكم في الدنيا والآخرة ، ويجعلني من شيعتكم المقرَّبين وأوليائكم السّابقين ، فإنّه وليُّ ذلك ، صلّى الله عليكم ما شاء الله ولا قوّة إلاّ بالله» .

ثمَّ إنْ شاء ان يختم ليلته بالسجود ، فليفعل . وصلّى الله على محمّد وآله.

ثمَّ من المواقف الشريفة من منازل شعبان للسالك إلى الله جلَّ جلاله آخر جمعة منه روي عن **«العيون»** باسناده عن عبد السلام بن صالح الهرويّ قال : دخلت على أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شعبان، فقال لي يا أبا صلت إن شعبان قد مضى أكثره وهذا آخر جمعة فيه ، فتدارك فيما بقي تقصيرك فيما مضى منه ، وعليك بالاقبال على ما يعنيك ، وأكثر من الدعاء والاستغفار،تلاوة القرآن ، وتب إلى الله من ذنوبك ، ليقبل شهر رمضان إليك وأنت مخلص لله عزَّ وجلَّ ، ولا تدعنَّ أمانة في عنقك إلاّ ادَّيتها ، وفي قلبك حقداً على مؤمن إلاّ نزعته ، ولا ذنباً أنت مرتكبه إلاّ أقلعت عنه ، واتّق الله وتوكّل عليه في سرائرك وعلانيتك **«ومَن يَتَوَكّلْ على اللهِ فَهوِ حَسْبُهُ إنَّ اللهَ بَالِغَ أمرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيءٍ قَدْراً»** [(١)] وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر : «اللّهمَّ إن لم تكن غفرت لنا في مضى من شعبان ، فاغفر لنا فيما بقي منه» فانَّ الله تعالى يعتق في هذا الشهر

(١) الطلاق : ٣ .

رقاباً من النار لحرمة شهر رمضان[(١)] .

أقول : إنّ في هذا الّذي أفاض عليه السلام لبلاغاً لأهله في هذا المقام ، وكلّ مقام مثله ، احفظه واغتنم واعمل به في أمثال المقام .

ثمّ إنّ في صوم ثلاثة أيّام من آخر شعبان لمن لم يصم كلّه لفضلاً لا يليق للمراقب أن يتركه ، وقد روى الصدوق عليه الرحمة عن الصادق عليه السلام أنّ من صام ثلاثة أيّام من آخر شعبان ووصله بشهر رمضان كتب الله له صيام شهرين متتابعين[(٢)] ، هذا.

ومراقبات أواخر الشّهور من جهة استصلاح ما أتلفه في الشّهر كلّه غير ما ذكرنا كما أشرنا إليه في كلّ شهر .

ثم من جملة مهمات ما يعمل به في آخر ليلة من شعبان لشهر رمضان دعاء رواه في الإقبال[(٣)] لهذه اللّيلة واللّيلة الأولى من شهر رمضان ويعرف منه - من كان أهل له - تفصيل تكليف الاستعداد لدخول ضيافة الله جلّ جلاله.

❊ ❊ ❊

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٥١ ؛ عنه البحار : ٩٧ / ٧٢ ح ١٧ .

(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٣ ؛ عن الفقيه : ٢ / ٥٧ ح ٢٥٢ مرسلاً ؛ عنه الوسائل : ١٠ / ٤٩٨ ح ٨ ؛ ورواه في أمالي الصدوق : ٥٣٣ ح ٨ بأسناده إلى المفضل بن عمر ؛ عنه الوسائل : ١٠ / ٥٠٤ ح ٢٢ .

(٣) إقبال الأعمال : ١ / ٤٣ - ٤٥ .

الفصل التاسع

في مراقبات شهر رمضان المبارك

روى في الجعفريات عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لا تقولوا رمضان فانّكم لاتدرون ما رمضان ؟ فمن قاله فليتصدّق وليصم كفّارة لقوله ، ولكن قولوا كما قال الله : شهر رمضان[1] .

ومن مهمّات السالك في أمر هذا الشهر العظيم معرفة حقّه ، وأنَّ هذا المنزل أكرم الله فيه السائلين إليه بالدعوة إلى ضيافته ، وهو دار ضيافة الله ، وأن يعرف معنى الصوم ومناسبته بمعنى ضيافة الله ، وأن يجهد بعد هذا المعرفة في تحصيل وجود الإخلاص في حركاته وسكناته على وفق رضا صاحب الدار .

---

(١) الجعفريات : ٥٩ بأسناده إلى موسى بن اسماعيل عن ابيه ؛ عنه إقبال الأعمال : ٢٩ ، والمستدرك : ٧ / ٤٣٧ ح ١ رواه الراوندي في نوادره : ٤٧ ، عنه البحار : ٩٦ / ٣٧٧ ح ٣ . وقد ورد الحديث باختلاف في مصادر كثيرة فمن أراد التفصيل فليراجع : الوسائل : ١٠ / ٣١٩ في باب ١٩ باب كراهة قول رمضان من غير إضافة الى الشهر ؛ والبحار : ٩٦ / ٣٧٦، باب ٤٨.

مقدمة

الجوع فيه فوائد للسالك في تكميل نفسه ومعرفته بربّه لا تحصى ، وقد ورد في فضائله أشياء عظيمة في الأخبار لا بأس بالإشارة إليها أوّلاً ثمّ الكشف عن لمّه ، الاشارة إلى حكمته .

روي عن النبيّ ﷺ قال : جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش ، فإنّ الأجر في ذلك كأجر المجاهد في سبيل الله وإنّه ليس من عمل أحبّ إلى الله من جوع وعطش [(١)] .

وقال : أفضلكم عند الله منزلة يوم القيامة أطولكم جوعاً وتفكّراً في الله سبحانه [(٢)] .

وقال لأسامة : إن استطعت أن يأتيك ملك الموت وبطنك جائع ، وكبدك ظمآن فافعل ، فإنّك تدرك بذلك أشرف المنازل ، وتحلُّ مع النبيّين ، وتفرح بقدوم روحك الملائكة ، ويصلّى عليك الجبّار [(٣)] .

وقال : أجيعوا أكبادكم ، وأعروا أجسادكم لعلَّ قلوبكم ترى الله عزَّ وجلَّ [(٤)] .

وفي حديث المعراج قال : قال : ياأحمد هل تعلم ما ميراث الصوم ؟ قال : لا ، قال : يراث الصوم قلّة الأكل ، وقلّة الكلام ، ثمَّ قال في ميراث الصمت : إنّها تورث الحكمة وهي تورث المعرفة ، وتورث المعرفة اليقين ، فإذا استيقن العبد لا يبالي كيف أصبح ؟ بعسر أم بيسر ؟ فهذا مقام الراضين .

(١ - ٤) المحجة البيضاء : ٥ / ١٤٦ - ١٤٨ .

فمن عمل برضاي ألزمه ثلاث خصال : شكراً لا يخالطه الجهل ، وذكراً لا يخالطه النسيان ، ومحبّة لايؤثر على محبّتي حبَّ المخلوقين ، فإذا أحبّني أحببته وحبّبته إلى خلقي ، وأفتح عين قلبه إلى جلالي وعظمتي فلا أُخفي عنه علم خاصّة خلقي،أُناجيه في ظلم اللّيل ونور النّهار ، حتّى ينقطع حديثه مع المخلوقين ومجالسته معهم ، وأسمعه كلامي وكلام ملائكتي وأُعرّفه سرّي الّذي سترته من خلقي - إلى أن قال - :

وأستغرقنّ عقله بمعرفتي ، ولأقومنّ له مقام عقله ، ثمّ لأهوّننّ عليه الموت وسكراته ، وحرارته وفزعه ، حتّى يساق إلى الجنّة سوقاً ، فإذا نزل به ملك الموت يقول : مرحباً بك وطوبى لك ثمّ طوبى لك ، إنّ الله إليك لمشتاق - إلى أن قال - يقول : هذه جنّتي فتبحبح فيها ، وهذا جواري فاسكنه.

فيقول الروح : إلهي عرّفتني نفسك فاستغنيت بها عن جميع خلقك ، وعزّتك وجلالك ، لو كان رضاك في أن أُقطّع إرباً إرباً أو أُقتل سبعين قتلة بأشدّ ما يقتل به الناس ، لكان رضاك أحبّ إلي - إلى أن قال - فقال الله عزّ وجلّ : وعزّتي وجلالي لا أحجب بيني وبينك في وقت من الأوقات حتّى تدخل عليّ أيّ وقت شئت ، كذلك أفعل بأحبّائي[1] .

أقول : في هذه الأخبار إشارة وتصريح بحكمة الجوع وفضيلته ، وإن شئت أبسط من ذلك فانظر إلى ما ذكره علماء الأخلاق أخذاً من أخبار الباب من خواصّه

(١) إرشاد القلوب : ١٩٩ ، الباب ٥٤ ؛ عنه البحار : ٧٧ / ٢٧ ـ ٢٩ ضمن ح ٦ ، وقد ذكر فقرات متفرقة من الحديث .

وفوائده وقد ذكروا له فوائد عظيمة:

منها : صفاء القلب لأنّ الشبع يكثر البخار في الدماغ ، فيعرضه شبه السكر ، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار ، وعن سرعة الانتقال ، فيعمى القلب ، الجوع بخلاف ذلك فيصير سبباً لصفاء القلب ورقّته ، ويهيّىء القلب لإدمان الفكر الموصل إلى المعرفة ، وله نور محسوس ، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله : من أجاع بطنه عظمت فكرته . وقد سمعت مواريث المعرفة.

ومنها : الانكسار والذلّ ، وزوال الأشر والبطر ، والفرح الّذي هو مبدأ الطغيان فاذا ذلّ النفس يسكن لربّه ويخشع.

ومنها : كسر سورة الشّهوات والقوى الّتي تورث المعاصي وتوقع في الكبائر المهلكات لأنّ أغلب الكبائر تنشأ من شهوة الكلام ، وشهوة الفرج ، وكسر الشّهوتين سبب للاعتصام من المهلكات.

ومنها: دفع النوم المضيّع للعمر الّذي هو رأس مال الإنسان لتجارة الآخرة ، وهو سبب لدوام السهر الّذي هو بذر كلّ خير ، ومعين للتهجّد الباعث لوصول المقام المحمود.

ومنها : تيسّر جميع العبادات من وجوه ، أهونها قلّة الاحتياج إلى التخلّي وتحصيل الطعام ، وقلّة الابتلاء بأمراض شتّى ، فإنّ المعدة بيت الداء[1] ، والحمية

---

(١) روى الطبرسي في مكارم الأخلاق : ٤١٩ مرسلاً عن العالم عليه السلام قال : «الحمية رأس الدواء ، والمعدة بيت الداء ، وعوّد بدناً ما تعود» عنه البحار : ٦٢ / ١٤٢ ح ١٠ .

رأس كلّ دواء ، وكلّ ذلك محوج للإنسان لعروض الدنيا من مالها وجاهها اللّذين فيهما هلك من هلك.

ومنها : **التمكّن من بذل المال والإطعام** والصلة والبرّ والحجّ والزيارة وبالجملة العبادات الماليّة كلّها .

أقول : هذه فوائد لا يحيط عقول البشر بتفصيلها ، لا سيّما الفائدة الأولى ، فإنَّ الفكر في الأعمال بمنزلة النتيجة ، وغيره بمنزلة المقدّمات فإنّه نفس السير ، وغيره مقدَّمات ومعدّات للسّير ، ولذا ورد فيه : «تفكّر ساعة خيرٌ من عبادة سبعين سنة»(١) .

وإذا تمهّد لك هذه المقدَّمة ينتج لك فوائد عظيمة :

منها : أنّك تعلم بالعلم القطعيّ وجه اختيار الله لضيفه الجوع لأنّه لا نعمة أنعم وأسنى من نعمة المعرفة والقرب واللّقاء ، والجوع من أسبابها القريبة .

وتعلم أنَّ الصوم ليس تكليفاً بل تشريف يوجب شكراً بحسبه ، وترى أنَّ المنّة لله تعالى في إيجابه ، وتعرف مكانة نداء الله لك في كتابه في آية الصوم وتلتذّ من النداء إذا علمت أنّه نداء ودعوة لك لدار الوصول ، وتعلم أنَّ الحكمة في تشريعه قلّة الأكل وتضعيف القوى وتضنُّ أن تأكل في اللّيل ما تركته في النّهار بل وأزيد .

ومنها : أنّك إذا عرفت شرف ما أريد منه لك تجتهد في تصحيحه

---

(١) روضة الواعظين : ١٦ نحوه ؛ عنه البحار : ٢ / ٢٣ ح ٧١.

والاخلاص فيه ليسلم لك فوائده .

ومنها : أنّك إذا عرفت المراد من جعل الصوم وإيجابه تعرف بذلك ما يكدّره وما يصفيه وتعلم معنى ما ورد فيه من أنَّ الصوم ليس من الطعام والشراب فقط [(١)] ، فاذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك حتّى ذكر في بعضها الجلد والشعر [(٢)] .

ومنها : أنّك تعرف أنَّ النيّة بهذا العمل لا يليق أن يكون لدفع العقاب فقط ، ولا يليق أن يكون لجلب ثواب جنّة النعيم وإن حصلا به ، بل حقّ نيّة هذا العمل أنّه مقرّب من الله وموصل إلى قربه وجواره ورضاه ، بل جعل هذا العمل لأنّه من جهة أنّه مخرج للانسان من أوصاف البهيمة ومقرّب إلى صفات الرُّوحانيّين نفس التّقرُّب .

وإذا عرفت : ذلك تعرف بأيسر ما تفطّن أنَّ كلَّ ما يلحقك من الأحوال

---

(١) روى الكليني في الكافي : ١ / ١٨٧ بأسناده عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده ... فاحفظوا ألسنتكم وغضوا أبصاركم ولا تنازعوا ولا تحاسدوا ...» .
رواه الصدوق في الفقيه : ٢ / ٦٧ ح ٢٨٠ عنهما الوسائل : ١٠ / ١٦٣ ح ٤ .

(٢) روى الشيخ في التهذيب : ١ / ٤٠٧ باسناده الى محمد بن مسلم قال أبو عبد الله عليه السلام : «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك ، وعدد أشياء أُخرى ولا يكون صومك كيوم فطرك» .
ورواه الصدوق في الفقيه : ١ / ٣٨ ، والمفيد في المقدمة : ٤٩ مثله ورواه في الكافي : ١ / ١٨٦ باسناده إلى محمد ابن أبي عمير مثله عنها الوسائل ١٠ / ح ١
وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المضمون فمن أراد المزيد فليراجع الوسائل : ١٠ / ١٦١ باب ١١ من ابواب آداب الصائم.

والأفعال والأقوال المبّعدة لك عن مراتب الحضور فهو مخالف لمراد مولاك من تشريفك بهذه الدَّعوة والضيّافة ، ولاترضى أن تكون في دار ضيافة هذا الملك الجليل المنعم لك بهذا التشريف والتقريب ، العالم بسرائرك وخطرات قلبك ، غافلاً عنه وهو مراقب لك ، ومعرضاً عنه وهو مقبل عليك ، ولعمري إنَّ هذا في حكم العقل من القبائح العظيمة الّتي لا يرضى العاقل أن يعامل صديقه بذلك ، ولكن كان من رفق الله وفضله لم يحرّم مثال هذه الغفلات ، وسامح عباده وكلّفهم دون وسعهم هذا ، ولكنَّ الكرام من العبيد أيضاً لا يعاملون (ذلك) مع سيّدهم عند كلّ واجب وحرام بل يعاملونه بما يقتضيه حقُّ السيادة والعبويّة ، ويعدُّون من اقتصر بذلك من اللّئام .

وبالجملة يعملون في صومهم بما وصى به الصّادق عليه السلام وهي أمور : منها أن يكون حالك في صومك أن ترى نفسك مشرفاً للآخرة ، ويكون حالك حال الخضوع والخشوع ، والانكسار والذلّة ، ويكون حالك حال عبد خائف من مولاه وقلبك طاهراً من العيوب ، وباطنك من الحيل والمكر ، وتتبرّأ إلى الله من كل ما هو دونه ، تخلّص في صومك ولايتك لله ، وتخاف من الله القهّار حقَّ مخافته ، وتبذل روحك وبدنك لله عزَّ وجلَّ في أيّام صومك وتفرغ قلبك لمحبّته وذكره ، وبدنك للعمل بأوامره وما دعاك إليه ، إلى غير ذلك ممّا أوصى به من حفظ الجوارح من المحذورات والمخالفات ، ولاسيّما اللّسان ، حتّى المجادلة واليمين الصّادقة ثمَّ قال في آخر الرواية : إن عملت بجميع ما بيّنت لك فقد عملت بما يحقُّ على الصّائم ، وإن نقصت من ذلك فينقص من فضل صومك وثوابه بقدر

مانقصت ممّا ذكرت[١] .

أقول : فانظر بما في هذه الوصايا من وظائف الصائم ثمّ تأمّل في تأثيراته فاعلم أنَّ من يرى نفسه مشرفاً للآخرة ، يخرج قلبه من الدنيا ، ولايهتمُّ إلاّ بتهيئة زاد للآخرة ، وهكذا إذا خضع قلبه وكان منكسراً وذليلاً بعد عن الفرح بغير الله والميل إليه ، ومن بذل روحه وبدنه لله ، وتبرّأ من كلّ شيء دون الله يكون روحه وقلبه وبدنه وكلّه مستهتراً في ذكر الله ومحبّة الله ، وعبادة الله ، ويكون صومه صوم المقرّبين ، رزقنا الله بحقّ أوليائه هذا الصوم ولو يوماً في عمرنا .

وكيف كان مراتب الصوم ثلاثة :

صوم العوامّ : وهو بترك الطعام والشراب والنساء على ما قرّره الفقهاء من واجباته ومحرّماته

وصوم الخواصّ : وهو ترك ذلك مع حفظ الجوارح من مخالفات الله جلَّ جلاله .

وصوم خواصّ الخواصّ : وهو ترك كلّ ما هو شاغل عن الله من حلال أو حرام .

ولكلّ واحد من المرتبتين الأخيرتين أصناف كثيرة لا سيّما الأُولى فانَّ أصنافه كثيرة لا تحصى بعدد مراتب أصحاب اليمين من المؤمنين بل كلُّ نفس

---

(١) ذكر هذه الوصيا الحر العاملي في الوسائل : ١٠ / ١٦٦ ح ١٣ ، الباب ١١ من أبواب آداب الصائم عن نوادر أحمد بن عيسى : ٢١ ح ١٠ باسناده عن جرّاح المدائني .

منهم له حدٌّ خاصٌّ لا يشبه حدَّ صاحبه ومن أهل المراتب أيضاً من يقرّب عمله من عمل من فوقه، وإن لم يكن منه.

هذا من جهة ما يصام عنه، وأمّا من جهة قصد الصيام، فينقسم الصائمون أيضاً على أصناف:

بعضهم ما قصدوا بصومهم قصداً صحيحاً يكفي في عدم بطلان عملهم، بل صاموا لغير الله من خوف النّاس، ومن أجل جلب النّفع منهم، أو لمجرّد العادة المعمولة بين المسلمين.

وبعضهم يكون صومهم مشوباً مع ذلك بشيء من خوف عقاب الله ورجاء ثوابه.

وبعضهم يتمحّض قصدهم لأجل خوف العقاب أو الثواب والثّاني قليل، والأغلب من هذا الصنف يشترك في قصده جهة دفع العقاب، وجلب الثّواب.

وبعضهم يدخل مع ذلك في قصدهم كونه مقرّباً إلى الله وموجباً لرضا الله.

وبعضهم يتمحّض قصدهم في جهة القرب والرّضا.

وقد يقال: الأولى أن يتمحّض قصد بعض الكاملين في كونه تعالى أهلاً لأنّ يعبد ويخلص من شوب الرغب والرهب رأساً حتّى الوصول إلى لقائه والزلفى لديه، كونه موافقاً لرضاه، ويعدُّون العمل من جهة الرغبة في الوصال ناقساً ورأيت من عبّر عن مثل هذا العمل بأنّه عبادة النفس.

أقول: لا أظنُّ نبيّاً ولا وليّاً ولا ملكاً مقرَّباً يخلص جميع أعماله من ذلك

وعدُّ العمل بقصد أنّه موصل إلى رضا الله وقربه وجواره عبادة النفس كما في كلمات بعض أهل المعرفة إفراط نعم لا بأس بأن يكون لأولياء الله في بعض حالاتهم وتجلّياتهم حال يصدر منهم العمل لمجرّد كونه تعالى أهلاً له، مع نسيان جهة القرب والرّضا، ولكن لا أقول بإمكان دوام ذلك لأحد من الأنبياء فضلاً عن غيرهم أو وقوعه بل ولا أفضّل العمل لذلك على العمل لشوق الوصول إلى جوار الحبيب تعالى، كيف ولا مرتقى فوق عبادة رسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام ؟ والأخبار كاشفة عن كون بعض أعمالهم أو أغلبها لمجرّد تحصيل رضا الربّ تعالى وقربه.

بل وأجسر وأقول: لا باس أن يكون خوف العقاب أيضاً داخلاً في بعض الأحيان في قصودهم كيف ومن غلب عليه خوف عقاب الله بحيث غشي عليه من ذكر جهنّم لا يمكن أو يتعسّر أن لا يؤثّر ذلك في أعماله أصلاً؟

بل وظنّي أنَّ أحوال الأنبياء والأولياء حتّى سيّدهم نبيّنا صلى الله عليه وآله كانت مختلفة، وسبب اختلافها اختلاف تجلّيات أسماء الله تعالى لهم على وفق حكمة الله جلَّ جلاله في تربيتهم وترفيع درجاتهم، وتقريبهم من جواره، وكان الله هو المتولّي لرياضة قلوبهم بذلك حتّى يكملوا كما في بعض فقرات الزيارة «مواليَّ لكم قلوب تولّى الله رياضتها بالخوف والرّجاء»[1] تارة يتجلّى لهم بالأسماء الجماليّة فيستأنسون لربّهم وتمنّون عليه بل يمنّون على غيرهم بالتصرّف في ملك مالكهم

---

(١) وردت هذه الفقرة في الزيارة الجامعة للأئمة عليهم السلام رواها المشهدي في المزار الكبير: ٩٣ - ٩٤، والسيد ابن طاووس في مصباح الزائر: ٢٣٧ - ٢٣٩ عنهما البحار: ١٠٢ / ١٦٤ س ٦ ضمن الزيارة الخامسة.

وسيّدهم،أخرى يتجلّى لهم بالأسماء القهريّة الجلاليّة ، فتراهم عند ذلك يتضرّعون ويستغفرون ويبكون ، ويناجونه بهذه المناجاة الّتي أغلبها الاستغفار والعوذة ، وطلب النجاة من جهنّم والنّار كيف واختلاف أحوال الأنبياء شيء لا يخفى على من له أدنى مماسة بأخبارهم .

وقد روي لنا عن حالات رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه كان في بعض حالاته يقول : كلّميني ياحميراء [(١)] ، ومع ذلك قد كان ينتظر وقت الصّلاة ويقول أرحني يابلال [(٢)] ، وكان في بعض الأوقات يتغيّر لونه وحاله عند نزول الوحي [(٣)] ، وكان في بعض الأوقات يخاف عند هبوب الرّياح من نزول البلاء [(٤)] ، وكلُّ ذلك كاشف عن اختلاف الأحوال ، وهو لا يجتمع مع أن يتمخّض قصد العامل في جميع

(١) لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب عائشة بالحميراء في روايات منها ما رواه الصدوق في العيون : ٢ / ٨١ وفي علل الشرائع : ١ / ٢٦٦ باسناده عن ابراهيم بن عبد الحميد عن أبي الحسن عليه السلام قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على عائشة وقد وضعت قمقمتها في الشمس ، فقال صلى الله عليه وآله : ياحميراء ما هذا ؟ قالت : أغسل رأسي وجسدي ، قال : لا تعودي فإنّه يورث البرص » .
ورواه الصدوق في المقنع مرسلاً مثله ، عنها جميعاً البحار : ٨١ / ٣٠ ح ٩ .

(٢) روى المجلسي في البحار : ٨٢ / ١٩٣ عن التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام : ١٥ ، في تفسير قوله تعالى **﴿لكبيرة إلّا على الخاشعين﴾** حيث قال : كما قال النبي صلى الله عليه وآله : «جعلت قرّة عيني في الصلاة» وكان يقول : «أرحنا يا بلال» .

(٣) روى القمي في تفسيره : ٦٨٠ - ٦٨٢ في تفسير الآية :**﴿إذاجاءك المنافقون قالوا نشهد إنّك لرسول اللّه واللّه يعلم إنك لرسوله .... ﴾** [المنافقون : ١] في حديث طويل : «... فما سار إلّا قليلاً حتى أخذ رسول اللّه صلى الله عليه وآله ما كان يأخذه من البرحاء عند نزول الوحي عليه ... » فسرّي عن رسول صلى الله عليه وآله وهو يسلت العرق عن جبهته ...» عنه البحار: ٢٠ / ٢٨٧ ضمن ح ١.

(٤) روى السيوطي في الدر المنثور : ١ / ١٦٤ بأسناده إلى ابن عباس قال : «ما هبّت ريح قط إلّا جثا النبي صلى الله عليه وآله على ركبتيه وقال : اللّهم اجعلها رحمة ولاتجعلها عذاباً» عنه البحار : ٦٠ / ١٩ ح ٣٩ .

حركاته وسكناته عن جميع الوجوه إلّا كونه تعالى أهلاً للعبادة ، هذا .

ولا يبعد أن يكون المراد من قصد كونه تعالى أهلاً للعبادة في لسان العظماء من أهل العلم معنى يجتمع مع قصد قربه ورضاه ، فانَّ قصد قرب الحبيب أيضاً قد يكون لكونه أهلاً للتقرُّب إليه لا للتنعّم من عطائه ونعمه ، ولا للفرار من عقابه ، هذا أحد معني كون العمل لأنّه أهل للعبادة ، كما يشعر بذلك كلام سيّد الأولياء أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول : «ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنّتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[1] فانّه عليه السلام جعل قصد كونه أهلاً للعبادة مقابلاً للعبادة من خوف النار وطمع الجنّة لا ما يعمُّ الوصول إلى رضاه وقربه فكيف كان ، سأل الله جلَّ جلاله أن يمنَّ علينا بتوفيق قصد قربه ورضاه ، بل ويكرِّمنا بمعرفة المقصود من قربه ، بل التسليم لا مكانه إجمالاً ، أما ترى جماعة من أجلّة أهل العلم ينكرون تصوُّر معنى لقربه تعالى ويقولون : معنى قصد القرب هو قصد أمره تعالى ، وما زاد على ذلك فهو يخالف تنزيهه تعالى ، وإن كانوا في هذه العقيدة غير مصابين .

ثمَّ لا يذهب عليك أنَّ القول ببطلان العبادة من جهة خوف العقاب أو طمع الجنّة وإن صدر عن بعض الأجلّة ولكنّه صادر عن الغفلة ولا غرو في وقوع أمثال هذه الغفلات والعثرات من الأجلّة والأعيان لحكمة إلهيّة في ابتلائهم بأمثاله .

ولا يذهب (عليك) أيضاً أنَّ ما حكم به سيّدنا قدَّس الله نفسه الزكيّة في إقباله بأنَّ من عبد الله لمجرَّد دفع العقاب فهو من لئام العبيد ؛ إنّما هو كما صرَّح به قدس سره لمن

---

[1] عوالي اللئالي : ٢ / ١١ مرسلاً ، البحار : ٤١ / ١٤ .

كان ممّن لا يعبد لولا خوف العقاب ، فهو كما قال : يخالف كرائم الصفات ، بل مقصوده تَدِّنُّ من لا يرى الله جلّ جلاله أهلاً للخدمة وهذا البتّة من لئام العبيد بل هذا الاعتقاد إنّما هو قذى في عين الإيمان والإسلام ، هذا .

وقد يزيد المخلصون في السّوم على أنفهسم - زيادة على عدم شغلهم بغير محبوبهم - بكمال الجدّ في الأعمال الشاقّة ، ولو رأوا عملين متساويين في الفضل لاختاروا أشقّهما على أنفسهم ، أولئك هم المقرَّبون حقّاً ، ولله درُّهم كما حكي ذلك صريحاً عن أمير المؤمنين عليه السلام [١] هذا .

وقد يقتسم الصائمون من جهة طعامهم وشرابهم إلى صنوف :

منهم : من يكون مأكله ومشربه من الحرام المعلوم ، وهذا مثله في بعض الوجوه مثل حمّال يحمل أثقال الناس إلى منازلهم فالأجر لمالك الطعام ، وله وزر ظلمه وغصبه ، أو مثله مثل من ركب دابّة مغصوبة إلى بيت الله وطاف بالبيت على هذه الدابّة المغصوبة .

ومنهم من يكون (مأكله) ذلك من الشبهات : وهو على قسمين قسم يكون أخذ هذا المشتبه بالحرام الواقعيّ محلّلاً له في الظاهر ، وقسم لا يكون محلّلاً ولو في الظاهر والأوّل يلحق في حكمه بمن يكون مأكله ومشربه من الحلال وإن كان

---

(١) روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : ١ / ٤٨٨ - ٤٨٩ بأسناده إلى زرارة بن أعين قال : قيل للإمام جعفر بن محمد عليهما السلام إن قوماً ههنا ينتقصون علياً قال : «بم ينتقصونه لا أباً لهم وهل فيه موضع نقيصة ؟ واللّه ما عرض لعلي عليه السلام أمران قطّ كلاهما لله طاعة إلّا عمل بأشدهما وأشقاهما عليه ... » عنه البحار : ٤١ / ١٣٣ .

دونه بدرجة ، والثاني بمن يأكل الحرام المعلوم وإن كان فوقه بدرجة .

ومنهم : من يكون مأكله حلالاً معلوماً ولكن يترف في كيفيّته بالألوان الكثيرة ، وفي مقداره على حدّ الامتلاء ، ومثله مثل خسيس الطبع الّذي يشتغل في حضرت حبيبه بالالتذاذ بما يكرهه ، وهو متوقّع أن لا يلتذّ بشيء غير ذكره وقربه وهذا عبد خسيس لا يليق بمجالس الأحبّاء ، بل حقّه أن يترك وما يلتذُّ به ، وهو لأن يعدَّ عبد بطنه أولى من أن يعدَّ عبد ربّه .

ومنهم : من يكون حدّه في الكيفيّة والمقدار فوق الاتراف ويلحق بالاسراف والتبذير هذا أيضاً في حكمه ملحق بمن يأكل الحرام المعلوم وهو أيضاً بأن يعدُّ عاصياً أحقّ من أن يعدَّ مطيعاً.

ومنهم : من يكون مأكله ومتقلّبه كلّها محلّلة ولا يسرف ولا يترف بل يتواضع لله في مقدار طعامه وشرابه عن الحدّ المحلّل وغير المكروه ، وهكذا بترك اللّذيذ ويقتصر في الإدام على لون واحد ، أو يترك بعض اللّذائذ وبعض الزياد .

فدرجاتهم عند ربّهم المراقب لحفظ مجاهداتهم ومراقباتهم محفوظة مجزيّة مشكورة ، ولا يظلمون فتيلاً فيجزيهم ربّهم بأحسن ما كانوا يعلمون ، ويزيدهم من فضله بغير حساب ، فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرّة أعين بل ولا خطر على قلب ، هذا .

واقتسموا أيضاً من جهة نيّات الإفطار والسحور على أصناف :

منهم : من يأكل فطوره وسحوره بلا نيّة غيرما يقصده الآكلون بالطّبع لدفع

الجوع أو لذَّة المأكول .

ومنهم : من يقصد مع ذلك أنّه مستحبٌّ عند الله وأنّه عون على قوَّة العبادة .

ومنهم : من لا يكون قصده من الإفطار والتسحّر إلّا كونهما مطلوبين لسيّدهم ومولاهم ، وعوناً على عبادته ، ويراعون مع ذلك آدابه المطلوبة من الذكر والعبر والكيفيّات ، ويقرأون ما استحبَّ لهم من قراءة القرآن والأدعية والحمد قبل الشروع وفي الأثناء وبعد الفراغ .

ومن أهمّ ما يقرأ بعد البسملة فيهما قبل الشروع سورة القدر ، ومن أجلّ ما يقرأ قبل الإفطار الدعاء المرويّ في **«الإقبال»** بإسناده إلى مفضّل بن عمر ، عن الصادق عليه السلام قال : «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأمير المؤمنين – عليه الصلاة والسلام – : يا أبا الحسن ! هذا شهر رمضان قد أقبل فاجعل دعاءك قبل فطورك فانَّ جبرئيل جاءني فقال : يامحمّد من دعا بهذا الدعاء في شهر رمضان قبل أن يفطر استجاب الله دعاءه وقبل صومه عنه وصلاته ، واستجاب له عشر دعوات ، وغفر له ذنبه ، وفرَّج غمّه ، ونفّس كربته ، وقضى حوائجه ، وأنجح طلبته ، ورفع عمله مع أعمال النبيّين والصدّيقين وجاء يوم القيامة ووجهه أضوأ من القمر ليلة البدر فقلت : ما هو يا جبرئيل ؟ فقال : اللّهمَّ ربّ النور العظيم الخ»[1] .

ثمَّ إنَّ الّذي في الأخبار هو كون الغيبة والكذبة والنظرة بعد النظرة والسبّ والظلم قليلها وكثيرها مفطراً ، وأن ليس الصوم من الطعام والشراب فقط ولكن إذا

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٢٣٩ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ١٠ ؛ المستدرك : ٧ / ٣٦٠ .

صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك وفرجك وبطنك ، واحفظ يدك ورجلك وأكثر السكوت إلّا من خير ، وارفق بخادمك ، وأنّه إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من الحرام والقبيح ، ودع المراء وأذى الخادم ، وليكن عليك وقار الصيام ، ولا تجعل يوم صومك كيوم فطرك ، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ أيسر ما افترض الله على الصائم في صيامه ترك الطعام والشراب [(١)] ، وفتوى الفقهاء بصحّة صوم بعض هؤلاء إنّما يلتئم إذا أُريد من كلام الفقهاء في معنى الصحّة ما يكون مسقطاً للقضاء ومما في الأخبار ما يكون موجباً للقبول [(٢)] .

وبالجملة الصوم الصحيح الكامل الّذي شرّع الله تعالى لحكمة تكميل نفس الصائم ، هو ما يكون لا محالة تركاً لعصيان الجوارح كلّها فان زاد الصائم مع ذلك ترك شغل القلب عن ذكر غير الله ، وصام عن كلّ ما سوى الله فهو الأكمل وإذا علم الانسان حقيقة الصوم ودرجاته وحكمة تشريعه ، فلابدّ له من الاجتناب عن كلّ معصية وحرام لأجل قبول صومه لا محالة ، وإلاّ فهو مأخوذ مسؤول عن صوم جوارحه وليس معنى إسقاط القضاء أمراً ينفع الانسان يوم القيامة عن المؤاخذة ، هذا .

وقد ورد في فضل شهر رمضان وبسط رحمة الله فيه من الأخبار أمر عظيم نافع جدّاً ﴿لِمَن كانَ لَهُ قَلبٌ أو أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيد﴾ [(٣)] :

---

(١) المقنعة : ٥٠ مرسلاً عنه الوسائل : ١٠ / ١٦٤ ح ٨ .

(٢) لقد وردت هذه الفقرات في أحاديث عديدة فمن أراد التفصيل فليراجع الوسائل : ١٠ / ١٦١ الباب ١١ من أبواب آداب الصوائم .

(٣) ق : ٣٧ .

منها : أنّ لله تعالى في كلّ ليلة من شهر رمضان عند الافطار سبعين ألف ألف عتيق من النار كلاًّ قد استوجب النار ، فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه [(١)] .

وفي رواية أُخرى : إذا كان أوّل ليلة من شهر رمضان غفر الله لمن شاء من الخلق ، اذا كانت اللّيلة الّتي تليها ضاعفهم ، فاذا كانت الّتي تليها ضاعف كلّما أعتق حتّى آخر ليلة في شهر رمضان يضاعف مثل ما أعتق في كلّ ليلة [(٢)] .

ومن ذلك ما رواه السيّد قدَّس الله نفسه الزكيّة في الاقبال عن كتاب بشارة المصطفى لشيعة المرتضى باسناده إلى الحسن بن عليّ بن فضّال ، عن الرضا ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين – عليهم الصلاة والسلام – قال : إنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله خطبنا ذات يوم فقال :

«أيّها الناس إنّه قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة ، شهر هو عند الله أفضل الشهور ، وأيّامه أفضل الأيّام ، ولياليه أفضل اللّيالي ، وساعاته أفضل الساعات ، وشهرٌ دعيتم فيه إلى ضيافة الله ، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله ، أنفاسكم فيه تسبيح ، ونومكم فيه عبادة ، وعملكم فيه مقبول ، ودعاؤكم فيه مستجاب فاسألوا الله ربّكم بنيّات صادقة ، وقلوب طاهرة ، أن يوفّقكم لصيامه ، تلاوة كتابه ، فانَّ الشقيَّ من حرم غفران الله في هذا الشهر العظيم» .

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٢٤ ؛ أمالي المفيد : ٢٢٩ بأسناده إلى عبد الله بن عباس باختلاف ؛ عنها البحار : ٩٦ / ٣٣٧ ح ١ والمستدرك : ٧ / ٤٢٩ .

(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٢٨ بأسناده إلى محمد بن مروان .

«اذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيامة وعطشه ، وتصدَّقوا على فقرائكم ومساكينكم ، ووقّروا فيه كباركم ، وارحموا صغاركم ، وصلوا ارحامكم واحفظوا ألسنتكم ، وغضّوا عمّا لا يحلّ إليه النظر أبصاركم ، وعمّا لا يحلّ إليه الاستماع أسماعكم ، وتحنّنوا على أيتام الناس يتحنّن على أيتامكم ، وتوبوا إلى الله من ذنوبكم ، وارفعوا إليه ايديكم بالدعاء في أوقات صلواتكم ، فانّها أفضل الساعات ، ينظر الله عزَّ وجلَّ فيها بالرّحمة إلى عباده ، ويجيبهم إذا سألوه وناجوه ، ويلبّيهم إذا نادوه ، ويستجيب لهم إذا دعوه» .

«أيّها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم ، وظهوركم مثقلة من أوزاركم فخفّفوها بطول سجودكم ، واعلموا أنَّ الله أقسم بعزّته أن لا يعذّب المصلّين والساجدين ، وأن لا يروعهم بالنّار يوم يقوم الناس لربّ العالمين» .

«أيّها الناس من فطّر منكم صائماً مؤمناً في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ، ومغفرة لما مضى من ذنوبه ، فقيل : يا رسول الله وليس كلّنا يقدر على ذلك ، فقال صلى الله عليه وآله : اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة ، أتّقوا النار ولو بشربة من ماء» .

«أيّها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزلُّ فيه الأقدام ، ومن خفّف منكم في هذا الشهر عمّا ملكت يمينه خفّف الله عليه حسابه ، ومن كفَّ فيه شرَّه كفّ الله غضبه عنه يوم يلقاه ، ومن أكرم فيه يتيماً أكرمه الله يوم يلقاه ، من وصل فيه رحمه وصله الله برحمته يوم يلقاه ، ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه ، ومن تطوّع فيه بصلاة كتب الله له براءة

من النار ، من أدّى فيه فرضاً كان له ثواب من أدّى سبعين فريضة فيما سواه من الشهور ، ومن أكثر فيه من الصلاة عليَّ ثقّل الله ميزانه يوم تخفُّ الموازين ، ومن تلا فيه آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور» .

«أيّها الناس إن أبواب الجنان في هذا الشهر مفتّحة فاسألوا ربّكم أن لا يغلقها عليكم ، وأبواب النيران مغلقة فاسألوا ربّكم أن لا يفتحها عليكم ، والشياطين مغلولة فاسألوا ربّكم أن لا يسلّطها عليكم» .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : فقمت وقلت يارسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر ؟ فقال : يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله عزّ وجلَّ ، ثمَّ بكى ، فقلت ما يبكيك يارسول الله فقال : ياعليُّ ممّا يستحلُّ منك في هذا الشهر كأنّي بك وأنت تصلّي لربّك ، وقد انبعث أشقى الأوّلين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود ، فيضربك ضربةً على قرنك تخضب بها لحيتك .

قال أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يارسول الله وذلك في سلامة من ديني ؟ فقال : في سلامة من دينك .

ثمَّ قال صلى الله عليه وآله : ياعليُّ من قتلك فقد قتلني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، ومن سبّك فقد سبّني ، لأنّك منّي كنفسي ، روحك من روحي ، وطينتك من طينتي ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقني وخلقك واصطفاني وإيّاك ، واختارني للنبوّة واختارك للإمامة ، من أنكر إمامتك فقد أنكر نبوّتي .

ياعلي أنت وصيّي ، وأبو ولدي وزوج ابنتي ، وخليفتي على أمّتي في حياتي وبعد موتي ، أمرك أمري ، ونهيك نهيي أقسم بالّذي بعثني بالنبوة ، وجعلني

خير البريّة ، إنّك لحجّة الله على خلقه ، وأمينه على سرّه ، وخليفته في عباده»[(١)]

ومن أبلغ ما ورد في البشارة لشهر رمضان دعاء النبي صلى الله عليه وآله على من لم يغفر فيه حيث إنّه صلى الله عليه وآله قال : «من انسلخ عنه شهر رمضان ولم يغفر له فلا غفر الله له»[(٢)] فانّ هذا الدعاء بلحاظ أنّه صلى الله عليه وآله بعث رحمة للعالمين بشارة عظيمة لسعة الرحمة وعموم الغفران في الشهر وإلاّ لم يكن مع كونه رحمة للعالمين يدعو لمسلم ولو كان مذنباً .

ومن أجلّ ما ورد في ذلك الأخبار الكثيرة الواردة في غلّ مردة الشياطين وفتح أبواب الجنان ، وفتح أبواب الرحمة ، وغلق أبواب النار ، وكفاية الله عدوّ الجنّ ، نداء منادي الله من أوّل الشهر إلى آخره ولم يرد مثله في شهر من الشهور فانّ الّذي ورد في سائر الشهور إنّما هو في الثلث الآخر من اللّيل إلاّ في ليالي الجمعات من أوّل الليل إلى آخره ، وكذا في شهر رجب عامّة وأمّا شهر رمضان فورد فيه النداء من أوّل الشهر إلى آخره لياليها وأيّامها ، وما ورد من اختصاص شهر رمضان باجابة الدعاء وآية ﴿ادعُونِي أسْتَجِبْ لَكُم﴾[(٣)] .

أقول : إنّ لكلّ واحد من هذه الأمور لشأناً عند أهله يعرفون به منّة الله

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٢٥ - ٢٧ ؛ أمالي الصدوق : ٨٤ ح ٤ ؛ فضائل الأشهر الثلاثة : ١٧٧ ح ٦١ ؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٢٩٥ ح ٥٣ بأسنادهم جميعاً إلى الحسن بن علي بن فضال ؛ عنها البحار : ٩٦ / ٣٥٨ ح ٢٥ ؛ وسائل الشيعة : ١٠ / ٣١٣ ح ٢٠
أورده مختصراً في الكافي : ١ / ٦٧ ؛ والتهذيب : ٣ / ٥٧ و ١٥٢ ؛والفقيه : ٢ / ٥٨
أورد صدره مع أختلاف دعائم الإسلام : ١٠ / ٢٦٩ عنه المستدرك : ٧ / ٤٣٧ و ٣٥٤ .
(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٥٤ .
(٣) غافر : ٦٠ .

عليهم ، يستقبلونه بشكر وفرح عظيم ، وينتفعون به ، وأمّا الغافل والمنكر فلعلّهما يقلُّ انتفاعهما من جهة التضييع والأهمال والكفران أو يعدم .

ولقد حكي أنّه كان بعضٌ لا يرى من غلّ الشياطين في شهر رمضان كثير نفع وكأنّه عسر عليه تصديقه أو فهم ما أُريد منه ، والحال أنّه محبوس في شهر رمضان وآثاره في العالم ظاهرة من جهة كثرة العبادات والخيرات فيه ، ولا يشكُّ فيه أحد ومن يعرف حقيقة الشيطان ، وجهة ارتباطه مع البشر ومداخله ، يعرف أنَّ نفس الامتناع من الطعام والشراب لا سيّما إذا اقترن بكفِّ اللّسان عن كثرة الكلام ، سبب لمنع تصرُّف الشياطين في قلب الصائم كما اشير إلى بعض ذلك في قولهم عليهم السلام :

«ضيّقوا مجاريه بالجوع ، وإنّه يجري في بدن الانسان مجرى الدَّم» [(١)] .

وكيف كان فهذا الّذي هو المرئيّ من العامّة من كثرة العبادات ، والخيرات والقربات في شهر رمضان شيء لا ينكر نعم ليس هذا بالنسبة إلى جميع الشياطين ، وبالنسبة إلى جميع المكلّفين ، وهذا أمر ظاهر لأهله كما صرَّح تقييده في بعض أخبار الباب بمردة الشياطين .

ثمَّ إنَّ الشرع والعقل والعرف كلّها يحكم باللزوم التعرّض لنفحات الربّ تعالى واستقبال ألطافه في توفيق العبد لتحصيل قربه ورضاه بالشوق والشكر والأدب ، من أقلّ مراتب التعرّض أن ينشئ العبد جواباً لمنادي هذا الشهر بإظهار

---

(١) أعلام الدين : ٦٧ ؛ شهاب الأخبار : ١٢٠ ح ٦٦٥ ؛ مجموعة ورام : ١ / ١٠١ ؛ عوالي اللئالي : ١ / ٣٢٥ ح ٦٦ ؛عنه المستدرك : ١٦ / ٢٢٠ ح ١٦ .

الشكر ، وقبول المنّة ، وعذر التقصير ، وذلّ الاعتراف .

فالأولى له أن يتصوّر هذا الملك كأنّه رسول عزيز شريف لبعض ملوك الدّنيا وجاءه من قبل هذا الملك لدعوة هذه الرعيّة لمجلس ضيافة السلطان ، وأخبر أنَّ السلطان معه في غاية اللّطف من مغفرة الزلّات ، وعطاء الهبات ، وفرامين الولايات والخلع الفاخرات ، بل في مقام الرّضا ، والدعوة لمجلس الأُنس واللقاء،القرب والوفاء ، وتشريفه في زمرة الأحبّاء والأولياء ، كيف يستقبله ويجيبه ؟ ويبذل مهجته دونه ؟ ويفديه بأعزّته وأهله ونفسه ؟ ثمَّ يقدّر في نفسه عظمة هذا الربّ الودود ، والسلطان العظيم ، بالنسبة إلى جميع ملوك الدنيا ويعرف حقّ ما يجب عليه في إجابة هذا الدّعاء وينشىء له جواباً يليق بحاله ، وإن لم يمكنه التحرّي في ذلك بما يليق فليقرأ ما أنشأناه في جواب منادي رجب بتغيير مّا في بعض فقراته .

ثمَّ الأولى أن يقرأه في أوّل الشهر بل في اللّيلة الأولى وفي بعض أوقاته الخاصّة .

وأمّا التعرُّض لنفحة إجابة الدعوات ، فبكثرة الدعوات ، والمناجاة الواردات وغير الواردات ، وأن يكثر التدّبر في الآيات الواردة في ذلك من قوله تعالى: ﴿قُلْ ما يَعْبَؤُ بِكُم رَبِّي لَولَا دُعَاؤُكُم﴾ [(١)] وقوله : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم﴾ [(٢)] وقوله : ﴿وإذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنّي فَإنّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوةَ الدّاعِي إذا دَعانِ

(١) الفرقان : ٧٧ .
(٢) غافر : ٦٠ .

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾[(١)] وقوله : ﴿أمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إذا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوء﴾[(٢)] وقوله : ﴿فَلَوْلا إذا جَاءَهُم بَأسُنا تَضَرَّعُوا﴾[(٣)] وقوله : الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِين﴾[(٤)] حيث فسّر العبادة في الأخبار بالدّعاء ، وقوله :﴿واسألوا الله من فضله﴾[(٥)] ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُم رَحيماً﴾[(٦)] إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة .

وليتأمّل في أخبار الباب ثمّ يتفكّر في عمل الأئمة عليهم السلام في هذا الأمر وما أنشأوا من الدّعوات الجليلة والمضامين اللطيفة ، فانّه يجد في ذلك فوق حدود البشر من فنون العلم بأسماء الله وصفاته ، وما يقتضيه جماله وجلاله ، وحقُّ أدب العبوديّة مع كلّ فيما يناسبه مقامه وأوصافه وأحواله ، وكيفيّة الاستعطاف والاسترحام ، لطيف الاستدلالات في استيجاب عفوه وكرمه وفضله ، وعرض مذلّة الاعتراف بمقدّس أبواب رأفته ورحمته ولعمري لو كان للانسان فكرة أو فطنة لكفاه ما صدر في ذلك من أئمّة الحقّ عن كلّ معجز في إثبات الرسالة والامامة .

ومن أراد من أهل العلم أن يفهم شيئاً من عظمة هذا الأمر فليعمل دعاءً أو ينشيء مناجاةً ولكن بغير ما تعلّم من أدعيتهم ومناجاتهم ، ويعرضها على ما صدر

---

(١) البقرة : ١٨٦ .
(٢) النمل : ٦٢ .
(٣) الأنعام : ٤٣ .
(٤) غافر : ٦٠ .
(٥) النساء : ٣٧ .
(٦) النساء : ٢٩ .

عنهم فحينئذ يعلم قدر ما صنعوا في ذلك ، ومن كان له ذرّة من معرفة النفس ثمّ غاص في بحار ما أوردوها من الدعاء والمناجاة يصدّق كثرة ما أودعوا فيها من فنون المعارف وحدَّ إعجازها ، وهذا العبد المسكين الجاهل ، لا أجد عشر عشير ما بيّنوها من ذلك في الأدعية والمناجات في غيرها من الأخبار المفصّلات ، بل والخطب أيضاً إلاّ ما كان منها من مخاطبة الربّ تعالى في مقام توحيده وتسبيحه وحمده .

وقد تخيّلت لهذا المطلب أيضاً سرّاً وحكمة ، وهو أنَّ الأخبار إنّما هي تكلّم مع الناس ، والأدعية والمناجاة تكلّم مع الله جلّ جلاله ، والّذي يظهر من العلم عند التكلّم مع العالم لا يظهر عند التكلّم مع الجاهل .

وبالجملة هذه الأدعية الواردة عنهم عليهم السلام كأنّها جواب ما ورد في القرآن المبين ، بعبارة أُخرى كأنّها قرآن مرفوع في جواب القرآن النازل ، والقرآن كلام الربّ تعالى ومناجاته مع عبده ورسوله صلى الله عليه وآله ؛ والأدعية كلام ومناجاة من رسوله صلى الله عليه وآله وأوليائه مع الربّ تعالى ، ولا يعرف حقيقة ذلك إلاّ الأقلون ، ولأئمّة الدّين في هذه الأدعية الواردة منّة ونعمة عظيمة علينا يعجز عنه شكر الشاكرين ومن واجب شكر هذه النعمة أن لا يضيّعوها بل يجتهدوا في أعمالها وتصحيحها وتكميل شرائطها .

ولا بأس أن نشير بواجب شرائطها إجمالاً وإن كان لتفصيل ذلك محلٌّ آخر ، لأنّ شهر رمضان ربيع الدُّعاء والقرآن [1] ، وكذا شرائط قراءة القرآن ، ولنقدّم

(١) روى الصدوق في معاني الأخبار : ٢٢٨ ، والأمالي : ٣٦ بأسناده إلى جابر عن أبي جعفر ←

شرائط القراءة أدباً وأداء لحقّ تقدّم القرآن فنقول : قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿**أفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أم على قُلُوبٍ أقْفَالُها**﴾ [(١)] فمن تدبّر في القرآن لابدَّ أن يعرف بقدر تدبّره معنى الكلام وعظمته ، وعظمة المتكلّم به ، وأحضر قلبه عند قراءته وتدبّر فيها ، وتفهّم مراداتها ، وتخلّى عن موانع الفهم ، وفرض نفسه مخصوصاً بأحكامها ومواعظها فيتأثّر عند ذلك منها ويترقّى بعد تأثّره في مراتب فراسته إلى عوالم بهيّة ، ومقامات سنيّة ، هذه أُمور متعلّقة بقراءة القرآن ، بعضها واجب جدّاً ، وبعضها فضلٌ وأيُّ فضل .

أمّا فهم معنى كلام الله فاجماله أن يعلم أنَّ القرآن له حقيقة غير عوالم الألفاظ والمفاهيم والنقوش ، وهو من أنوار الله وله في العوالم مظاهر ، ولمظاهره تأثيرات ، وله في عوالم الآخرة صورة كصورة الأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحين ، يتكلّم في هذه الصور ، ويشفع عند الربّ تعالى ويُشفّع وهو شافع مشفّع وصادق (ماحل) مصدّق ، وهو في الحقيقة تجلّ من تجلّيات الله جلَّ جلاله كلُّ ذلك في أخبار أهل البيت عليهم السلام الّذين هم قيّم القرآن ومع القرآن لا يفترقان [(٢)] .

← عليه السلام أنه قال : « لكل شيً ربيع وربيع القرآن شهر رمضان» عنه البحار : ٩٦ / ٣٨٦ ح ١ ، ورواه في ثواب الأعمال : ٩٣ بأسناده إلى السعد آبادي مثله ، عنه البحار : ٩٦ / ٣٨٦ ح ٢ .

(١) محمد : ٢٤ .

(٢) وفيه إشاره إلى حديث الثقلين حيث نقلها الصدوق في إكمال الدين : ١٣٦ بأسناده إلى زيد ابن أرقم قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : «إني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» عنه البحار : ٢٣ / ١٣٣ ح ٦٩ . هذا الحديث من الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله بإجماع الفريقين . راجع في ذلك هامش إحقاق الحق : ٩ / ٣٠٩ – ٣٧٥ ، صحيح مسلم : ٧ / ١٢٢ و ١٢٣ ؛ سنن الترمذي : ٥ / ٣٢٨ ؛ مستدرك الحاكم: ٣ / ١٣٨ ؛ مسند أحمد: ٣ / ١٤ و ١٧ و ٢٦ و ٥٩ ، و ج : ٤ / ٣٦٧ و ٣٧١ ، وج: ←

وفيه تبيان كلّ شيء، وعلم ما كان وما يكون، وهو نور يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام، ويخرجهم من الظلمات باذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم، بل بحقيقته في بعض العوالم اتّحاد مع حقيقة رسول الله صلى الله عليه وآله، وخلفائه الطاهرين، كما يكشف عنه قول أمير المؤمنين عليه السلام أنا القرآن الناطق [(١)].

وبالجملة للقرآن حقيقة وحقيقته بحيث لا يصل إلى كنه معرفته هذه العلوم وهو كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿لا يَمَسُّهُ إلّا المُطَهَّرُون﴾ [(٢)] فالمعرفة بحقيقته ملازمة لمعرفة عظمته، وهي ملازم لمعرفة عظمة المتكلّم به، فمن عرفه بهذه المثابة لابدّ أن يحضر قلبه عند تلاوته، وتدبّر في قراءته، واستفهم مراداتها وإشاراتها ولطائفها، إنَّ في ذلك خيراً كثيراً، لأنَّ في القرآن علم المبدأ والمعاد وهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأنواع العلوم بحقائق الأشياء كما هي.

وبالجملة روي عن أميز المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ما أسرَّ إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً كتمته عن الناس إلاّ أن يؤتي الله عبداً فهماً في كتابه [(٣)]، ولا بأس أن نشير إلى مسألة واحدة من وجوه التدبّر والاستفهام ليكون تذكرة لمن أراد أن يذَّكّر.

فنقول: إذا قرأ الإنسان مثلاً سورة الواقعة: ﴿أفَرَأيتُم الماءَ الّذِي تَشْرَبُون﴾ [(٤)] فله أن لا يقتصر نظره إلى طعم الماء فليتدبّر من ذلك في وجوه ومن ذلك أن يتدبّر في

← ٥ / ١٨٢ ـ ١٩٠، وسنن الدارمي: ٢ / ٤٣١، إلى غير ذلك من المعاجم الكثيرة.

(١) البحار: ٣٩ / ٢٧٢.

(٢) الواقعة: ٧٩.

(٣) البحار: ٩٢ / ٨١، ٩٤، ٩٩ نحوه.

(٤) الواقعة: ٦٨.

وإنساناً.

ثمَّ يتفكّر في أجزاء الإنسان أجزائه الظاهرة من العظم واللّحم وغيرها، والبصر والسمع وغيرها، وقواه وأخلاقه الكريمة، وأخلاقه الرذيلة وآثارها في الدنيا والآخرة، حتّى يصل إلى مراتب عقوله حتّى يقف إلى العقل المستفاد ويتفكّر فيه حتّى يراه كأنّه عالم مستقلٌّ بإزاء هذا العالم فكأنّه عالم صغير بل يراه عالماً كبيراً.

ثمَّ يرجع إلى مبدأ الماء فيرى كما في القرآن أنّه من آثار رحمة الله ثمَّ ينظر إلى أنَّ الرحمة من الصفات ورأى في الصفات المتّصف (بها)، وهذا النوع من التدبّر من مبادئ علم المكاشفة ولعلّه إذا استغرق المتدبّر فكره في ذلك يرى ما يصدّق به قول الصادق عليه السلام «ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله ومعه وبعده»[١] هذا.

ومن التفكّر المفيد في الاستفهام الفكر في أحوال الأنبياء مع كونهم من عوالم القرب والزلفى من الله جلَّ جلاله بمكان كيف يصيبهم ما يصيبهم في الدنيا من المصائب والبلايا، وأنواعها من الفقر والمرض وإيذاء الناس بالتكذيب والافتراء والشتم والضرب والقتل، وكيف يؤدّبهم الله ويربّيهم في هذه الدّنيا بالبلايا والمحن حتّى قال سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله مع أنّه حبيب الله: «ما أوذي نبيٌّ مثل ما أوذيت»[٢] وتفكّر في هذه الشؤون واستفد من ذلك أموراً:

---

(١) علم اليقين في أصول الدين: ١ / ٤٩ عن علي عليه السلام.
(٢) المناقب: ٢ / ٣٠ - ٥٥ ضمن حديث طويل؛ عنه البحار: ٣٩ / ٥٦ ضمن ح ١٥.

الأوّل : أن تعرف منه عظمة الله جلَّ جلاله حيث إنَّ أمثال هؤلاء العظام مقهورون تحت أحكام حكمته ، ويفعل ما يشاء ولا يسأل عن فعله.

والثاني : أن لا توجب على الله بطاعتك أن يقضي الأشياء على إرادتك.

والثالث : أن لا تيأس من فضله إذا ابتلاك في الدّنيا بالفقر والذلّ ، وسائر البلايا .

والرابع : أن لا تشمت بمؤمن بالبلايا .

والخامس : أن لا تحقّر مؤمناً بالذل في الدنيا ، والفقر ، ولعلَّ الله ابتلاه لكرامته .

والسادس : أن ترى هوان الدنيا عند الله ولا تعظّمها بل تستحقرها ، ولاتموّت نفسك حسرة على فواتها .

والسابع : أن تستشعر بإقبال الدنيا على بعدك من درجة المقرَّبين ، وبإدبارها على شعار الصالحين ، كما أُوحي إلى موسى عليه السلام : إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل : مرحباً بشعار الصالحين ، وإذا رأيت الغناء مقبلاً فقل : ذنب عجّلت عقوبته [(١)] .

ومنه أيضاً التدبّر في عقوبات أهل المعاصي من الحدود والتعزيرات الشرعيّة فانَّ قطع اليد لسرقة ربع دينار في حكم الله إنّما يوجب للعاقل خوفاً

---

(١) أمالي الصدوق : ٣٩٦ ؛ ثواب الأعمال : ١٩٨ ، بأسنادهما عن حفص ؛ عنهما البحار : ٧٣ / ٨٧ صدر ح ٥٢ وح ٥٣.

عظيماً من هذه الجنايات العظيمة الّتي يوردها في حركاته وسكناته في كلّ يوم من المعاصي القلبيّة والقالبيّة :

ومنه التدبّر في أحوال الهالكين من الأمم في أعمالهم وعقابهم ، وقد سأل عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام عن بعض هؤلاء من عملهم الّذي أوجب عليهم نزول العذاب وأجاب : بأنّهم كانوا يحبّون الدنيا كحبّ الصبيّ لأمّه ، ويطيعون أهل المعاصي ، مع خوف قليل ، وأمل بعيد ، وغفلة في لهو ولعب . وسألهم عن كيفيّة هلاكهم وعذابهم قال : بتنا في عافية وأصبحنا في هاوية قال : وما الهاوية ؟ قال : بال من جمر توقد علينا إلى يوم القيامة قال : فما قلتم وما قيل لكم ؟ قال : قلنا : ردّنا إلى الدنيا فنزهد فيها ، قيل لنا كذبتم قال : ويحك كيف لم يكلّمني غيرك من بينهم قال : اروح الله إنّهم ملجمون بلجم من النار بأيدي ملائكة غلاظ شداد ، وأنا كنت فيهم ولم أك منهم فلمّا نزل العذاب عمّني معهم فانّي متعلّق بشعرة على شفير جهنّم لا أدري أكبكب فيها أم أنجو منها [١] .

وتفكّر في معصية أصحاب السبت وعذابهم بالمسخ قردة وخنازير أوّلاً ثمّ هلاكهم ، ثمّ تفكّر في أعمالك هل تطمئنّ أن لا يوجد في مثل أعمالهم عملك؟ .

وأمثال هذه التفكّرات كان يمنع الصلحاء والأولياء أن يناموا مطمئنّين ، ويقولون :

كيف ينام من يخاف البيات ، ويتصفّحون وجوههم في كل يوم مرّات ، كيف حالها هل أسودّت من ظلم المعاصي أم بقي على حلها ؟

---

(١) معاني الأخبار : ٩٧ بأسناده إلى سهل الحلواني عنه البحار : ١٤ / ٣٢٢ ح ٣٣ .

وكيف كان يجب للمستفهم أن يتخلّى من موانع الفهم وإلاّ فلا ينتفع بالقرآن حقّ الانتفاع ، بل قد يتضرَّر إن لم يتخلّ من موانع الفهم وقد عدّوا له وجوهاً ذكروا في أوّلها التقيّد في استقصاء إخراج الحروف من المخارج ، وحفظ حدود محاسن التجويد ، فانّه يمنع عن التدبّر في معاني الآية فلا يمكنه الاستفهام .

أقول : هذا حقّ إلاّ أنّه ليس من موانع الإستفهام ، بل من موانع التدبّر الّذي هو من أسباب الاستفهام .

والثاني : أن تكون صفة وخلق من الأخلاق الرذيلة والصفات الخبيثة ، توجب طبع القلب عن فهم معاني القرآن كما دلّت عليه بعض الآيات : **﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ على كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّار﴾** (١) وقوله : **﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إلّا مَنْ يُنِيب﴾** (٢) فإنَّ هذه الصفات في القلب يورث كدورة تمنع عن فهم حقائق الأشياء نظير صداء المرآة الّتي تمنع عن ترائي الصور فيها .

والثالث : أن يعتقد أمراً باطلاً ويتّخذه لنفسه مذهباً ، ويبني أنَّ ما وراءه كفر أو ضلال ، فإنَّ ذلك أيضاً من موانع الفهم لأنَّ في أوّل استنارة القلب لرؤية الحقّ بالقرآن قبل تمكّنه يراه كفراً ويدفعه ويؤوّله وهذا لا يهتدي إلى الحقّ أبداً مادام فيه هذا التعصّب لمذهبه الباطل .

والرابع : أن يجد في تفسير آية تفسيراً ظاهراً ويعتقد أنَّ المراد مقصور به ،

---

(١) غافر : ٣٥ .
(٢) غافر : ١٣ .

وأنَّ غير هذا المعنى تفسير بالرأي وهو محرّم .

فإذا عرف القارئ حقيقة القرآن وعظمته ، فلابدَّ أن يتدبّر في آياته وإذا تدبّر وتخلّى من موانع الفهم واستفهم لابدَّ أن يتجلّى له مرادات الله على حسب مقامه من الدين ، فإذا شرب من هذا المنهل كأساً أسكره ، وإذا سكر من تجلّيات المعارف الربّانيّة يتأثّر قلبه بآثار مختلفة باختلاف الآيات ، فيحصل له بحسب كلّ معنى حال ووجد ، لأنّه يرى كلّ آية كأنّه هو المخاطب بها ، أو نزلت في حقّه وهو المخصوص بها ، فيتّصف قلبه بحزن أو سرور ، أو خوف أو رجاء ، أو توكّل أو تسليم ، أو رضا أو توحيد ، فيجيب الآيات بحسب حاله بعوذة واستغفار ، اعتراف وتوبة ، ودعاء شكر ، وتسبيح وتحميد ، وتهليل وتكبير ، بحسب أحواله الحاصلة له في تأثيراته .

فإذا غلبه الخوف حصل له التبرّي من كلّ خير وسعادة مذكورة فيها لعباده الصالحين ، فيتعوَّذ من شقاوته إلى ربّه وإذا غلبه الرجاء يتشوَّق إلى البلوغ لكلّ مقام سنيّ من مقامات الكاملين ، والعارفين والمقرَّبين ، فيدعو الله أن يلحقه بهم ، إذا اكتمل له هذه التأثّرات فلابدَّ أن ينتج له من بركات الوحي ونفحات الرّب ما يترقّى به حتّى كأنّه يرى الله متكلّماً معه ، ومخاطباً إيّاه ، فكأنّه يشهد بقلبه أنَّ الله يخاطبه بألطافه ، ويناجيه بإنعامه وإحسانه ، فيكون حاله التعظيم والإصغاء والفهم والحياء .

ثمَّ إن ساعده التوفيق لشكر هذه النعمة بما يليق بها واستقبال هذه النفحة كما هو حقّها زاد الله في إنعامه وأعطاه مقاماً آخر أعلى وأسنى فيكون حاله كأنّه

يرى المتكلّم في الكلام، والصفات في الكلمات كما أشار إليه الصادق عليه‌السلام فيما روي عنه في «توحيد الصدوق»: «أنّ الله تجلّى لعباده في كلامه ولكن لا يبصرون»[١] فيكون مقصور الهمّ على المتكلّم ولا يبقى له نظر إلى نفسه ولا قراءته، ولا إلى سائر الأحوال رزقنا الله وجميع المؤمنين بهذا المقام مقامهم وأنعم علينا بمثل حالهم بحقّ أوليائه المقرّبين وأحبّائه الفائزين صلوات الله عليهم أجمعين.

وأمّا شرائط الدعاء فبعضها تدلُّ عليه العقل وبعضها تدلُّ عليه النقل، وبعضها تدلُّ عليه الأمران، فنشير أوّلاً إلى حقيقة الدعاء، وهو في اصطلاحنا طلب الداني أمراً من العالي على جهة الخضوع والاستكانة، فإذا كان حقيقته عبارة عن الطلب، وهو أمر نفسانيٌ علم أنَّ الدعاء عن قلب لاه خارج عن حقيقته، وإذا قيّدنا الطلب بالجهة الخاصّة علم أنَّ الخضوع والاستكانة شرط في تحقّقه، وإذ لا يتحقّق الطلب إلاّ بالرجاء، علم أنَّ الرجاء أيضاً شرط فيه.

وإذ المقصود منه في المقام الدعاء من الله وجب أن يعرف الداعي مدعوّه، وإذ لا يتحقّق الرجاء إلاّ بعد الفراغ من قدرة المدعوّ على الإجابة واطّلاعه على الداعي وعلى الحاجة، اشترط اعتقاد القدرة والعلم في المسؤول تعالى وإذا كان الخضوع يتفاوت بالنسبة إلى العالين – بمعنى أنَّ درجة من التذلّل تعدُّ خضوعاً بالنسبة إلى بعض العالين ولا تعدُّ هذه الدرجة خضوعاً إلى أعلى منه – والله تعالى

(١) التوحيد: ٤٥ ضمن ح ٤ بأسناده عن اسحاق بن غالب؛ عنه البحار: ٤ / ٢٨٨ ضمن ح ١٩ وج ١١ / ٣٨ س ٢ عن علل الشرائع: ٥١.

أعلى من كلّ عال ودعاؤه بدون إذنه مخالف لخضوعه .

وإذنه بل طلبه إلى دعائه إنّما ثبت بقوله تعالى : ﴿**وإذا سَأَلَكَ عِبادِي** – إلى قوله – **فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي**﴾ [(١)] وإنّ الطلب الحقيقيّ لا يتحقّق إلّا للخير الواقعي ، والعبد لا يعرف خيره من شرّه كما قال تعالى : ﴿**وَيَدْعُ الإنسَانُ بِالشَّرِ دُعَاءَهُ بالخير**﴾ [(٢)] وإن كان الخير الحقيقيّ الخالص من جميع وجوه الشرّ منحصراً في قربه ولقائه ، قال في مصباح الشريعة :

«وهو استجابة الكلّ منك للحقّ وتذويب المهجة لمشاهدة الربّ ، وترك الاختيار جميعاً» [(٣)] فعلى الداعي أوّلاً أن يلتفت بأن يكون دعاؤه خيراً ولا يدعو الله لما هو شرٌّ له وضرر في حقّه ، وأن لا ييأس من إجابته من دعواته إذا لم يظهر آثار الإجابة ، حتمال أن يكون ما طلبه في دعائه شرّاً له ، فيبدّله الله بخيره ، وهو لا يعلم ذلك ، ولا يسيء ظنّه بوعد الله الصادق الوعد للإجابة .

ولعمري إنّ هذا هوالسرُّ فيما يتراءىٰ ظاهراً من عدم استجابة دعاء الأخيار والله تعالى وعدهم صريحاً الأجابة ، وذلك لأنّ الله تعالى في غاية العناية لعباده الصالحين وعنايته إنّما تقتضي أن يمنعه عمّا يضرّه واقعاً وإن كان يعتقد فيه خيره وسعادته ، وهذا نظير قتل خضر عليه‌السلام الغلام ، فإن فرض أنّ أبويه من جهة جهلهما كانا يعتقدان خيرهما في بقاء ولدهما ، ودعوا الله في ذلك والله تعالى يعلم أنّ في بقائه كفرهما وهلاكهما ، فإن إجابة دعائهما لبقاء ولدهما إنّما هو في قتل ولدهما

(١) البقرة : ١٨٦ .
(٢) الإسراء : ١١ .
(٣) مصباح الشريعة : ١٣٢ – ١٣٣ .

لأنَّ الداعي إنّما يدعو ويحبُّ إتيان مقصوده من جهة أنّه خيره وأنَّ فيه سعادته ، دعاؤه للأمور الخاصّة من جهة اعتقاده فيها ذلك ، والله تعالى إذا رأى أنّه جاهل في ذلك ، وأنَّ خيره في خلافه ، فإجابته الواقعيّة إنّما هي بإعطاء ما هو خير له واقعاً لا فيما يراه خيراً وفيه هلاكه ، وذلك معمول عند العقلاء فيما بينهم .

أما ترى أنّك إذا تخيّلت مثلاً السمَّ الّذي في الحقّة ترياقاً والترياق الّذي فيالكأس سمّاً ، وطلبت من أبيك ما في الحقّة لتشربه وتستشفي به وأبوك يعلم أنّه سمٌّ ، فإنَّ إجابته لك أن يعطيك من الكأس الّذي فيه الترياق وإن تعتقده سمّاً، ويمنعك عن السمَّ الّذي في الحقّة مع أنّك تطلبه منه ، فإن أعطاك من الحقّة مع علمه بأنّه سمٌّ وأنّه مهلك لك ، تقول : طلبتُ من أبي ترياقاً وأعطاني سمّاً .

والله تعالى يعرف بعلمه المحيط بجميع جزئيّات وخصوصيّات حالات عباده أنَّ حال عبده الفلاني بحيث لو أعطاه مثلاً ما يريده من المال كان مبعّداً له من رضا ربّه وقربه ، وهو لا يعلم ذلك فيطلبه من الله تعالى فحقُّ العناية أن تمنعه من ذلك المال ويبدله بالفقر الّذي يفرُّ منه ، لأنَّ المسكين إنّما طلب المال لما تخيّل فيه بجهله السعادة نظير تخيّلك أنَّ ما في الحقّة ترياق ، والله تعالى يرى أنَّ السعادة العظمى إنّما هي في الفقر ، وفي المال شقاوة وهلاك ، فإن أعطاه الله المال مع علمه بأنَّ فيه شقاوته ، وهو يطلبه بجهله بموضوع السعادة والشقاوة ، لا يعدُّ هذا العطاء إجابة ، وإن أعطاه الفقر فهو إجابة في الحقيقة ، لأنَّ الأوّل وإن وجد فيه صورة الإجابة ولكن روحها مفقود فيه ، وفي الثاني بالعكس ، وهذا الّذي ذكرناه أخذناه من الأخبار بل في بعضها أنّه تعالى من جهة عنايته بعباده المؤمنين ربما

يبتليهم بالذنب الصغير لئلاّ يبتلى بالعجب الّذي هو أعظم منه فيهلك [(١)] .

وكيف كان فالّذي يفعله الله في حقّ المؤمن إنّما هو خير له ولو بالنسبة إلى حاله وخصوصيّات شؤونه مع رعاية حكم الحكمة ، فكلُّ خير لا يخالف الحكمة والعدل ، ويقتضيه مع رعايتهما خصوصيّات شؤون المؤمن فانّه تعالى بعنايته يعطيه وإن لم يسأله .

فان قلت : فإذا كان الأمر على ذلك فما فائدة الدّعاء ؟ وما معنى الاجابة ؟

أقول : أمّا فائدة الدّعاء إنّما هو في تصحيح حكم الحكمة الإلهيّة ، لأنّه قدر يصير حال العبد من جهة اقتضاء أحواله وأعماله بحيث يقتضي الحكمة الإلهيّة منعه عن الخير الخاصّ وإذا انضمَّ الدعاء بأحواله يكون إجابته في ذلك الخير غير مخالف للحكمة ، فيؤثّر الدعاء في بلوغه خيره ، مع أنَّ للدعاء فوائد عظيمة غير الإجابة .

وكيف كان فمن الشرائط المرويّة قطع الطمع عن غير الله الرجاء إلى الله كما يدلّ عليه قوله تعالى : ﴿**وادْعُوهُ خَوفاً وطَمَعاً**﴾ [(٢)] .

وكما يدلُّ عليه الحديث القدسيّ المرويُّ في «**الكافي**» وغيره من الكتب

---

(١) روى الكليني في الكافي : ٢ / ١٣٣ باسناده الى رجل من أصحابنا من ولد ابراهيم بن سيار رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : «إنّ الله علم أن الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمن بذنب أبداً» عنه البحار : ٦٩ / ٢٣٥ ح ٢ .
رواه في علل الشرائع : ٢ / ٢٦٦ مثله عنه البحار : ٧٢ / ٣١٥ ح ٢٠ .
(٢) الأعراف : ٥٦ .

المعتمدة عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّ الله أوحى إلى بعض أنبيائه في بعض وحيه:

«وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطّعنَّ أمل كلِّ مؤمّل غيري باليأس، ولأكسونّه ثوب المذلّة عند الناس، ولأنحّينّه من قربي، ولأبعّدنّه من وصلي، أيؤمّل غيري في الشدائد والشدائد بيدي، ويرجو غيري ويقرع (بالفكر) باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلّقة، وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الّذي أمّلني لنوائبه فقطّعته دونها؟ ومن ذا الّذي رجاني لعزيمة فقطّعت رجاءه منّي؟

جعلت آمال عبادي (كلّها) عندي محفوظةً فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممّن لا يملُّ من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلّقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي.

ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنّه لا يملك كشفها أحدٌ غيري؟ أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثمَّ أُسأل فلا أُجيب سائلي؟! أبخيل أنا فيبخّلني عبدي؟! أو ليس الجود والكرم لي؟ أو ليس العفو والرحمة بيدي؟ أو لست أنا محلَّ الآمال؟

فمن يقطعها دوني؟ أو لم يخش المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري؟ فلو أنَّ أهل سماواتي وأرضي أمّلوا جميعاً ثمَّ أُعطيت كلَّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي عضو ذرَّة، وكيف ينقص ملكٌ أنا قيّمه؟ فيابؤساً للقانطين من

رحمتي ، يابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني»[(١)] .

وفي الحديث القدسيّ : «أنا عند ظنّ عبدي بي فلا يظنَّ بي إلّا خيراً»[(٢)] .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة»[(٣)] .

عن الصادق عليه السلام : «إذا دعوت فظنَّ حاجتك بالباب»[(٤)] وفي رواية أُخرى : «وأقبل بقلبك وظنَّ حاجتك بالباب»[(٥)] .

وروي أنّه لمّا استغاث فرعون إلى موسى حين أدركه الغرق ولم يغثه أوحى الله إلى موسى لم تغث فرعون لأنّك لم تخلقه ولو استغاث بي لأغثته[(٦)] . وقضيّة قارون وعتاب الله على موسى في عدم استغاثته معروفة[(٧)] .

اعلم يا أخي أنَّ الّذي يدلُّ عليه الأخبار أنّه ما ظنَّ أحد بالله ظنّاً حسناً إلاّ عامله بما ظنَّ ، ولكن قد يغترُّ الأكثرون ، ويحسبون عدم المبالاة في الدين حسن الظنّ بالله ، والعاقل لا يغترُّ ، فإذا قال له الشيطان : إنَّ معصيتك من حسن الظنّ بمغفرة الله ، يطالبه بالدليل ، ويقول لنفسه : لو كان الأمر كما تقول فكيف لا تحسن الظنّ في أمر رزقك وهو أنزل في ضمانه قرآناً وأكّده بالقسم ، وإن كان ظنّك بعناية

---

(١) الكافي : ٢ / ٦٦ باسناده إلى الحسين بن علوان ؛ عنه البحار : ٧١ / ١٣٠ ح ٧.

(٢) عدة الداعي : ١٤٤ باسناده إلى سليمان بن عمرو عنه البحار : ٩٣ / ٣٠٥ ضمن ح ١ .

(٣ و٤ و٥) عدة الداعي : ١٤٤ باسناده إلى سليمان بن عمرو عنه البحار: ٩٣ / ٣٠٥ ضمن ح ١.

(٦) عدة الداعي : ١٤٥ ؛ علل الشرائع : ٣١ باسناده عن ابراهيم بن محمد الهمداني عن الرضا عليه السلام ؛ عنه البحار : ١٣ / ١٣١ ذيل ح ٣٤ .

(٧) راجع البحار : ١٣ / ٢٥٧ ضمن ح ٤ عن عرائس التعلبي : ١١٩ - ١٢٢ بالاسناد الى ابن عباس .

الله ولطفه وكرمه فليس هذه الصفات مختصّة بالأمور الأخرويّة فقط وإذا اعتقدت كرمه في أمور دنياك فكيف تضطرب عند فقد أسباب الرزق ، ولاتركن إلى كرمه ؟! من أين هذه الغصص والهموم لأجل الحوائج ، فلو كان لك أب مليء ذو عناية لك وضمن لك رزقك ، هل ترضى بضمانه وتطمئنّ بقوله أم لا ؟ هل ترى عناية الله أقلّ من عناية أبيك ، أو تخاف عدم قدرته ، أو تحتمل أن يبخل عنك ؟ أو لم تؤمن أنّه أرحم الراحمين ، أقدر القادرين ، أجود الأجودين .

وروي أنّ الله إذا حاسب الخلق يبقى رجلٌ قد فضّلت سيّئاته على حسناته فتأخذه الملائكة إلى النّار وهو يلتفت ، فيأمر الله بردّه فيقول له : لم التفتّ - وهو أعلم به - فيقول : ياربّ ما كان هذا ظنّي بك ، فيقول الله تعالى : ملائكتي ! وعزّتي وجلالي ما حسن ظنّه بي يوماً ولكن انطلقوا به إلى الجنّة لادّعائه حسن الظنّ [١] .

ومن الشرائط أن لا يظلم أحداً في ماله وعرضه :

في الحديث القدسيّ : «منك الدعاء وعليّ الإجابة فلا تحجب عنّي دعوة إلاّ دعوة آكل الحرام» [٢] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله : «من أحبَّ أن يستجاب دعاؤه فليطيّب مطعمه ومكسبه» [٣] .

---

(١) عدة الداعي : ١٤٨ ؛ ثواب الأعمال : ١٦٧ بالاسناده الى عبد الرحمن بن الحجاج عن الصادق عليه السلام ، عنه البحار : ٧ / ٢٨٧ ح ٧ .
(٢) عدة الداعي : ١٣٩ ؛ عنه الوسائل : ٧ / ١٤٥ ح ٤ ؛ والبحار : ٩٣ / ٣٧٣ ضمن ح ١٦ .
(٣) عدة الداعي : ١٣٩ عنه البحار : ٩٣ / ٣٧٢ ضمن ح ١٦ .

وفيما وعظ الله به عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام : قل لظلمة بني إسرائيل :

لاتدعوني والسحت تحت أقدامكم ، والأصنام في بيوتكم ، فانّي آليت أن أجيب دعوة من دعاني فانّ إجابتي إيّاهم لعن حتّى يتفرّقوا [(١)] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال : «أوحى الله إليّ أن : يا أخا المنذرين ، يا أخا المرسلين أنذر قومك لا يدخلوا بيتاً من بيوتي ولأحد من عبادي عند أحد منهم مظلمة ، فانّي ألعنه ما دام قائماً يصلّي حتّى يردّ تلك المظلمة ، فأكون سمعه الّذي يسمع به ، بصره الّذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيّين والصدّقين والشهداء في الجنّة» [(٢)] .

وروي في ردّ دعاء الاسرائيليّ أنّه كان يدعو بلسان بذيّ ، وقلب عاة غير نقيّ ونيّة غير صادقة» [(٣)] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله : «مثل الّذي يدعو بغير عمل كمثل الّذي يرمي بغير وتر» [(٤)] .

وعن الصادق عليه السلام : «أنّ الله لا يستجيب دعاءً بظهر قلب ساه ، فإذا دعوت

---

(١) عدة الداعي : ١٤٠ – ١٤١ ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٧٣ ضمن ح ١٦ .

(٢) عدة الداعي : ١٤١ ؛ عنه البحار : ٨٤ / ٢٥٧ ضمن ح ٥٥ .

(٣) عدة الداعي : ١٣٩ عن الصادق عليه السلام مرسلاً ؛ فلاح السائل : ٣٧ بالاسناد إلى عمر بن يزيد عن الصادق عليه السلام ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٧٧ ح ١٨ .

(٤) عدة الداعي : ١٣٩ مرسلاً. رواه في من لا يحضره الفقيه : ٤ / ٢٩٨ ح ٩٠٠ بالأسناد إلى زرارة عن الصادق عليه السلام نحوه ؛ عنه الوسائل : ٧ / ١٤٥ ح ٢ .

فأقبل بقلبك ثمّ استيقن بالإجابة»[(١)].

وعنه عليه السلام: «أنّ الله لا يستجيب دعاءً بظهر قلب قاسٍ»[(٢)].

وروي أيضاً أنّه أربعة لا يستجاب لهم دعوة: رجل جالس في بيته ويقول اللّهمّ ارزقني، ورجل دعا على امرأته، ورجل أعطاه الله مالاً فأفسده، ورجل أدار ماله رجلاً ولم يشهد عليه فجحده[(٣)]، وزاد في بعض الروايات الدعاء على الجار[(٤)]، وأن لا يسأل محرّماً أو قطيعة رحم[(٥)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ياصاحب الدعاء لا تسأل ما لا يكون ولا يحلُّ»[(٦)].

وإذا تخلّى عن هذه الأوصاف فليمهّد أسباب الإجابة مثل: الطهارة، والأوقات الخاصّة، والأحوال الخاصّة، والصلاة والصوم والبكاء.

روي أنّ بين الجنّة والنّار عقبة لا يجوز منها إلاّ البكّاؤون من خشية الله[(٧)].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ الله تعالى أخبرني فقال: «وعزّتي وجلالي ما

---

(١) عدة الداعي: ١٣٨ بالاسناد الى سليمان بن عمرو عن الصادق عليه السلام؛ عنه البحار: ٩٣ / ٣٠٥ صدر ح ١.

(٢) عدة الداعي: ١٣٨ بالأسناد إلى سيف بن عميرة عن الصادق عليه السلام؛ عنه البحار: ٩٣ / ٣٠٥ ضمن ح ١.

(٣) دعوات الراوندي: ٣٣ ح ٧٥؛ عدة الداعي: ١٣٨ عنهما البحار: ٩٣ / ٣٦٠ ذيل ح ٢١ وأخرجه في الوسائل: ٤ / ١١٥٩ ح ٢ عن الكافي: ٢ / ٥١١ ح ٢.

(٤) عدة الداعي: ١٣٨ باسناده الى الوليد بن صبيح.

(٥) عدة الداعي: ١٥٢.

(٦) عدة الداعي: ١٥٢؛ الخصال: ٢ / ١٦٩ عنه البحار: ٩٣ / ٣٢٤ ح ١.

(٧) عدة الداعي: ١٦٩ عنه الوسائل: ٧ / ٧٦ ح ١٠.

أدرك العابدون درك البكاء عندي شيئاً فانّي لأبني لهم في الرفيق الأعلى قصراً لا يشاركهم فيه غيرهم [(١)] .

وروي : ما من عين إلاّ وهي باكية يوم القيامة إلاّ عين بكت من خشية الله ، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلاّ حرّم الله سائر جسده على النّار ، ولو فاضت على خدّه لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلّة [(٢)] ، وما من شيء إلاّ وله كيل أو وزن إلاّ الدمعة فانَّ الله يطفىء باليسير منها بحاراً من النار ، ولو أنَّ عبداً بكى في أمّة لرحم الله تلك الأمّة ببكاء ذلك العبد [(٣)] والأخبار في ذلك كثيرة جدّاً .

والتحميد والتمجيد ، قال الراوي لأمير المؤمنين عليه السلام :

كيف نمجّد ؟ قال : تقول : «يامن أقرب إليَّ من حبل الوريد ، يا من يحول بين المرء وقلبه ، يامن هو بالمنظر الأعلى وبالأفق المبين ، يامن ليس كمثله شيء» [(٤)] – وفي بعضها غيرها .

وأن يدعو الله بأسمائه المناسبة لدعائه [(٥)] ، وأن يذكر جملة من نعم الله عنده . يشكره ، ثمّ يذكر ذنوبه فيقرُّ ثمَّ يستغفر منها ويتلبّث في دعائه ، ويترك

---

(١) عدة الداعي : ١٦٩ عنه الوسائل : ٧ / ٧٦ ح ١١ .

(٢) ولا فاضت على خده فرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة ، ظ .

(٣) عدة الداعي : ١٧٠ عن الصادق عليه السلام مرسلاً ؛ البحار : ٩٣ / ٣٣٢ ح ٢٠ عن كتاب الحسين بن سعيد باسناده إلى غيلان يرفعه عن أبي جعفر عليه السلام .

(٤) الكافي : ٢ / ٣٥٢ ح ٧ بالاسناد إلى محمد بن مسلم ؛ عنه الوسائل : ٧ / ٨٠ ح ٣ ؛ عدة الداعي : ١٦١ .

(٥) راجع الوسائل : ٧ / ١٤٠ باب ٦٣ ، باب استحباب الدعاء بالأسماء الحسنى ؛ والبحار : ٩٣ / ٢٣٦ .

الاستعجال ويلحّ فيه فانّ الله تعالى يحبّ السائل اللجوج ، وأقلّ الإلحاح أن يكرّر دعاءه ثلاث مرّات ويسمّي حاجته ، ويسرّ في دعائه لبعده عن الرياء ، وإجابة لقوله تعالى : ﴿وخفية﴾ وروي أنّ دعاء السرّ يعدل سبعين دعوة في العلانية [١] .

ويعمّم في دعائه لأنّه أوجب للدعاء كما روي ، وأن يدعو مع الاجتماع أفضله أربعون ، وبدله أربعة يدعو كل واحد منهم عشر مرّات ، وعند الضرورة يدعو الواحد أربعين مرّة ، ويتضرّع في دعائه بقلب خاضع ، وبدن خاشع ، ويتملّق ويتبصبص [٢] .

وروي أنّه كان فيما أوحى الله إلى عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام : «ياعيسى ادعني دعاء الغريق الحزين الّذي ليس له مغيث ، أذلّ لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات ، واعلم أنّ سروري أن تبصبص إليّ ، وكن في ذلك حيّاً ولا تكن ميّتاً وأسمعني منك صوتاً حزيناً» [٣] .

وفيما أوحى الله إلى موسى عليه السلام : «ياموسى كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً ، عفّر وجهك في التراب ، واسجد لي بمكارم بدنك ، واقنت بين يديّ بالقيام وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل - إلى أن قال - وأمت قلبك بالخشية ، وكن خلق الثياب جديد القلب ، تخفى على أهل الأرض وتعرف في

---

(١) الكافي : ٢ / ٣٤٥ ح ١ ؛ ثواب الأعمال : ١٩٣ بأسنادهما إلى إسماعيل بن همام عن الإمام الرضا عليه السلام ؛ عنهما الوسائل : ٧ / ٦٣ ح ١ .

(٢) الكافي : ٢ / ٣٥٣ ح ١ بأسناده إلى أبي خالد عن الإمام الصادق عليه السلام ؛ عنه الوسائل : ١٠٣/٧ .

(٣) عدة الداعي : ١٢٢ ؛ عنه الوسائل : ٧ / ١٤٣ ح ٢ .

السماء ، جليس البيوت ، مصباح الليل ، واقنت بين يديَّ قنوت الصابرين ، وصح من كثرة الذنوب صياح الهارب من العدوّ ، واستعن بي على ذلك فانّي نعم العون ونعم المستعان»[(١)] .

وأن يصلّي على محمّد وآله أوّله وآخره ، روى محمّد بن مسلم ، عن أحدهما عليهما السلام :

«ما في الميزان شيء أثقل من الصلوات على محمّد وآل محمّد»[(٢)] .

روى هشام بن سالم ، عن الصادق عليه السلام : «لا يزال الدعاء محجوباً حتّى يصلّي على محمّد وآل محمّد»[(٣)] .

وعنه عليه السلام : «من كانت له إلى الله حاجة فيبدأ بالصلاة على محمّد وآل محمّد ثمّ يسأل حاجته ثمّ يختم بالصلاة على محمّد وآل محمّد فأنّ الله عزَّ وجلَّ أكرم من أن يقبل الطرفين ، ويدع الوسط ، إذ كانت الصلاة على محمّد وآله لا يحجب عنه»[(٤)] .

أقول : أمر الصلوات عظيم وهي من شؤون الولاية ، فكما أنَّ الله لا يقبل الإيمان إلّا بالاقرار بهم وولايتهم ، صلوات الله عليهم ، فكذلك أمر الدعاء

---

(١) عدة الداعي : ١٠٣ ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٠٥ ضمن ح ١ .

(٢) عدة الداعي : ١٦٥ .

(٣) أمالي الطوسي : ٢ / ٢٧٥ ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣١٢ ح ١٦ ؛ والوسائل : ٧ / ٩٥ ح ١٢ .
الكافي : ٢ / ٣٥٦ ح ١ عنه الوسائل : ٧ / ٩٣ ح ٥ ؛ عدة الداعي : ١٦٦ .

(٤) الكافي : ٢ / ٣٥٨ ح ١٦ ؛ عنه الوسائل : ٧ / ٩٥ ح ١١ ، عدة الداعي : ١٦٧ .

والصلوات .

وليعلم أنَّ الصلوات أيضاً مثل غيرها من الأعمال لها صورة وروح ، وروحها أن يعرف شأنّهم ومقامهم من الله تعالى ، وأنّهم الوسائل والشفعاء ، وأنَّ الله لا يقبل أحداً إلاّ بالتوسّل بهم ، وأنّهم عليهم السلام أولى به حقيقةً من نفسه ، وركن هذه المذكورات المعرفة الجزئيّة الحقيقيّة المؤثّرة في العمل بأولويّتهم ، فإذا تحقّقت المعرفة المؤثّرة ، وصلّى العبد عن هذه المعرفة واحدة صلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله عشراً بل وأزيد إلى ما لا نهاية له و (إذا) وقعت في الدعاء استجيب له .

وأن يقبل على مولاه الرؤوف الرحمن الرحيم بقلبه ، بل وروحه وسرّه ، ويطهّر قلبه عن غيره ، ولا سيّما الأفكار الدنيّة الّتي ينجّس القلب ويقذّر الروح ، من الأفكار المحرّمة والمكروهة والمباحة ، ولا سيّما من هموم الدُّنيا وهمّ خوف المكروه ، والظنّ السوء على الربّ جلَّ جلاله وعدم الركون إلى مواعيده ، فانّها مهلكة لقلب المؤمن ، بل مورثة لإعراض الله جلَّ جلاله عنه : ﴿**ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أرْداكُم**﴾[1] لما فيه من ضعف الايمان ، وسوء الأدب مع الربّ وطاعة الشيطان و﴿**الشّيطانُ يَعِدُكُم الفَقْرَ ويَأمُرُكُم بِالفَحْشاء**﴾[2] .

وأن يقدّم الدعاء ، ويدعو في الرخاء قبل الوقوع في الشدَّة والبلاء[3] ، لأنَّ له شأناً من الشأن ، والدُّعاء بعد الوقوع في الشدَّة قليل النفع ، وأن يدعو لإخوانه المؤمنين

---

(١) فصلت : ٢٣ .

(٢) البقرة : ٢٦٨ .

(٣) راجع الوسائل : ٧ / ٤٠ ، باب ٩ باب استحباب التقدم بالدعاء في الرخاء قبل نزول البلاء .

قبل دعائه لنفسه ، أو مع نفسه ، وتقديمهم في الذكر أولى ، ولكن يكون ذلك من منشأ الولاية والمحبّة ، لا بالتكلّف من أجل سرعة الاجابة ، وهو قليل النفع .

فالعمدة والمؤثّر الحبُّ في الله ، ولعمري إنَّ في القرآن والأخبار لتأكيداً عظيماً في ذلك وفي الأخبار الموثّقة : هل الإيمان إلاّ الحبُّ في الله والبغض في الله [(١)] .

وفي الأُخرى : أنَّ أوثق عرى الإيمان الحبُّ في الله [(٢)] .

وفي الأُخرى : أنَّ الله جلَّ جلاله يدخل بين يدي المتصافحين ويصافح من هو أحبُّ لصاحبه من صاحبه له [(٣)] .

روي أنَّ المؤمن إذا دعا لأخيه المؤمن بظهر الغيب ناداه ملك من السماء الدنيا : لك يا عبد الله مائة ألف ضعف ممّا دعوت ، ويزيد الملك الثانية وهكذا يزيدون كلُّ مائة ألف ضعف ، فينادي الملك السابعة : لك سبعمائة الف ضعف ، ثمَّ يناديه الله عزَّ وجلَّ أنا الغنيُّ الّذي لا أفتقر يا عبد الله لك ألف ألف ضعف ممّا دعوت [(٤)] .

---

(١) الكافي : ٢ / ١٢٥ ؛ المحاسن : ٢٦٢ بأسنادهما إلى فضيل بن يسار عن الإمام الصادق عليه السلام عنها البحار : ٦٩ / ٢٤١ ح ١٦ .

(٢) أمالي المفيد : ١٥١ ح ١ ، المجلس ١٩ بالاسناد إلى سعيد الأعرج عن الإمام الصادق عليه السلام وفي البحار : ٧٤ / ٢٣٧ ضمن ح ٣٨ عن عدة الداعي : ١٨٧ . وفي مكارم الأخلاق : ٥٠٠ عنه البحار : ٧٧ / ٥٣ ضمن ح ٣ .

(٣) الكافي : ٢ / ١٧٩ ح ٢ باسناده عن أبي خالد عن أبي جعفر عليه السلام ، البحار : ٧٦ / ٤٢ ح ٤٦ عن عدة الداعي : ١٨٩ .

(٤) عدة الداعي : ١٨٤ - ١٨٥ ؛ عنه الوسائل : ٧ / ١١٢ ح ٥ .

ويعجبني أن لا أخلّي هذا المختصر من ذكر رواية حسن بن يقطين وإن كانت معروفة حبّاً لعمل هذا العامل الموالي المحبّ المجاهد المواسي ، وفيها أنّه كتب الصادق عليه السلام لرجل من كتّاب يحيى بن خالد والي أهواز في حقّ هذا الحسن في رقعة صغيرة : «بسم الله الرحمن الرحيم إنّ لله في ظلّ عرشه ظلاًّ لا يسكنه إلاّ من نفّس عن أخيه كربة أو أعانه بنفسه أو صنع إليه معروفاً ولو بشقّ تمرة ، وهذا أخوك والسّلام» .

قال : فلمّا رجعت إلى بلدي صرت إلى منزله - أي الوالي - ليلاً فاستأذنت إليه وقلت : رسول الصادق عليه السلام ، فإذا أنا به قد خرج إليّ حافياً سلّم عليَّ وقبّل ما بين عيني ، ثمّ قال : أنت ياسيّدي رسول الصادق عليه السلام مولاي ؟ فقلت : نعم ، قال : فقد أعتقتني من النّار إن كنت صادقاً .

فأخذ بيدي وأدخلني منزلاً وأجلسني في مجلسه وقعد بين يديّ ثمّ قال:

ياسيّدي كيف خلّفت مولاي ؟ قلت بخير ، فقال : الله ، قلت : الله - حتّى أعاد ثلاثاً - ثمّ ناولته الرقعة فقرأها وقلّبها على عينيه ، ثمّ قال : يا أخي مر بأمرك ، فقلت : في جريدتك عليَّ كذا وكذا ألف درهم ، وفيه عطبي وهلاكي ، فدعا بالجريدة فمحا عنّي كلّ ما كان فيها ، وأعطاني براءة منها ، ثمّ دعا بصناديق ماله ، فناصفني عليها،مّ دعا بدوابّه فجعل يأخذ دابّة ويعطيني دابّة ، ثمّ دعا بغلمانه فجعل يعطيني غلاماً،يأخذ غلاماً ، ثمّ دعا بكسوته فجعل يأخذ ثوباً ويعطيني ثوباً حتّى شاطرني جميع ملكه ، فيقول : هل سررتك ؟ فأقول : إي والله وزدت على السرور.

فلمّا كان الموسم قلت : ما كان هذا الفرح يقابل شيئاً أحبُّ إلى الله ورسوله من الخروج إلى الحجّ والدعاء له والمصير إلى مولاي وسيّدي الصادق عليه السلام وشكره عنده وأسأله الدعاء له ، فخرجت إلى مكّة وجعلت طريقي إلى مولاي عليه السلام فلمّا دخلت عليه ، رأيت السرور في وجهه ، فقال لي : «يا فلان ما كان من خبرك مع الرجل ؟ » فجعلت أُورد عليه خبري وجعل يهلّل وجهه ويسرُّ السرور ، فقلت:اسيّدي هل سررت بما كان منه إليّ ؟ فقال : «إي والله سرّني ، ولقد سرَّ آبائي ، والله لقد سرَّ أمير المؤمنين عليه السلام ، ولقد سرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ، والله لقد سرَّ الله في عرشه»[1] .

وفي الخبر : من مشى في حاجة أخيه ولم يناصحه بكلّ جهده فقد خان الله ورسوله والمؤمنين[2] .

وفيه : من قضى لأخيه المؤمن حاجة كان كمن عبد الله تسعة إلآف سنة صائماً نهاره ، قائماً ليله[3] .

وحدَّث الحسين بن أبي العلاء قال : خرجنا إلى مكّة نيّفاً وعشرين رجلاً فكنت أذبح لهم في كلّ منزل شاتاً فلمّا أردت أن أدخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال : «واهاً ياحسين أوَ تذلُّ المؤمنين ؟» قلت : أعوذ بالله من ذلك ، فقال : «بلغني أنّك كنت تذبح لهم في كلّ منزل شاتاً ؟» قلت : يامولاي والله ما أردت بذلك إلاّ

---

(١) عدة الداعي : ١٩٣ - ١٩٤ . وأورده في البحار : ٧٤ / ٣١٣ ضمن ح ٦٩ عن كتاب قضاء الحقوق لأبي علي طاهر الصوري .

(٢) عدة الداعي : ١٩١ ؛ البحار : ٧٤ / ٢٨٧ ضمن ح ١٣ عن مشكاة الأنوار .

(٣) البحار : ٩٧ / ١٢٩ ضمن ح ٥ عن عدة الداعي : ١٩٣ بالاسناد إلي ابن عباس .

وجه الله تعالى ، فقال عليه السلام : «أما كنت ترى أنّ فيهم من يحبُّ أن يفعل مثل فعلك ولا يبلغ مقدرته ذلك ، يتقاصر إليه نفسه ؟» قلت : يابن رسول الله – صلى الله عليك – أستغفر الله ولا أعود [(١)] .

أقول : هذه (الأخبار) تكفي للإشارة وإلاّ ففي هذا المقام أخبار تملأ الكتب وتحيّر العقول .

وأن يرفع كفّيه بدعائه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرفع يديه إذا ابتهل ودعا كما يستطعم المسكين [(٢)] .

وسئل الصادق عليه السلام عن الدعاء ورفع اليدين فقال : على خمسة أوجه : أمّا التعوّذ فتستقبل القبلة بباطن كفّيك ، وأمّا الدعاء في الرزق فتبسط كفّيك فتفضي بباطنهما إلى السماء ، وأمّا التبتّل فإيماؤك بأصبعك السبّابة ، وأمّا الابتهال فترفع يديك تجاوز بهما رأسك ، وأمّا التضرّع أن تحرّك إصبعك السبّابة ممّا يلي وجهك وهو دعاء الخيفة [(٣)] .

وروي عنه عليه السلام في الرغبة : تبسط يديك وتظهر باطنهما ، وفي الرهبة تبسط يديك وتظهر ظهرهما وفي التضرُّع تحرّك السبّابة اليمنى يميناً وشمالاً ، وفي التبتّل تحرّك السبّابة اليسرى ترفعها في السماء رسلاً وتضعها رسلاً ، وفي

(١) المحاسن : ٣٥٩ عنه البحار : ٧٦ / ٢٦٩ ح ٢٠ ، عدة الداعي : ١٩١ .
(٢) عدة الداعي : ١٩٦ ، عنه البحار : ٩٣ / ٣٠٦ صدر ح ٣ ؛ والوسائل : ٧ / ٤٦ ح ٣ .
(٣) عدة الداعي : ١٩٦ عنه البحار : ٩٣ / ٣٠٧ ضمن ح ١٦ .

الابتهال تبسط يديك وذراعيك إلى السماء [١] .

قال : وهكذا التضرُّع وحرِّك إصبعه يميناً وشمالاً ، وهكذا التبتّل يرفع إصبعه مرّة ويضعها أُخرى ، وهكذا الابتهال : ومدَّ يديه تلقاء وجهه وقال : لاتبتهل حتّى تجرى الدمعة [٢] .

وفي رواية : الاستكانة في الدعاء أن يضع يديه على منكبيه [٣] .

هذا كلّه في الدعاء جالساً وقائماً ويمكن أن يكون حال السجدة في بعض الأحوال أفضل كما ورد بالخصوص في بعض الأدعية وورد : أقرب حالات العبد من الله جلَّ جلاله إذا كان ساجداً [٤] ، وهي صورة أسنى الحالات والمقامات ، وهو مقام الفناء في الله .

وفي مصباح الشريعة : لا يبعد عن الله تعالى أبداً من أحسن تقرُّبه في السجود وفيه ايضاً : وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرُّب إليه بالقلب والسرّ والرّوح فمن قرب منه بعد من غيره ، ألا ترى في الظاهر أنّه لا يستوي حال السجود إلاّ بالتواري من جميع الأشياء ، والاحتجاب عن كلّ ما تراه العيون ،

---

(١) عدة الداعي : ١٩٧ عنه البحار : ٩٣ / ٣٠٧ ضمن ح ١٦ .

(٢) الكافي : ٢ / ٣٤٨ ح ٣ بالاسناد إلى مروك بياع اللؤلؤ عمّن ذكره الإمام الصادق عليه السلام عنه الوسائل : ٧ / ٤٩ ح ٤ ؛ عدة الداعي : ١٩٧ .

(٣) عدة الداعي : ١٩٧ ؛ وفلاح السائل : ٣٣ بالاسناد إلى سعيد بن يسار ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٣٩ ذح ٧ .

(٤) الكافي : ٣ / ٢٦٤ ح ٣ باسناده إلى الوشاء عن الإمام الرضا عليه السلام عنه الوسائل : ٦ / ٣٩٧ ح ٥ ، رواه الصدوق في ثواب الأعمال : ٥٦ ح ٢ بالاسناد إلى زيد الشحام عن الإمام الصادق عليه السلام ؛ عنه الوسائل : ٦ / ٣٨٠ ح ٩ .

كذلك أراد الله أمر الباطن . من كان قلبه في صلاته متعلّقاً بشيء دون الله فهو قريب من ذلك، الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله [(١)] .

أقول : قد مضى في أخبار فضائل الشهر إيصاء النبي صلى الله عليه وآله بطول السجود ، وهو أمر مهمٌّ ، وهو أقرب هيئات العبوديّة ، ولذا جعل في كلّ ركعة مرّتان وغيره مرّة واحدة ، وقد نقل عن أئمّتنا عليهم السلام ، وعن خواصّ شيعتهم في طول السجود أمر عظيم [(٢)] وقد عدَّ للسجّاد عليه السلام في بعض سجداته ألف مرّة : لا إله إلاّ الله حقّاً حقّاً إلى آخره [(٣)] ، وأنَّ الكاظم عليه السلام يقرب طول سجوده من أوّل اليوم إلى صلاة الظهر [(٤)] ونقل عن ابن أبي عمير وجميل وخرّبوذ ما يقرب من ذلك [(٥)] .

وكان لي شيخ جليل أيّام تحصيلي في النّجف الأشرف ، وكان مرجعاً للأتقياء طلبة زمانه في التّربية وسألته عمّا جرّبه من الأعمال البدنيّة في تأثير حال السالك إلى الله فذكر أمرين :

أحدهما : أن يسجد في كلّ يوم وليله سجدة واحدة طويلة ، ويقول فيها : ﴿لاَ إِلَهَ إِلّا أَنتَ سُبحانَكَ إِنّي كُنتُ مِنَ الظـالِمِين﴾ [(٦)] يقصد بذلك أنَّ روحي

---

(١) مصباح الشريعة : ٩١ – ٩٢ .
(٢) راجع الوسائل : ٦ / ٣٧٨ ، الباب ٢٣ ، باب استحباب طول السجود بقدر الامكان .
(٣) الوسائل : ٦ / ٣٨٢ ح ١٥ ؛ عن كتاب الملهوف في قتلى الطفوف : ٨٨ رواه ابن طاووس مرسلاً عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام .
(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٩٥ ح ١٤ باسناده إلى الثوباني ؛ عنه الوسائل : ٧ / ٩ ح ٤ .
(٥) روى في الكافي : ٣ / ٣٢٨ ح ٢٥ باسناده إلى ابن أبي عمير عن زياد القندي – في حديث – أن أبا الحسن عليه السلام كتب إليه : «إذا صليت فأطل السجود». عنه الوسائل : ٦ / ٣٧٩ ح ٤ .
(٦) الأنبياء : ٨٧ .

مسجونة في سجن الطبيعة ، ومقيّدة بقيود الإخلاق الرذيلة ، وإنّي بأعمالي جعلت نفسي مسجونة في هذا السجن ، ومقيّدة بهذه القيود ، وأنزّه ربّي من أن يكون هو الّذي فعل بي ذلك ظلماً ، وأنا الّذي ظلمت نفسي ، وأوقعتها في هذه المهالك .

وكان يوصي أصحابه بهذه السجدة ، وكان كلُّ من يعمل بها يعرف تأثيرها في حالاته لا سيّما من كان طول سجوده أكثر ، وكان بعض أصحابه يقول ذلك ألف مرّة ، وبعضهم أقلّ ، وبعضهم أكثر ، وسمعت أنَّ بعضهم يقول ثلاثة آلاف مرّة .

والثاني: أن يتختّم بخاتم فيروزج أو عقيق ، وقد ورد أنَّ الله تعالى قال : «إنّي لأستحيي من عبد يرفع يده وفيها خاتم فيروزج ، فأردُّها خائبةً»[1] .

وعن الصادق عليه‌السلام : ما رفعت كفٌّ إلى الله عزَّ وجلَّ أحبُّ إليه من كفّ فيها خاتم عقيق[2] .

أقول : للتختم فائدة لا أجوز ذكرها وإن لم يكن ذكرها من محلّ كلامنا وهو أنَّ الإنسان قلَّ ما يكون خالياً من المعاصي الدائمة فينبغي أن يختار من الطاعات أيضاً ما يكون دائمة ليناسب تكفيرها والتختّم منها .

ومنها : الصدقة قبل الدعاء كما روي ذلك وفي الرواية : «استنزلوا الرزق بالصدقة»[3] .

---

(١) عدة الداعي : ١١٨ عنه الوسائل : ٧ / ١٤٤ ح ٣ .

(٢) ثواب الأعمال : ٢٠٨ ح ٩ باسناده إلى علي بن محمد بن اسحاق ؛ عنه الوسائل : ٧ / ١٤٣ ح ١ .

(٣) قرب الأسناد : ٧٤ باسناده إلى ابن علوان عن الإمام الصادق عليه‌السلام ، عنه البحار : ٩٦ / ١١٨ ح ١٤ ؛ عدة الداعي : ٦٩ مرسلاً .

وينبغي أيضاً أن يختار من الأوقات - لدعائه وحوائجه - المخصوصة وهي كثيرة منها : ليلة الجمعة ويومها .

وروي عن الباقر عليه السلام : أنّ الله تعالى لينادي كلّ ليله جمعة من فوق عرشه من أوّل اللّيل إلى آخره : ألا عبد مؤمن يتوب إليّ من ذنوبه قبل طلوع الفجر فأتوب عليه ، لا عبدٌ مؤمن - هكذا ذكره عدّة حوائج إلى أن قال - فلا يزال ينادي هذا حتّى يطلع الفجر [(١)] .

وروي أنّ الله يؤخّر قضاء حاجة عبده المؤمن إلى يوم الجمعة [(٢)] .

وعن النبي صلى الله عليه وآله : يوم الجمعة سيّد الأيّام وأعظمها عند الله ، وأعظم من يوم الفطر ويوم الأضحى - إلى أن قال - : فيه ساعة لا يسأل الله عزّ وجلّ فيها أحد شيئاً إلاّ أعطاه ما لم يسأل حراماً [(٣)] - إلى أن قال - : وفي نهار الجمعة ساعتان ما بين فراغ الخطيب من الخطبة إلى أن يستوي الصفوف بالنّاس ، وأخرى من آخر النّهار، روي : إذا غاب نصف القرص [(٤)] .

---

(١) الفقيه : ١ / ٢٧١ ح ١٢٣٧ باسناده إلى أبي بصير ، والتهذيب : ٣ / ٥ ح ١١ مثله ، والمقنعة : ٣٥ مرسلاً عنها الوسائل : ٧ / ٣٨٩ ح ٣ . ورواه في عدة الداعي : ٤٥ ؛ عنه الوسائل : ٧ / ٧٨ ح ٤ .

(٢) المحاسن : ٥٨ ح ٩٤ باسناده إلى ابن محبوب ؛ المقنعة : ٢٥ مرسلاً ؛ مصباح المتهجد : ٢٣ باسناده إلى أبي بصير ؛ عنها الوسائل : ٧ / ٣٨٣ ح ١ ؛ دعوات الراوندي : ٣٥ ح ٨٣ عنه البحار : ٩٣ / ٣٤٧ ضمن ح ١٤ ، عدة الداعي : ٤٦ .

(٣) دعوات الراوندي : ٣٥ ح ٨٤ ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٤٧ ضمن ح ١٤ ؛ وفي الوسائل : ٥ / ٦٧ ح ٢٢ عن عدة الداعي : ٤٦ ؛ والخصال : ١ / ٣١٥ ؛ ومصباح التهجد : ١٩٦ .

(٤) عدة الداعي : ٤٦ مرسلاً . رواه الكافي : ٣ / ٤١٤ ح ٤ ؛ التهذيب : ٣ / ٢٣٥ ح٦١٩ باسنادهما إلى عبدالله بن سنان؛ باختلاف يسير؛ عنهما الوسائل : ٧ / ٣٥٢ ح ١ ؛ ورواه في =

ومنها ما بين الظهر والعصر من يوم الأربعاء للدّعاء على الكفّار [(١)] .

ومنها : العشاء الآخرة ، وروي أنّها لم تعط لإحد من الأمم قبلكم [(٢)] .

ومنها : السدس الأوّل من النصف الثاني من اللّيل ، روى عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال : إنّ في اللّيل ساعة ما يوافق فيها عبد مؤمن يصلّي ويدعو الله فيها إلّا استجاب له قال : قلت : صلحك الله أيّ ساعة اللّيل هي ؟ قال : إذا مضى نصف اللّيل ، وبقي السدس الأوّل من أوّل النصف الثّاني [(٣)] .

وعن أمير المؤمنين عليه‌السلام أنّه خرج داود في هذه السّاعة وقال : هذه ساعة لا يدعو فيها أحد إلّا استجيب له إلّا فلان [(٤)] .

ومنها : آخر اللّيل إلى طلوع الفجر وقدّر بالثلث الأخير وفي الرّواية : قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله : إذا كان آخر اللّيل يقول الله سبحانه وتعالى : هل من داع فأجيبه ؟ هل من سائل فأعطيه سؤله ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من تائب فأتوب عليه [(٥)] .

=دعوات الراوندي : ٣٦ ح ٨٢ باختلاف ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٤٨ ذيل ح ١٤ .

(١) عدة الداعي : ٤٧ باسناده إلى جابر بن عبد الله . وروى نحوه في البحار : ٩٣ / ٣٤٩ ضمن ح ١٥ عن البلد الأمين .

(٢) عدة الداعي : ٤٧ مرسلاً عن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله .

(٣) مكارم الأخلاق : ٣١٦ عنه البحار : ٩٣ / ٣٤٥ ضمن ح ٩ .

(٤) أمالي المفيد : ٨٥ باسناده إلى نوف البكالي ؛ عنه البحار : ٧٠ / ٣١٦ ذيل ح ٢٢ .

(٥) عدة الداعي : ٤٨ مرسلاً ؛ البحار : ٩٣ / ٣٤٩ ضمن ح ١٥ عن البلد الأمين .

وفي أخرى : ياطالب الخير أقبل وياطلب الشرّ أقصر [١] .

وفي رواية : إذا نام حتّى طلع الفجر بال الشيطان في أذنيه [٢] فاعتبروا ياأولي الألباب .

أقول : و(إنّ) للسيّد الجليل ابن طاووس قدّس الله سرّه العزيز – الّذي كان يقول شيخي تتئرُّ أنّه ما جاء مثله في علم المراقبة في الأمّة من طبقة الرعيّة – في هذا المقام جواباً عمله للمراقبين أن يقولوا مخاطباً لهذا المنادي ، وهو في نفسي أمر عظيم ، وسنّة حسنة ، وهو فيما علمنا أوّل من سنّ هذه السنّة الفاخرة جزاه الله خيراً . ومن خصائصه . نظير ما حكي عنه أنّه جعل يوم بلوغه عيداً تعظيماً لتشريف الله جلّ جلاله إيّاه في هذا اليوم بخلع التكاليف ، ولعمري إنّ هذا أيضاً أمر عظيم ، ومراقبة جليلة مهمّة لم نسمعها من أحد من علمائنا المجاهدين ، وهو ما رواه عنه في عدّة الدّاعي وهو قوله : اللّهمّ إنّي قد صدّقت – إلى أن قال – مرحباً بك أيّها الملك الخ .

ومنها : ما بين الطّلوعين وبظنّي أنّه مختصّ بدعاء الرزق [٣] .

---

(١) أمالي الصدوق : ٢٤٦ ؛ التوحيد : ١٧٦ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١٢٦ ، جميعاً بالاسناد إلى ابراهيم بن أبي محمود ، الاحتجاج : ٢٢٣ مرسلاً عنها البحار : ٨٧ / ١٦٣ ضمن ح ١ وج : ٣ / ٣١٤ ضمن ح ٧ . وروى في عدة الداعي : ٤٨ مثله .

(٢) المحاسن : ٨٦ باسناده عن محمد بن مسلم عن الإمام الباقر عليه السلام عنه البحار : ٨٧ / ١٧٠ ضمن ح ٣ .

(٣) الخصال : ٢ / ١٥٨ ضمن حديث الأربعمائة لأمير المؤمنين عليه السلام ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٤٤ ضمن ح ٣ .

ومنها ليالي القدر الثلاث من شهر رمضان وأفضلها ليلة الجهنّي [١] وليالي الإحياء وهي أوّل ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وليلتا العيدين [٢] ، ويوم العرفة [٣] والعيدين [٤] .

ومنها : وقت هبوب الرياح ، ونزول المطر ، وزوال الأفياء ، وأوّل قطرة من دم القتيل المؤمن ، فانّ أبواب السماء تفتّح عند هذه الأشياء [٥] .

روي : إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء ، وأبواب الجنان ، وقضيت الحوائج العظام ، فقلت : من أيّ وقت فقال : بمقدار ما يصلّي الرجل أربع ركعات مترسّلاً [٦] .

من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس [٧] .

---

(١) عدة الداعي : ٥٢ . والجهني : - بالضم ثم الفتح - : اسم عبد الله بن أنيس الأنصاري منسوب إلى الجهينة وهي قرية بموصل (مقتبس الأثر) .
قال في المجمع : ومنه ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان ليلة الجهني وحديثه : أنّه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ منزلي ناءٍ من المدينة فمرني بليلة أدخل فيها ، فأمره بليلة ثلاث وعشرين.

(٢) عدة الداعي : ٥٣ - ٥٤ . روى الشيخ في مصباح المتهجد : ٧٣٥ باسناده إلى وهب بن وهب القرشي عن الامام الصادق عن أبيه عن علي عليهم السلام قال : يعجبني أن يفرغ الرجل نفسه في السنة أربع ليال : ليلة الفطر ، وليلة الأضحى ، وليلة النصف من شعبان ، وأول ليلة من رجب» ورواه في قرب الاسناده : ٢٦ مثله ، عنهما الوسائل : ٧ / ٤٧٨ ح ٣ ، الباب ٣٥ من أبواب صلاة العيد .

(٣) عدة الداعي : ٥٣ - ٥٤ .

(٤) راجع مهج الدعوات : ٤٤٧ ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٥١ ضمن ح ١٦ .

(٥) مكارم الأخلاق : ٣١٥ باسناده إلى زيد الشحّام عن الإمام الصادق عليه السلام ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٤٤ ضمن ح ٩ ، عدة الداعي : ٥٤ مثله .

(٦) فلاح السائل : ٩٦ باسناده إلى عبد الله بن حماد الأنصاري ؛ عنه البحار : ٨٧ / ٥٤ صدر ح ٧ ؛ عدة الداعي : ٥٤ مرسلاً .

(٧) الخصال : ٢ / ١٥٨ ضمن حديث الأربعمائة لأمير المؤمنين ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٤٤ ضمن ح ٤ . عدة الداعي : ٥٥ .

وأن يختار الأمكنة الشريفة مثل رأس الحسين عليه السلام ومطلق تحت قبّته كما ورد أنّ فيها يستجاب الدعاء ومثل سائر الأزمنة الشريفة والأمكنة الشريفة فإنّها لابدّ أن يكون أقرب للإجابة من غيرها، وإن لم يرد فيها شيء بالخصوص [١] .

وقد روي عن الرضا عليه السلام أنّه ما وقف أحد بتلك الجبال - مشيراً إلى المواقف الشريفة من مكّة ونواحيها - إلّا استجيب له، أمّا المؤمن فيستجاب له في أخراه،أمّا الكافر فيستجاب له في دنياه [٢] ، واختصاص عرفات يوم العرفة معروف، وهكذا الحالات الشريفة كحال الرقّة والبكاء [٣] .

والصلوات المكتوبة، روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أدّى لله مكتوبة فله في إثرها دعوة مستجابة، قال ابن الفحّام، رأيت أمير المومنين عليه السلام في النوم فسألته عن الخبر فقال: «صحيح، إذا فرغت من المكتوبة فقل: وأنت ساجد: اللّهمّ إنّي أسألك بحقّ من رواه وبحقّ من روي عنه صلّ على جماعتهم وافعل بي كذا وكذا» [٤] .

وعن الصادق عليه السلام: «أنّ الله تعالى فرض عليكم الصلوات في أحبّ

(١) راجع عدة الداعي: ٥٥ - ٥٧؛ والبحار: ٩٣ / ٣٥١ - ٣٥٣.
(٢) عدة الداعي: ٥٦؛ عنه البحار: ٩٩ / ٢٦١ ح ٣٩.
(٣) دعوات الراوندي: ٣٠ ح ٦٠، عنه البحار: ٩٣ / ٣٤٧ ضمن ح ١٤.
(٤) دعوات الراوندي: ٢٧ ح ٤٧ باسناده إلى المنصوري؛ عنه البحار: ٩٣ / ٣٤٧ صدر ح ١٤ وج ٨٦ / ٢١٨ ح ٣٤ والمستدرك: ١ / ٣٥٥ ح ٨، ب ٥. وأخرجه في البحار: ٨٥ / ٣٢١ ذيل ح ٨ عن أمالي الطوسي: ١ / ٢٩٥ ح ٦. وصدره في الوسائل: ٤ / ١٠١٥ ح ١٠ عن ← ← امالي الطوسي، وعن أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٢٨ ح ٢٢ ورواه في تنبيه الخواطر: ٢ / ١٦٨؛ عدة الداعي: ٦٧.

الأوقات إليه فاسألوا الله حوائجكم عقيب فرائضكم»[(١)] .

أقول : وهذه الرواية إنّما دلّت على أنَّ الدعاء في أحبّ الأوقات أقرب إلى الإجابة كما ذكرنا.

وممّا ورد فيه الدعاء (بعد) الوتر وبعد الفجر والظهر وبعد المغرب[(٢)] .

وروي : يسجد بعد المغرب ويدعو في السجود[(٣)] .

وروي : يسجد بعد الوتر ويدعو لأربعين من المؤمنين[(٤)] .

وروي في أغلب الأعمال المستحبّة في الأيّام واللّيالي الشريفة لاسيّما الصلوات المستحبّة فيها الدعاء بعدها.

أقول : هذه الجملة كافية لغرضنا في هذا الكتاب من الإشارة إلى الشرائط والمهمُّ من ذلك كلّه أن يستقصي السالك في تصحيح الشرائط الباطنيّة كلّ الاستقصاء ويبالغ فيه بكلّ جهده وهو الإيمان بأنَّ الضارَّ والنافع هو الله ، والإيمان بعنايته وانَّ الله خير وأبقى ، وأن لا خير في الوجود إلاّ بولاية الله وقربه ولقائه ، وينحصر مطلوبه في ذلك أو فيما يرجع إليه حتّى أنَّ هذا المؤمن لايلتذُّ من نعم الله إلاّ من جهة أنّه من الله بل لا يرى في النعم إلاّ نسبتها إلى الله ، فيكون نفسه وعقله وروحه مشغولة عن الدنيا بحمده وثنائه هذا .

---

(١) عدة الداعي : ٦٧ ؛ عنه البحار : ٨٥ / ٣٢٤ ح ١٥ .
(٢) عدة الداعي : ٦٧ باسناده إلى فضل البقباق .
(٣) عدة الداعي : ٦٧ .
(٤) عدة الداعي : ١٨٢ .

ودوام هذا الحال عزيزٌ جدّاً لا يبلغه إلاّ واحد بعد واحد من أهل المعرفة ، ولكنَّ الغالب لأصحاب اليمين النظر إلى الأسباب ، ولكنَّ الأولى لهم أيضاً أن يكون مسبب الأسباب أهمَّ عندهم فلا يطلبوا غيره إلاّ معه ، ولا يخلو دعاؤهم للدنيا عن ضميمة دعاء القرب والرضا واللّقاء ، وإن قصر درجته عن ذلك فلا أقلَّ من ضميمة المغفرة والجنّة ، فيكون موافقاً لما حكى الله من الّذين يقولون : ﴿رَبَّنا آتِنا فِي الدّنيا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾[1] وإن فاته ذلك في بعض دعواته فليكن أغلبها وأهمّها في نفسه ولسانه تقديم الله جلَّ جلاله على غيره والآخرة على الدُّنيا.

والمهمُّ بعد ذلك تحصيل حال الرقّة والبكاء والخضوع والخشوع ، وإظهار الذلُّ من الجلوس على التراب ، وكشف الرأس ، والتمرُّغ في التّراب ، والسّجود ومسح الوجه على الأرض ، وغلّ الأيدّي إلى الأعناق ، والتلطّف مع الله الرحمن الرحيم في ألفاظ الدُّعاء ، وذكر صفاته الموجبة للاجابة ، ممّا علّمنا أئمّتناعليهم‌السلام في أدعيتهم ، هذا .

ومن مراقبات[2] شهر رمضان بعد تطهير القلب بالتوبة الصادقة تطهير المطعم والمشرب ، بل والمكان واللباس ، بل وكلّما يتقلّب فيه الصائم بالتخميس ، فانّ الله رضي في تطهير المال بالخمس كما ورد في الأخبار[3] فالأولى أن يحاسب في نفسه ذلك أوّل الشهر ويعطي خمسه حتّى يكون تقلّباته وقوته

---

(١) البقرة : ٢٠١ .

(٢) في الأصل : ومن أهميات .

(٣) إقبال الأعمال : ١ / ٤١ – ٤٢ .

من الحلال .

ثمّ إنّ الأخبار إنّما استفاضت في أنّ شهر رمضان أوّل السنة وأنّه إذا سلم سلمت السنّة [(١)] .

أقول : من كان أهل اليقظة يرى تأثير أعماله في أحواله وإرادته وعلم أنّ لعمله في شهر رمضان من جهة كونه أوّل السنة ، وتقدير الخير والشرّ فيه ، تأثيراً عظيماً في جميع أموره ، لا سيّما أرزاقه وأجله ، وتوفيقه للخيرات والعبادات وهكذا لليوم الأوّل منه في باقي الشهر ، ولذا يتأكد عند أهله الاهتمام بما ورد فيه من الأعمال لا سيّما الدّعاء الطّويل المختصّ بهذا اليوم الّذي رواه في **«الاقبال»** عن التلّعكبريّ باسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام فانّه دعاء جليل جامع لجميع المطالب الدين والدنيا والآخرة [(٢)] .

والأهمُّ أن يجتهد في تحصيل شرائط الدُّعاء ، ويؤدّي حقّ هذا الدّعاء ، ولعمري إنّه لا يعرف حقَّ هذا الدُّعاء أحد إلاّ ويكثر جدُّه واهتمامه لتكميل شرائطه والإخلاص فيه ، ويعرف قدر منّة من علّمنا هذا الدّعاء وأمثاله ، ويعرف قدر نعمة الله علينا بهم - صلوات الله عليهم - ولو لم يكن تعريفهم وتعليمهم لنا من أين كنّا نعلم حقَّ أدب المخاطبة مع الله جلَّ جلاله ومواقع رضاه في مكالمته ومناجاته وطلبه ، وكيفيّة شكره ؟ بل من أين علمنا مقدار قصورنا وتقصيرنا في

(١) روى في الأقبال : ١ / ٣١ باسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال : «إذا سلم شهر رمضان سلمت السنة» وقال : «رأس السنة شهر رمضان» . رواه في التهذيب : ٤ / ٣٣٣ عنه الوسائل : ١٠ / ٣١١ .

(٢) راجع إقبال الأعمال : ١ / ١١٩ عنه البحار : ٩٧ / ٣٣٠ - ٣٣٥ .

رعاية مراسم عبوديّته ؟ بل بقينا في مهوى عوالم الجهل والضّلال ، وهلكنا مع الهالكين من البهائم والأنعام .

ثمّ إنّ ألزم لوازم الدُّعاء ، وأوجب واجباته أن يعلم ما يقول ، ولا يكون حاله وصفته مخالفاً لما يشافه به ربّه في هذا الموسم العظيم ، والمقام الجليل ، فيكون كاذباً في دعواه أو غافلاً أو كالمستهزئ مع مولاه ، فانّ ذلك في حكم العقل قريب من الكفر ، بل حقيقته كفر بالله ! العظيم ، فانّ الّذي هو عالم بمكنون السرائر ، أسرار الضّمائر ، إذا خاطبه عبده بهذه الاعترافات والتضرُّعات الّتي أودعوها في هذا الدعاء من قوله عليه السلام : «يامن نهاني عن المعصية فعصيته فلم يهتك عنّي ستره عند معصيته» إلى آخره ، ويرى قلبه وسرّه وعمله كلّه مخالفاً لما يقول ، ومتّصفاً بغير حقيقة الاعتراف ويكون معتقداً لنفسه بالصلاح والعدل مع مولاه ، أو غير راض في قلبه عن معاملة مولاه معه ، أو متّصفاً بغير ما يلزم هذا الاعتراف من الذلّة والانكسار ، والتملّق والاحتقار ، ماذا يقتضي حكم العقل باستحقاق هذا المناجي الغافل أو الكاذب أو المستهزئ ؟ .

فأخفُّ هذه الأحوال الثلاثة في الجناية والشقاء حال الغفلة ، فما ترى في عبد دعاه سيّده إلى ضيافته ، ومجلس كرامته ، مع أوليائه الأطهار ، وأرسل إليه من يعرّفه حقَّ أدب حضوره ومناجاته ، فحضر هذا العبد ، وأوقف نفسه موقف المناجاة والتكلّم معه ، فاشتغل في حضوره عنه بقلبه بعدوّه والتفكّر في طاعة هذا العدوّ واستغرق قلبه في هذا الفكر بحيث أسكره عن فهم معاني مخاطباته مع سيّده ومولاه ، فما يستحقّ في حكم عقلك هذا الضالُّ الأضل من الأنعام في

جواب هذه المخاطبات ؟

فلو قيل له : أما تستحيي أيّها الضالُّ المستخفُّ بكرامة ربّه من أن تواجهني في مثل هذا المقام بما لاترضى أن يواجهك به أحد من العالمين ، بل لا ترضى أن يواجهه به عدوّك في حضوره ، أما كنت تخجل وتستحيي عن مثل هذا التهوين مع أمثالك من عبيدي ، فأين حياؤك من تهوينك إيّاي بما (لا) تهوّن به عبيدي الأذلّاء ؟ أمّا وجدت أهون منّي عليك حيث لا تهتمّ في معاملتي بأن لا ترجّح عبيدي عليّ ، وتجتنب عن سوء معاملتهم بما ترتكب معي ، وأنا أقول : سبحان هذا الربّ الحليم الكريم ، كيف ولولا حلمه لأخذنا بهذا التهوين أخذ عزيز مقتدر، وعذّبنا في سفلى دركات المعذّبين ، فطردنا عن بابه أبد الآبدين ، وجعلنا في مهوى عوالم السجّين .

ثمَّ إنَّ هذا القسم من الأقسام الثلاثة هو الغالب على الناس في دعائهم وبعده القسم الثاني وهو أن يعتقد لنفسه مقاماً من التقوى ، ولا يكون راضياً عن معاملة ربّه ، ويكون كاذباً في اعترافه بتقصر نفسه وفضل ربّه .

وأمّا القسم الثالث فهو المستهزئ فلا أظنُّ أن يوجد ذلك في المسلمين .

ثمَّ إنَّ هذا الّذي ذكرنا من بعض ما نستحقّه في حال غفلتنا في مناجاة ربّنا إنّما هو قضيّة حكم العقل والعدل ، وأمّا ما يعامل به ربّنا من فضله بدل ما نستحقّه بعدله ، فهو ما ذكره الإمام عليه السلام بأنّه لا يهتك سترنا ، ولا يسلب عافيته عنّا ، ولا يزيل نعمته عنّا ، ولا يستدرجنا ويكتم سيّئاتنا ، ويظهر محاسننا ، ويعاملنا معاملة من أطاعه ، ولا يكلنا إلى غيره ، ولا يغلق عنّا باب التوبة ، ويقيل عثراتنا ، ويدعونا

إلى دعائه ، ويعدنا الإجابة ، ويغضب لمن يعيّرنا بمعصيته ، وينهى المؤمنين عن هتك محارمنا مع هتكنا حرمته ، ولا يحبس عنّا عطيّته ، ولا يخذلنا ، ولا يخرجنا من كفايته ، إلى آخر ما ذكره وأشار إليه إجمالاً من حسن صنيعه ، وكريم معاملته .

ثمّ انظر في قوله عليه السلام : «أنا من حبّك جائع لا أشبع ، أنا من حبّك ظمآن لا أروى» [(١)] هل فيك أثر من حبّه فضلاً عن أن تكون كالجائع الضامئ ، فانّ محبّه يكون لا محالة مشتاقاً إلى لقائه ، ولذا قال عليه السلام بعد ذلك : «واشوقاه إلى من يراني ولا أراه» [(٢)] والمشتاق لا يسكن ولا يرتاح حتّى يصل إلى من يشتاق إليه .

فبالجملة : التلفّظ سهل لا مؤنة فيه ، ولكنّ الاتّصاف بحقيقة ما يتلفّظ به أمر صعب ، والعمل بمقتضاه أصعب ، فإنّ المحبّين له تعالى كما أشار إليه عليه السلام قبل ذلك : «هم الّذين لم يرضوا بصيام النهار ، ومكابدة الليل ، حتّى مضوا على الأسنّة قدماً ، فخضبوا اللحاء بالدّماء ، ورمّلوا الوجوه بالثرى» [(٣)] فهل ترى أثر ذلك في نفسك ؟ فإن كنت تراه فهنيئاً لك وطوبى ، وإن كنت ممّن يثقل عليه الصيّام والقيام فضلاً عن المضيّ إلى الأسنّة ، فلا تجترئ على الكذب على مولاك ، ومالك آخرتك ودنياك ، في مقام المناجاة .

ثمّ إنّ أهمّ ما على السالك أن يراجع في أوّل ليلة من الشهر خفيره وحاميه من المعصومين ، ويتوجّه إلى الله جلّ جلاله بوجاهة وجهه المضيئ الوجيه عند ربّه ، لأنّ وجهه خلق مظلم لا يليق بالتوجّه إلى مقدّس حضرت ربّه الجليل

(١ - ٢) إقبال الأعمال : ١٣٥ ، عنه البحار : ٩٧ / ٣٣٨ ضمن ح ١ .

(٣) إقبال الأعمال : ١٢٨ عنه البحار : ٩٧ / ٣٣٣ ضمن ح ١ .

الجميل جلّ جلاله ، ويبسط معه المقال في الاستشفاع والتوسّل والاستجارة ، ويزيد في التضرُّع والابتهال ، حتّى يقبلوه ويشفعوا له ، ويرغبوا إلى الله جلَّ جلاله في قبوله وتوفيقه بما يحبُّ ويرضى ، فانّه كريم لا يردُّ لكرام ، لا سيّما هؤلاء الأولياء الّذين جعلهم أبواباً لرحمته ، ومناراً في خليقته ، وأدّبهم بالكرامة ، وأمرهم بالإجارة .

وبالجملة يمكن له أن يحصّل بتلطّف ساعة في التوسّل إليهم سعادة لا ينالها بعبادة سنة ، فاغتنم الفرصة وقل بعد السلام ، وعرض التحيّة والثناء والإكرام:

أنت ياسيّدي في هذه اللّيلة حامي الأُمّة وخفيرهم ، وأكرم الخلائق ، تحبُّ الضيافة ومأمور من الله جَلَّ جلاله بالإجارة ، عبدك ضيف الله وضيفك ، وجار الله وجارك فأجر عبدك وأضفه ، واجعل قراي منك الليلة أن تدخلني في همّك وحزبك ، ودعائك وحمايتك ، وشفاعتك وولايتك وشيعتك .

وارغب إلى الله لي في كرم عفوه ، وقبوله ورضاه ، وأن ينظر إليَّ بنظرة رحيمة يرضى بها عنّي رضا لا سخط عليَّ بعده أبداً ، ويلحقني بشيعتكم المقرَّبين، وأوليائكم السابقين ، فانّه لا يردُّ شفاعتك ، فانَّ لك عند الله شأناً من الشأن ، وقدراً من القدر ، فبحقّ هذا الشأن الّذي جعل الله لك يامولاي أسألك أن تسمح في حقّي بما سألتك ، وتزيدني بمقدار كرامتك ، ولاتنظر ياسيّدي إلى حقارتي وذلّ مقامي وسوء حالي ، فانَّ الكرام لا يعظم عليهم في قرى ضيفهم شيء من العطايا ، ولا يقدّرون كرامتهم وعطاياهم بقدر الضيف السائلين ، فانَّ

العطاء بقدر المعطي ، والقرى بقدر المضيف .

سادتي أنتم الّذين علّمتم الكرام آدب الكرامة ، والأجواد شيم الجود والسماحة ، إن ذكر الجود كنتم أوّله وآخره ، وأصله وفرعه ومنتهاه ، وإن قيل الكرم فأنتم معدنه ومأواه لا يردُّ سائلكم ولا يخيب آملكم .

سادتي أنتم الّذين قلتم : مثل المعروف مثل المطر ، يصيب البرَّ والفاجر ، فلا تمنعوني سحائب رأفتكم ، فليصبني أمطار جودكم ، فانّي من جودكم جائع ، ومن كرمكم ظمآن ، لا ترضوا لضيفكم أن يبيت في حماكم جائعاً ضمآناً .

فأنت يامولاي متى ما منعتني قراك ، بتُّ طاوياً في حماك ، ووصلت إلى الهلاك حاشاك من هذه المعاملة مع ضيفك ثمَّ حاشاك .

وبالجملة يجمع كلَّ حواسّه في استقصاء التلطّف ، في الاستشفاع والتوسّل والاسترحام والتبتّل ، ويجدُّ بكلّ جهده في الاستعطاف والاسترضاء ، حتّى يستوفي بعمل ساعة سعادة سنة ، ويفوز بجهد قليل بفضل جليل ، ثمَّ يؤكّد في كلّ يوم وليلة في المغرب والصبح هذا التوسّل مع خفرائه بتجديد السّلام ، والاسترحام ببعض ما ذكرناه ههنا .

ثمّ إنّه ينبغي للسالك أن يتروّى في حاله ، ويتأمّل في نشاطه وكسله ، وشغله وفراغه ، وقوّته وضعفه ، بالنسبة إلى النوافل والمستحبّات ويختار منها بعد مراعاة حاله الأفضل فالأفضل .

ومن جملة ذلك ماورد في الأخبار الكثيرة من زيادة النوافل في هذا الشهر

بألف ركعة [١] فان رأى العمل بالنسبة إليه أحسن ، فهنيئاً له في توفيقه بـذلك ، ولكن لا يترك الدعوات الواردة فيها ، فانَّ فيها مضامين عالية بعضها لا يوجد في غيرها من الدعوات ، وليكن في ذلك حيّاً وصادقاً فـيكون حـظّه مـن قـراءتـها المناجاة ، مع قاضي الحاجات ، لا مجرّد التفوّه بالألفاظ ، فان حصل له حقيقة ما يقوله ، ويصف من حاله ومقامه في هذه الدعوات ، فطوبى له وحسن مآب ، فإنَّ العبد إذا اتّصف قلبه بحال مثلاً يدعو فيه لنفسه الويل ، ويذكر (من) ويله وثبوره : أنّ ذنوبه بحيث لو علمت بها الأرض لابتلعته ، ولو علمت بها الجبال لهدَّته ، ولو علمت بها البحار لأغرقته كما ذكر ذلك في بعض الأدعية فانّ ذلك حالٌ أظنُّ أنّه لو حصل لإبليس لأنجاه ، وكيف بمسلم أو مؤمن ؟ لا سيّما إذا كان خوفه واضطرابه من سخط مولاه أشدَّ من اضطرابه من عذاب النار كما يذكره بعد هذه الفقرات ، فهذا حالٌ سنيٌّ لا يوجد في قلب إلاّ وربّه عنه راض ، وهكذا غيرها من المضامين الفاخرة الّتي أودعوها في هذه الدعوات ، فانّها مـثار حـالات وصـفات للـنفس والقلب يحييهما وينجيهما من الهلكات ، ويوصلهما إلى سنيّ الحالات وعـالي الدّرجات .

ثمَّ إنَّ العامل إن كسل في بعض الأوقات ، ولم يكن له نشاط للعمل ، فله أن يراقب حاله ، فإن ظنَّ من حاله أنّه لو اشتغل بالعمل - ولو بالتعمّل - يورث له الحال ، فليشتغل ولا يترك حتّى لا يتمكّن الخبيث من نفسه ، فانَّ الانسان إن ترك العمل بمجرّد الكسل ، فانّه ينجرُّ ذلك إلى الترك الكلّي ، ولكن يتأمّل ويجتهد في

---

(١) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٤٦ ، فصل ٦ .

حاله فإن رآه بترك عمل يزيد شوقه إليه فيما يأتي فليترك ولا يعوّد نفسه بالعمل عن الكسل ، وإن رأى أنّ تركه يورث تركاً آخر فليعمل ولا يترك ، وكثيراً ما يدخل السالك في العمل بالضجر والكسل ، ثمّ يحسن حاله في الأثناء فوق الأمل ، وله أن لا يخطىء في اجتهاده في ترجيح الترك على العمل فانّ الكسل فيالنفس أحلى من العسل ، وذلك قد يعميه عن معرفة حقّ الواقع هذا .

ومن مهمّات الأعمال في هذا الشهر القراءة والدعاء والذكر ، فليقدّر العامل لنفسه من كلّ واحد منها ورداً ويرجّح منها ما يزيد في نشاطه للعبادة ، ويؤثر في قلبه فكراً ونوراً ، فلا يترك غيره رأساً ولكن يرجّح بذلك ترجيحاً في الزيادة والإكثار ، وليكن ممّا يختاره من الدعوات في أوّل الليل ما ورد بعد الصلوات وأوّله :

«ياعليّ ياعظيم» [(١)] ودعاء الافتتاح [(٢)] وفي الأسحار ما أوّله : اللّهمّ إنّي اسألك من بهائك بأبهاه [(٣)] ، ولا يترك دعاء أبي حمزة [(٤)] وليقرأه بقدر نشاطه وكسله في جميع الليالي أو غبّاً ومن أدعية النهار يقرأ في كلّ يوم بعضها [(٥)] ، ولا يترك في الجمعات الصلوات المروية [(٦)] ويكثر في دعواته دعاء توفيق ليلة

---

(١) إقبال الأعمال : ٨٠ .
(٢) إقبال الأعمال : ١٣٨ ؛ مصباح المتهجد : ٢ / ٥٧٧ - ٥٨٢ .
(٣) إقبال الأعمال : ١ / ١٧٥ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٩٣ - ٩٥ .
(٤) إقبال الأعمال: ١/ ١٥٧؛ عنه البحار: ٩٨ / ٨٢ - ٩٣ ، مصباح المتهجد: ٢ / ٥٨٢ - ٥٩٨؛ مصباح الكفعمي : ٥٨٨ ؛ البلد الأمين : ٢٠٥ .
(٥) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٢٠٢ - ٢٣٠ .
(٦) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٥١ - ٥٢ ؛ عنه الوسائل : ٨ / ٢٩ .

القدر[١] وليلة الفطر .

ومن مهمّات الدعوات الدعاء لوليّ أمره ، وخليفة ربّه ، بقيّة الله في إرضه وحجّته على بريّته ، إمام زمانه - أرواحنا وأرواح العالمين فداه - خلال ليله ونهاره[٢] وليقل في دعائه : «اللّهم أرنا فيه وفي أهل بيته ، وشيعته ورعيّته ، وعامّته وخاصته ما يأمل ، وفي أعدائه ما يحذرون ، ومُنَّ علينا بطاعته ورضاه ، وألحقنا بشيعته المقرّبين ، وأوليائه السابقين ، وصلِّ عليه وعلى آبائه الطاهرين ، بجميع صلواتك يا أرحم الرّاحمين .

ويدعو ويستغفر لأبويه ولمعلّميه وإخوانه في الله ولأقربائه وجيرانه ، ولمن له عليه حقٌّ ، ولجميع المؤمنين ، وأشركهم في دعواته لنفسه .

ثمّ إنّ من مهمّات أعمال الشهر : الغسل في أوّل ليلة منه ، وفي الليالي المفردة وفي أوّل يوم منه .

وفي الرواية : من اغتسل في أوّل ليلة من شهر رمضان في نهر جار ويصبُّ على رأسه ثلاثين كفّاً من الماء طهر إلى شهر رمضان من قابل[٣] .

وروي : أنَّ من اغتسل في أوّل يوم من السنة في ماء جار وصبَّ على رأسه ثلاثين غرفة ، كان دواء سنة[٤] .

---

(١) راجع إقبال الأعمال : ١ / ١٤٨ ، فصل ١٧ ، فيما نذكره مما يعمل كل ليلة للظفر بليلة القدر .
(٢) إقبال الأعمال : ١ / ١٩١ ؛ عنه البحار : ٩٧ / ٣٤٩ .
(٣) إقبال الأعمال : ١ / ٥٥ ؛ عنه الوسائل : ٣ / ٣٢٥ .
(٤) إقبال الأعمال : ١ / ١٩٣ باسناده إلى السكوني ؛ عنه الوسائل : ٣ / ٣٢٦ ؛ والبحار : ٩٧ /

وروي أنّ : من ضرب وجهه بكفّ ماء ورد ، أمن ذلك اليوم من المذلّة والفقر ، ومن وضع على رأسه من ماء ورد أمن تلك السنة من البرسام ، فلا تدعوا ما نوصيكم به [1] .

أقول : ولعلّ بعض الناس يثقل عليه تصديق أمثال هذه الأخبار ممّا لا طريق للعقول إلى حكمها؛ ووجهه الجهل بخواصّ الأفعال والحركات ، لا سيّما فيما ليس يرى كثيراً ، وإلّا فأيُّ فرق بين ما يرى من عمل النار وتأثيراتها في العالم يقبله الناس ولا يتعجّبون منها وبين تأثيرات الأفعال .

وهكذا أيُّ فرق بين تأثيرات حركات الأفلاك وحركات أعمال العباد ، إلاّ أنّ الأوّل من جهة كثرة استماعها لا يتعجّب منها العامّة ، والثانية من جهة ندرة العلم بها وقلّة استماعها لا يألفها الطباع فتتعجّب منها ، فانَّ أعجب العجاب من هذه الأمور تأثيرات حركات الألفاظ في العالم ، فما تقول العامّة في تأثير حركة شفة سلطان بكلمة واحدة تقتل النفوس ، وتهرق الدماء ، وتخرب البلاد ، وتضيع الأموال وقد يبقى آثارها في العالم إلى انقضاء الأبد ، وأنت يا مسكين كيف تعرف لمّه بنور جعله الله جلَّ جلاله فيك ، ولا تتعجّب ؟! منه ، والأنبياء أيضاً إنّما يعرفون لمّه بنور جعله الله فيهم ، يرون به خواصَّ الأفعال والحركات في عالم الانسان .

فللمصدّقين للأديان والأنبياء أن لا يرتابوا فيما يخبرهم النبيُّ الصادق من

.٣٥

(١) إقبال الأعمال : ١ / ١٩٣ ؛ عنه الوسائل : ٣ / ٣٢٦ ؛ والبحار : ٧٦ / ١٤٤ وج ٩٧ /٣٥٠ ؛ أمان الأخطار : ٣٦ .

خواصّ الإعمال ، فانّ الريب من شعب الكفر لا يجتمع مع الإيمان ، والمتعبّد بأمثال هذه الأحكام الّتي خفي لمّها على العقول ، له فضل على المتعبّد بالأحكام الّتي تعرفها العقول ، وهذه الأعمال أقرب إلى الإخلاص من غيرها ، وإيّاك أن تعوّد نفسك بالتسامح في أمثالها ، بل لك أن تكثر همّك وجدّك في التعبّد بها أكثر ممّا يخالفها .

وكيف كان فالقرآن وأخبار الرسول ﷺ شاهدة لتأثير الطهارات في عوالم المكلّف تأثيراً اقتضت الحكمة الإلهية إيجاب بعضها واستحباب بعضها الآخر ، وورد في بعض الأخبار أنّ لها نوراً في عوالم الغيب ينفع صاحبه ، لا سيّما يوم القيامة ، ويعلم من بعضها أنّ لها صوراً خاصّة كصور الأعيان بل الأشخاص ، تجيىء يوم القيامة بهذه الصورة وتأخذ بيد صاحبها وتنجّيه من النار ومن الهلكات [(١)] ، وقد حكي عن بعض الكاملين أنّه كوشف له في هذه الدنيا من نور وضوئه فرآه ، نوراً عظيماً جدّاً .

وبالجملة إن كنت مصدّقاً لله ولأنبيائه وكتبه واليوم والآخر ، فكيف تعتقد ما أخبروه ومن أحكام عالم البرزخ ؟ فكذلك هذه الخواصّ فانّ الأخبار متواترة بأنّ للأعمال والحركات في عوالم الغيب صوراً وحياةً وشعوراً تجيىء وتذهب ، وتتكلّم وتشفع لصاحبها ، وتؤمّنه من الأهوال ، وتصاحبه وتستأنس به ، هذا .

وأوقات الغسل على ما في الروايات أوّل الليل كما في بعضها ، وقبيل (وجوب) الشمس كما في الآخر وفي بعضها بين العشاءين [(٢)] ، وفي ليلة الجهنيّ

---

(١) راجع البحار : ٦ / ٢٣٠ ح ٣٥ ، وص ٢٣٤ ح ٥٠ .
(٢) إقبال الأعمال: ١ / ٥٥ عنه الوسائل: ٣ / ٣٢٥. راجع الفقيه: ٢ / ١٥٦، الكافي: ٤ ٣/ ١٥.

كما سيجيىء غسلان في أوّل اللّيل وآخره [(١)] ، هذا . وقد مضى فيما أسلفنا آداب قصد السالك في صومه وأنّ الأعلى من قصد الصوم ماذا ؟

وأمّا الافطار فهو أيضاً يتفاوت بتفاوت درجات الصائمين :

فمن كان صومه من المأكل والمشرب وبعض التروك الفقهيّة ، خوفاً من العقاب ، أو شوقاً إلى جنّة النعيم ، ورأى صومه تكليفاً له من الله جلّ جلاله ، لابدّ من أن يكون إفطاره لدفع كلفة الجوع ، والخلاص من قيد التكلّيف ، أو لمجرّد شهوة الغذاء عند ارتفاع التكليف المتخيّل .

ومن كان صومه عن كلّ ما حرّم الله جلّ جلاله من الأفعال والحركات تحصيلاً لرضا ربّه ، ووصولاً إلى الدرجات العلى لابدّ أن يكون إفطاره أيضاً من بعض ما صام عنه لإذن مولاه ، وامتثال أمره في الاستقواء للعبادات ، وتحصيل المعرفة والكمالات ، مع الالتذاذ من المأكل والمشرب .

ومن كان صومه عن ذلك وعن كلّ ما يشغل عن الله من الأفكار الدنيّة ، ولو كان مباحاً من المباحات ، فإفطاره أيضاً لله وفي الله وبالله ، فإفطار أهل هذه المرتبة الثالثة لا يتصوّر أن يكون للشهوة ، ولا زائداً عن حدّ القوت ، ولا شاغلاً له عن الحضور .

فانظر يا مسكين ! أنّ إفطارك وأكلك من الحلال إذا كانت لمجرّد الشهوة

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٣٧٥ باسناده إلى بريد بن معاوية عن أبي عبد الله عليه السلام قال : رأيته أغتسل في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان مرة في أوّل الليل ومرة في آخره . عنه الوسائل : ٣ / ٣١١ . ورواه الشيخ في التهذيب : ٤ / ٣٣١ .

فانظر يا مسكين ! أنّ إفطارك وأكلك من الحلال إذا كانت لمجرّد الشهوة إنّما يشبه أكل الحيوانات ، لا سيّما إذا أكثرت منها ، وتكون أخسّ منها إذا كانت ذلك من الحرام ، وأمّا إذا كان لامتثال أمر الله وللاستقواء على العبادات ، وتحصيل قرب الله ، إنّما يكون مشابهاً لأعمال الأنبياء والأولياء ، والملائكة المقرّبين فاختر لنفسك ما يحلو فانّهم لو فرض لهم التذاذ عند الأكل من جهة الطبع فلا يخلو التذاذهم أيضاً عن شوب القصود الفاخرة ، كما أنّ نظرهم إلى هذه الدنيا ، وتنعّمهم منها ، وتقلّبهم فيها أيضاً كلّها يخالف تقلّبات العامّة ، فانّهم مع كونهم في الدنيا وتنعّمهم بنعمها بالضرورة مشغولون عنها وعن نعيمها بحمد الله وثنائه ، بمعنى أنّهم ينظرون إلى النعيم ولكن لا من جهة أنّها نعمة ، بل يرون فيها أنّها من الله بل يرون فيها المنعم ، ويلتذّون من هذه الوجهة .

ثمّ إنّ السحور مستحبٌّ شرعاً ، وروي : «تسحّروا ولو بجرع الماء . ألا صلوات الله على المتسحرين» [١] ويستحبُّ فيه زيادة على غيره من الذكر قراءة إنّا أنزلناه روي أنّه : «ما من مؤمن صام وقرأ إنّا أنزلناه عند سحوره وعند إفطاره إلّا كان فيما بينهما كالمتشحط بدمه في سبيل الله» [٢] ويقصد به استحبابه عند الله والتقوّي على العبادات طول النهار .

(١) الإقبال : ١ / ١٨٥ باسناده إلى عمرو بن جميع ؛ عنه البحار : ٩٧ / ٣٤٤ ؛ والمستدرك : ٧ / ٣٥٨ رواه في مصباح المتهجد : ٢ / ٦٢٦ ، والتهذيب : ٤ / ١٩٨ ، والأمالي : ٢ / ١١١ عنه البحار : ٩٦ / ٣١٣ ح ١١ ؛ المقنعة : ٥٠ عنها جميعها الوسائل : ١٠ / ١٤٤ .
(٢) الإقبال : ١ / ١٨٥ باسناده إلى أبي يحيى الصنعاني عن أبي عبد الله عليه السلام .

ثمّ إنّ من أهمّ[1] الدعاء في شهر رمضان أن يكثر الانسان دعاء توفيق عبادة ليلة القدر وليلة الفطر، من أوّل الشهر إلى وقت حضورهما، فان صدق في الدعاء لا يردُّ الكريم تعالى دعاءه ويفوز بهذا الأمر العظيم الّذي يليق للمؤمن بالقرآن الكريم أن يرتاض سنة كاملة بالإحياء والعبادات، لتحصيل الاطمئنان بدركها، كيف والقرآن صريح في أنّها خيرٌ من ألف شهر، وألف شهر أزيد من ثمانين سنة، فمن عمل سنة واستفاد أجر ثمانين سنة فهو من الرابحين الفائزين، وكيف للاهتمام بدعائه في أقلّ من شهر.

وبالجملة من لم يجد في نفسه اهتماماً لدرك ليلة القدر بهذا المقدار القليل أيضاً فهو مريض الإيمان، فليعالج إيمانه ونظيرها في لزوم الاهتمام ليلة الفطر ويومه لأنّه روي عن السجّاد عليه السلام أنّه كان يقول: ليس ذلك بدون الليلة يعني ليلة القدر[2]، وذووا الهمم العالية كان همّتهم أن يكشف لهم في هذه الليلة عمّا تنزّل من السماء إلى الأرض من الملائكة والتقديرات، وكيف لنا أن نهتمّ لتوفيق عبادتها، ولو لم نعلمها بالخصوص.

وقد روي للوصول إلى معرفتها: قراءة سورة الدخان في كلّ ليلة مائة مرّة إلى ليلة الجهنيّ[3]، وفي الأخرى: قراءة سورة القدر ألف مرّة بدلها إلى هذه

---

(١) في الاصل: من أهميات.

(٢) إقبال الأعمال: ١ / ٢٧٤ باسناده إلى غياث بن إبراهيم؛ عنه البحار: ٩١ / ١١٩ ضمن ح ٧.

(٣) أمالي الصدوق: ٥٢٠؛ الكافي: ١ / ١٩٦؛ عنه الوسائل: ١٠ / ٣٦٢. ورواه في الأقبال: ١ / ١٤٩.

اللّيلة[١].

وروى لدرك فضيلة ليلة القدر في «الاقبال» رواية وهي وإن لم يثبت اعتبارها إلّا أنّها من أجل عظمة أمرها ينبغي أن يعمل بها رجاء لصحّتها وثبوتها في الواقع وهي ما رواه عن ابن عبّاس أنّه قال: يارسول الله صلّى الله عليك وسلّم طوبى لمن رأى ليلة القدر! فقال له: «يا ابن العبّاس أُعلّمك صلاة إذا صلّيتها رأيت بها ليلة القدر كلّ ليلة عشرين مرّة وأفضل» فقال علّمني - صلّى الله عليك - فقال له: «تصلّي أربع ركعات في تسليمة واحدة، ويكون من بعد العشاء الأولى، ويكون قبل الوتر، في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة والجحد ثلاث مرّات، والتوحيد ثلاث مرّات، وإذا سلّمت تقول: ثلاث عشر مرّة: أستغفر الله. فوَ حقّ من بعثني نبياً من صلّى هذه الصلاة وسبّح في آخرها ثلاث عشر مرّة واستغفر الله، فانّه يرى ليلة القدر كما صلّى بهذه الصلاة ويوم القيامة يشفّع في سبعمائة ألف من أمّتي، وغفر الله له ولوالديه إن شاء الله»[٢].

أقول: لم يعلم المراد من الرواية صريحاً ويمكن أن يكون المراد أنّه يحصل له من الثواب ما يعادل أفضل من لذّة رؤية ليلة القدر عشرين مرّة، نظير ما روي أنّ ثواب تسبيحة خيرٌ من ملك سليمان[٣]، فلا يبقى استعباد وأمّا إن كان

---

(١) الإقبال: ١ / ١٤٩.

(٢) إقبال الأعمال: ١ / ١٥٣.

(٣) روي في عدة الداعي: ٢٦٢ في حديث «أن سليمان بن داود عليه السلام لما سمع الحرّاث يقول: لقد أُوتي ابن داود ملكاً عظيماً، مشى إليه وقال: إنّما مشيت إليك لئلّا تتمنى ما لاتقدر عليه، ثم قال: لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أُوتي آل داود. وفي حديث آخر: لأنّ ثواب التسبيحة يبقى وملك سليمان يفنى» عه البحار: ٩٣ / ١٨٤ ح ٢٦.

المراد أنّ ثواب هذه الصلاة أفضل من ثواب ليلة القدر أزيد من ثواب عبادة ليلة القدر عشرين مرّة كما فهمه صاحب الكتاب الّذي نقل عنه السيّد ﷺ هذه الرّواية فهو مستبعد .

فان قلت : وما معنى رؤية ليلة القدر وما معنى لذّته ؟

قلت : رؤية ليلة القدر كما أشرنا إليه سابقاً عبارة عن كشف ما يفتح فيها من نزول الأمر إلى الأرض كما يكشف لإمام العصر عليه السلام في اللّيلة .

وإن أردت لهذا الإجمال توضيحاً مّا فاعلم أنّ لله تعالى بين عالمي الأرواح والأجسام عالم يسمّى عالم المثال والبرزخ ، وهو عالم بين العالمين ليس مضيّقاً مظلماً مثل عالم الأجسام ، ولا واسعاً نيّراً مثل عالم الأرواح ، لأنّ عالم الأرواح مجرّد عن كدر المادّة ، وضيق الصورة والمقدار ، وعالم الأجسام مقيّد بالمادّة والصورة ، وعالم المثال مجرّد عن المادّة ومقيّد بالصورة والمقدار ، وهو مشتمل على عوالم كثيرة ، وكلُّ موجود في عالم الأجسام ، فله صور مختلفة في هذه العوالم المثاليّة غير هذه الصورة التي في عالم الأجسام ، وكلُّ ما في هذا العالم إنّما يوجد بعد وجوده في العالمين الأوّلين بنحو وجود يليق بهما ، بل كلُّ موجود في عالم المثال إنّما ينزل إليه من خزائن الله الّتي اُشير في القرآن إليها بقوله تعالى : **﴿وإنْ مِن شَيءٍ إلّا عِندَنا خَزَائِنُه﴾**(١) وكلُّ جسم وجسمانيّ في هذا العالم إنّما ينزل إليه من عالم المثال بتوسّط ملائكة الله .

---

(١) الحجر : ٢١ .

والّذي يدلُّ عليه الأخبار أنَّ أحكام كلّ سنة من تقدير أرزاق موجودات هذا العالم وآجالها ، ينزل إلى الأرض في ليلة القدر ، وينكشف ذلك لمن هو خليفة الله في الأرض في هذه اللّيلة [١] ، ويسمّى انكشاف نزول الأمر بتوسّط الملائكة له رؤية ليلة القدر ، ولذّة هذا الكشف ومشاهدة نزول الأمر والملائكة إنّما يعرفهما أهلهما ولعلَّ ذلك من قبيل ماروئي لإبراهيم الخليل من ملكوت السماوات والأرض [٢] .

ولكلّ إنسان نصيب كامل من هذه العوالم مخصوص به ، وأغلب الناس غافلون عن عوالمهم المثاليّة ، وغافلون عن غفلتهم أيضاً ، وكذلك عن عوالمهم الروحانيّة إلّا من منَّ الله عليه بمعرفة النفس ، ومعرفة عالم المثال في طريق معرفة النفس ، لأنَّ حقيقة النفس من عالم الأرواح ، فمن كوشف له حجاب المادة عن وجه روحه ونفسه ورأي نفسه مجرَّدة عنها في عالم المثال يسهل له الانتقال إلى حقيقة روحه المجرَّدة عن الصورة أيضاً ، وهذه المعرفة للنفس هو المراد من قوله صلّى الله عليه وآله : «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» [٣] ووجه ارتباط معرفة النفس بمعرفة الربّ لا يعرفه إلاّ من وفّق لهذه المعرفة ، وهذا المقدار من البيان كاف فيما نحن بصدده من تعريف ما يزول بـه الإنكـار والاستبعاد ، لدرك حقيقة ليـلة القـدر

(١) إقبال الأعمال : ٣٤٣ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ١٤٢ .

(٢) روى الصفار في بصائر الدرجات : ١٢٠ باسناده الى عبد الرحيم عن الباقر عليه السلام في هذه الآية : ﴿وكذلك نري ابراهيم ملكوت السماوات والأرض﴾ [الانعام : ٧٥] قال : «كشط له عن الأض حتى رآها ومن فيها ، وعن السماء حتى رآها ومن فيها ، والملك الذي يحملها ، والعرش ومن عليه ، وكذلك أرى صاحبكم» عنه البحار : ٢ / ٧٣ ح ١٥ .

(٣) مصباح الشريعة : ١٣ ؛ عنه البحار : ٢ / ٣٢ ح ٢٣ .

للعاملين العابدين ، لأجل تحصيل الشوق اللاّزم للوصول ، هذا .

ومن مهمّات أعمال هذا الشهر إفطار الصائمين [١] ، وقد سمعت أجر ذلك في خطبة النبي ﷺ والأهمُّ في ذلك أيضاً إخلاص النيّة والتأدّب بأدب الله جلَّ جلاله ، وأن لا يكون باعثه على ذلك إلاّ تحصيل رضاه ، لا إظهار شرف الدنيا ، ولا شرف الآخرة ، ولا التقليد ، ولا رسوم العادات ، ويهتمّ في تخليص عمله من هذه القصود ، ويختبرها ببعض الكواشف ، ولا يطمئنُّ من تلبيس الهوى والشيطان ، ويكون في ذلك مستمداً من الله جلَّ جلاله ، في أصل إفطاره ، وفي تعيين من يفطره من المؤمنين ، وفيما يفطر به من الطعام ، وكيفيّة معاملته مع ضيفه ، فإنَّ ذلك كلّه يختلف كيفيّاته مع القصود ، ويعرف أهل اليقظة مداخل الشيطان فيها ، فيجتنب عمّا يوافق أمره ، ويتّبع ما يوافق لأمر مولاه ، ورضا مالك دينه ودنياه ، فيفوز بقبوله ومثوباته فوق آماله ومناه .

وهكذا يهتمّ في إخلاص قصده بقبول دعوة الغير للإفطار ويجتهد في ذلك، وقد ينتفع المخلص من قبول دعوة مؤمن وحضور مجلسه وإفطاره معه بما لا ينتفع غيره من عبادة دهر من الدهور ، ولذا كانت همّة الأولياء على تخليص الأعمال لا تكثيرها اعتباراً من عمل آدم وإبليس وقد ردَّت من الخبيث عبادة آلاف سنين ، وقبل من آدم توبة واحدة مع الإخلاص ، وصارت سبباً لاجتبائه واصطفائه .

---

(١) روى السيد ابن طاووس في أقبال الأعمال : ١ / ٣٨ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : «من فطّر صائماً فله أجر مثله» نقله عن الكافي : ٤ / ٦٨ ؛ والفقيه: ٢ / ١٣٤؛ والتهذيب: ٤/ ٢٠١ . وروى أحاديث أخرى من أراد التفصيل فليراجع إقبال الأعمال : ١ / ٣٧ - ٤٢ .

ثمَّ إنَّ من مهمّات الأعمال في هذا الشهر لأهل العلم أمر الإمامة والوعظ، ومجمل القول فيهما: إنّه إن كان العالم من الأقوياء والمجاهدين، الّذين جاهدوا أنفسهم مدّة، وعرفوا بطول الجهاد خفايا مداخل الشيطان، وتلبيسات الهوى، فله أن لا يتركهما رأساً لما فيهما من اهتمام الشرع، لا سيّما الوعظ فانّه لا يفيد فائدته شيء من الأعمال الحسنة، بل لاشيء من الأعمال إلّا وهو من نتائجه، ولو تعرَّضنا لاستقصاء فوائدهما، وبسط القول فيهما، لخرجنا عمّا يقتضيه الكتاب، بل للعالم أن يجتهد جدّاً في إخلاص النيّة، والصدق في الإخلاص، فانَّ آفاتهما أيضاً لا يقصر في الكثرة عن فضائلهما وفوائدهما.

فإن رأى بعد المراقبة الكاملة أنَّ باعثه خالص في أمر دينيّ فليعمل، وإن رآه بالعكس أو مشوباً أو لم يحرز الإخلاص والرّيب، فليترك ويشتغل بتحصيل الإخلاص والصدق، ولو صدق في تحصيل الصدق فيالإخلاص لهداه الله إليه بحكم: ﴿والّذِينَ جَاهَدُوا فِينا لنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنا﴾[1] ومن أراد أن يعلم أنّ إمامته خالصة لله، فليختبر ذلك ببعض الكواشف.

ومن طريقه أن يلاحظ نفسه وميله إلى الإمامة، هل هو من جهة حبّ الجاه وعزّة الإمامة؟ أو من جهة أمر الله ورضاه؟ فإن وجد ميله إلى الإمامة في صورة قلّة المأمومين أو قلّة العالمين بإمامته أنقص، أو رأى أنَّ رغبته إلى إمامة الأعيان والأشراف والسلاطين أزيد من غيرهم، يعلم من ذلك أنَّ قصده إمّا خالص في الجاه أو مشوب به، ولو سوَّل له نفسه وشيطانه وقال: إنَّ ميلك إلى زيادة

(١) العنكبوت: ٦٩.

المأمومين من جهة زيادة الثواب ، ومن جهة ترويج أمر الدّين وتعظيم شعائر الله ، وهكذا رغبتك إلى كون المأمومين من الأشراف والسلاطين إنمّا هو من جهة (ترويج) أمر الجماعة وتعظيم شعائر الله فلا تغترّ بمجرّد هذه الوسوسة حتّى تلاحظ صدق قصدك في تحصيل زيادة الثواب .

ويعلم ذلك أيضاً بأن تفرض أنّ إمامتك لواحد واثنين إذا اتّفق كونها من جهات شتّى أقرب إلى رضا الله وأزيد ثواباً من إمامة ملاء من الناس ، فهل يزيد رغبتك وميلك في هذه الصورة إلى هذه الجماعة القليلة على إمامة العامّة أم لا ؟ وهكذا يعلم صدق قصدك إلى ترويج الدين وتعظيم الشعائر إذا فرضت أنّ ذلك يحصل بغيرك أزيد ممّا يحصل بك ، لا سيّما إذا فرضت ائتمامك به ، فهل يتفاوت رغبتك في الترويج والتعظيم ، مع مافرضته بإمامتك أم لا ؟ .

ولو سوّل الوسواس في ذلك أيضاً بأنّ رغبتك في الترويج بإمامة نفسك من جهة رغبتك في أن تفوز أنت بهذه العبادة لا غيرك ، لأنّ هذه العبادات ممّا يتسابق بها العابدون ، فلا تطمئنّ فيه أيضاً حتّى تختبر صدق ذلك أيضاً بأن تفرض أنّ ائتمامك بغيرك إذا صار سبباً لهذا التعظيم والترويج فهل تزيد رغبتك إلى الائتمام على الإمامة ؟.

وبالجملة الأمر في الإخلاص والصدق فيه أدقّ من الشعر ، وقد يخفى على العاملين في مدّة متمادية ثمّ يعرض أمر يصير سبباً لإرشاده .

وحكي عن بعض سادة العلماء أنّه كان يأتمّ ثلاثين سنة لإمام في الصفّ الأوّل فعرض له بعد ثلاثين سنة مانع عن الصفّ الأوّل ، فقام في الصفّ الثاني

ورأى في نفسه كأنّه تخجل عمّن يراه في الصفّ الثاني فتبيّن له بذلك أنَّ مراقبته في هذه المدَّة الطويلة للصفّ الأوّل إنّما كانت مشوبة بجهة المرایاة فقضى صلوات هذه المدَّة كلّها .

وانظر يا أخي إلى هذا العالم المجاهد ، وتأمّل في رتبته من المجاهدة ، كيف لم تفت صلاة الجماعة والصفُّ الأوّل عنه في هذه المدَّة الطويلة ، ولم يتصدَّ للإمامة وانظر لقضائه صلوات ثلاثين سنة بهذه الشبهة ، وتفطّن من ذلك إلى عظمة الأمر وشدَّة اهتمام السلف في الإخلاص والمجاهدة .

ويعلم من ذلك حكم الوعظ أيضاً ويختصُّ أمر الوعظ بآفات كثيرة دقيقة جدّاً وهي جلُّ آفات اللّسان الّتي عجز عن الاحتراز عنها العظماء ، فالتزموا السكوت ، وحكموا بترجيح السكوت على الكلام مطلقاً مع أنَّ الكلام أشرف منه قطعاً ، حيث إنَّ بالكلام نزل الخير كلّه وثبت وتحقّق ، وبالكلام يجري الخير في البريّة .

وبالجملة ينبغي للمجاهد أن يراقب أوّلاً في موعظته كلَّ ما أشرنا إليه في الإمامة من مراتب الإخلاص والصدق فيه ، ثمَّ يراقب زيادة عليها في آفات كلامه حتّى لا يقع في الكذب على الله ، والقول بغير علم ، وتزكية النفس ، وإيهام على الفضيلة ، وإغراء بالجهل ، وإيثار الفتن ، وبعث على القتل والنهب والأسر ، وسائر وجوه المضارّ على المسلمين ، وإضلال في العقائد ، ولو بأن يبيّن مثلاً شبهات إبليس وجوابها ولا يعقل المستمع الجواب ، فيقع في الضلال فيكفر ، والتجاوز في التخريف والترجئة بما يحصل للمستمعين القنوط والغرور ، أو يذكر ما يقع به

المستمع في الغلوّ ، أو يسيىء عقيدته في الأنبياء والأئمّة ، وهتك الأعراض لا سيّما الخواصّ وغيبة السلف والافتراء على الأنبياء ، والأوصياء والعلماء ، وتبغيض الخير والشرع والعبادات والعلوم والعلماء والأنبياء والله جلّ جلاله على العباد بتشديد الإمر وتنفيرهم بحمل ما لا يتحمّلون ثقلة وإثارة الشرّ بحكاية أفعال الفسّاق والأشرار ، وتعليم الناس بعض الحيل الشرعيّة المرجوحة ، والتدلّل في المنابر لا سيّما إذا كانت بمرأى ومسمع من النسوان والتصريح بالقبائح فعلاً وقولاً .

وقد سمع عن بعض الواعظين أنّه : كان يعلّم كيفيّة الاستبراء على المنبر بالفعل من فوق الثياب ، وعن بعضهم : يسبُّ من يعمل المعاصي بالفحش والقبيح ، وهذه كلّها من آفات الوعظ وفيه آفات كثيرة غير ذلك .

بل للواعظ أن يراقب بعد ذلك كلّه – تكميل مراتب الاخلاص والصدق فيه – قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [(١)] .

وبالجملة يعظ أوّلاً نفسه ويتّعظ ثمّ يعظ الناس بالرفق والمداراة والحكمة ، وإن لم يكن للمستمعين خصوصيّة ، يزيد لهم جانب الترهيب والإنذار [(٢)] ، وإن وجد فيهم من يضرُّه ذلك ، فلابدَّ أن يمنعه من الحضور أو يراقب حاله .

وقد حكي عن زكريّا على نبيّنا وآله وعليه السلام أنّه كان إذا حضر يحيى على نبيّنا

---

(١) البقرة : ٤٤ .

(٢) امالي الصدوق : ١٨ – ٢٠ باسناده إلى عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ ؛ عنه البحار : ١٤ / ١٦٦ ضمن ح ٤ .

وآله وعليه السلام في مجلس وعظه يترك ذكر النار والعذاب والانذار ، وهكذا قد يكون المستمعون من المنهمكين في المعاصي الّذي يضرّهم ذكر بعض أخبار الرجاء ، وعظيم كرمه ، وكثير حلمه ، فانّ ذلك يهلكهم .

وبالجملة يكون حاله مع المستمعين حال الأب الحكيم ، في تربية أولاده بما يصلحهم ويقيمهم لا بما يضرّهم ويهلكهم ، ثمّ إنّ المفيد والمؤثّر من الوعظ ما يكون بالفعل والعمل ، لا بالقول المجرّد ، وقد يكون شدّة مخالفة عمل الواعظ مع قوله سبباً لجرأة المستمع على المعاصي ، وموجباً لسلب اعتقادهم من العلماء، بل الأنبياء عليهم السلام بحيث يخرجهم ذلك من الدين .

بل لا يذكر ما في بعض الأخبار من الثواب الكثير على العمل القليل الّذي يعسر على العقل تصديقه إلاّ ويضمّ إليه من ذكر قدرة الله وذكر لمّ هذا المقدار من الثواب على هذا العمل ما يزيل به إنكار العقل حتّى لا يؤثّر وعظه في إنكار الروايات أو إنكار الثواب والعقاب رأساً ، لا سيّما في أمثال زماننا الّذي كثر من الملاحدة إلقاء بعض الشبه والشّكوك ، والإيرادات على عوامّ المسلمين لإخراجهم من الدين .

لا أقول لا يذكر رأساً بل أقول يضمّ إلى ذكره ما يرفع الاستبعاد العقليّ ، مثلاً إذا حكى أنّ الله تعالى يعطي لمن صلّى ركعتين بعدد كلّ حرف من قراءته قصراً في الجنّة من اللّؤلؤ والزبرجد ، يقول معه في رفع الاستبعاد : انظروا إلى عالم الخيال الّذي أُعطي لكلّ إنسان من دون عمل وسؤال ، وجعله قادراً على أن يخلق في خياله في ساعة واحدة ألف مدينة من اللّؤلؤ والله تعالى كما أنّه قادر على خلق

عالم الخيال كذلك قادر على أن يبدّل ما في خياله بالأعيان الخارجيّة كما ورد ذلك في الأخبار لأهل الجنّة من أنّهم يوجدون كلّما يريدون ، وليس ذلك إلاّ من قوّة وجودهم وقدرتهم على جعل الصور أعياناً ، ولا استبعاد في إقدار الله عباده المؤمنين بذلك في عوالم الآخرة ، وقد جعل ذلك وأعطاه بعض عباده في الدنيا كما نراه في بعض أنبيائه وأوليائه عند إظهارهم .

أما سمعت تبديل الرّضا صلوات الله وسلامه عليه صورة الأسد بالأسد الخارجيّ العينيّ وأمره له أن يأكل الخبيث [١] وليس ذلك إلاّ من هذا القبيل .

وأما سمعت إقداره تعالى كليمه على تبديل العصا بالحيّة [٢] وإقداره روحه عيسى على إحياء الموتى [٣] وإقداره حبيبه نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وعليهم على شقّ القمر [٤] ، وإحياء الموتى [٥] ، وتكليم الحصى [٦] ، وشفاء المرضى [٧] ، وغير ذلك من التصرُّف في الأكوان ، بل الّذي أنت عليه ياأنسان من القدرة على خلق الصور الكثيرة والعظيمة في الدّنيا في عالم النّوم أو عالم الخيال لو دام وزال عنه بعض الموانع فهو بعينه نظير عالم الأعيان الخارجيّة .

---

(١) روضة الواعظين : ١ / ٢١٥ .

(٢) بحار : ١٣ / ٦٠ - ٦٢ عن كتاب عرائس الثعلبي : ١٠٥ - ١١٤ .

(٣) قصص الأنبياء : ٤٠٧ ؛ البحار : ١٤ / ٢٥١ ح ٤٣ عن قصص الأنبياء باسناده إلى محمد الحلبي عن الصادق .

(٤) الخرائج والجرائح : ١ / ٣١ ح ٢٦ ؛ عنه البحار : ١٧ / ٣٥٤ ح ٨ .

(٥) الخرائج والجرائح : ١ / ٣٧ ح ٤٢ ؛ عنه البحار : ١٨ / ٨ ح ١١ .

(٦) الخرائج والجرائح : ١ / ٤٧ ح ٦١ ؛ عنه البحار : ١٧ / ٣٧٧ ح ٤٢ وج : ٤١ / ٢٥٢ ح ١٠ .

(٧) الخرائج والجرائح : ١ / ٣٦ ح ٣٧ ؛ عنه البحار : ١٨ / ٨ ح ١٠ .

ولو كان ما تراه في النّوم دائميّاً وكان ما تراه في اليقظة أحياناً لانعكس الأمر عندك وحكمت بما تراه في النّوم بأنّها أعيان خارجيّة ولما تراه في اليقضة بأنّها أعيان خياليّة ، فلا استبعاد من جهة القدرة ولا من جهة كرم الله تعالى بعد قدرته عليه بلا تكلّف ، مع ما يرى من لطفه وكرمه مع خلقه من الكفّار من العطايا والنعم الغير المحصورة واقعاً مع كفرهم وطول جحودهم وعنادهم معه وكيف بذلك لمن عرفه وآمن به وأطاعه .

وبالجملة إذا ضمَّ الواعظ أمثال هذه المقدّمات إلى ما يصفه من هذه المثوبات ، يرتفع بذلك استبعاد العقول الضعيفة فلا يضرّهم وعظه في دينهم .

وبالجملة فليقدّر الواعظ المستمعين مرضى بأمراض مختلفة روحانيّة ، ونفسه طبيباً معالجاً ، وأقواله ومواعظه أدوية ومعاجين ، يريد معالجتهم بها ، فما يجب على الطبيب في علاج المرضى - لا سيّما إذا كانت أمراضهم كثيرة مختلفة صعبة العلاج مهلكة - من الاحتياط والمراقبة ؟ فليوجب على نفسه أزيد ممّا يجب على الأطبّاء في علاج الأمراض البدنيّة ، لأنَّ أمر الرُّوح أخفى وأشرف ، فهلاكها دائمي فخطره أعظم .

وله أن يذاكر ذلك في تسليم نفسه وأعماله في يومه وليلته على خفرائه من المعصومين عليهم السلام بالخصوص ويدعو الله في ذلك قبل شروعه مفصّلاً ، ويستعين في أوّل شروعه ببسم الله الرّحمن الرّحيم ويدعو بعد الحمد والصلاة إجمالاً ، ويتعوّذ من الشيطان والنفس ثمَّ يشرع ، ويتحفّظ نفسه من الخطأ وإذا فعل ذلك وصدق في تسليم أمره إلى الله وأوليائه يحفظه الله يقيناً ، ويجعل كلامه وعظته

نافعاً مؤثّراً ونوراً وحكمة ، هذا .

وليكن همّته في أن يحكّم عقيدتهم في تعظيم أمر الدين ، ويحبّب الله جلّ جلاله وأنبياءه وأولياءه إلى قلوبهم ، ويكثر من نشر آلاء الله وتعظيم أمره ، وتشديد سخطه وشدّة عقابه ، ويعلّم المستمعين حقّ أدب المراقبة مع الله جلّ جلاله وأنبيائه وأوليائه ، ويحذّرهم ويزهّدهم عن زهرة هذه الحياة الدينا ، وزخرفها وزبرجها .

ويكثر من ذكر أحوال المراقبين وخوفهم ، وعبادتهم ومراقباتهم ، وشوقهم إلى لقاء الله ، ومقام لطف الله بهم ، وشرف كراماته لهم وعظيم عطاياه إيّاهم ، ويشير خلال كلماته إلى بعض مراتب المعارف من حقيقة العقائد الحقّة برفق وبيان سهل باصطلاح الأنبياء ويقرّبه إلى الأذهان بلطف البيان وألفاظ معروفة في الدين مألوفة لأهله ، هذا .

ومن مهامّ شهر رمضان ليلة القدر ، وهي ليلة هي خير من ألف شهر وقد ورد في الأخبار ما يدلّ على كونها خيراً من جهاد ألف شهر ، وكونها خيراً من سلطنة ألف شهر ، وكون عبادتها خيراً من عبادة ألف شهر .

وبالجملة هي ليلة شريفة يقدّر فيها أرزاق العباد وآجالهم ، وسائر أمور الناس خيرهم وشرّهم ، وفيها نزل القرآن ، وهي ليلة مباركة بنصّ القرآن ، وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام أنّه ينزّل الملائكة في ليلة القدر ، وينتشرون في الأرض ، ويمرّون على مجالس المؤمنين ، ويسلّمون عليهم ، ويؤمّنون على دعائهم إلى طلوع الفجر .

وروي أنّه لا يردُّ في تلك اللّيلة دعاء أحد إلاّ دعاء عاقّ الوالدين ، وقاطع رحم ماسّة ، وشارب مسكر ، ومن كان في قلبه عداوة مؤمن [١] .

روى في «الاقبال» عن كنز اليواقيت عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : «قال موسى : إلهي أريد قربك ، قال : قربي لمن استيقظ ليلة القدر ، قال : إلهي أريد رحمتك ، قال : رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر ، قال : إلهي أريد الجواز على الصراط قال : ذلك لمن تصدّق بصدقة في ليلة القدر ، قال : إلهي أريد من أشجار الجنّة ، قال : ذلك لمن سبّح تسبيحة ليلة القدر قال : إلهي أريد رضاك ، قال : رضاي لمن صلّى ركعتين في ليلة القدر» [٢] .

وعن الكتاب المذكور عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال : «تفتح أبواب السماوات في ليلة القدر ، فما من عبد يصلّي فيها إلاّ كتب الله تعالى له بكلّ سجدة شجرة في الجنّة ، لو يسير الراكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها ، وبكلّ ركعة بيتاً في الجنّة من درّ وياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وبكلّ آية تاج من تيجان الجنّة ، وبكلّ تسبيحة طائراً من طير الجنّة ، وبكلّ جلسة درجة من درجات الجنّة ، وبكل تشهّد غرفة من غرفات الجنّة ، وبكلّ تسليم حلّة من حلل الجنّة ، فإذا انفجر عمود الصبح أعطاه الله من الكواعب المؤلّفات ، والجواري المهذّبات ، والغلماء المخلّدين ، والنجائب المطيّرات والرياحين والمعطّرات ، والأنهار الجاريات ، والنعم الراضيات ، والتحف والهدايات والخلع والكرامات ، وماتشتهي الأنفس وتلذّ

(١) راجع بحار الأنوار : ٩٧ / ١ ـ ٢٥ ، باب ليلة القدر وفضلها .
(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٣٤٥ ؛ عنه الوسائل : ٨ / ٢١ ؛ البحار : ٩٨ / ١٤٥ .

الأعين وأنتم فيها خالدون»[١] .

ثمّ إنّ الّذي يظهر من بعض الأخبار أنّ لليلة القدر مراتب ، واللّيلة الّتي أشير إليها في القرآن ما يكون فيها آخر مراتب التقدير من الامضاء الّذي يغيّر ولا يبدّل والّذي يفهم منها أيضاً أنّ منها ليلة النصف من شعبان ، والتاسع عشر ، وإحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين ، وأنّ الأخير أفضلها وهو ليلة الجهنيّ ، وأنّه الّذي لا يبدّل ما قدّر فيها ، ويحتمل قويّاً أن يكون السابع والعشرين أيضاً من ليالي القدر ، والأقوى رواية وقولاً أنّ الّتي خير من ألف شهر ليلة الجهنيّ ، ومن أراد الاحتياط فليجمع بين هذه الخمس ، وسائر الأقوال مرجوحة قولاً وسنداً[٢] فأعرضنا عن ذكرها لذلك .

ثمّ إنّ الّذي ينبغي للمصدّق بالدّين ، وبنصّ القرآن المبين ، وأخبار حضرت سيّد المرسلين ، وآله المعصومين عليهم السلام أن يجتهد في ليلة القدر بكلّ ما يقدر عليه من الوسائل ، ومن الاجتهاد – طول سنته – أن يكثر ويبالغ في الدعاء لتوفيقها ، وأن يرزق فيها أحبّ الأعمال إلى الله وأرضاها له ، وأن يجعلها له خيراً من ألف شهر ، وأن يقبلها منه كذلك ، وأن يكتبها في علّيين ، ويربّيها له إلى يوم لقائه ، وأن يكتبه في هذه اللّيلة من المقرّبين ، وأن يكتب له معرفته ومحبّته ، وقربه وجواره ، ورضاه وخيره مع عافيته ، وأن يرضى عنه رضا لا سخط عليه بعده أبداً ، وأن يرضي عنه نبيّه وأئمّته لا سيّما إمام زمانه عليه السلام وأن يجمع بينه وبينهم في

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٣٤٥ ـ ٣٤٦ ، عنه البحار : ٩٨ / ١٤٥ ؛ والوسائل : ٨ / ٢١ صدره .
(٢) راجع إقبال الأعمال : ١ / ١٥٤ – ١٥٦ ، فصل (١٩) .

مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأن يوفّقه للاجتهاد في طاعته وتحصيل رضاه ، وأن يختم له بقربه ورضاه .

ثمّ من الاجتهاد أن يعدّ له عدّته لهذه اللّيلة من تحصيل مقدّمات العبادة مثلاً يحصّل في خلال سنته مكاناً مناسباً ، ولباساً مناسباً ، وعطراً وما يتصدّق به فيها ومضامين لطيفة لمناجاة ربّه ، وكلمات مهيّجة لمخاطبة سادته ، وخفرائه وحماته ، وأضيافاً مخصوصين مناسبين لليلته ، وفقراء مخصوصين لصدقته .

وظنّي أنّه لو دعا واحد من سلاطين الدنيا أحداً إلى ضيافته في يوم مخصوص وأرسل إليه رسولاً كريماً ، وتلطّف في دعوته ببعض هذه التلطّفات الّتي عاملك بها ملك الملوك تعالى ، ووعده بحضوره في هذا الموسم - بمراسم أدب حضوره - الخلع الفاخرة ، والأملاك الشريفة الواسعة ، وفرامين للملك والسلطان ، مع الأعيان والأشراف ، والملوك والسلاطين ، وعرّفه أنّه كلّما زاد هذا المدعوُّ في تلطيف معاملته في حضور مجلس السلطان من جزئيّات المراقبات ، يزيد السلطان في إكرامه وإعطائه وإحسانه فوق حدّ الاحصاء ، لمات[1] شوقاً إليه ، ويهلك نفسه في التزيّن لمثل هذا المجلس الشريف ، والمقام المنيف ، بكلّ ما يقدر عليه من الاهتمام ولا ينسى الجدّ في ذلك طول سنته في جميع حالاته ، ويجتهد في تحصيل العدّة لهذا المقام الكريم ، بما يعجز عنه المجتهدون ، ويحتال في تلطيف مراقبته بما يحار فيه اللّبيب ويختار لأدب هذا المجلس ما يتأدّب منه الأديب ، ويرضاه الحبيب من الحبيب .

---

(١) جواب «لو دعا» .

فكيف بك يا عاقل [١] وقد دعاك إلى هذه الضيافة ملك الملوك ، وربُّ الأرباب وجبّار السماوات والأرضين ، وقد أرسل إلى دعوتك الملائكة المكرّمين ، والأنبياء والمرسلين ، وسيّد الخلائق أجمعين ، وأكّد ذلك بخلفائه المعصومين ، ثمّ أكرمك بالملائكة الداعين ، في كلّ ليلة بدعوات خاصّة ، وألطاف ناصّة ، وكرامات ماسّة ، ووعدك على إخلاصك في ليلة واحدة من النعيم المقيم ، ما لاعينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر [٢] ، ومن النور والبهاء والسرور ، والسلطنة والملك والحبور ، ما يكلُّ عن تصوير جزء من أجزائه عقلك ، ويتحيّر فيه وهمك ، ومن قربه وجواره وبهجة لقائه ما لا يحتمله عقول العقلاء ، وفهوم العلماء وأوهام الحكماء .

فهل لك ياأخي أن تجتهد في الاستعداد لهذا المجلس بقدر ما يليق به ، لتكون من الفائزين ، أو تفوّته بغفلتك فتكون من الخاسرين ، فاعلم يقيناً أنّك إن غفلت عن مثل هذه الكرامة ، وضيّعتها بإهمالك ، ورأيت يوم القيامة ما نال منها المجتهدون ابتليت بحسرة يوم الحسرة الّتي تصغر عندها نار الجحيم ، والعذاب الأليم ، فتنادي في ذلك اليوم مع الخاسرين النادمين : **﴿ياحَسْرَتي على مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وإن كُنتُ لَمِنَ السّاخرين﴾** [٣] ولا ينفعك الندم ، وقد أُغلقت أبواب التوبة والعلاج ، وظهرت آثار الأعمال والنتاج .

فعاتب نفسك في التضييع والإهمال قبل أن تعاطب ، وخاطبها في مثل هذا

---

(١) ياغافل ظ .
(٢) أمالي الصدوق : ٣٢٣ ؛ عنه البحار : ٩٧ / ٣٣ ح ٨ .
(٣) الزمر : ٥٦ .

التهوين في كرامة الله ربِّ العالمين من قبل أن تخاطب ، وحاسبها فيما ضيّعته من رأس مالك الّذي لو بقي لنفعك أنفع أرباح التجارات في يوم الضرِّ والحاجات قبل أن تحاسب ، فيحكم لك بالذلِّ والهوان ، بدل الكرامة والسلطان ، هذا .

وينبغي أن يزيد في شوقه إلى الفوز بكرامات ما أعدَّ له في هذه اللّيلة من المحلّة العظمى ، والمقام الأسنى ، من مجلس حضور ربّ العالمين ، وتقديس جبّار السماوات والأرضين ، إذا قرب وقته ، ويعيّن لليلته من الأعمال ما هو أنس بحاله وإخلاصه وحضوره ورقّته وصفائه ورضا مولاه ، ويستمدُّ في ذلك من الله جلَّ جلاله ويستعين من خلفائه – صلوات الله عليه ـ .

فإن عرف الأنسب يعمل به ، وإن تحيّر بنى على الاستخارة ، ويجعل لفكره بعد الذكر وقتاً خالياً من غلبة النوم وثقل الطعام وألم الجوع وسائر الشواغل ويجتهد أن لا يشتغل في شيء من أجزاء ليلته عن الله ولو بالمباحات ، وفي صلواته ومناجاته بغيرهما ولو من المندوبات ، فانَّ شغل القلب في الصلاة مثلاً ببناء المسجد وتطهيره أو بالصدقة مثلاً من صفات الغافلين .

بل شغل القلب في القيام من الصلاة بالفكر في غيره أيضاً من الغفلة ، وإنّما يجتهد في أن لا يغفل قلبه عن حقيقة ما يعمله من الأفعال والأذكار حين اشتغاله به ويسهّل ذلك بأن يتفكّر إجمالاً قبل دخول العمل في العمل ثمَّ يدخل فيه ، فإن عرض له في أثناء القراءة والذكر غفلة عنه فليعدهما .

مثلاً إذا أراد التوجّه إلى القبلة يتفكّر إجمالاً في معنى التوجّه إليها ثمَّ يتوجّه ، وإذا أراد القيام يتفكّر أوّلاً في حقيقته أنّه قيام لحقّ العبوديّة وفي الاعتماد فيها على

الرجلين إشارة إلى الخوف والرجاء عن قبول العبادة وهكذا وهكذا حتّى القراءة والأذكار ، يتذكّر قبل قراءة – بسم الله الرحمن الرحيم – مثلاً معناها إجمالاً ثمّ يقرؤها فإن عرض له غفلة في أثناء قراءة آية فليعدها .

ولابدّ لمثل هذا العامل في أوّل اللّيلة أن يبالغ في التوسّل والاستشفاع لخفير اللّيلة من المعصومين عليهم السلام [(١)] ، ويذكر عند ذلك كلّ ما يحتاج إليه من التوفيق في أعماله وأحواله ، وأن يجدّ في تلطيف ألفاظ الاسترحام والاستشفاع بما يجلب الرحمة والرقّة ، ويهيّج العطوفة والكرامة ، ويستمطر سحائب الجود والكرم والنوال ، فانّهم أهل ذلك كلّه ومحلّه ، وأن يفوّض عقله ونفسه وقلبه وصفاته وأعماله وكلّه إلى مولاه بيدهم ، ويراقب في آناء ليله أن لا يأتي بما يخالفه التفويض ، وإن قدر أن يفوّض ذلك أيضاً فقد فاز ونال .

ولكن كثيراً ما يشتبه على الإنسان عدم المراقبة والمبالاة بالتفويض ، فيغرّه الخبيث ، ويهلكه بالجهل ، ولا يطمئنُّ حتّى يستكشفه بالعلوم الربّانيّة ، ومن بعض هذه الكواشف السديدة أن يوافق حاله مراده فيما فوّضه إليه فانّ من علائم صحّة التفويض قبوله ، ومن علائم القبول أن يتولّى الله جلّ جلاله تدبير أمره فيما فوّضه إليه فوق آماله .

ثمّ إنّ من الأعمال المؤثّرة في تهييج الرقّة وإثارة الخشية والبكاء ، أن يغلّ يده إلى عنقه ، وأن يلبس المسوح ، وأن يثير التراب على رأسه ، وأن يخرّ على

---

(١) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٧٤ ، فصل (٧) فيما نذكره من كيفية اتّخاذ خفير أو حام يحمى من المكروهات مدة العام .

التراب ، وأن يمسح وجهه على التراب ، وأن يضع رأسه على الجدران ، وأن يمشي ويقف ، ويصيح ويسكت ، ويتمرّغ في التراب ! ويفرض نفسه في المحشر ، ثمّ يعاتب نفسه بما ورد من عتاب أهل الجرائم .

ثمّ ينظر نظرة عن يمينه ، ويتفكّر في أحوال أصحاب اليمين ، وصورهم ولباسهم وزيّهم ، ثمّ ينظر عن شماله ويقدّر نفسه مع أصحاب الشمال ويتصوّر أحوالهم المنكرة من سواد الوجه ، وزرق العين ، وغلّ الأيدي ، والاقتران مع الشياطين ، ولبس القطران ، ومقطّعات النيران ، والزبانية كلّهم حاضرون ، وإلى أمر ربّهم ناظرون ، ثمّ يحذر من صدور الخطاب بقوله : ﴿ **خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلسِلَةٍ ذَرْعُها سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوه** ﴾[1] .

ثمّ ينادي : يا أرحم الراحمين ، ياغياث المستغيثين ، أين رحمتك الواسعة ، أين عطاياك الفاضلة ، أين فضلك العظيم ، أين منّك الجسيم ، أين كرمك ياكريم ، ثمّ يبكي ويذكر عظيم حلمه وكرمه ، وقديم فضله وإحسانه ، وعميم عفوه وغفرانه فإن أتاه الخبيث وأراد أن يقنّطه من رحمة ربّه ، وقال : أنت مع هذه الذنوب والعيوب لست أهلاً لرحمة الله والنظر لطفه ، فانّه قال : ﴿ **فَسَأكْتُبُها لِلّذِينَ يَتَّقُون** ﴾[2] وأنت لست من المتّقين ، فلا يقبل قوله ، ويعرض عن جوابه ، ويناجي ربّه في جوابه ، ويزيد في إظهار الرجاء ، ويقول : حاشا لوجهك الكريم ، أن يعرض عن مثلي من المحتاجين إلى عفوه وكرمه ، والمتوسلين إليه بأوليائه ، وأن

---

(١) الحاقة : ٣٠ - ٣٢ .
(٢) الأعراف : ١٥٦ .

لا يرحم على عيني الباكية ، وقلبي الخاشع ، وبدني الذليل الخاضع .

ثمَّ يقوّي رجاءه ، ويبسط آماله ، ويستدعي كلّما يتصوَّر ويتعقّل من المقامات العالية ، من المعرفة والمحبّة ، والقرب والزلفى ، والعمل والتقوى ، ويكثر من قول :

يا من يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء أحد غيره ، يا من لا يعظم عليه شيء من العطايا العظيمة ، والكرامات الجليلة الجميلة ، يا من لا ينقصه الإحسان ، ولا يزيده الحرمان .

ثمَّ يؤكّد هذا المعنى ويقول : إلهي إن كنت غير متأهّل لما سألتك ، فكرمك أهلٌ لذلك ولما فوقه ، إلهي إنَّ معرفتي الّتي وهبتني يحكم لي بأن أتمنّى عليك العظائم ، لأنّك لم تهب ما وهبته على من وهبته من أوليائك باستحقاق منهم ، إلاّ بأن وهبتهم الاستحقاق بفضلك ، فانّه لا يوجد الخير إلاّ منك ، فتفضّل عليَّ بما تفضّلت به عليهم من الاستحقاق ، حتّى أستحقَّ إجابة ما سألتك .

إلهي أنت الّذي لا تُسأل عن فعلك ، ولا تنازع في ملكك ، ولا يعترض عليك أحد في فعلك ، وأنت القادر الجواد ، وليس لقدرتك حدٌّ ، ولا لجودك منتهى ، فأهّلني بقدرتك ، وجد لي بجودك ، يا أجود الأجودين .

إلهي إنّك تجد من تعذّب غيري من أعداء أوليائك ، ومعاندي حضرة جلالك وأنا لا أجد من يعطيني غيرك يا كريم ، أيضيقني بعد كرمك ؟ فانّك لا تحتاج إلى عذابي ومنعي ، وأنا أحتاج إلى عفوك وكرمك .

إلهي إنَّ عدوَّك وعدوِّي جاءني ليحرمني من دعائك ، ويؤيسني من رحمتك الواسعة ، فبفضلك أعرضت عن قوله ، وخالفته فيما أمر به ، فانصرني عليه بتصديق رجائي وآمالي فيك ، إلهي أنا مع قلّة معرفتي بمبلغ جودك وكرمك ، وغناك وقدرتك ، لا أقطع بمنع عفوك وفضلك عن أحد من عبيدك حتّى الكفّار إلّا أعداء أوليائك الّذين ظلموهم وآذوهم ، وليس عقيدتي في عذاب غيرهم من الكفّار إلاّ عن وجه التعبّد لكتابك ، وقول نبيّك في وعيدك للكفّار ، ولا يرى عقلي - هذا الّذي مننت به عليّ - أن يوجب عليك شيئاً من العذاب ، ولا الوفاء بالوعيد ، ولا أرى عدم الوفاء بالوعيد نقصاً في قدس صفاتك بحكم عقلي ، ولا أقطع شيئاً في ذلك إلّا أن يكون ذلك أيضاً من باب التعبّد ، إلهي هذا حكم عقلي في الكفّار والجاحدين ، فكيف بمن آمن بك ، وأحبّ أن يطيعك ، وأمّل فضلك ، وتمنّى قربك ، ورجا من كرمك العظائم ، وإن كان من العاصين والمذنبين .

إلهي من العبد الذنب ، ومن السيّد العفو والكرم ، لا سيّما إذا كان كريم العفو إلهي هذا الّذي تصوَّرت من حكم عقلي في مطلق الأوقات وأمّا بالنسبة إلى هذه الأوقات الّتي خلقتها لكرمك ، ومننت بها على عبيدك ، وندبت فيها عبادك المذنبين إلى مغفرتك وعفوك ، والسائلين إلى الإجابة والعطاء ، وفتحت فيها أبواب كرمك وجودك ، فلا حكم لعقولنا في ذلك إلاّ العفو والكرم ، وتبديل السيّئات بالحسنات وإجابة الدعوات ، وعطاء المسؤولات ، والجود بالعظيمات من الكرامات وهذا ظنّنا بك وبكرمك ، وأنت أعلم بما بلغنا عن نبيّك وآله صلواتك عليهم من معاملتك مع من يحسن ظنّه بك .

ويصلّي الركعتين الواردتين في ليلة القدر بفاتحة الكتاب مرّة والاخلاص سبع مرّات ، ويقول بعد الفراغ سبعين مرّة أستغفر الله وأتوب إليه ثمّ يدعو بحوائجه [(١)] ثمّ يصلّي مائة ركعة ، ويدعو ما بينها بما ورد فيها من الدعوات [(٢)] ، فانّ هذه الدعوات من أهمّ المهمّات ، لما فيها من المضامين العالية الّتي صدرت عن صدور العلماء بالله من أئمّة الدين ، وفيها من العلوم الفاخرة الّتي لا يعلمها إلاّ من علّمه الله من الأنبياء والأوصياء : من العلم بالله ، وبصفات الله الجلاليّة والجماليّة ، وأسماء الله الحسنى ومن مراتب فضله ، وحكم عدله ، وقضايا فعله ، وأدب مناجاته .

وليكن في قراءة هذه الأدعية حيّاً وإن قدر أن يتأثّر بما يقوله ويذكره في دعائه فبخّ وبخّ له ، لأنّه لو لم يفرض لهذه الأدعية ثواب وجزاء من الله تعالى إلاّ استجلاب هذه التأثّرات ، لكفى للعاقل أن يبذل روحه ومهجته في تحصيله ، وكيف وقد أعدّ الله لكلّ كلمة بل لكلّ كلمة بل لكلّ حرف منها جواباً ونوراً يعجز عن تقويمه العالمون وإن لم يتأثّر قلبه القاسي فلا محالة أن لا يقرؤها مثل قراءة المنطر .

وليتأمّل في معاني ما يقولها ويستفهم المعاني المودعة فيها ، فان لم يسمح قلبه ونفسه لذلك أيضاً فالأولى من قراءة هذه الدعوات أن يبكي على مصيبته ، وعقوبة الله عليه ، ويسترجع ويقول : إنّا لله وإنّا إليه راجعون مصيبة عظم رزؤها

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٣٤٤ ؛ عنه الوسائل : ٨ / ١٩ ؛ والبحار : ٩٨ / ١٤٤ .

(٢) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٨٠ - ١١٠ و ٣١٣ - ٣٣٩ فقد ذكر أدعية مفصلة يدعى بها بعد الصلاة مائة ركعة .

وجلّ عقابها وقد ورد في الحديث القدسيّ في صفة أهل الآخرة أنّ دعائهم عند الله مرفوع وكلامهم عنده مسموع ، تفرح بهم الملائكة ، يدور دعائهم تحت الحجب ، يحبّ الربُّ أن يسمع دعاءهم كما يحبُّ الوالدة ولدها[(١)] .

فأنصف يا مسكين في دعائك الّذي لا يكون معه قلبك ، أترضى أن يرفع إلى الله ويراك تدعوه بلسانك وقلبك يخاطب الدنيا الّتي ورد فيها أنّه عدوٌّ لله ولأولياء الله ، ويشتاق إلى ما يبعّدك عن الله من زهرة هذه الدنيا الفانية ، فهل عند العاقل مصيبة أعظم من ذلك .

ويقرأ دعاء نشر القرآن[(٢)] ، ويرفعه إلى رأسه[(٣)] ، وينوي برفعه على رأسه تقوية دماغه الّذي هو مركب عقله ، وتكميله بعلوم القرآن ، وخضوع عقله للقرآن ، وضمّ نور عقله بنور القرآن ، وغيرها ممّا يناسب من القصود المناسبة .

ويزور الحسين عليه السلام ببعض زياراته الواردة[(٤)] ، ولا يترك قراءة سورة الرُّوم والعنكبوت[(٥)] والدخان[(٦)] في الثالث والعشرين ، ويقرأ الدعوات الواردة في هذا الليالي لا سيّما الدعاء الّذي رواه السيّد عن بعض الكتب العتيقة ، وأوّله : **«اللّهمَّ إن كان الشكُّ في أنَّ ليلةَ القدرِ فِيها أو فِيما تَقدَّمَها واقِعٌ فإنّهُ فيكَ وفي وحدانيّتِكَ**

---

(١) إرشاد القلوب : ٢٠١ – ٢٠٢ ، الباب ٥٤ ؛ عنه البحار : ٧٧ / ٢٤ ضمن ح ٦ .
(٢) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٣٤٦ .
(٣) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٣٤٦ – ٣٤٧ .
(٤) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٣٨٢ – ٣٨٤ .
وقد روى الزيارة في مزار الشهيد : ١٦٧ عنه البحار : ١٠١ / ٣٥٠ ح ٢ .
(٥) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٣٨١ – ٣٨٢ .
(٦) إقبال الأعمال : ١ / ٣٨٦ .

وتزكيتِكَ الأعمالَ زائلٌ»[(١)] .

وإن قدر أن يستفهم معنى زوال الشكّ في الله وفي وحدانيّته ، فهو يكفيه من جزاء عبادة اللّيلة ، ولا يترك الدعاء الصغير الّذي رواه السيّد عن عليّ بن الحسين عليه‌السلام وأوّله : «يا باطناً في ظهوره»[(٢)] فهو أيضاً دعاء كامل في التوحيد ، ولعمري لو لم يكن لوجود الأئمه عليهم‌السلام نفع غير ما عرّفونا وعلّمونا من هذه البيانات الكاشفة عن توحيد الله ، لكفى للمؤمن أن يبذل كلّه في شكر صنيعهم ثمّ يستقل ذلك ، ويرى نفسه قاصرة في أداء شكر نعمتهم ، هذا .

وليجعل من ليلته ساعة للمراقبة خاصّة ، ويتحفّظ فيها علم ربّه بسوء حاله وقدرته على إنجائه ، وعظم فضله وجوده وكرمه ، ثمّ يمدُّ عينه على باب جوده وكرمه بالرجاء ، وينتظر نفحات روحه ورحمته .

ثمّ إنّه إن عمل بما ذكرناه فهو وإلاّ ، وإيّاه أن يترك العمل رأساً بتسويل الشيطان له بأنّك متى لم تعمل بما ينبغي لك فلا ثمرة في هذا الجزئيّ الناقص وعدمه أولى من وجوده ، لأنّه إن أطاعه في ذلك سدَّ عليه الباب رأساً ، وأهلكه بغفلته وأمّا إن عمل بما يريده ، ولو كان عمله قليلاً يمكن أن ينفعه نور هذا العمل القليل نوراً آخر للعمل وتوفيق الزيادة ، فيوفّق كلَّ التوفيق .

وبالجملة لا قصد للخبيث أبداً إلاّ في منعه عن خدمة ربّه وعبادة مولاه فإن أطاعه يؤثّر طاعته في قلبه ظلمةً وتؤثّر هذه الظلمة خذلاناً وتركاً آخر للعبادة إلى

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٣٧٦ عنه البحار : ٩٨ / ١٦٠ .

(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٣٨٢ .

أن يستحكم فيه الخذلان ، ويهلك هلاكاً دائماً ، أو يدركه عناية من الله فيجتنب طاعة الخبيث ، ويستنير قلبه من مخالفته ، ويصير سبباً للتوفيق الكامل .

وبالجملة للسالك أن لا يستقلّ من الخير ولو ذرّة فيتركه لأجل قلّته فيخسر ولا يستكثر شيئاً منه فبعجب ، أو يتركه من جهة أنّه لا يقدر عليه ، بل يفعل منه كلّ ما قدر عليه ، ويستصغره بعد فعله في جنب الله ، وكلُّ ما عمل به العبد واستصغره عظم عند الله ولعلّه وقع محلاً لقبول الله جلّ جلاله ، وإذا وقع القبول فلا عبرة بالقلّة لأنّ الله إذا قبل من عبده ولو شيئاً قليلاً لجزاه كثيراً وإذا لم يقبل منه لا ينفعه ولو كان كثيراً اعتباراً بآدم وإبليس ، حيث اصطفاه عليه السلام ولعن إبليس .

فعلى العبد أن لا يستعظم عملاً ولو أتى بعبادة الثقلين ، لأنّه عجبٌ وإعجاب المرء بعمله محبط للعمل ، بل يبدّل نوره بالظلمة ، وأن لا يستحقر القليل فيتركه لأنّه قد يتّفق كونه مقبولاً فيعظم .

ثمّ إنّ ما ذكرناه من المداقّة في مراتب الإخلاص والصدق فيه إنّما هو لعمل الانسان في نفسه لئلّا يكون قانعاً من نفسه إلاّ بالخالص الصادق في الإخلاص ويعدُّ غير الخالص كالمعدوم ، بل يعامل معه معاملة المعصية وليس له أن يعدَّ ذلك عن غيره كالمعدوم ، ولا كالمعصية ، لأنّ معاملته بهذه المعاملة في أعمال غيره لا يثمر خيراً بل يصير سبباً لتركه وسدّ باب الصلاح والخير ، فلا يحسن أن يعامل غيره بهذا الميزان ، بل له أن يعامل عباد الله بميزان ظواهر أعمالهم ، بل بميزان فضل الله ويظنُّ في الأعمال الناقصة المشوبة من الناس ، القبول والرجحان، ويرجو أن لا يحرموا من فضل الله وقبوله ، ولو كان أعمالهم غير

خالصة وناقصة ، وعن غير حضور .

ولا يستبعد أن يجيب الله من عباده دعاءهم بمجرّد صورة الدعـاء ، ولو بلقلقة اللّسان ، ويعاملهم بكرم عفوه ، وإيّاه وإيّاه أن يقنّط أحداً من رحمة الله أو يصير سبباً لأحد في ترك الأعمال ، ولو كان عملاً مغشوشاً مشوباً ببعض الأكدار ، ولعلّ الصورة إذا لم يترك قد تتّفق مع بعض النفحات الالهيّة ، فـيفيضها روحـاً وحقيقةً ويؤثر في تنوير القلب بحيث ينقلب الأمر رأساً ، ويكون أغلب أعماله بل كلّها ناشئة عن ظهر القلب ، فيفوز مع الفائزين ، وبالجملة ولو أنّ لوطيّاً قال في سكره يالله ، ما أظنّ أن يردّه الله ولا يجيبه .

ثمّ إنّه روي عن زيد بن عليّ أنّه قال : سمعت أبي عليه السلام ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان يقول من أوّل اللّيل إلى أخره : «اللّهمّ ارزقني التجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت ، قبل حلول الفوت»[1] .

أقول : لو عقلت معنى هذا الدعاء لا ستكثرت منه وبيان ذلك أنّ الّذي شهد عليه القرآن الكريم وأخبار آل محمد عليهم السلام ، ومكاشفات أهل اليقين ، أنّ هـذه الدّنيا دار غرور ، وليس ما يرى فيها على ما يرى بل الّذي يرى ويحسّ فيها من صفات موجودات هذا العالم ، نظير ما يتراءى من السراب ، ليست حقائقها كما ترى ، ولذلك سمّوها دار الغرور ، وإن عظم عليك تصديق ذلك فانظر فيما تعلمه بالعلم البتّيّ من موارد خطاء الحسّ وتأمّل فـيها ، هـل تـجد بـينها وبـين سـائر المحسوسات فرقاً ؟ فإذا فقد الفرق جاء الإمكان بحكم التّسوية ، فإذا ثبت الإمكان

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٤٠٢ – ٤٠٣ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٦٣ .

ثبت الوقوع أيضاً بالأخبار الناصّة في خطأ الحسّ في هذه الدنيا ، وهي كثيرة .

منها الأخبار الّتي دلّت على نطق الجمادات ، والحسُّ منكره ، ومنها ما وردت في أحوال القبر من القيام والصراخ والنّار والتكلّم والبستان والنّعم ، فانَّ الحسَّ ينكرها ، وما دلّت على وجود الملائكة وتصرُّفاتهم في هذا العالم ، وما دلّت على أنَّ كلَّ ما في هذا العالم من الجماد والنبات والحيوان ، إنّما يجيىء أرزاقهم من عالم الملكوت ، وكلُّ هذه الأخبار إنّما دلّت على وجود أشياء كثيرة ، وعوالم عديدة ينكرها الحسُّ .

وكيف ما كان يسمّى هذ العالم دار غرور ، لأنّها غرّت أهلها بصور لا حقيقة لها ، وبحقائق لا صورة لها ، فانَّ جواهرها كالأعراض ، وأعيانها كالسراب ، والأشياء الّتي ترى فيها قارّة سائلةٌ على التحقيق ، ولا أصل لما يحكم به أهلها بحقائقها من الأحكام والصفات ، بل ما يوجد باقتضاء هذا العالم يحكم بامتناعه في غيره من العوالم واقعاً بل كل ما فيها غرور ووهم وخيال ، والمؤمن الّذي كشف عن بصيرته حجاب الناسوت ، يتجلّى له حقائق الأشياء ويسمّى رفع الحجاب تجافياً عن دار الغرور ، وتجلّي الحقائق إنابة إلى دار الخلود .

ثمّ إنَّ أمثال هذه الأوقات الّتي فتح الله فيها أبواب رحمته ، أزيد من سائر الأوقات وندب عباده إلى ذكره وعبادته ودعائه ، وضمن لهم ما ضمن من ألطافه الخاصّة ، فحكمها أن يزيد العبد فيها جهة الرجاء ، ويبسط أكفَّ آماله إلى كرم الله ومزيد نواله ، وللخبيث في هذه الأوقات إصرار في ترجيح (...)[١] ليتطرّق بذلك على

(١) كذالك بياض في الاصل (لعله كان:في ترجيح (الخوف واليأس) .

الكسل في العمل .

ثمّ يختم ليلته بما مرّ مراراً ممّا يختم بـه اللّـيالي الشـريفة مـن التـوسّل بـالحماة المعصومين عليهم السلام وتوديع العمل عندهم ، وعرضه على الله بأيديهم ، وأن يتضرّع إليهم في إصلاحه ، وأن يرغبوا إلى الله في قبوله وتبديله بالعمل الصالح وتربيته .

ثمّ ليعلم أنّه ورد في أخبار الأئمّة عليهم السلام أنّ شرافة اللّيالي والأيام متلازمة بمعنى (أنّه) إذ اشرف اليوم تعدّت شرافتها إلى ليلتها وإذ اشرفت اللّيلة تعدّت شرافتها إلى يومها فيجب مراقبة أيّام هذه اللّيالي أيضاً بالاخلاص فيالعبادات كما يجب في لياليها .

فيما يتعلق بالليلة الأخيرة

وفيها مهامّ لأهل اليقظة ، منها ما ورد لقبول أعمال شهر رمضان ، وهو عمل شريف وهو ما رواه السيّد تتَرُّ في «الاقبال» عن جعفر بن محمّد الدوريستي ، من كتاب الحسني باسناده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله [أنّه] (١) قال :

من صلّى آخر ليلة من شهر رمضان عشر ركعات ، يقرأ في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة واحدة ، و﴿قل هو الله أحد﴾ عشر مرّات ، ويقول في ركوعه وسجوده عشر مرّات : ﴿سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبر﴾ ويتشهد في كلّ ركعتين ثمّ يسلّم .

فاذا فرغ من آخر عشر ركعات قال بعد الفراغ من التّسليم : «أستغفر الله» ألف مرّة فاذا فرغ من الاستغفار سجد ويقول في سجوده : **«ياحَيُّ ياقَيّومُ ، يا ذا الجَلالِ والإكرامِ ، يا رَحمنَ الدُّنيا والآخِرَةِ ورَحِيمَهُما ، [ياأرحمَ الراحـمينَ]** (٢) **ياإلهَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ اغفِرْ لَنا ذُنُوبَنا ، وتَقَبَّلْ مِنّا صلواتنا ، وصِيامَنا وقِيامَنا»** قال النبيّ صلى الله عليه وآله : والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ جبرئيل خبّرني عن إسرافيل عن ربّه تبارك

(١ – ٢) مابين المعقوفتين من المصدر .

وتعالى أنّه لا يرفع رأسه من السّجود حتّى يغفر الله له ، ويتقبّل منه شهر رمضان ، ويتجاوز عن ذنوبه ، وإن كان قد أذنب سبعين ذنباً كلُّ ذنب أعظم من ذنوب العباد، ويتقبّل من جميع أهل الكورة الّتي هو فيها -إلى أن قال -: هذه هديّة لي خاصّة ولأمّتي من الرجال والنساء ، ولم يعطها الله عزَّ وجلّ أحداً ممّن كان قبلي من الأنبياء وغيرهم[1] .

أقول: ينبغي للمؤمن الّذي له عناية على إصلاح النّاس ، وله حظٌّ من الرحمة الرحيميّة أن لا يترك هذا العمل من جهة أنّ نفعه على العباد عظيم جدّاً كيف يمكن أن لا يهتمَّ العالم الّذي ينصب نفسه للموعظة طول الشهر لهداية النّاس ، وتصحيح أعمالهم ، وهو يعلم علماً قطعيّاً أنَّ وعظه لا ينفع لكلِّ من يحضر مجلس وعظه ، فضلاً عن أهل كورته ، وقد يزيد أهلها على كرور من المؤمنين ، ونفعهم أيضاً لا يبلغ معشار هذا النّفع الّذي ذكر في الرّواية من المغفرة وقبول أعمال الشّهر كلّها بهذا العمل الّذي لا مؤونة فيه بمقدار مؤونة وعظ يوم واحد .

فان قيل : إنَّ الرواية ليست قطعيّة .

قلت : هب أنّها ضعيفة يكفي للعامل أخبار التسامح .

فان قلت : هب أنَّ أخبار التّسامح جعلها بمنزلة الرواية القطعيّة فأين القطع بقبول هذا العمل ، ليقطع بالنفع المذكور ؟

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٤١٧ - ٤١٩ ، عنه البحار : ٩٨ / ٧٣ - ٧٤ .

قلت : هذا مشترك الورُود على الوعظ والعمل ، وهو في العمل أهون من الوعظ ، لأنَّ تصحيح النيّة في الوعظ أصعب من تصحيح نيّة العبادات من وجوه أظهرها كون الوعظ موافقاً لحبِّ الجاه ، والوعظ لا يكون إلّا بملاء من النّاس ، هذا.

ومن المهمّات أن يطالع ما روي عن سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام وما كان يفعله في هذه اللّيلة ، ويتفكّر في مقامه وعباداته ، وجهده الشديد وعمله هذا [(١)] ، ثمّ لينظر ما حقّه أن يفعل مع سوء حاله ، وذلّ مقامه ، وتقصيره في عبادة ربّه ؟

روى سيّدنا قدّس الله سرّه العزيز في **«الإقبال»** بأسناده إلى الشيخ أبي محمّد هارون بن موسى التلّعكبريّ رضي الله عنه بأسناده إلى محمّد بن عجلان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً ولا أمة ، وكان إذا أذنب العبد أو الأمة يكتب عنده : أذنب فلان ، وأذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه ، فيجتمع عليهم الأدب .

حتّى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان ، دعاهم وجمعهم حوله ، ثمّ أظهر الكتاب ثمّ قال : يا فلان فعلت كذا وكذا ولم أُؤدّبك أتذكر ذلك ؟ فيقول : بلى يابن رسول الله ، حتّى يأتي على آخرهم ويقرّرهم جميعاً.

---

(١) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٤٢٢ .

ثمَّ يقوم وسطهم ويقول لهم : ارفعوا أصواتكم وقولوا : ياعليَّ بن الحسين إنَّ ربّك قد أحصى عليك كلّ ما عملت ، كما أحصيت علينا كلّ ما عملنا ، ولديه كتاب ينطق عليك بالحقّ ، لا يغادر كبيرة ولا صغيرة [ممّا أتيت][١] إلّا أحصاها ، وتجد كلّ ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضراً، فاعف واصفح كما ترجو من المليك أن يعفو عنك[٢] ، فاعف عنّا تجده عفوّاً ، وبك رحيماً ، ولك غفوراً ، ولا يظلم ربّك أحداً ، كما لديك كتاب ينطق بالحقّ علينا ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ممّا اتيناها إلاّ أحصاها .

فاذكر يا عليَّ بن الحسين ذلَّ مقامك بين يدي ربّك الحكم العدل الّذي لا يظلم مثقال حبّة من خردل : ﴿إنّها إن تَكُ مِثقالَ حبّةٍ مِن خَردَل﴾[٣] يأت بها يوم القيامة ، وكفى بالله حسيباً وشهيداً ، فاعف واصفح يعف عنك المليك ويصفح ، فانّه يقول : ﴿وَليَعفُوا وليَصفَحُوا ألا تُحِبُّونَ أن يَغفِرَ اللهُ لَكُم﴾[٤] .

[قال :][٥] وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقّنهم ، وهم ينادون ، معه وهو واقفٌ بينهم يبكي وينوح ، ويقول :

ربّنا إنّك أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا فقد ظلمنا أنفسنا ، فنحن [قد][٦] عفونا

---

(١) من المصدر .
(٢) في المصدر : من المليك العفو وكما تحبّ أن يعفو المليك عنك .
(٣) لقمان : ١٦ . والآية ليس في المصدر .
(٤) النور : ٢٢ .
(٥ - ٦) مابين المعقوفتين من المصدر .

عمّن ظلمنا كما أمرت ، فاعف عنّا فانّك أولى بذلك منّا ومن المأمورين ، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبوابنا وقد أتيناك سؤالاً ومساكين ، وقد أنخنا بفنائك وببابك ، ونطلب نائلك ومعروفك وعطاءك ، فامنن بذلك علينا ولا تخيّبنا فانّك أولى بذلك منّا ومن المأمورين ، إلهي كرمت فأكرمني ، إذ كنت من سؤّالك ، وجدت بالمعروف فأخلطني بأهل نوالك ياكريم .

ثمّ يقبل عليهم ويقول : قد عفوت عنكم فهل عفوتم عنّي وممّا كان منّي إليكم من سوء ملكه فانّي مليك سوء ، لئيمٌ ، ظالمٌ ، مملوكٌ مليكٍ كريم جواد عادل محسن متفضّل ، فيقولون قد عفونا عنك ياسيّدنا وما أسأت .

فيقول لهم : قولوا : اللّهمَّ اعف عن عليّ بن الحسين كما عفا عنّا ، فأعتقه من النّار كما أعتق رقابنا من الرقّ ، فيقولون ذلك ، فيقول : اللّهمَّ آمين ربَّ العالمين ، اذهبوا فقد عفوت عنكم وأعتقت رقابكم رجاءً للعفو عنّي وعتق رقبتي ، فيعتقهم .

فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عمّا في أيدي النّاس ، وما من سنة إلّا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين نفساً إلى أقل أو أكثر .

وكان يقول : إنّ لله تعالى في كلّ ليلة من شهر رمضان [عند الإفطار] (١) سبعين ألف ألف عتيق من النّار ، كلاًّ قد استوجب النّار ، فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه ، وإنّي لأُحبُّ أن يراني الله وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدّنيا رجاء أن يعتق رقبتي من النار .

---

(١) ما بين المعقوفتين من المصدر .

وما استخدم خادماً فوق حول كامل ، إذا ملك عبداً في أوّل السنة أو في وسط السنة ، إذا كان ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني ، ثمّ أعتق - كذلك كان يفعل حتّى لحق بالله ، و[لقد] [١] كان يشتري السودان وما به إليهم من حاجة ، فيأتي بهم عرفات ويسد بهم تلك الفرج والخلال وإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال [٢] .

أقول: فإن قدر أن يشبّه نفسه بإمامه ، ويقتدي به في صورة هذا العمل الجليل ، فليفعل هنيئاً له ، وإن لم يقدر عليه فليفعل لا محالة بالقدر الميسور ، وأقلّه أن يحفظ ما يظلمه به أولاده وأهله وخادمه وأجيره ، ويتجاوز عنهم في آخر ليلة من شهر رمضان ، والأولى أن يذكر ما حفظ واحداً بعد واحد ويناجي ربّه بأن يقول :

اللّهمّ إنّ عبدك فلاناً ظلمني في الأمر الفلاني فصبرت ، وإنّ فلاناً ظلمني في الأمر الفلاني فصبرت ، ويذكرهم إلى آخرهم ثمّ يقول :

اللّهمّ إنّك تعلم أنّ عبادك هؤلاء ظلموني وما منعني عن الانتقام منهم إلّا خوفك ، وقد كففت عنهم يدي رجاء أن تكفّ عنّي بأسك ، وأنت أمرت عبادك بالعفو ، فلا تمنعهم ذلك لأنّك أولى به من المأمورين .

اللّهمّ إنّك مننت عليّ بالعفو عمّن ظلمني فلا تحرمني عفوك ، لأنّ منّك

(١) ما بين المعقوفتين من المصدر .
(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٤٣ ـ ٤٤٥ ؛ عنه البحار : ٤٦ / ١٠٥ ح ٩٣ ، وج : ٩٨ / ١٨٦ - ١٨٧ ؛ والوسائل : ١٠ / ٣١٧ ح ٢٨ باختصار .

عليَّ بعفوي أعظم من عفوك عنّي ، فمتى سمحت بالأعظم فلا تمنع الأدون .

اللّهمَّ إنّ العبد لايملك حقّاً والحقُّ لمالكه ، فالحقُّ لك على من ظلمني ، فإذا أمرتني بالعفو عنه ، فقد عفوت عنه ، فإذا عفوت عنه فاعف عنّي .

اللّهمَّ إنّك أمرت في جواب التحيّة بالأحسن ومن الأحسن في قبال عفوي عن ظالمي لوجهك أن تعتق رقبتي من النار ، والرجاء لفضلك وكرم عفوك أن تبدّل سيّئاتي بعد عفوك بأضعافها من الحسنات ، وترفع لي بذلك رفيع الدّرجات ، فلا تخيّب رجائي .

ثمّ اعلم أنَّ مجرّد قصد هذه المطالب بالقلب وإن كان مؤثّراً في المقام إلاّ أنَّ في ذكرها بالخصوص وإتيانها بالجوارح أثراً خاصّاً من وجوه شتّى :

أحدها : أنَّ العمل بالقلب كما أنّه عبادة له فإجراء ما فيه على الجوارح أيضاً عبادة للجوارح ، فعند الإتيان بالجوارح يتحقّق العبادة بها أيضاً .

وثانيها : أنّها تؤثّر في القلب تأثيراً خاصّاً ورقّة لا يؤثّره مجرّد الأمر القلبيّ، ويصير سبباً لعمل آخر مؤثّر أيضاً فيمتدُّ الفيض الدائم .

وثالثها : أنَّ ظهورها على الجوارح يصير سبباً لتأثّر الغير وتأسّيه ، ويفيد فائدة السنّة الحسنة ، والشاهد على ذلك أنّه لو اكتفى الامام عليه السلام في ذلك بالأمر القلبيّ لما نقل لنا ذلك ولم نعمل به ، وكيف كان للجوارح أيضاً حظٌّ من نور العمل ، فيؤثّر عملها في القلب نوراً زائداً على نور عمله .

ومن المهمّات أن يحاسب نفسه في عمل شهر رمضان كما يحاسب الشريك

الشريك في آخر العمل ، ويلاحظ رأس ماله الّذي هو عمره وإيمانه وبركات شهر رمضان وأنواره ، ويعتبر هل ازداد إيمانه بالله وبرسوله وكتابه وحججه واليوم الآخر من مقامات الدين ؟

وكيف أخلاقه الناشئة من المعارف المذكورة ؟ من الخوف والرجاء والصبر والزهد والتجرد لذكر الله والفكر المؤدّين إلى الأُنس ، والمعرفة المؤدّية إلى المحبّة المتبوعة بالرضا والتوكّل والتسليم والتوحيد ، وانشراح الصدر من نور المعرفة في مشاهدة الغيوب ، وانفساح القلب في احتمال البلايا وحفظ السرّ ، وكيف تجافيه عن دار الغرور ، وإنابته إلى دار الخلود ؟ هل لشهر رمضان وأعماله تأثير في ذلك أم بقي على ما كان عليه قبله ؟

ويحاسبها في أفعالها وحركات جوارحها هل بقيت على حالها أم ازدادت مراقبة أحكامه تعالى فيها ؟ لا سيّما بالنسبة إلى حركات لسانه في التكلّم بما لا يعني ، والخوض في الباطل ، والكذب والغيبة والافتراء والتعرُّض لأعراض المؤمنين والفحش والإيذاء وغيرها ، فإن رآها كلّها على ما كان فليعلم أنَّ ذلك من سوء عمله في هذا الشهر العظيم البركة ، وأنَّ ظلمة ذنوبه قد فاقت على أنوار هذا الشهر النور المنير ، وإلاّ فلا يمكن أن لا يؤثّر أنوار شهر رمضان ، وليالي القدر ، وهذه الدعوات الجليلة في تنوير قلبه وتطهيره من أرجاس الرذائل ، والقلب المستنير لا يجيء منه الشر .

وليخف هذا المغبون عن خطر دعاء رسول الله صلّى الله عليه وآله حيث قال : «من

انسلخ عنه شهر رمضان ولم يغفر له فلا غفر الله له»[(١)] فانّه من أشدّ المصائب ، وأعظم الخطرات فليعمد على إصلاح حاله مستمدّاً من الله وملتجئاً إلى رحمته ، ومحترفاً إلى بابه ، قائلاً بلسان حاله : **﴿أمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ﴾**[(٢)] وليبك على خطاياه ، وليكن عليه شواهد صدق الاعتراف ، قائلاً بلسان حاله : **﴿لا إلهَ إلّا أنتَ سُبْحانَكَ إنِّي كُنتُ مِنَ الظّالِمينَ﴾**[(٣)] .

ومن علامة [صلاح] الحال أن يكون عليه سمة مذلّة الخاطئين ، ووجل قلوب المذنبين ويستغفر الله جلَّ جلاله بقدر ذنوبه ، وإن لم يعنه نفسه العوّاد بالكسل عن إتيان حقّ الاستغفار؛ فان قدر أن يأتي الله من الباب الّذي أتاه إبليس ونال بمراده وهو باب عدم القنوط فليفعل ، وإن لم يمكنه ذلك أيضاً فليجرَّ نفسه إلى مجلس القود كما فعله بعض التائبين ، فوقع منه بالقبول ، وبالجملة فعليه أن يستعلج في آخر الشهر كلَّ ما أفسد من دينه ، حتّى يستعدَّ ليوم العيد ، والوفود فيه إلى الله ، لئلاّ يحرم عن فوائده فانَّ الحرمان في هذا اليوم خسران عظيم .

ومن المهمّات أن يودّع شهر رمضان ، ويتأثّر من مفارقته ، وقد ورد في ذلك أدعية ومناجاة مع شهر الله الأعظم فاخرة جدّاً[(٤)] .

وإن أشكل عليك وداع الزمان الّذي ليس من قبيل الحيوان الشاعر للصحبة والتوديع ، فانظر إلى جواب السيّد قدَّس الله سرَّه في الاقبال ، وإن لم تقنع به فاستمع لما يتلى عليك :

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٤٥٤ .

(٢) النمل : ٦٢ .

(٣) الأنبياء : ٨٧ .

(٤) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٤٢٢ – ٤٤٢ .

فاعلم أنّ الزمان والمكان وسائر الأشياء غير الحيوان وإن كانوا في عالمهم هذا وبصورهم هذه غير شاعرين إلاّ أنّ كلّها في بعض العوالم العالية لها حياة وشعور وتنطّق وبيان ، وحبٌّ وبغض ، كما يكشف عن ذلك الأخبار الكثيرة الواردة في أحوال عوالم البرزخ والقيامة ، ومكاشفات أهل الكشف ، فان لكل ما يوجد في هذا العالم وجوداً في عوالم أخرى هي سابقة على هذا العالم في الوجود، وللموجودات في كلّ عالم صوراً وأحكاماً مخصوصة بعالمها ، يختلف مع الصور والأحكام الكائنة في غير هذا العالم .

ومن أحكام بعض العوالم العالية أنّ كلّ ما يوجد فيها يكون ذا حياة وشعور، لأنّ الدار دار حياة وحيوان ، كما دلّت الأخبار على أنّ الدار الآخرة كذلك ولعلّ في قول الله تعالى : ﴿وإنَّ الدارَ الآخِرَةَ لِهِيَ الحَيَوان﴾[1] أيضاً إشارة إلى ذلك حيث حكم على الدار بأنّها هي الحيوان .

ومن الأخبار الدالّة على حياة موجودات عالم الآخرة ، ما ورد فيها من تكلّمات الفواكه في الجنّة[2] ، وفرح السرير ، واستبشاره من تكئة[3] المؤمن[4] ،

(١) العنكبوت : ٦٤ .

(٢) روى الكليني في الكافي : الروضة : ٩٩ ضمن ح ٦٩ ، باب حديث الجنان والنوق بسنده عن محمد بن اسحاق المدني عن أبي جعفر في حديث طويل - «وإنّ الأنواع من الفاكهة ليقلن لولي الله : ياولي الله كلني قبل أن تأكل هذا قبلي» عنه البحار : ٨ / ١٦٠ ضمن ح ٩٨ .

(٣) اتكاء المؤمن - ظ .

(٤) روى الكليني في الكافي : ٨ / ٩٧ ضمن ح ٦٩ في حديث طويل عن أبي جعفر عليه السلام قال : «فإذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحاً» عنه البحار : ٨ / ١٥٨ ضمن ح ٩٨ ورواه في تفسير القمي: ٥٧٥ - ٥٧٧ عنه البحار : ٨ / ١٢٨ ضمن ح ٢٩ .

بل ومنها ما دلّت على تكلّمات الأرض مع المؤمن والكافر فانّها ليست بعالمها هذه ، ولذا لا يسمعها أهل هذا العالم ، بل بملكوتها .

ومن هذا القبيل تكلّم الحصا في يد رسول الله صلى الله عليه وآله [(١)] حيث إنّ نطقها وتكلّمها بملكوتها ، وإعجاز رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما هو بإسماع نطق لسان ملكوتها إلى هذه الأسماع الدنيويّة .

بل كلُّ ما أظهر نبيٌّ أو وليٌّ معجزاً من قبيل إنطاق جماد وإحيائه فهو من هذا الباب ، فانَّ عصا موسى وطير عيسى حياتهما إنّما هي بملكوتهما ، وهي غيب عن أهل هذا العالم إلاّ إذا أظهره الله عليهم لحكمة في إظهاره ، فالزمان في بعض عوالمها حيٌّ وله شعور ، فلا بأس أن يودَّع ويخاطب بعالمه هذا .

والأهمُّ أن يكون العامل والمودّع أهلاً للوداع معه ، وصادقاً فيما يظهره من الأحزان عند التوديع ، لئلاً يختم شهره بالكذب والنفاق في مثل هذا المقام الفاخر .

ولا يستقيم ذلك إلاّ لمن صاحبه شوقاً ومحبّة ، لا كرهاً وتكلّفاً ، وأيضاً لا يستقيم لمن صاحبه مخالفاً لمقتضاه ، لأنَّ المخالف لم يكن مصاحباً في الحقيقة

---

(١) قال قطب الدين الراوندي في خرائجه : ١ / ٤٧ ح ٦١ باسناده إلى أنس بن مالك : «أنه صلى الله عليه وآله أخذ كفاً من الحصى فسبحن في يده ، ثم صبّهن في يد علي عليه السلام فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح في أيديها ، ثم صبّهن في أيدينا فما سبّحت في أيدينا» . عنه البحار : ١٧ / ٣٧٧ ح ٤٢ وج ٤١ / ٢٥٢ ح ١٠ . ورواه في دلائل النبوة : ٦ / ٦٤ و ٦٥ ، أخرجه عنه في البداية والنهاية : ٦ / ١٣٢ وفي الخصائص الكبرى : ٢ / ٣٠٤ عن البزاز والطبراني في الاوسط وأبي نعيم والبيهقي .

ليودّع صاحبه .

وكيف كان يشترط في حقيقة الوداع أن يكون المودّع محزوناً لفراق من يودّعه ، ولا يكون محزوناً لفراقه إلاّ إذا أحبَّ مصاحبته ، والمحبُّ لصاحبه لا يخالفه بل يراقبه ويطيعه في محابّه ومراده ، فإن كنت راضياً لمجيىء شهر الصيام وصومه وعباداته ، ومحبّاً له ومراقباً لإتيان الأعمال الّتي جاء بها شهر رمضان ، ومجدّاً في ذلك ، ومعتقداً لكرامته وفضله ونفعه كما هو حقّه ، فلا بدَّ أن تحزن من فراقه ويعزَّ عليك خروجه .

وحينئذ إذا قلت : «السلام عليك من قرين جلَّ قدره موجوداً ، وأفجع فراقه مفقوداً» كنت صادقاً ، وهكذا لو ناجيت ربّك وقلت مخاطباً لربّك : «نحن مودّعوه وداع من عزَّ فراقه فغمّنا ، وأوحش انصرافه عنّا فهمّنا» كنت صادقاً فيما تخاطب ربّك في مناجاته وأمّا لو كنت والعياذ بالله متثاقلاً في صحبته ، ومتكلّفاً في قبول ما جاء به من الصيام والقيام ، ومتبرّماً ببقائه ، وخاطبته بأمثال هذه الألفاظ أو أظهرت في مناجاة ربّك ما ذكر وأمثاله وأجابك شهر رمضان بالردّ والتكذيب وقال : «أما تستحيي ممّا تقول ، وأنت لم تكن راضياً بصحبتي ، وكنت متثاقلاً عن جواري ، وغير معتنٍ لما أتحفت إليك من الخيرات ، والتحف والهدايا ، ولم تستقبلني بالشوق والرغبة ، ولم تصاحبني بالأنس والمحبّة ، بل كنت شائقاً لخروجي ومفارقتي ، والآن أنت فرح بمفارقتي بقلبك ، ومظهر الأحزان بلسانك» .

أو أعرض عنك (ربّك) في جواب مناجاتك ، أو عاقبك بتهوينك جناب قدسه بمشافهة الكذب والفرية ، كيف يكون حالك يامسكين ويا مغبون وياخاسر

ويا مهلك نفسه ، ومضيّع نعمة ربّه ، إذا أخذك ربّك بكذبك ونفاقك ، وعاقبك في وداعك بعقاب الكذب والفرية ، هل لك حجّة في دفع هذا العقاب ؟ .

وبالجملة إن كنت عارفاً بحرمة شهر رمضان بقدر منزلته عند الله ، وبقدر فضله ونعمته عليك ، وعاملته بمقدار حسن صنيعه بك ، وكريم معاملته معك .

وتعرف ذلك إن تقدّره مثل ضيف كريم شريف نزل بساحتك ، فعزّ بنزوله مقامك وكثر نفعك ، بما ورد في أخبار أعمال شهر رمضان .

وإجمال ذلك أنّه صار سبباً لنجاتك من السجّين ، وبلغ بك إلى ذروة التقريب في أعلى علّيين ، مع الأنبياء والصدّيقين ، وأقعدك ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [1] مع الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقرّبين ، كيف يكون حالك مع هذا الضيف ؟ وابتهاجك بصحبته ؟ وكيف تراقبه وتفديه بنفسك وأهلك وكلّ ما يعزّ عليك ؟ وكيف يكون وحشتك من فراقه ؟ فعند ذلك تكون في وداعه على حال يظهر منك ما ظهر من وداع سيّد الساجدين ، ويودّعك شهر رمضان أيضاً بمثل ما تودّعه ، بل وأفضل ، ويظهر في فراقك فوق ما أظهرت ، لأنّ العناية من العالي أتمّ وأكمل ممّن دونه .

ثمّ إنّك إن وجدت حالك مختلفاً في أوقات الشهر ، ورأيته في بعض الأوقات والحالات صاحباً موافقاً لشهر رمضان ، فرحاً لصحبته ، مستنيراً من أنواره ، مستفيضاً من بركاته ، ومقدّس فيوضاته ، عارفاً لفوائده ، شاكراً لنعمه ،

---

(١) القمر : ٥٥ .

ذاكراً لمننه ، مجدّاً في مراقبته ، حائزاً لذخائره ، فائزاً لجليل مآثره ، وفي بعض الأوقات غافلاً عن ذلك ، أو مخالفاً أحياناً لمقتضاه ، فعليك أن تشمّر في آخر ليلة منه أن ترضيه بالاعتذار الصادق ، وإظهار الندم والتوبة عن ظهر القلب ، لا عن لقلقة اللسان ، فانّه ضيف كريم أرسله إليك أكرم الأكرمين ، لينفعك لا ليضرّك ، يرضى عنك بتلطّف يسير في الاعتذار .

وعالج مصيبتك الّتي أوردتها على نفسك في طول الشهر بصدق الندم ، وخالص الاستعداد ، ومن التلطّف أن تقول :

«اللّهمّ إنّك أكرمتنا بهذا الشهر العظيم بكرامة عظيمة لا يقدّر قدرها أحد وقد ضيّعناها ، وظلمنا فيه أنفسنا بما أنت أعلم به من كلّ أحد ، وهذا الشهر قد تصرّم لياليها وأيّامها ، فالآن أدركني نفحة من نفحاتك فاستيقظت من نومة غفلتي وأدركت عظيم مصيبتي ، وجليل جنايتي ، وقد أشرفت على الهلكة ، وها أنا ذا بين يديك ، معترف بإساءتي ، وإضاعتي لهذه الكرامة الفاخرة ، وتعرّضي للهلكة الدائمة ، والحسرة العظيمة ، فالآن من عذابك من يستنقذني ؟ وعمّا لزق بقلبي من آثار أعمالي المردية من يخلّصني ؟ وأنا مع ما فيه من سوء حالي ، ومهوى هلكتي استشعرت من تنبيهك وتذكيرك إيّاي أنّك لم تكلني إلى نفسي وغفلتي ، ولم تغلق باب التوبة عنّي فلا أيأس من روحك ، فانّه لا ييأس من روحك إلاّ القوم الكافرون ، ولا أقنط من رحمتك ، لأنّه لا يقنط من رحمتك إلاّ القوم الخاسرون .

فأسألك برحمتك الّتي أنجبت بها كلّ هالك من عبادك ، وبقبولك الّذي قبلت به سحرة فرعون ، وبإجابتك الّتي أجبت بها فرعون ، وأجبت أبغض خلقك

إبليس حيث استنظرك [١] ، أن تنجيني من هلكتي ، وتقبلني بقبولك ، وتـجيب دعوتي في هذه الليلة ، فتبدّل سيّئاتي بأضعافها من الحسنات ، وتمحو اسمي في هذا الشهر المبارك من ديوان الأشقياء في مهوى السجّين ، وتكتبني في ديـوان السعداء في أعلى علّيين ، وتلحقني بأوليائك السابقين ، وأصفيائك المـقرّبين ، بمحمّد وآله الطيّبين الطاهرين صلواتك عليهم أجمعين .

اللّهمّ إنّ ذنوبي وقلّة حيائي قد سوّدت وجهي عندك ، فبوجوه آل محمّد صلواتك عليهم أتوجّه إليك في قبولي وإجارتي : «اللّهمّ إنّ الشهر دار ضيافتك ، وأنت كرهت للمضيف أن يمنع ضيفه القرى ، وإن كان الضيف ممّن لا يـهلكه المنع ، والمضيف ممّن ينقصه الاحسان ، وأنت إذا منعتني قراك ، بتُّ طاوياً في حماك ، ووصلت إلى الهلاك يامن لا يزيد إحسانه إلاّ في ملكه» .

ثمّ راقب أن تختم الشهر بالصدق في الإنابة ، وأن لا ترجع إلى ما كنت فيه مـن مخالفة مراد ربّك ومولاك .

ثمّ تعمد في أواخر نهار اليوم الآخر ، الّذي هو يوم عرض أعمال الشهر ، إلى أن تناجي خفير يومك من المـعصومين عليهم السلام وتـبسط فـي مـناجاته بأدب التواضع والتوسّل وتنشيء لذلك من النطق والبيان ، ما يهيّج عـليك إشـفاقهم ، ويستمطر عليك سحاب رأفتهم وكرامتهم ، وأن تـفوّض أعـمال شـهرك إليـهم

(١) إنّ اللّه سبحانه وتعالى أجاب إبليس المصرّ على الذنوب ، حيث قال عنه العـلي العـظيم في سؤاله : اجعلني من المنظرين ، فقال له في حال الغضب عليه : ﴿إنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم﴾ (الأعراف : ١٥ - ١٦ ، الحجر : ٣٧ ـ ٣٨ ، ص : ٨٠ - ٨١)

بالاعتذار ، والتضرُّع في السؤال والابتهال ، أن يصلحوها بشفاعتهم ودعـائهم ، ويرغبوا إلى الله أن يقبلها بكرم عفوه ويبدّلها بأضعافها من الحسنات ، وإن كان ذلك آخر النهار في السجدة حتّى تختم شهرك ساجداً جائعاً وتدخل إلى ليلة العيد ساجداً جائعاً ، أرجو أن تنال فوق أملك من كرامة الله جلَّ جلاله .



في مراقبة ليلة الفطر [1]

اعلم أنّ العيد عبارة عن وقتٍ اختاره الله جلَّ جلاله من بين الأيّام ، لإطلاق الجوائز والإنعام على العباد ، ليجتمعوا على أخذ الخلع والعطايا ، وأذّن بالإذن للحضور بين يديه ، والاستكانة لديه ، بالاعتراف للعبوديّة ، والاستغفار عن ذنوبهم وعرض حوائجهم ، وبسط آمالهم ، ووعدهم في ذلك كلّه الإجابة لهم ، وإعطائهم فوق آمالهم ، بل فوق ما خطر على قلوبهم ، وأحبَّ لهم في هذا اليوم أن يحسنوا ظنّهم إلى ربّهم ، وأن يرجّحوا رجاءهم لقبوله ، ومغفرته وعطائه ، على الخوف من ردّه وعذابه .

والخائب الخاسر في مثل هذا اليوم من غفل عن معنى العيد ، واشتغل فيه بالتزيّن للناس ، وتصفيق اليد ، وترجيل الشعر عن مهامّ أمر الاستعطاف ، والاسترحام من حضرة القدس ، ورضي للاستئناس بأمثاله من العوامِّ كالأنعام ، عن الأنس بمجالس الأطهار ، من خواص ربّ العالمين ، من الأنبياء والمرسلين ، والشهداء والصدّيقين بل استبدل دركات السجّين ، عن درجات العلّيّين ، بل اشترى الخلود على الأرض ومهوى عالم الطبيعة ، عن جوار الله – جلَّ جلاله –

(١) زاد في الأصل:ويوم العيد .

جبّار السماوات والأرضين ، فياله من خسران ما أعظمه وأقبحه وأفضحه .

وكيف كان جعل الله شهر رمضان مضمارا للسباق بعبادته ، وندب عباده يوم العيد ليجتمعوا على أخذ الجوائز والعطايا . فالخارجون إلى العيد طوائف :

طائفة لم يعرفوا الصوم إلاّ تكليفاً ، وتكلّفوا بمجرّد الإمساك عن الطعام والشراب والنساء ، ورأوا ذلك خدمة ، تخيّلوه طاعة ومنّة ، ولم يراقبوا جوارحهم عن المعصية ، ونقضوا صومهم بالكذب والغيبة ، وهدموه بالبهتان والفرية ، وفحش الخادم والأذيّة ، وركبوا مع ذلك مراكب دالّة [1] المطيعين ، ورأوا في صومهم كأنّ لهم المنّة على ربّ العالمين ، فافتضحوا بمعصيتهم وجهلهم عند أولي الألباب ، ولم يقع صومهم موقع القبول عند ربّ الأرباب ، فإن كان حضورهم للعيد بحسن الظنّ إلى عناية الله جلّ جلاله ، واستغفروا في مصلّاهم ربّهم من ذنوبهم ، لعلّ الله يعمّهم عند إطلاق الجوائز بالمغفرة ، ويثيبهم بفضله ببعض المثوبات .

وطائفة عرفوا أنّ المنّة لله تعالى عليهم في التكاليف ، وأنّ الصوم لا يكمل إلاّ بكفّ الجوارح ، ولكن صاموا بالتكلّف وراعوا جوارحهم أيضاً ولكن ربّما خالفوا في ذلك ، وارتكبوا معصية مع خوف ورجاء ، وعملوا بالمندوبات أيضاً بقدر نشاطهم وتركوها بقدر كسلهم ، وخلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً ، وحضروا عيدهم بخوف وخجل ، وحياء ورجاء ، أُولئك الّذين وعدهم ربّهم بالمغفرة والثواب ، وتبديل سيّئاتهم بالحسنات ، ويوفّيهم جزاء عباداتهم فوق آمالهم من

---

(١) من الدلال لا الدلالة .

العطيّات .

وطائفة صاموا مع الغفلة على العادة ، وكانوا في شهر رمضان أيضاً كغيره من الأشهر على غفلتهم ومعصيتهم ، وحضروا العيد أيضاً على العادة ، وهم مرجون لأمر الله إمّا أن يشملهم عناية الله فيغفر لهم بمجرّد حضورهم العيد ، أو من جهة كرامة بعض أعمال العاملين من أهل الله ، أو يخرجهم[١] سوء أعمالهم عن رحمة الله ، فيلحقوا بالخاسرين .

وطائفة منهم أجابوا في شهر رمضان لنداء الله جلّ جلاله بالصيام والقيام ، واجتهدوا في مراقبة الملك العلاّم بكلّ جهدهم ، ولم يرضوا في تحصيل مراد الله جلّ جلاله بخير دون خير ، وجدُّوا أن يحرزوا[٢] كلّ الخيرات ، وأتوا بما أتوا وقلوبهم وجلة من استشعار التقصير في شكر نعمة تشريف هذا النداء ، وعارفة بقدر منّة الله جلّ جلاله عليهم في إذنه لهم بالتقرّب إليه ، والخدمة والعبادة له ، فقبل الله جلّ جلاله منهم خدمتهم ، وشكر سعيهم ، وأثابهم بكراماته ، وفنون عناياته ، وأكرمهم بزيادة هداياته ، وكساهم من أنوار قربه ، وألحقهم بخواصّ أوليائه من أصفيائه .

وطائفة ذهب لذّة نداء الله جلّ جلاله لهم بعناء الجوع والسهر ، واستقبلوه بالشوق والشكر ، بل الوجد والسكر ، وجدُّوا بالسير والاستباق ، ولبّوا خطاب ربّ الأرباب ، بالأسرار والألباب ، وهمّوا ببذل النفوس والأرواح في كشف الحجاب ،

---

(١) يحرمهم خ .
(٢) يحوزوا خ .

ونالوا من قربه بالمراد ، واتّصلوا بربّ العباد ، فقبلهم ربّهم بقبول حسن وقرّبهم وأدناهم وأقعدهم مقعد الصدق في جواره ، مع أوليائه وأهل اصطفائه ، وسقاهم بكأسه الأوفى ، وجذبهم إلى مقام أو أدنى ، ونالوا من البهاء والنور ، والبهجة والسرور ، بمالم يخطر على قلب بشر ، ولم ير منه عين ولم يحك منه أثر .

واعلم أنّ وقت ظهور آثار أعمال شهر رمضان ، وإعطاء جزاء عباداتها يوم العيد فمن أحسن مراقبة الله جلّ جلاله في ليلة عيده ، وعالج تقصيره فيما يجب عليه في شهر رمضان في ليلة الفطر ، واستأهل نفسه للتعبّد ، وخلط نفسه في عباد الله الصالحين يرجى له أن يقبل الله تعالى يوم عيده كما يقبلهم ، ولا يقنطه من خاصّة ألطافه ، ولا يداقّه بتقصيره في عباداته ، بعد اعترافه بالتقصير ، واستعلاجه من كرم عفوه ، ويخلطه بأهل نواله من عباده المكرمين ، والشهداء والصدّقين .

ثمّ إنّ أمر عبادة هذه اللّيلة عظيم جدّاً لما روي من الإمام السجّاد عليه السلام أنّه كان يوصي أولاده في حقّ هذه اللّيلة ، ويقول : «ليس بدون اللّيلة»[1] يريدُ ليله القدر هذا نصّ منه عليه السلام بأنّ ليلة الفطر ليس دون ليلة القدر ، فيلزم على العامل أن يزيد جدّه في هذه اللّيلة على ليلة القدر ، لأنّها جمعت مع شرفها أنّها وقت الجزاء وآخر العمل ، فيحتاج إلى الجدّ الشديد أيضاً .

وأهمّ الأمور في هذه اللّيلة بعد الاستهلال ، وقراءة دعاء الهلال من

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٢٧٤ باسناده إلى غياث بن ابراهيم عن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال : «كان الإمام علي بن الحسين عليهما السلام يحيى ليلة الفطر بصلاة حتى يصبح ، ويبيت ليلة الفطر في المسجد ويقول : يابنيّ ماهي بدون ليلة - يعني ليلة القدر -» عنه البحار : ١٩ / ١١٩ ضمن ح ٧.

الصحيفة السجّادية ، والغسل ، أن يبسط في السلام والتضرُّع إلى خفير ليلته من المعصومين ، ويتوسّل إليهم بالجدّ في إصلاحهم أعمال شهره ، ويسلّم إليهم أعمال شهر رمضان ، ونفسه وقلبه ، وروحه وسرّه ، وظاهره وباطنه ، وكلّه وجزءه، ويستشفع بهم إلى الله في توفيق سنته إلى شهر رمضان القابل ، ويلحق بذلك توفيق عمره كلّه .

وبالجملة يهتمُّ أن يصلح في هذا التوسّل جميع مفاسد شهره وسنته وعمره، ويكمّل جميع نواقصه ، ويكثر جدّه في التملّق وتلطيف معاني التضرُّع والتوسّل والتسليم ، ويظهر كمال رجائه بقبولهم ، ويشكر الله جلَّ جلاله من جهتهم ، ثمَّ يحيي هذه اللّيلة بما ذكرناه في ليلة القدر من كلّيّات الأعمال القلبيّة والبدنيّة ، إلاّ في بعض الأعمال المخصوصة لكلّ منها .

ومن الأعمال المخصوصة بليلة عيد الفطر :

الغسل عند الغروب[(١)] .

وأن يقول بعد نوافل المغرب رافعاً يديه :

«ياذا المَنِّ والطوْلِ ، يامُصطفي مُحمّدٍ وناصِرَهُ ، صَلِّ على محمّدٍ وآل محمّدٍ، واغفِر لِي كلّ ذَنْبٍ أحصَيْتَهُ ، وهُوَ عِندكَ فِي كِتابٍ مُبِين» .

ثمَّ يخرُّ ساجداً ويقول في سجوده مائة مرّة : «أتوبُ إلى الله» ثمَّ يسأل

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٤٥٧ عنه البحار : ٩١ / ١١٥ صدر ح ١ .

حاجته فتقضى إن شاء الله [١] .

وأن يكبّر بعد صلاة المغرب والعشاء وصلاة الفجر وصلاة العيد، وصورته أن يقول: «**اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلاّ اللهُ واللهُ أكبرُ، وللهِ الحمدُ (اللهُ أكبرُ، والحمدُ للهِ)** [٢] **على ما هدانا**» [٣] والأحوط أن لا يترك هذه التكبيرات عقيب الصلواة المذكورات.

ويستحبُّ أن يصلّي بعد المغرب ونافلتها ركعتين، يقرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الإخلاص مائة مرّة، وفي الثانية فاتحة الكتاب والإخلاص مرّة واحدة، ثمَّ يقنت ويركع ويسجد، ويسلّم، ثمَّ يخرُّ ساجداً لله ويقول في سجوده: «أتوبُ إلى اللهِ» مائة مرّة،

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: والّذي نفسي بيده لا يفعلها أحد فيسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه الله ولو أتاه بالذنوب مثل رمل عالج [٤] .

وإن كان له نشاط على الصلاة وصلّى ركعتين بألف مرّة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ في الأولى، ومرّة واحدة في الثانية، ثمَّ يخرُّ بعد التسليم، ويقول في سجوده مائة

---

(١) إقبال الأعمال: ١ / ٤٥٨ باسناده إلى الحسن بن راشد عن الإمام الصادق عليه السلام؛ عنه البحار: ٩١ / ١١٥ ح ١. رواه الكليني في الكافي: ٤ / ١٦٧؛ والصدوق في الفقيه: ٢ / ١٠٩؛ وعلل الشرائع: ٢ / ٧٥؛ والشيخ في مصباح المتهجد: ٢ / ٦٤٨؛ والتهذيب: ١ / ٣٢.

(٢) مابين القوسين ليس في الإقبال ومصباح المتهجد والبحار.

(٣) إقبال الأعمال: ١ / ٤٥٩ باسناده إلى معاوية بن عمار عن الإمام الصادق عليه السلام؛ عنه البحار: ٩١ / ١١٦ ح ٢؛ ورواه الشيخ في مصباحه: ٦٤٩ باختلاف يسير.

(٤) إقبال الأعمال: ١ / ٤٥٩ عن الحارث الأعور؛ والبحار: ٩١ / ١١٩ ح ٧ رواه الشيخ في التهذيب: ٣ / ٧١؛ والمفيد في المقنعة: ٢٨.

مرَّة : «أتوبُ إلى الله» ثمَّ يقول :

«ياذا المنِّ والجُودِ ، ياذا المنِّ والطول ، يامُصطفي محمّدٍ صلّ على محمّد وآل محمّد وافعل بي كذا وكذا» ويذكر حاجته [١] .

ويدعو بعدها بالدّعاء المرويّ في إقبال سيّدنا قدَّس الله سرَّه تقضى حاجته [٢] .

وإن لم ينشط على ذلك صلّى عشر ركعات بالحمد مرَّة والاخلاص عشر مرَّات ، ويقول مكان ذكر الركوع والسجود عشر مرَّات :

«سبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلهَ إلّا اللهُ واللهُ أكبر» ويستغفر الله بعد الفراغ ألف مرَّة ، ويقول في سجدة الشكر :

«ياحيُّ ياقيّومُ ، ياذا الجَلالِ والإكرامِ ، يارحمنَ الدنيا والآخِرة ورَحيمَهُما ، يا أرحَمَ الراحِمِينَ ، ياإلهَ الأوَّلينَ والآخِرِينَ ، اغفِر لِي ذُنُوبِي وتَقَبَّلْ صَومِي وصَلاتِي» .

وروي أنَّ من فعل ذلك لم يرفع رأسه من السجود حتّى يغفر له ، ويتقبّل منه صومه ، ويتجاوز عن ذنوبه [٣] .

---

(١) إقبال الإعمال : ١ / ٤٦٠ عن الحارث الأعور ؛ عنه الوسائل : ٨ / ٨٥ ح ٢ ؛ وذكر صدر الحديث والبحار : ٩١ / ١٢٠ ح ٨ ؛ رواه الكليني في الكافي : ٤ / ١٦٧ ذيل ح ٣ باسناده عن الحسن بن راشد وذكر صدر الحديث نحوه .

(٢) راجع إقبال الأعمال : ١ / ٤٦١ - ٤٦٣ ؛ عنه البحار : ٩١ / ١٢٠ ح ٨ ؛ مصباح المتهجد : ٦٤٨ - ٦٥٠ .

(٣) إقبال الأعمال : ٤٦٠ ؛ ثواب الأعمال : ١٠٠ ؛ عنه الوسائل : ٨ / ٨٦ ح ٣ .

وإن ثقل عليه ذلك فليصلّ أربع عشرة ركعة في كلّ ركعة [يقرأ] [١] فاتحة الكتاب مرّة ، وآية الكرسيّ وثلاث مرّات **﴿قل هو الله أحد﴾** روي أنّه من صلّى ذلك أعطاه الله بكلّ ركعة عبادة أربعين سنة ، وعبادة كلّ من صلّى وصام في هذا الشهر [٢] .

وإن كسل عن ذلك كلّه صلّى ستّ ركعات بخمس مرّات : **﴿قل هو الله أحد﴾** في كلّ ركعة ، روي أنّه من صلّى ذلك شفّع في أهل بيته وإن كانوا قد وجبت لهم النّار [٣] [٤] .

ومن أعمال اللّيلة : إخراج الفطرة ، وورد فيها أنّ الصوم مردودٌ إن لم يخرج الفطرة [٥]

وروي أنّ الفطرة تمام لما نقص من زكاة المال [٦] .

وأنّها من تمام الصوم وأنّها بمنزلة الصلوات على النبيّ في الصلاة ، فكما أنّه لا صلاة لمن لم يصلّ على النبيّ في صلاته فكذلك لا صوم لمن تركها متعمداً [٧] .

---

(١) مابين المعقوفتين من المصدر .
(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٣ ؛ عنه الوسائل : ٨ / ٨٧ ح ٥ ، والبحار : ٩١ / ١٢٢ ح ٩ .
(٣) إقبال الأعمال : ١ / ٤٥٩ ؛ ثواب الأعمال : ١٠١ .
(٤) في الاصل بعد ذلك (ومن أهميات الاعمال زيارة الحسين ٧) وكانه سهولما سيجيىء .
(٥) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٦ .
(٦) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٥ .
(٧) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٦ ؛ الفقيه : ٢ / ١١٩ ح ٥١٥ ؛ والمقنعة : ٤٣ باسنادهما إلى أبي بصير وزرارة ، عنهما الوسائل : ٩ / ٣١٨ ح ٥ .

ويستحبّ للمعسر، وإن لم يجد إلاّ ما يؤدّي عن نفسه يعطيها بعض عياله، ويعطيها البعض على الآخر، ويردّدونها بينهم فيكون فطرة عن الجميع [(١)] كذا ورد في الرواية ويحتمل أن يكون المراد أن يعطي آخرهم إلى الغير.

ويجب على كلّ حرّ بالغ عاقل يجب عليه زكاة المال أو (من) ملك نصاباً أو قيمته أو يجد صاعاً زيادة على قوت يومه [(٢)] فيه أقوال، والأقرب كما في الصحيح أنّه لا يجب على من يجوز له أخذ الزكاة والأحوط أن لا يتركها من يجدها [(٣)]، ويجب على الغنيّ أن يخرجها عن نفسه وعن كلّ من يعوله، ولا فرق في ذلك بين الصغير والكبير، والحر والعبد، والمسلم والكافر، والضيف من العيال، نعم اختلف في تفسيره ولأحوط تعميمه على كل من يصدق عليه الضيف عند هلال شوّال، والأقوى الاقتصار على صدق العيلولة عرفاً إلاّ في الزوجة والمملوك، إذا لم يكونا في عيال الغير، فالأحوط حينئذ أن يخرجها الزوج والمالك، ويخرجها الزوجة بل الأحوط ذلك فيما إذا كانت عيالاً للغير أيضاً [(٤)].

وأمّا جنسها فيكفي الغلاّت الأربع الزكويّة [(٥)] أو قيمتها [(٦)]، والأولى أن

---

(١) الكافي: ٤ / ١٧٢ ح ١٠ باسناده إلى إسحاق بن عمار؛ الفقيه: ٢ / ١١٥ ح ٤٩٦ باسناده إلى سيف بن عميرة؛ التهذيب: ٤ / ٧٤ ح ٢٠٩؛ والاستبصار: ٢ / ٤٢ ح ١٣٣ بالاسناد إلى محمد بن يعقوب؛ عنها الوسائل: ٩ / ٣٢٥ ح ٣.

(٢) إقبال الأعمال: ١ / ٤٦٤.

(٣) راجع الوسائل: ٩ / ٣٢١، الباب ٢ عدم وجوب الفطرة على الفقير.

(٤) راجع الوسائل: ٩ / ٣٢٧، الباب (٥) باب وجوب إخراج الإنسان الفطرة عن نفسه وجميع من يعوله من صغير وكبير، وغني وفقير، وحر ومملوك، وذكر وأنثى، ومسلم وكافر، وضيف.

(٥) الكافي: ٤ / ١٧١ ح ٥، الفقيه: ٢ / ١١٥ ح ٤٩٢ عنهما الوسائل: ٩ / ٣٣٢ ح ١.

(٦) راجع الوسائل: ٩ / ٣٤٥، الباب ٩، باب جواز إخراج القيمة السوقية عما يجب في الفطرة.

يخرج من قوته منها ، والتمر أفضل [١] ، والأقوى لمن يخرج القيمة كفاية كلّ ما يتقوّم بالقيمة ولو كان ثوباً إلاّ الجنس العالي من الأدون ممّا يكفيه عينه كأن يخرج قيمة الشعير حنطة أقلّ من صاع وكان ذلك من بدع عثمان [٢] .

وأمّا قدرها فصاع ، وما ورد من كفاية نصف الصاع فمحمول على التقيّة ، وفي كفاية أربعة أرطال من اللّبن خلاف ، والأحوط العدم [٣] .

وأمّا وقتها تجب بغروب الشمس من ليلة العيد وقيل بطلوع فجرها ، ولا دلالة في مستنده عليه ، ويمتدّ إلى ما قبل الخروج إلى العيد ، وقيل إلى ما قبل الصلاة ، وقيل إلى الزوال ، وقيل إلى آخر النهار ، وقيل ما دام العمر ، وقيل بوجوب قضائها بعد وقتها ، والأحوط أن يقصد بعد الخروج القربة إلاّ إذا عزلها قبل الخروج ، وقيل أوّل وقتها دخول الشهر وقيل غروب الشمس ليلة العيد ، والأحوط الثاني إلاّ أن يعطي قرضاً ويحاسب بها بعد دخول العيد قبل الخروج [٤] .

وأمّا مصرفها فالأحوط إن لم يكن أقوى أن يعطيها الفقير الغير الهاشميّ إذا

---

(١) التهذيب : ٤ / ٧٥ ح ٢١٠ ، والاستبصار : ٢ / ٤٢ ح ١٣٤ عن الحلبي عنهما الوسائل : ٩ / ٣٤٩ ح ١ .
(٢) التهذيب : ٤ / ٨٣ ح ٢٤٠ ؛ والاستبصار : ٢ / ٤٨ ح ١٦٠ باسنادهما إلى ابراهيم بن أبي يحيى ؛ علل الشرائع : ٢ / ٣٩٠ ح ٣ باسناده إلى علي بن الحسن بن فضّال ؛ عنها الوسائل : ٩ / ٣٣٤ ح ٧ .
(٣) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٤ . وراجع الوسائل : ٩ / ٣٣٢ ، الباب ٦ ، باب أن الواجب في الفطرة عن كل إنسان صاع من جميع الأقوات .
(٤) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٤ . وراجع الوسائل : ٩ /٣٥٣ ، الباب ١٢ ، باب أن وقت وجوب الفطرة إذا أهل شوال قبل صلاة العيد ، وعدم سقوط الوجوب بتأخرها عنها .....

كان المعطي غير هاشميّ وكذا الأحوط أن لا يعطي لكلّ نفس أقلّ من زكاة رأس وكذا الأحوط إن لم يكن أقوى أن لا يخرجها من بلدها [(١)]، هذا [(٢)].

والعمدة في مقصدنا في هذا المختصر أن يتفكّر العاقل في جعل هذا الحكم بأن جُعل لهذا البذل اليسير هذه الفوائد الجميلة الجمّة، فيشكر الله تعالى، ويرى أنّ البخل بذلك المال اليسير هل يمكن أن يجتمع مع التصديق بالدين، وما أخبر عنه سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلامة العقل؟

وكيف يمكن (مع) الايمان بأن يكون في بذل صاع من شعير فلاحاً لباذله، وأماناً من خطر الموت، وتماميّة للصوم والزكاة، وفي منعه خطر الموت، وردُّ الصوم كيف يمكن أن يبخل عنه صاحب العقل السليم ؟! بل ولا يمكن أن يترك فيه عن مالك دينه ودنياه في بخل هذا المقدار اليسير بعد هذا التأكيد والأخبار بفلاح الباذل في القرآن، وتقديمها على الصلاة في قوله تعالى: ﴿قَدْ أفلحَ مَن تَزَكّى * وذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ فَصَلّى﴾ [(٣)] كيف وهذا الّذي كلّفك ببذله ذرّة من عطاياه الكثيرة الجليلة الحاضرة عندك، ومع ذلك هو ضامن لرزقك ورزق عيالك، وقادر على منعك من عطاياه، إذا خالفت كتابه وحكمه، وهو مع ذلك يعدك الفلاح، وإتمام نقص الصوم والزكاة، ودفع خطر الموت الحاضر إلى تمام الأجل، ولعمري إنّ

---

(١) إقبال الأعمال: ١ / ٤٦٥. راجع الوسائل: ٩ / ٣٦٢، الباب ١٦، باب استحباب تفريق الفطرة على جماعة، عدم جواز إعطاء الفقير أقلّ من صاع......

(٢) لقد فصل الحر العاملي في الوسائل ما يختص بزكاة الفطرة في أبواب متعددة فمن أراد المزيد فليراجع الوسائل: ٩ / ٣١٧ - ٣٦٦.

(٣) الأعلى: ١٤ - ١٥.

هذا لا يكاد أن يكون إلاّ من ضعف الايمان والاسلام مع لئامة ووقاحة ، أو خذلان خاصّ من الله عقوبةً لذنب عظيم والعياذ بالله من جميع ذلك .

ومن أهمّ[1] أعمال اللّيلة زيارة الحسين عليه‌السلام وختمها بما يختم به اللّيالي الشريفة من تسليم الأعمال على خفير اللّيلة على ما ذكرناه في غيرها[2] .

❊ ❊ ❊

(١) في الأصل : ومن أهميات .

(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٤ . وقد وردت الزيارة في عدة مصادر ، منها : مصباح الزائر : ٢٥٤ ، المزار الكبير : ١٢٨ ، مزار الشهيد : ١٥٦ ؛ عنه البحار : ١٠١ / ٣٥٢ ح ١

الفصل العاشر

في مراقبات شهر شوّال المكرّم

روى في الفقيه أنّه نظر الحسن عليه السلام إلى الناس يوم العيد يضحكون ويلعبون فقال لأصحابه والتفت إليهم : «إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته ورضوانه ، فسبق فيه قوم ففازوا ، وتخلّف آخرون فخابوا ، العجب كلُّ العجب من الضاحك اللاّعب في اليوم الّذي يثاب فيه المحسنون ، ويخسر فيه المقصّرون ، وايم الله لو كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسيىء بإساءته»[1] .

و(زاد) في رواية أخرى : - «عن ترجيل شعر وتصقيل ثوب»[2] .

أقول : من الأهمّ التوسّل والاستشفاع من حامي اليوم وخفيره أوّل الطليعة والمبالغة في ذلك بقدر خطر أمر اليوم فانَّ خطره بقدر جميع أوقاته وحالاته من شهر رمضان ، لأنّه وقت ظهور الثمرة ، وإعطاء الجوائز ، وكشف الحجاب عن

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٧ - ٤٦٨ عن الفقيه : ١ / ٣٢٤ ح ١٤٨٣ مرسلاً ؛ الكافي : ٤ / ١٨١ ح ٥ بالاسناد إلى أبي الصخر أحمد بن عبد الرحيم ، رفعه إلى أبي الحسن عليه السلام ، مثله ؛ عنهما الوسائل : ١٠ / ٤٨٠ ح ٣.

(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٨ ؛ عنه البحار : ٩١ / ١١٩ ح ٧.

وجه القبول والردّ ، والرضا والسخط ، والقرب والبعد ، والسعادة والشقاوة ، يمكن للعبد السعيد أن يحسن أدبه في حضور هذا المقام ، ويعالج كلّ ما احتطب على نفسه في أيّام شهره ولياليه من الذنوب ، وأن يصلح كلّ ما ضيّعه من المكارم الإلهيّة والألطاف الربّانية ، والمراحم الرحيميّة والرحمانيّة .

وبالجملة يمكن أن يتدارك بلطف أدب الساعة كلّ ما قصّر فيه من مهامّ شهر رمضان ويبدّل سيّئاته بأضعافها من الحسنات ، وينال إلى رفيع الدرجات .

ويتأكّد الغسل وينبغي أن يكون في نهر ، وإن لم يمكن ففي الظلال وتحت الحائط استظهاراً للتستّر وأن يقول عنده : «**اللّهمَّ إيماناً بِكَ ، وتَصْدِيقاً بِكتابِكَ ، واتّباعِ سُنَّةِ نَبِيّكَ** صلى الله عليه وآله» وأن يسمّي ويغتسل ويقول بعد الفراغ : «**اللّهمَّ اجعَلْهُ كفّارةً لِذنوبِي ، وطَهِّر دِيني ، وأذهِب عنّي الدَّرن**[(١)] »[(٢)] .

ثمّ صلاة الفجر كما ينبغي ثمّ الشكر بعدها والدعاء بما روي عن الشيخ الجليل محمّد العمري قدّس سرّه العزيز[(٣)] .

ثمّ للمؤمن القائل بامامة صاحب الزمان - عليه الصلاة والسلام - حجّة الله ، إمام العصر ، وناموس الدهر ، سلطان الأمم ، عدل الله التامّ ، شمس الظلام ، والبدر التمام فرج الله القريب ، آية الله الكبرى ، وخليفة الله الأعظم ، الإمام ابن الإمام ، ابن الأئمّة ، ابن النبيّ ، ابن الأنبياء ، أرواح العالمين فداه ، والمصدّق بما وعد الله به من

---

(١) في المصدر والبحار : الدّنَس .

(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٧٥ - ٤٧٦ بالاسناد إلى أبي عيينة عن الصادق عليه السلام ، عنه الوسائل : ٣ / ٣٢٩ ح ٤ وذكر صدره ؛ البحار : ٩١ / ٥ ح ٢ .

(٣) إقبال الأعمال : ١ / ٤٦٨ - ٤٧٢ عنه البحار : ٩١ / ٢ - ٤ ح ١ . رواه الكفعمي في البلد الأمين : ٢٦٩ ، عنه البحار : ٩٨ / ٢٠٢ ح ١ ، ورواه في مصباح المتهجد : ٦٥٥ - ٦٥٨ .

نصرة الحقّ ، ونشر العدل ، ومحو الجور ، وبسط الفضل ، وظهور سلطانه على السلاطين كلّها ، ودينه على الأديان كلّها ، والناظر اليوم إلى غيبته ، وغصب أعدائه سلطنته ، وشدّة حال شيعته ورعيّته في سلطان هؤلاء الكفرة والفجرة ، وما يصل إليهم من قتل النفوس ، وهتك الأعراض ، وغصب الأموال ، وسوء الحال ، ومقام الذلّ والابتذال ، أن يتبدّل فرحه بالحزن الشديد ، وضحكه بالبكاء ، وعيده مأتماً ، يقرأ دعاء الندبة ، ويبكي بكاء الثكلى ويدعو لفرجه .

وبالجملة إذا أراد التهيّؤ للخروج ، يفطر بتمرة أوتميرات [١] قبل الخروج ناوياً امتثال أمر الله في الأفطار ، ويدعو بما ورد فيه من الدعاء فانّ فيه أيضاً ذكر إمامه صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه ، وليتأمّل في مضمون الدعاء فانّه صريح في انّ الخروج إلى الصّلاة وفادة إلى الله جلّ جلاله فليكن عليه سمة وفده تعالى ، فان قدر أن يتأدّب حقّ أدب هذا المقام بقدر عظمة الله ، ومعرفة منّة الله جلّ جلاله عليه في الاذن بالوفادة ، بل الدعوة إلى هذه الكرامة ، فليفعل ، ولكن هيهات هيهات للمخلوق الضعيف أن يستطيع أداء حقّ هذا المجلس من التواضع والهيبة والشكر إلاّ أن يأتي بما يقدر مع الاعتراف بمقدار القصور .

وإن ضعف عن إتيان مقدار قدرته في عمله فلا محالة من أن لا يكون حضور هذا المجلس أهون عليه من حضور مجلس سلطان زمانه ، بأن لا يغفل عن السلطان لا سيّما عند مخاطبته ، فلو علم سلطان من رعيّته أنّ قلبه مشغول عنه إلى غيره فلا محالة من أن يطرده من مجلسه ، ويمنعه عن حضوره ، ويحرمه من

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٤٧٨ باسناده إلى ابن أبي قرّة عن الرجل عليه‌السلام ؛ عنه الوسائل : ٧ / ٤٤٥؛ البحار : ٩١ / ١٢٤ ح ١٦ .

عطاياه ، ولا سيّما إذا كان هذا الغير الّذي هو مشغول به عدوُّ السلطان ، وعند ذلك يأخذه بأشدّ غضبه ، وأنت إذا تأمّلت فيما يشغلك عن ربّك لرأيته زهرة هذه الدُّنيا الّتي هي عدوّة لله ولأوليائه أو شيئاً من متعلّقاتها .

فاحذر من أن تهوّن هذا المجلس فانّه مقام كريم ، ومجلس عظيم ، حضّاره الملائكة المقرّبون ، والأنبياء والمرسلون ، والشهداء والصدّيقون ، وعباد الله الصالحون واخجل من أن يكون حضّار المجلس على أحسن الهيئات ، مطهّرين ، قدّسين ، مزيّنين على رؤسهم تاج الكرامة من مراقبة الله جلَّ جلاله،على أبدانهم خلع القبول من إقبال الله ، وقد البسوا قلوبهم شعار الاشتغال بالله ، أبدانهم لباس العصمة عن معصية الله ، وزيّنوا أيديهم بخاتم الامساك عن بسطها في معصية الله ، وانتعلوا بالمنع عن المشي فيما حرّمه الله . ورأسك مكشوف عن عمائم المراقبة ، وقلبك متدنّس بمحبّة عدوّ الله ، وبدنك عريان عن لباس الاعتصام عن مخالفة الله ، ويدك متختّم بخاتم الظالم على عباد الله ، ورجلك حاف عن المشي إلى طاعة الله [(١)] .

وكيف بك لو كشف عن بصيرتك الحجاب ، ورأيت بدنك متلطّخاً بقاذورات المعاصي ، وحقيقتك مبتلاة بأنواع الأدواء المشوّهة المنفّرة ، والصور القبيحة المنكرة ، والهيئة الفاضحة الخاسرة ، من البرص والجذام ، والزمانة والرزق وسائر الاسقام ، وهل تحضر وأنت بهذه الصفات والهيئة موائد الأطهار الأشراف المقدّسين والأعيان الأبرار المطهّرين من كلّ شين ، وببالي أنّك لو رأيت صورهم الباطنيّة ، وجمالهم الرُّوحانيّة ، وجلالهم الربّانيّة ، لامتنعت عن ملاقاتهم ،

---

(١) الى بيوت اللّه خ .

ملاقاتهم ، تخفّيت عن مجالسهم ، فضلاً عن حضور موائدهم ، بل ولو ضربوك ألف خشبة لم ترض أن تريهم نفسك ، وأنت بهذه الكثافة والرجاسة .

فانظر يا أخي على سوء حالك ، ووزرك ووبالك ، وتحقّق اضطرارك إلى ستره سوءتك ، وتغييره مساويك إلى المحاسن ، فراجع باب كرم الحضرة الإلهيّة ، وناده بيا أكرم الأكرمين ، ويامجيب دعوة المضطرّين ، ارحم ذلّي وذلّتي ومهانتي ممّا فعلت بنفسي وأنت أرحم بي من نفسي لا سيّما في مثل هذا اليوم الّذي دعوتني فيه إلى الوفود عليك وأنا ضيفك فلا ترض بافتضاحي بين أضيافك ، أصلح شأني وقدّم لي من خلعك على أهل ضيافتك ، ما أتستّر به عن قبائحي وفضائحي وأتجمّل به مع المتجمّلين من نواقصي في ملابسي .

وإن راجع ربّه عن حقيقة الاضطرار فمحال أن لا يجيبه ، وقد أنزل في ذلك قرآناً وقال عزّ من قائل : ﴿**أمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاهُ ويَكْشِفُ السُّوء**﴾[1] ولكنّ الكلام في تحقّق الموضوع ، لأنّ العامّة غالباً غافلون عمّا أوردوا على أنفهسم من الصفات الخبيثة ، والهيئات المنكرة ، وعمّا فيه أهل الفضائل والفواضل ، من الصفات الحسنة ، والهيئات الجليلة البهيّة ، والأحوال السنيّة ، حتّى يخجلوا ويضطرّوا عن وجه الحياء على ستر قبائحهم ، والتستّر عن فضائحهم ، وإن عملوا في ذلك شيئاً فعن اعتقاد ضعيف عن مسموعات اتّفاقيّة وذلك لا تؤثّر في الخجل والحياء مطلقاً فضلاً عن حياء مقتض للاضطرار .

وبالجملة لو تحقّق الحياء الموجب للاضطرار ، تحقّقت الإجابة ، وكشفت السوء ، علامته أن يكون في حضور عيده منكسر القلب ، خائفاً من الردّ ، وراجياً

---

(١) النمل : ٦٢ .

للعفو والفضل ، يبسط رجاءه وآماله إلى كرم الربّ ، ويخلط نفسه في عباد الله الصالحين في توقّع رحمته وعنايته ، ويدفع خوفه بأنَّ اليوم يوم إطلاق الجوائز وشمول الفضائل ، ولكن مع ذلك ينظر من طرفٍ خفيّ إلى عظمة جلال الله وعظيم جنايته ، ويكون عليه سمة المقصّرين اللائذين بأذيال عفو كريم العفو ، يكون كلُّ جدّه وهمّه في الاستغفار والاسترحام ، والاستكشاف آثار القبول .

ويلتجئ إلى خفرائه وحماته من المعصومين عليهم السلام في الشفاعة ، ويقسم على الله بحقّهم وجاههم عند الله أن يكرمه بعفوه ، ولا يحرمه من خاصّ فضله ، ولا يعرض عنه بوجهه الكريم ، وأن يقبله بهم ويعامله معاملة حزبهم ومواليهم ، وإذا تحقّقت هذه الأحوال يكشف عن شمول الفيض الأقدس (١) فليحمد الله على النجاة والخلاص من خطر الهلاك ، واليحذّر نفسه عن الغفلة والتعرّض للهلاك الدائم فيما بعد بحول الله وقوتّه .

ثمّ إنّ هذا الّذي ذكرت من الاضطرار إلى الستر ، لا يتحقّق إلاّ فيمن يرى بعين البصيرة قذارة الذنوب على جوارحه ، ورجاسة عيوب القلوب على وجه روحه ونفسه ، حقيقة لا مجازاً ، ورأى هذه القذارات والأرجاس أقذر وأنجس وأخبث من قذارات عالم الحسّ ، وأنتن من هذه الجيف الدنيويّة .

وليقدّر نفسه في حضرت سيّد المرسلين ، والأئمّة الطّاهرين ، والملائكة المقرّبين وسائر الأنبياء والمرسلين ، فكيف يكون حاله ؟ وببالي أنّ الانسان إذا ابتلى بعشر هذا الافتضاح يودُّ أن يخسف به الأرض ، ويخلص بذلك من هذه الفضيحة ، أما سمعت قول مريم الصدّيقة عند فرض الافتضاح بين هؤلاء العامّة

---

(١) الفيض القدسي خ .

قالت مع طهارتها عند الله عزَّ وجلَّ وأهل الملاء الأعلى : ﴿ياليتني مِتُّ قبلَ هذا وكُنتُ نَسْياً مَنسيّا﴾ [1] .

وكيف كان كلّنا مضطرُّون إلى ستر الله الجميل ولو هتك سترنا عنّا افتضحنا .

ومن جملة ستره الجميل هذه الصورة الانسانية ، فلو كشفها ورأى الناس صورتنا الواقعيّة لخزينا ، فانَّ صور الأرواح إنّما تناسب الأخلاق والصفات ، فمن كان الغالب عليه صفة الغضب مثلاً فصورة روحه صورة الكلب ، وهذه الصورة الإنسانيّة من جملة الأستار الإلهيّة على وجه روحه وحقيقته ، ستره عن أعين الناس لئلاّ يفتضح ، حتّى يعالج خلقه بدواء الحلم حتّى يصير الغضب شجاعة فيتغيّر صورة الكلب إلى صورة إنسان شجاع ، وهكذا ، ولذا كان السلف يتصفّحون كلَّ يوم صورتهم بالمرآة وغيرها حتّى يطمئنّوا عن المسخ والتغيّر وبقاء ستر الله ، وهذه الصورة الحقيقيّة قد يتراءى لبعض الأولياء ويرون الناس على هذه الصور .

وقد روي أنَّ علي بن الحسين عليه السلام كشف لبعض الرواة عن صورة الحُجّاج فما رأى فيهم على صورة إنسان إلاّ نفسين [2] .

---

(1) مريم : ٢٣ .

(2) روى في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام ص ٢٥٧ عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنه قال للزهري : «يازهري ما اكثر الضجيج وأقل الحجيج ؟ ! فقال الزهري : كلّهم حجاج أفهم قليل ؟ ! فقال : يازهري إدن إليّ وجهك ، فأدناه إليه فمسح بيده وجهه ثم قال : انظر ، فنظر إلى الناس قال الزهري : فرأيت أُولئك الخلق كلهم قردة لا أرى فيهم إنساناً إلاّ في كل عشرة ألف واحد من الناس . ثم قال : أُدن يازهري ، فدنوت منه فمسح بيده وجهي ، ثم قال : أنظر ، فنظرت إلى الناس قال الزهري : فرأيت أُولئك كلّهم خنازير ، إلى أن قال - : بأبي وأُمّي أنت يا ابن رسول الله قد أدهشتني آياتك وحيرتني ←

ثمّ إنّك إذا أردت أن تخرج إلى الصلاة مع إمام أو كنت أنت إماماً للنّاس فلك أن لاتغفل عمّا ورد عليك من المصيبة بغيبة إمامك حيث إنّ صلاة العيد من حقّه الخاصّ به وهي من مقاماته المعروفة .

إذا أسفرت في يوم عيد تزاحمت   على حسنها أبصار كلّ قبيلة

فأرواحهم تصبو لمعنى جمالها   وأحداقهم من حسنها في حديقة

وعندي عيديّ كلُّ يوم أرى به   جمال محيّاها بعين قريرة

فانظر إلى ما صار الحال حتّى تبدّل الصلاة مع الإمام عليه السلام بالصلاة معك وأمثالك وتفكّر في زمن حضوره ، واجتماع المؤمنين لصلاته ، وصلاتهم معه ، وقدّر في نفسك كيف كان حال المؤمن إذا كان الخطيب إمامه ، يزور جماله ، ويسمع كلامه ويتلقّى من علومه ؟

ثمّ انظر إلى ما ورد في الأخبار من بركات زمن حضوره وأنواره ، ونشر العدل ، طيّ الجور والبغي ، وعزّة الاسلام ، وحرمة القرآن ، ورواج الإيمان ، وتكميل العقول ، تزكية القلوب ، وتحسين الأخلاق ورفع الشقاق ، ودفع النفاق ، فناده بعالي صوتك ، وأعرض بلسان شوقك إلى مقدّس حضرته : «هل إليك يا بن أحمد سبيل فتلقى متى يتّصل يومنا منك بغده فنحظى ، متى نرد مناهلك الرويّة فنروى ، متى ننتفع من عذب مائك فقد طال الصدى ، مولاي ياسيّدي متى ترانا ونراك ، وقد نشرت لواء النصر ترى ، مولاي ، متى ترانا ونراك فتقرّ عيوننا

← عجائبك ، قال : يازهري ما الحجيج من هؤلاء إلاّ النفر اليسير الذين رأيتهم بين هذا الخلق الجم الغفير ... » عنه البحار : ٩٩ / ٢٥٨ ضمن ح ٣٦ ورواه أيضاً باختلاف في بصائر الدرجات : ١٠٥ باسناده إلى ابن كثير عن الصادق عليه السلام عنه البحار : ٢٧ / ١٨١ ح ٣٠ و ج ٢٤ / ١٢٣ ح ١ .

بزيارتك ، ونهتدي بهداك فتخبرنا عمّا أُشكل علينا من حقائق الأمور ، وتنحلّ بك العويصات ، ويرتفع بك الجهالات ، ويتمّ بك الكمالات .

سيّدي ومولاي ، يا أملي ورجائي ، ليت شعري إلى مَ تصير عاقبة أمري ؟ أتقرُّ عيني بنور جمالك ، وأروى من عذب وصالك ، أم أذهب بهذه الغصص إلى قبري وأموت بغصّة بعد غصّة ، وبحسرة بعد حسرة ؟ سيّدي يميتني طول فراقكم، يحينيي رجاء وصالكم ، وما أخبرتم به من علائم ظهوركم ، كيف ؟ لولا هذه المواعيد في الأخبار ، وما نترقّب به ظهوركم من الآثار ، صلوات الله وسلامه على من أحيانا بها وأخبرنا عنها لأنّها اليوم سبب حياة عبيدكم التائقين إليكم ، لمشتاقين إلى وصالكم ، ويقول لسان حال كلّ منّا .

أوعدوني أوعدوني وامطلوا　　　حكم دين الحبّ دين الحبّ لي

روحّ القلب بذكر المنحني　　　وأعده عند سمعي يا أخي

سيّدي لو لا ما وصل إلينا أنَّ الفرج بعد الشدَّة لكانت هذه الشدائد أشدَّ على قلوبنا ونفوسنا من أن نتحمّلها ، ولكن من أجل أنّها من علائم الفرج يهون علينا ، بل ربما نشتاق إليها لنصل بها إليكم .

سيّدي قد طالت المدد ، ومدَّ الأمد ، نتنظر أمركم ، ونحيى بذكركم ، ونتصفّح [1] آثار ظهوركم ، سيّدي ! اشتدَّ الأمر ، وكثر الظلم والجور «ظهر الفساد في البرّ والبحر» ولم ير مثل اليوم فساد في الأرض برّها وبحرها ، وانضمَّ إليها الهوى ، التهبت نيران الأهوية ، وأحرقت العالم ، خربت منها البلاد ، وفنى منها العمران ، وهلك الإنسان ، والحيوان والحيتان .

---

(١) وبتصفح خ.

سيّدي! عظم البلاء ، وبرح الخفاء ، وإليك المشتكى ، سيّدي ! فراقك وهجرك أعظم من جميع ذلك ، وإلاّ والبلاء معك نعمة ، والأذى دونك راحة ، سيّدي !

وتلافي إن كان فيه ائتلافي بك عجّل به جعلت فداكا

وبما شئت في هواك اختبرني فاختياري ما كان فيه رضاكا

فعلى كلّ حالة أنت منّي بي أولى إذ لم أكن لولاكا

مولاي !

لك في الحيّ هالك بك حيٌّ في سبيل الهوى استلذّ الهلاكا

عبد رقّ ما رقَّ يوماً لعتق لو تخلّيت عنه ما خلّاكا

بجمال حجبته بجلال هام واستعذب العذاب هناكا

مولاي ! يا أملي :

ذاب قلبي فائذن له يتمنّاك فيه بقية لرجاكا

اؤمر الغمض أن يمرَّ بجفني فكأنّي به مطيعاً عصاكا

فعسى في المنام يعرض لي الوهم فيوحي سراً إليَّ سراكا

ياحبيبي :

وإذا لم تنعّش بروح التمنّي رمقي واقتضى فنائي بقاكا

وحمت سنّة الهوى سنة الغمض جفوني وحرّمت لقياك

أبق لي مقلة لعلّي يوماً قبل موتي أرى بها من رآكا

آه :

أين منّي ما رمت هيهات بل أيـ ـن لعيني بالجفن لثم ثراكا

مولاي :

فبشيري لو جاء منك بعطف ووجودي في قبضتي قلت هاكا

سيّدي ومولاي ! يا إمامي :

بانكساري بذلّتي بخضوعي بافتقاري بفاقتي بغناكا

لا تكلني إلى قوي جلد خا ن فانّي أصبحت من ضعفاكا

سيّدي إذا تفكّرت في وصالك ، ولذّة لقائك ، وتأمّلت في أحوال من قرّبتهم من جوارك ، ومنحت عليهم من إفضالك ، وشرّفتهم بزيارة جمالك ، وأكرمتهم بتعليمك ، ومننت عليهم بسقي كاسات التوحيد ، وشرّفتهم بمقام الجمع مع أهل التوحيد.، كاد أن ينصدع قلبي من الحسرة ، وينشقّ فؤادي من الغيرة .

آه آه ، «أيا ويح قلبي من به مثل ما بيا» .

وياجلدي بعد النقا لست مسعدي ويا كبدي غير اللقاء فلتفتّت

سيّدي! ليس حال طالبي حضرتك كأحوال سائر المشتاقين ، لأنّ جمالك لا يقاس بجمال سائر المعشوقين ، وجلالك ليس كسائر الجلالات ، إذ ليس غيرك مطلوب ومحبوب هو علّة إيجاد محبّه وطالبه ، محتاج إليه في كلّ حاله في جميع شؤونه،ل ليس في عالم الحسّ جمال إلاّ وهو مظهر شيء من جمالك ، ولا جلال إلاّ وهو أثر من آثار جلالك

ولو أنَّ كلَّ الحسن يكمل صورة ورآك كان مهلّلاً ومكبّراً

لأنّ جمالك مظهر جمال الله الجميل ، وجمال غيرك من مظاهر جمالك ، وهكذا جلالك مظهر جلال (الله) الجليل ، وجلال غيرك مقتبس من جلالك ، وأنت أصل كلّ جمال وجلال ، وأنت المراد بأبهى البهاء ، وأجمل الجمال ، وأجلّ الجلال في دعاء السحر ، وأنت نور الله الأنور ، وضياؤه الأزهر .

وأيضاً ، ليس هجرك وقلاك مثل هجر غيرك من المطلوبين ، لأنّ مهجور غيرك ينسب الهجر إلى المطلوب ولاملام عليه في هجر محبوبه إيّاه ، ومهجورك ملام في نفسه ، وملام عند الناس ، ولا سلوة له ، لأنّه لا يمكن أن ينسب إليك أنّك غير وفيّ ، أو أنّك غير محبّ لمحبّك ، وجميع محبيّك يعتقدون أنّ حبّك ، ووفاءك أكثر من حبّهم ووفائهم ، فاذا هجرتهم يكشف ذلك عن تقصيرهم ، وقصور حبّهم يكشف عن عدم تمييزهم ومعرفتهم ، فمهجورك أخسر الخاسرين إلاّ أن يسلّي نفسه بالتسويف ، وصلاح زيادة الثواب ولكن أيُّ ثواب عند المحبّ أعظم من لقائك .

مولاي ! فداك جميع من سواك ، بنفسي أنت من أثيل مجد لا يحاذى [1] ، بنفسي أنت من نصيف شرف لا يساوى ، إلى متى أحار فيك يامولاي ؟ وإلى متى ؟ أيّ خطاب أصف فيك وأي نجوى ، عزيز عليَّ أن أرى غيرك متصرّفاً في مملكتك ، حاكماً في رعيتك ، بل في أهلك ، بمرأى منك ومسمع ، وهم يلوذون ويستغيثون بك فلا يجابون .

سيّدي ! هذا ممالكنا دخلت بها الكفّار من غير إذننا ، يحكمون فينا وفي أنفسنا وأموالنا بما يريدون ، وهذا سلطاننا فهو كالأسير الممتهن ، فيالله من هذه

---

(١) لا يجارى خ .

المصائب الفجيعة ، والشدائد المهلكة ، فانّا لله وإنّا إليه راجعون ، من مصيبة فقدك وطول غيبتك ، وقد صار حال شيعتك كقطائع غنم غاب عنها راعيها ، وشدّت عليها الذئاب من كلّ جانب ، تأخذ منها ما تريد أكله ، وتقتل [1] الباقي لما بعدها .

سيّدي ! هذه مصائبنا والّذي يصل إليك منها أوجع لنفوسنا ، وأولم لقلوبنا ممّا يصل إلينا ، لأنّا نعلم رأفتكم لشيعتكم ، وغيرتكم ورقّة قلوبكم ، أليس جدّك أمير المؤمنين يشكو ممّا أخذه عسكر معاوية ابن أبي سفيان من خلخال الذمّيّة ويقول: لو مات المسلم من هذا الأمر لم يكن عندي ملاماً» . فكيف بكم إذا علمتم ما يفعل بالمسلمات من السبي ، وقطع الشعر والثدي ، ساعد الله قلبك يا مولاي ، إلى الله المشتكى وإلى سيّد الورى محمّد المصطفى وإلى عليّ المرتضى، سيّدة النساء وإلى إبائك الطاهرين أئمّة الهدى ، وليوث الوغا ، وإلى حمزة سيّد الشهداء ، وإلى الطيّار في الملاء الأعلى ، من هذا الخطب العظيم،الشأن الفظيع .

فأغث ياغياث المستغيثين ، عبيدك المبتلين ، وأرهم سيّدهم يا أرحم الراحمين وأزل عنهم به ظلم الظالمين ، وسلطان الكافرين ، وكيد المخالفين ، وعجّل فرجهم بفرج وليّك سلطان السلاطين ، سيد الخلائق أجمعين ، واملا الأرض قسطاً وعدلاً وقد ملئت ظلماً وجوراً .

وأقرّ عيون المؤمنين بجمال وليّ الدّين ، وأوفر نصيبهم بظهور جلاله في العالمين ، وأظهر عدلك الأعظم ، وسلطانك الأجلّ الأفخم ، فأقم به الحقّ وأدحض (به) الباطل ، وأدل به أولياءك ، وأذلل به أعداءك ، وانتقم به من ظالمي أوليائك ، ومعاندي أصفيائك ، وعجّل باظهار ما وعدته من نصر المؤمنين ،

---

(١) تبق ظ .

وعاقبة المتّقين ، يا أصدق الصادقين ، ويا أقدر القادرين .

وبالجملة إذا غاص السالك في هذا البحر ، واهتمّ بهذا الأمر ، وتضجّر من هذه الضواجر ، لابدّ أن يتغيّر حاله ، ويتبدّل فرحه بالحزن ، وعيده بالمأتم ، ويحضر المصلّى مع حسرة وانكسار ، والله تعالى عند القلوب المنكسرة ، وإذا انضمّ إليها حسرة الجهات السابقة ، من جهة استشعار النواقص الباطنيّة ، والأكدار الروحانيّة وخرج من بيته إلى المصلّى مشتغلاً بالدعاء المأثور في الطريق ، تمّ له عند ذلك أسباب الالتجاء ، إلى باب الفضل والكرم والجود ، من مالك النفوس والأرواح والوجود .

ويجعل صلاته تحت السماء[(١)] ناوياً بذلك استظلاله في ظلّ عناية الله ، ويقعد على التراب ناوياً بذلك التذلّل لربّ الأرباب[(٢)] ، والانتقال من المعصية إلى الطاعة ، ومن التكبّر إلى التواضع ، ومن رؤية النفس إلى مقام الفناء ، ليكمل عند ذلك روح التوجّه في الصلاة لأنّ التوجّه والاستقبال عبارة عن الانقطاع الكلّيّ عن الكلّ والتوجّه بالكلّ إلى وليّ الكل ، ومالك الكلّ ، وخالق الكلّ ، ويستقيم معنى القيام على القدمين أيضاً من الخوف والرجاء ، والرغبة والرهبة .

فليجتهد في تحصيل روح التكبير فانّ صلاة العيد فيها زيادة اهتمام لأمر التكبير،لاتنس ما قاله الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة من قوله : «فانّ الله إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر ، وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره ، فقال : ياكذّاب أتخدعني ! وعزتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ، ولأحجبنّك عن قربي

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٤٨٦ باسناده إلى سليمان بن حفص عن الرجل عليه السلام .
(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٨٧ .

والمسرّة بمناجاتي»[(١)] .

ثمّ إنّه من مهمّات[(٢)] هذه الصلاة وهذا الخروج أن يكون الخارج عارفاً بما أُريد منه من هذا الخروج ، ومن هذه الصلاة ، وما يناسب أن يكون عليه من الأحوال والمراقبات مع الله جلّ جلاله ، وذلك أنّ التكليف بالصلاة كلّها وإن كان من باب العناية واللطف وإحضار العبيد لمقام الحضور إلاّ أنّ بعضها تختصّ بزيادة جهة الرهبة ، وبعضها لمحض إنجاز الرغبة ، مثلاً صلاة الآيات أيضاً شرّعت بالعناية واللطف ولكن في مقام خوف الغضب ونزول البلاء ، لتحصيل الأمن من شمول البلاء ، ودفعها بالصلاة ، وصلاة العيد ليس إلاّ لأخذ الجوائز ، وتكميل النواقص ، إعطاء المواهب .

وبالجملة أصل بناء هذا المقام وتشريع العيد والخروج إلى الصلاة من أجل إظهار الرأفة والرحمة ، وبسط الجود والكرم والافضال للرعيّة ، والاذن العامٌ في هذا المقام يقتضي طيّ بساط القهر والغضب ، ونشر ألوية ألطاف الربّ ، ولا يناسبه الخوف والرهبة ، وإن كان على العبد ذنوب العالمين ، ويحسن في هذا الموقف إحسان الظنّ بالله ، والرجاء لعظيم منح الله ، وكريم عطاياه ، فبقدر حسن الظنّ بالله ، واللطف في الاستعطاف ، التأدّب بأدب الثقة بمواعيد الله تعالى ، يزاد فيه الجوائز ، ويستمطر سحائب الجود ، ويظهر اسم السعود .

وليس في أمثال المقام للعبد مظنّة خوف وغضب إلاّ لمن أساء ظنّه بمواعيد الله ولم يقو رجاءه بفضل الله ، واحتمال أن ينقص شمول ألطاف الله لمثله ، فهذه

---

(١) مصباح الشريعة : ٨٧ - ٨٨ .
(٢) في الأصل : من أهميات .

الأمور في هذه المواقف مظنّة الحرمان ، والاعراض عنه بالعطف والاحسان .

فيجب بحكم العقل والأدب والإيمان ، أن يكون رجاء العبد إلى الصفح والعفو والافضال ، وبلوغ الأمانيّ والآمال ، أقوى من خوف الأخذ والخزي والنكال ، يخلط نفسه في عباد الله الصالحين ، وإن لم يكن منهم ، ويتوجّه إلى حضرة القدس بوجوه أوليائه المتشرّفة عنده وإن كان وجهه خلقاً مظلماً من ظلم المعاصي ، فانّه تعالى لا يناقش في هذا اليوم في ذلك ، لأنّ تعميم الاحسان في أمثال المقام لا يخالف الحكمة ، فلا مانع من شمول النوال ، وبسط الجود والإفضال .

وبالجملة يحضر المصلّى بعد هذه التأثّرات ، مع الاستحياء ، وعظيم الرجاء وينظر من طرف خفيّ من الحياء ، وعين ممدودة بالرجاء ، ويصلّي بآدابها وشروطها إن شاء جماعة وإن شاء فرادى [(١)] ، بما يقتضيه حاله برعاته الاخلاص ، وإن قدر على الجماعة فهي أولى وإن صلّى فرادى يختار أن يصلّي ركعتين ، أو أربع ركعات يقرأ في الأوّلتين سبّح اسم والشمس وفي الآخرتين والضحى وقل هو الله أحد ، يكبّر في الأولى سبع تكبيرات : تكبيرة الاحرام ، وخمس بعد القراءة يقرأ بعد كلّ منها الدّعاء المعروف : «اللّهمّ أهل الكبرياء» الخ فيكبّر للركوع ، وإن شاء غيره من الدعاء وإذا فرغ من الصلاة كبّر بالتكبير المذكور ، وسبّح تسبيح الزهراء صلوات الله عليها ، ودعا بالدعاء الّذي رواه عقيب الصلاة وهو دعاء جامع جدّاً [(٢)] .

---

(١) إقبال الأعمال : ١ / ٤٨٨ باسناده إلى محمد بن أبي قرّة عن الإمام الصادق عليه السلام ؛ عنه الوسائل : ٧ / ٤٢٥ ح ٤ .

(٢) إقبال الأعمال : ١ / ٤٩٥ - ٥٠٤ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٢٠٥ - ٢١٠ ح ٢ .

ثمّ يراقب اليوم بذكر ودعاء ، ويكثر منه ، لارسال الشّياطين الّذين كانوا في شهر رمضان محبوسين مغلولين عن إغراره وإغوائه ، ولعلّه يتخلّص منهم بالدعاء والتضرُّع إلى الله جلّ جلاله في حفظه عن شرّهم .

ثمّ يقرأ دعاء الندبة عن حضور القلب فانّ فيه من علم معاملته جلّ جلاله مع أنبيائه وأوليائه ، وأدب معاملة الرعيّة مع الإمام ، حظّاً كاملاً لأهل اليقظة .

ثمّ يختم يومه بما ختم به الأيّام الشريفة من التوسّل والاستشفاع ، والتفويض بخفير يومه من المعصومين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا يسامح في ذلك فانّه من مهامّ الأمور .





في ذكر شهر شوال

عن النبي صلى الله عليه وآله : سمّي شوّالاً لأنّ فيه شالت ذنوب المؤمنين ، أي ارتفعت [1] .

في «الاقبال» : «إنّ الدخول في شهر شوّال فهو كما قدّمناه من الدخول في [شهر] رجب ، فإن ظفرت به ففيه بلاغ في المقال ، فإن لم تظفر بما أشرنا إليه فليكن دخولك في شهر شوّال دخول المصدّقين ، فانّه شهر حرام ، له حقُّ التعظيم بالمقال والفعال ، كمن دخل في دروب مكّة إلى مسجدها الأعظم ، فلابدَّ أن يكون لدخوله كيفيّة على قدر تصديقه صاحب المسجد المعظّم ، فاجتهد أن يكون قلبك وعقلك مصاحباً له بالتعظيم ، وجوارحك محافظة على سلوك السّبيل المستقيم ، فمن عادة المملوك المؤدَّب الكامل أن يكون موافقاً لمالكه في سائر مسالكه» [2] انتهى .

نقلناه بطوله لما فيه من الفوائد ، ولكن ما فيه من كون شوّال شهر حرام خلاف المشهور بل الّذي يفهم من كلمات بعض الأعلام عدم وجود القائل به ، حيث ذكر في قبال القول المشهور القول بأنّ أشهر الحرم من عشر ذي الحجّة إلى عشر من ربيع الآخر .

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ١٤ .

(٢) إقبال الأعمال : ٢ / ١٥ - ١٦ .

نعم روي في الوسائل ما فيه عدّ شوّال من (أشهر) الحرم وإخراج محرّم منها[١]، يحتمل بعيداً أن يكون عبارة السيّد «فانّه شهر إحرام» وكيف كان يكفي في لزوم تعظيمه كونه شهر إحرام لزيارة بيت الله لأنّه لابدَّ أن يكون له خاصّة اقتضت كونه من أشهر الحجّ ووقتاً لتشريع نسك الحجّ والزيارة فيه ، وهذا الأمر من مهامّ الأمور عند العبد المراقب في معاملة مولاه .

ثمَّ إنّه ورد في الأخبار صوم ستّة أيّام بعد العيد ، ولكن في أخبار أُخر أنّه لا صيام ثلاثة أيّام بعد العيدين فيحمل هذه الستُّ إلى ما بعد ثلاثة أيّام[٢] .

وروي أيضاً أنَّ صوم شهر رمضان وشوّال وكلِّ أربعاء وخميسين ، بدل صوم الدهر ، ومن صامها دخل الجنّة[٣]

❊ ❊ ❊

---

(١) روى الحر العاملي في الوسائل : ٩ / ٣٦٣ ح ١ ؛ باب ٢٩ من أبواب مقدمات الطوا ف ؛ عن الكافي : ١ / ٢٣١ باسناده إلى زرارة عن أبي جعفر عليه‌السلام في حديث أنه قال : «ما خلق الله عزّ وجلّ بقعة في الأرض أحبّ إليه منها ، ثم أومأ بيده نحو الكعبة ، ولا أكرم على الله عزّ وجلّ منها لها حرّم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السموات والأرض ثلاثة متوالية للحج : شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وشهر مفرد للعمرة رجب » .

(٢) إقبال الأعمال : ٢ / ١٥ .

(٣) إقبال الأعمال : ٢ / ١٥ .

الفصل الحادي عشر

في مراقبات شهر ذي القعدة الحرام

أقول : هذا أوّل أشهر الحرام الّتي حرّم فيها القتال مع الكفّار ، والعاقل يتنبّه من ذلك (إلى) حكم المحاربة والمخالفة مع الله جلَّ جلاله ، فاجتهدي يا نفس في حفظ قلبك وبدنك في هذه الأشهر زيادة على ما يجب في سائر الشهور ، من مخالفة الله جلَّ جلاله ، في شيء من أحكامه ، بل في الرضا على قضائه ، فيما يقتضيه لك من البلايا والمصائب ، فانّه شهر حرام يزايد حرمته على سائر الشّهور بما منع الله تعالى فيه المحاربة مع الكفّار ، فليكن حفظك بحرمته من قبيل ترك المخالفة وبسط الرّضا معه جلّ جلاله فانّه ربٌّ شكورٌ يشكر لرضاك برضاه عنك ، إن علمت شرف رضاه ، رضيت في تحصيله أن تقتل وتقطّع أعظاؤك إرباً إرباً ولا يفوتك هذا الشرف .

وأحدث في ذلك توبة صادقة عمّا كنت عليه قبل دخول هذا الشهر فإن عملت بما روي من عمل التّوبة في يوم الأحد من الشّهر المذكور تنال ما فيه من الفضل المذخور ، وذلك ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه خرج يوم الأحد في شهر ذي القعدة فقال : يا أيّها النّاس من كان منكم يريد التّوبة ؟ قال الراويُّ : قلنا كلّنا نريد

التوبة يارسول الله ، فقال عليه السلام : اغتسلوا وتوضّأوا وصلّوا أربع ركعات واقرأوا في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرّة ، و﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاث مرّات والمعوّذتين مرّة ثمّ استغفروا سبعين مرّة ، ثمّ اختتموا بلا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ، ثمّ قولوا : ياعزيز ياغفّار اغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فانّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت» .

ثمّ قال عليه السلام : ما من عبد من أمّتي فعل ذلك إلاّ نودي من السّماء : ياعبد الله استأنف العمل فانّك مقبول التوبة ، مغفور الذنب . وينادي ملك من تحت العرش : أيّها العبد بورك عليك ، وعلى أهلك وذرّيّتك ، وينادي مناد آخر : أيّها العبد ترضي خصماؤك يوم القيامة . وينادي ملك آخر : أيّها العبد تموت على الإيمان ولا يسلب منك الدين ، ويفسح في قبرك وينوّر فيه ، وينادي مناد آخر : أيّها العبد يرضى أبواك وإن كانا ساخطين ، ويغفر لأبويك ولك ولذرّيّتك ، وأنت في سعة من الرزق في الدنيا والآخرة ، وينادي جبرئيل عليه السلام : أنا الّذي آتيك مع ملك الموت وآمره أن يرفق بك ، لا يخدشك أثر الموت إنّما يخرج الرّوح من جسدك سلا :

قلنا : يارسول الله صلى الله عليه وآله لو أنّ عبداً يقول هذا في غيرها فقال عليه السلام مثل ما وصفت ، إنّما علّمني جبرئيل هذه الكلمات أيّام أسرى بي [(١)] .

أقول : قال الباقر عليه السلام : إنّ الله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها [(٢)] ، هذا .

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٢٠ ـ ٢١ ؛ عنه المستدرك : ٦ / ٣٩٦ ح ٣٦ .

(٢) الكافي : ٢ / ٤٣٥ باسناده عن أبي عبيدة ؛ عنه البحار : ٦ / ٤٠ ح ٧٣ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لقائل (قال) بحضرته : أستغفر الله : ثكلتك أمّك ، تدري ما الاستغفار ؟ إنّ الاستغفار درجة العلّيّين ، وهو اسم واقع على ستّة معان **أولها:** النّدم على ما مضى ، **والثاني:** العزم على ترك العود عليه أبداً، **الثالث:** أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتّى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة ، **الرابع:** أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها تؤدّي حقّها ، **والخامس:** أن تعمد إلى اللّحم الّذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد ، **السادس:** أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول : أستغفر الله [(١)].

أقول : شرح حقيقة التوبة وتفصيل ما عنه التوبة وكيفيّتها يطلب من محلّها [(٢)] ويكفي هنا ما أشرنا إليه .

ثمّ من خصائص أشهر الحرم ما روي عن المفيد عليه الرحمة أنّه قال : [قال] رسول الله صلى الله عليه وآله : من صام من شهر حرام ثلاثة أيّام الخميس والجمعة والسبت ، كتب الله له عباده سنة [(٣)]. وروي تسعمائة سنة صيام نهارها وقيام ليلها [(٤)].

أقول : هذه الرواية لا تنافي رواية ثلاثة أيّام الشهور : الخميسان والأربعاء نعم لو صام خميسين وأربعاء وجمعة لا يبعد أن يكفي في العمل بهما ، هذا .

ومن مهامّ هذا الشهر عمل ليلة النصف منه روى سيّدنا قدّس الله سرّه

---

(١) البحار : ٦ / ٣٦ ح ٥٩ ، عن نهج البلاغة .
(٢) راجع البحار : ٦ / ١١ ، الباب ٢٠ في التوبة وأنواعها وشرائطها .
(٣) إقبال الأعمال : ٢ / ٢١ .
(٤) إقبال الأعمال : ٢ / ٢١ .

العزيز في «الاقبال» عن أحمد بن جعفر بن شاذان قال: روي عن البني صلى الله عليه وآله أنّ في ذي القعدة ليلة مباركة وهي ليلة خمس عشرة، ينظر الله إلى عباده المؤمنين فيها بالرحمة،جرُ العامل فيها بطاعة الله أجرُ مائة سائح له لم يعص الله طرفة عين، فإذا كان نصف اللّيل فخذ في العمل بطاعة الله والصلاة وطلب الحوائج، فقد روي أنّه لا يبقى أحد سأل الله فيها حاجة إلّا أعطاه[(١)] .

أقول: لو أخبر إنسان عن إنسان بمثل هذه المواعيد لأحد، لا أظنُّ أن يهمله، لا سيّما إذا ظنَّ للواعد أمثال هذه الكرامات، بل يكفيه الاحتمال لخطر الأمر كيف ولو قدّر العبد أجر مائة سائح لم يعص الله طرفة عين، لوجده أمراً عظيماً لا يقاس بشيء من ملك هذه الدنيا، وسعاداتها وبهجاتها، بل ولا يخطر على قلب أهل هذا العالم، ما فيه من الكرامة، والسرور والحبور، وإذا عظم الخطر يحكم العقل بالبعث ولو بالاحتمال الضعيف؛ كيف وأخبار التسامح يكفي في اعتبار العمل بهذه الرواية.

فانظر إلى شوقك ورغبتك في تحصيل عروض هذه الدنيا الدنيّة الّتي لا بقاء لها، شوبة بالأكدار، ومانعة عن الأنوار، كيف جدّك في الوصول إليها واقتنائها تترك باحتمال مّا وطنك وراحتك، وتسافر عن الأوطان، وتهاجر الأولاد والنسوان وتقطع الفيافي، وتركب البحار، وتسير في الأشجار، وغاية أملك أن تنتفع مثلاً من هذه الأسفار ألف دينار وأنت مبتلى في نيل هذا الأمل باحتمالات كثيرة حاكمة بعدم الوصول إلى المأمول، بل الوقوع في المحذور، من هلاك المال، وسوء الحال بل، وتلف النفس وضياع العرض وأنت مع ذلك كلّه لا تجوّز

(١) إقبال الاعمال: ٢ / ٢١.

القعود عن تحصيل المطلوب ، والجدّ في السعي بهذه المعاذير .

وكيف لا ترغب في تحصيل النّعم الأُخرويّة الباقية ، الخالصة عن الأكدار ، الخالية عن الاحتمالات المذكورة ، لا سيّما بعد ورود أخبار التسامح ؟ فلا يبقى عذر من جهة عدم اعتبار الأخبار الواردة في ثواب الأعمال وليس غير ذلك احتمال آخر لتخلّف النعم الأخرويّة إلاّ من جهة العامل ، وعدم جدّه في تصحيح عمله ، وهو أمر بيده ، فلا تخلّف حقيقة في العمل للآخرة عن مثوباتها ، وهل بقي لترك العمل علّة إلاّ ضعف الإيمان ، أو مرض القلب من حبّ الدّنيا .

وبالجملة العمل في هذه اللّيلة من جهة قلّة العامل به لعدم اشتهاره ، له خصوصيّة ليس في غيره من أعمال اللّيالي المشهورة ، وهذه من المهمّات [١] عند المراقبين لأنّ الذكر عند غفلة العامّة من مهامّ المراقبات ، وأسرع للإجابة ، وأقرب للقبول ، أزيد في الأجر ، وأعظم عند الله ، فبادر إلى إجابة المنادي إلى كرامة الله جلّ جلاله بكمال الجدّ والشوق ، واغتنم الفرصة واستيقظ عن نومتك ، فسيأتيك عن قريب داهية الموت الّذي لاتقدر بعدها إلى تحصيل شيء يسير من هذه الفوائد الجليلة ، وتستيقظ عند معاينة ناصية ملك الموت ، وتستمهله سنة ويقول لك قد فنيت السنين ، وتقول : يوماً ، ويقول : فنيت الأيّام ، وترضى بساعة ولا يمهلك ، تموت بحسرة بعد حسرة ، عن تفويت أيّام الفرصة ، وتضييع زمان المهلة ، فيالها حسرة ما أعظمها وغصّة ما أشدّها ، هذا .

والعمدة في هذا الشهر العلم بما أنعم الله به على البشر يوم دحو الأرض ، فانّ العلم بالنعمة ومقدارها كمّاً وكيفاً أوّل مراتب شكرها ، كما ورد به النصّ

(١) في الأصل : من الأهميات .

وحقّق في علم السرّ.

وقد ورد في الأخبار الكثيرة أنَّ [في] الخامس والعشرين من ذي القعدة نصبت الكعبة، ودحيت فيه الأرض، وهبط فيه آدم، وولد فيه الخليل وعيسى عليهما السلام [1]، نشرت فيه الرحمة [2].

ومنها عن أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: [إنّ] أوّل رحمة نزلت من السماء إلى الأرض في خمس وعشرين من ذي القعدة. ومن صام ذلك اليوم وقام تلك اللّيلة فله عبادة مائة سنة، صام نهارها وقام ليلها، وأيّما جماعة اجتمعت ذلك اليوم في ذكر ربّهم عزّ وجلّ لم يتفرّقوا حتّى يعطوا سؤلهم، وينزل في ذلك اليوم ألف ألف رحمة [يصنع] منها تسعة وتسعون [الف] في حلق الذاكرين والصائمين في ذلك اليوم والقائمين تلك اللّيلة [3].

وروي أنّه يصلّي في هذا اليوم ركعتين عند الضحى بالحمد مرّة، والشّمس وضحيها خمس مرّات، ويقول بعد التسليم: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم ويدعو ويقول: «يامقيل العثرات أقلني عثرتي، يامجيب الدعوات أجب دعوتي،اسامع الأصوات اسمع صوتي، وارحمني وتجاوز عن سيّئاتي وما عندي ياذا الجلال والإكرام» [4].

---

(١) الفقيه: ٢ / ٥٤ ح ٢٣٨ باسناده عن الحسن بن الوشّاء عن الإمام الرضا عليه السلام؛ عنه الإقبال: ٢ / ٢٤، ثواب الأعمال: ١٠٤ ح ١ عنهما الوسائل: ١٠ / ٤٤٩ ح ١.

(٢) الكافي: ٤ / ١٤٩ ح ٤ باسناده إلى محمد بن عبد الله الصيقل عن الإمام الرضا عليه السلام؛ عنه الإقبال: ٢ / ٢٣؛ التهذيب: ٤ / ٣٠٤ ح ٩٢٠ مثله؛ عنهما الوسائل: ١٠ / ٤٥٠ ح ٥.

(٣) إقبال الاعمال: ٢ / ٢٦ – ٢٧؛ عنه الوسائل: ١٠ / ٤٥١ ح ٧.

(٤) إقبال الأعمال: ٣١٤، فصل في صلاة غريبة في هذا اليوم، الطبعة الحجرية، الطبعة الثانية – ١٣٩٠ هـ، منشورات دار الكتب الإسلامية – طهران. عنه الوسائل: ٨ / ١٨٢ ح ١ ←

ويستحبُّ أن يقرأ بما روي فيه من الدعاء الّذي أوّله : ياداحي الكعبة [1] .

وأمّا معرفة نصب الكعبة ، ودحو الأرض ، اعلم أنّ لهذه النعمة صورة وحقيقة أمّا صورتها فهي [ما] أشار إليها في «**الإقبال**» أنّ الله تبارك وتعالى بنى في هذا اليوم الأرض لسكنى بني آدم وعيشه ، والأرض وما فيها من النعم حتّى أبداننا وأرزاقنا كلّها قد انتشرت ممّا نزل في هذا اليوم من الرحمة ، فكلُّ نعمة في الدنيا على أجناسها وأنواعها وأصنافها الّتي لا يقدر على إحصائها أحد إنّما نزولها وانتشارها في هذا اليوم .

فعلى العبد المراقب لمولاه ، المريد لشكر نعمه ، أن يتفكّر فيما ينتهي إليه فطنته من نعمه العظيمة الفاخرة ، والّتي أنعم بها عليه بخلق الأرض وما عليها .

مثلاً يتفكّر أوّلاً في داخل بدنه من نعم الله تعالى ، وهي من كثرتها ولطفها لا يبلغها علمه قطعاً ومن أراد تصديق ذلك فليراجع إلى علم التشريح ، وقد رأيت من تأليفات متأخّري الافرنج ما تحتوي لعكوس تشريحات الأعضاء ، وكان فيها عكوس ما في حجب كلّ عضو عضو مصبوغاً بألوان يبيّن العروق والسواقي الدقيقة ورأيت فيها من كثرة المدارات والسواقي والعروق وسائر الأجزاء ما يبهر

← وقد سقط هذا الحديث أو بالأحرى هذا الفصل من الطبعة الحديثة المحقّقة من قبل المحقّق جواد القيّومي الاصفهاني ومن منشورات مكتب الإعلام الإسلامي المطبوع في عام ١٤١٥ هـ، وقد كان هناك إشكال في الطبعة الحجرية حيث ورد هذا الفصل ضمن فصل [١٤] «فيما نذكره مما ينبغي أن يكون عليه المكلّف عليه في اليوم المشار إليه» حيث قطع كلام فصل [١٤] وذكر الصلاة ضمن فصل خاص ، وبعد الانتهاء منه عاد إلى تكملة الفصل [١٤] فوقع الاشتباه في الطبعة الحديثة حيث ذكر فصل [١٤] بصورة كاملة صحيحة ، ولكنه لم يذكر فصل في «صلاة غريبة في هذا اليوم» بعد فصل [١٤] والله العالم .

(١) مصباح المتهجد : ٦٦٩ ؛ عنه إقبال الأعمال : ٢ / ٢٨ - ٢٩ .

عقل اللّبيب والطبيب ، حيث يرى لكلّ ذلك دخلاً في صحّة مزاج ذلك العضو بلا واسطة أو بوسائط ، وبواسطتها في صحّة مزاج الإنسان ، فالمحسوس منها يزيد على الكرورات ويعلم منها أنَّ غير المحسوس أزيد من المحسوس .

هذا كلّه صنف واحد من النعم البدنيّة ، ولها أصناف أخرى لعلّها أكثر عدداً وأعجب أمراً من ذلك .

منها القوى الغير المرئيّة الّتي هي عمّالة في هذه الأجزاء باحداث وتحريك ، تصوير ، وتغذية ، وتنمية ، وهضم ، ودفع ، وغيرها من ضروريّات التأثيرات الخارجيّة .

ومنها كلّيّات عوالم ملكوت هذه القوى ، وما تحتها من جنودها ، وسياسة تدابيرها في بروز تأثيراتها في أفعالها ، ونتائجها المقدَّرة بكمّ خاصّ ، وكيف مخصوص ، ناسب مواردها باختلاف الأزمنة والأمكنة ، والواردات الداخليّة المنبعثة من الحركات المزاجيّة ، والأخلاقية الطبيعيّة ، والمكتسبة والخارجيّة الّتي لا يعلم عدد أجناسها وأنواعها وأصنافها إلاّ ربّ العالمين ، أو من علّمه ، فضلاً عن إحصاء أفرادها ، ولو عرف الإنسان كيفيّة ارتباط العوالم بعضها ببعض ، ظهر له انَّ لجميع هذه العوالم دخلاً في كمال صحّة كلّ عضو من أعضاء البدن ، بل كلّ جزء من أجزاء ذلك العضو ، فيصحُّ عنده أنَّ المنعم تعالى إنّما أنعم عليه في نعمة جزئيّة واحدة بهذه التفاصيل الغير المحصورة كلّها .

ثمَّ إذا أراد أن يتفكّر في النعم الخارجيّة من مآكله ومشاربه وملابسه ، وما يتصرَّف فيه أعضاء بدنه ، وحواسّه الظاهرة والباطنة من العوالم آمن بقوله تعالى :

﴿وإن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحصُوها﴾[1] وقوله تعالى : **﴿ومَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلّا هُوَ﴾**[2] إيماناً حقيقياً فانَّ من جزئيّات ما يتصرَّف فيه الانسان من العوالم بخياله عالم المثال ، سعته خارجة عن حدّ إحصاء كلّ البشر ، فضلاً عمّا يتصرَّف فيه بعالم عقله المحيط بهذه العوالم كلّها ، أين أنت يامسكين ياغافل عن الاحاطة بتفاصيل أمر واحد من أمور عالم واحد من العوالم الّتي يتصرَّف فيها عقلك ، فانظر في أمرك واقض بعقلك ، ما يجب عليك في شكر هذه النعم ؟

ثمَّ هذا كلّه في تصوير انتشار ظواهر النعم الّتي وهبها خالق الأرض بدحو الأرض ، إذا تأمّلت فيما وهبها مالك الدنيا والآخرة بخلق الأرض ، وعرفت ما في حقيقة ذلك لزاد حيرتك .

وإجمال هذا التفصيل أنَّ الّذي يفهمه أهل الحقّ والكشف ، ويشير إليه أخبار أهل بيت الوحي عليهم السلام أنَّ الله تبارك وتعالى إنّما خلق آدم وجعله في عالم المثال الّذي يعبّر عنه فى لسان الأخبار بالجنّة ، وفي بعضها بمدينة جابلقا ، وهي جنّة آدم الّتي نزل منها إلى الأرض ثمَّ أهبطه إلى الأرض ليستفيد من هذا السفر كلَّ ما أُعدَّ له في عالم البرزخ من النعم المثاليّة ، وهذا العالم بحذاء جنّة آدم ويسمّى بجابلسا ، وفي عالم الآخرة في جنّات الخلد .

ولو لم ينزل آدم إلى هذا العالم لم ينل بنعم دار الآخرة ، وكلُّ ما وعد الله النبيين والأوصياء والأولياء والمؤمنين من نعم الآخرة ، فهو من فوائد سفر هذا العالم ، هذا العالم منزل من منازل سفر الآخرة ، بل من جهة منشأ نعيمها ، وأصل

---

(١) إبراهيم : ٣٤ .
(٢) المدثر : ٣١ .

نعيمها ، لذلك سمّي في الأخبار بمزرعة الآخرة ولعلَّ إلى ذلك أُشير أيضاً في قوله تعالى : ﴿هذا الّذي رُزِقْنا مِن قَبْلُ وأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً﴾[1] .

فجميع ما في عوالم البرزخ والقيامة ، ودار ثواب الله من النعم الباقية ، الّتي لا زوال لها ولا اضمحلال ، الّتي لا نسبة بينها وبين نعم هذه الدنيا الدنيّة ، الّتي ما نظر إليها خالقها مذخلقها ، ولم يرضها لعباده في هذه الدينا ، الّتي ليست بدار ثواب منشأها وأصلها من هذا العالم ، فالعارف المراقب يرى ليوم دحو الأرض على نفسه شكراً بازاء هذه النعم كلّها .

وحينئذ يعتقد عن حقيقة قلبه بأنّه لا يقدر على أداء حقّ شيء حقير من أجزاء جزء يسير منها ، ولو استعان في ذلك بجميع العابدين الشاكرين ، واشتغلوا بالشكر أبد الآبدين لا من جهة أنَّ شكرهم أيضاً من نعم الله فهو أيضاً يقتضي شكراً آخر بل من كثرتها وعظمتها ولطفها ، وإذا اهتدى العبد إلى هذه المعارف من مراتب نعم المنعم تعالى ، يكون عليه سمة العارفين بحقيقة عجزه وقصوره وتقصيره عن شكره تعالى ، واستحيا عن عدّ جهده - بلغ ما بلغ - شكراً وعرف قدر منّة الله تعالى عليه في قبول هذا الحقير اليسير لشكر هذه النعم ، وشكره تعالى لهذا الشكر ، وعرف معنى اسمه الشكور ببعض المعرفة وإن كان معرفة كنه أسمائه تعالى محالاً ، هذا .

ومن عظائم تلك النعم جعل الكعبة بيتاً لنفسه ، وإذنه للناس أن يقصدوا زيارته ، قبوله منهم ذلك لزيادته في الأجر والقبول والرضا ، ولعمري إنَّ هذا غاية اللطف والرفق والكرم ، فانَّ البصير إذا تأمّل في معاني نسك الحجّ ، يهتدي بذلك

---

(١) البقرة : ٢٥ .

إلى عظيم لطفه تعالى ، بل ومحبّته إلى عناية المؤمنين ، وغاية عنايته في جذبهم إلى بابه ، ودعوتهم ، إلى قربه وجواره ، وعرف قدر نعمة وجود هذا النبيّ الكريم الّذي هدانا به إلى هذه العوالم العزيزة ، وعرّفنا أسرار هذه المقامات الشريفة الكريمة ، وأحيا هذه القلوب الميّتة بروح الإيمان ، وهدى عماها بنور الإيقان .

وإجمال هذا التفصيل أنّه سبحانه وتعالى خلق بني آدم من التراب ، ودعاهم إلى لقائه وجواره ، وقربه وجواره إنّما هو أعلى علّيّين ، ومقام الرّوحانيّين ، ومن أجل أنّه لا يصل إلى هذه العوالم العالية في أوائل أمره من جهة توغّله في ظلمات عوالم الطبيعة وإسارته في مهوى كرة الأرض بين الماء والطين ، جعل لهم بلطفه من عالمهم [محلاًو] عمراناً ، وسمّاه بيتاً له ، وجعله مطافاً لزوّاره ، ومريدي حضرته ليطوفوا حوله ويزوروه ، ويستأنسوا بربّهم على حسب حالهم ، ويستعدُّوا بذلك لما فوقه من عوالم القدس ، وربوة التقريب ، وجعل لهذه الزيارة نسكاً كلّها مثار للترقّي من عالم الملك إلى عوالم الملكوت والجبروت واللاّهوت .

وبعبارة أُخرى هذه النسك معدَّة لعامل بها إلى زيارة الكعبة الحقيقيّة الّتي ورد فيها أنّه لا يسعني أرضي وسمائي بل يسعني قلب عبدي المؤمن [١] .

وبعبارة أُخرى هي مورثة لمعرفة النفس الّتي فيها معرفة الربّ كما أُشير إليه في المناجات الشعبانيّة بقوله عليه‌السلام : «وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور ، فتصل إلى معدن العظمة ، وتصير أرواحنا معلّقة بعزّ قدسك» [٢] .

---

(١) البحار : ٥٨ / ٣٩ .

(٢) مصباح المتهجد : ٢ / ٨٢٨ ؛ عنه إقبال الاعمال : ٣ / ٢٩٩ .

فإنّ الإنسان محتجب عن الوصول إلى معدن العظمة بحجب ظلمانيّة ونورانيّة [الحجب] الظلمانيّة عبارة عن عالم الطبيعة الّتي هي من عالم الحسّ والشهادة ، بل وبعض عوالم المثال أيضاً يلحق بالحجب الظلمانيّة والحجب النورانيّة بعد الترقّي عن عوالم الطبيعة بإلقاء المادّة والصورة فحينئذ يرى نفسه مجرّدة عنهما ، ويتجلّى له نفسه وحقيقته مجرّدة عن قشور المادّة والصورة ، ويرى نفسه أمراً عظيماً ، ويبقى الحجب النورانيّة وعند ذلك يفتح له باب المعارف الكشفيّة .

فكلّما طالع الحجب ، وتفكّر في العوالم النوريّة ، انكشف له العلم بالمبدأ والمعاد ، وحقائق المقامات الدينيّة الّتي جمعها قوله تعالى : ﴿**كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾[1] الخ حتّى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة ، وعند ذلك يحصل له مقام القرب ، ويفوز بتجلّيات الأسماء والصفات ، ويعدُّ من زوّار الله وجيرانه ، وبالجملة قد جعل الله بلطفه لأهل هذا العالم بيتاً من جنس عالمهم حتّى لا يحرموا من فيض زيارته ، وجعل لهذا البيت نسكاً مؤثّرة في إعدادِ الزائر وتأهيله لزيارة بيته الحقيقيّ .

ولا بأس بالاشارة إلى بعض ما تبيّن لنا من أخبار آل محمّد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من أسرار نسك الحجّ الموصلة إلى الزيارة الحقيقيّة الباطنيّة فنقول :

الأولى أن نتبرّك في ذلك أوّلاً بما روي عن الإمام سيّد الساجدين عليه السلام من

---

(١) البقرة : ٢٨٥ .

أسرار النسك ، وفسّر في هذه الرواية المقصود الحقيقيّ من كلٍّ واحد من أعمال الحجّ برواية الشبليّ وقال : لو لم تأت هذه الأعمال بهذه القصود كأنّك لم تأت بها أصلاً وأوّل نزول الميقات بالانخلاع عن المعصية ، ولبس ثوب الطاعة ، ونزع الثياب ، التجرُّد من الرياء والنفاق ، والغسل بالتطهير من الخطايا والذنوب ، التنظّف بالنورة بالتوبة الخالصة لله .

والإحرام بتحريم كلّ ما حرَّمه الله ، والعقد على الحجّ بتحليل عقد غير الله ، الدخول على الميقات بعد الإحرام بقصد زيارة الله والصلاة عند ذلك بالتقرُّب إلى الله ، التلبية بالنطق لله تعالى لكلّ طاعة ، والصون عن كلّ معصية ، والدخول إلى الحرم بقصد تحريم كلّ غيبة لأهل ملّة الاسلام ، ورؤية البيت برؤية بيت الله،قصد الله سبحانه ، والقطع عن غير الله ، والسعي إلى الهرب إلى اللّه تعالى ، والاستلام بالحجر بالمصافحة بالله .

والوقوف على مقام إبراهيم بالوقوف على كلّ طاعة ، والتخلّف عن كلّ معصية ، الصلاة في المقام بقصد صلاة إبراهيم الخليل عليه‌السلام ولعلّ فيه إشارة إلى الوصول بالخلّة ، والإشراف على زمزم والشرب منها على الإشراف بالطاعة والغضّ عن المعصية ، والمشي بين الصفا والمروة بالكون بين الخوف والرجاء ، الخروج إلى منى بتأمين الناس من اللسان والقلب واليد .

والوقوف على عرفة بمعرفة الله واطّلاع الله على السرائر والقلب ، والطلوع إلى جبل الرحمة باعتقاد أنَّ الله يرحم كلَّ مؤمن ومؤمنة ، والمشي إلى المزدلفة والتقاط الحصى برفع كلّ معصية وجهل ، وإثبات كلّ علم وعمل ، وإلى المشعر بتشعير القلب شعائر أهل التقوى والخوف ، والوصول في المنى ورمي الجمار

بالبلوغ للمقصود وقضاء الحوائج ، وحلق الرأس بالتطهير من الأدناس والخروج من الذنوب وتبعات بني آدم ، ومسجد الخيف بعدم الخوف إلاّ من الله وعدم الرجاء إلاّ منه والذبح بذبح الطمع والاقتداء بخليل الرحمن في ذبح ولده ، الرجوع إلى مكّة وطواف الإفاضة بالإفاضة برحمة الله والرجوع إلى طاعة الله والتقرُّب إلى الله تعالى [١] .

أقول : ومن أجل أنَّ المقصود الأصليَّ من جعل الحجّ وكذا سائر العبادات تقوية جانب الروحانيّة ، حتّى يكون الانسان بشراً روحانياً ، ويترقّى من عوالم الجسمانيّين إلى عوالم الروحانيّين ، فيحصل له معرفة الله وحبّه وأُنسه ، ويجتمع مع أوليائه في دار كرامته ، وحسن أُولئك رفيقاً .

ولأنَّ كلّ إنسان إلاّ ما شذَّ وندر ، قد كمل فيه الحيوانيّة قبل البلوغ لفقدان العقل والعلم والعمل ، حتّى قويت فيه الصفات الحيوانيّة من السبعيّة ، والبهيميّة والشيطانيّة ، وضعفت فيه قوَّته العقلانيّة والروحانيّة ، وصار موجوداً بما هو حيوان ، فكأنّه في إهابه كلب وخنزير وشيطان بالفعل ، وإنسان ضعيف بالقوَّة .

اقتضى لطفه تعالى أن لا يتركهم على ما هم عليه ، حتّى يبعث الأنبياء ، وشرَّع لهم الشرائع ، والعبادات والنسك ، حتّى يردُّوهم عن جسمانيّتهم إلى الروحانيّة ، وعن عماهم إلى الهدى ، وعن حيوانيّتهم إلى الإنسانيّة ، وعن ظلمتهم إلى النور ، وعن بعدهم إلى القرب ، وجعل لهم تكاليف وعبادات تنفع بعضها في دفع الظلمة ورفعها ، وبعضها في جلب النور وإثباتها .

---

(١) المستدرك : ١٠ / ١٦٦ - ١٧٢ ح ٥ عن شرح النخبة للسيد عبد الله سبط المحدّث الجزائري . وذكر حديث مفصلاً .

وبعبارة أُخرى بعضها تؤثّر في التخلية وبعضها في التحلية وبعضها جامع لكلا الأمرين ، والحجُّ من القسم الأخير لأنّه معجون إلهيٌّ مركّب من أجزاء نافعة جدّاً لجميع أمراض القلوب ، العائقة لها من عالم النور ، وقد أُشير في الرواية السالفة إلى أنواعها ، ومثل ما فيه من علاج البخل مثلاً ببذل المال ، وعلاج الاستكبار بالخضوع والذلّ في أفعال الحجّ والطواف والصلاة ، لا سيّما بما لا يعلم سرّه من أفعالها مثل الهرولة في موضع خاصّ ، وعلاج الكسل بتحمّل مشاقّ أعماله إلى غير ذلك .

فإذاً يلزم على المكلّف العاقل أن يكون همّته في حجّة ، وكذا سائر عباداته على تأديته ، بحيث يحصل منه مقصود شارعه وجاعله اللطيف ، وهذا لا يتسّر بالضرورة إلاّ بمعرفة المقصود من حقائق ما اُمر به ، ليوقعه على وجهه ولايفوته النتيجة .

أقول : كفى في ذلك ما في رواية الشبليّ من حكم تفاصيل جزئيّات الأعمال ثمّ العمل بما عرفه ، والمراقبة في أن لا يفوته هذه الفوائد ، وليعلم أنّ المراد من قوله عليه‌السلام في تضاعيف هذه الكلمات : فنويت من العمل الفلانيّ المعنى الفلانيّ ؟ أن يتحقّق بحقيقة ما ذكر مثلاً [معنى] قوله عليه‌السلام : «هل نويت بالتجرّد عن الثياب أنّك خلعت ثوب المعصية» أن ينخلع واقعاً عن المعاصي الحاضرة بالفعل ، وعن الآتية بالعزم الصحيح ، وهكذا لأنّ النيّة لا يصحُّ من المرتكب بالخلاف ، بل يكون الاخطار بالضمير مع الارتكاب الفعليّ استهزاءً وغفلة لا نيّة .

وبالجملة المراد من النيّة التحقّق بحقيقة المنويّ لا إخطاره بالبال ، ولو مع

الاتّصاف بضدّه مثلاً قال عليه السلام : «فنويت بالسعي بين الصفا والمروة أنّك بين الخوف والرجاء ؟ » مقصوده عليه السلام أن يكون مردّداً بين الصفا والمروة ، بالرجاء والخوف حقيقة ، كالمتردّد في فناء دار السلطان ، المشرف إلى لقائه ، كيف يرجو منه فضله وقبوله ، ويخاف من ردّه وأخذه وعقابه ، ويتردّد مشغول الهمّ بين هذين الأمرين ، بل يكون الرغبة والرهبة هما المحرّك له في نفسه هذه الحركة .

وإذ قد تبيّن ذلك ، فاعلم أنّ أوّل ما يجب على كلّ مكلّف في كلّ عبادة تصحيح النيّة وإخلاصها صادقاً ، وإجماله في المقام أن يكون باعثه لإتيان الحجّ المعرفة السابقة المذكورة ، من كون الحجّ معدّاً لرفع الحجب بينه وبين الربّ وموصلاً لزيارة الله ، ولا يدخل في قصده لحاظ غيره ، ويعرف ذلك ببعض الكواشف .

ومن جملتها أن يكون حاله بحيث لو علم بعد تجهيز السفر وشيوع خبره بين الناس أنّ مقصوده يحصل بصرف مؤونته إلى غيره ، بحيث لا يعلم أحد ، وأنّ ذلك آثر عند الله من حجّه ، ترك الحجّ ولا يكون ترك الحجّ عنده ثقيلاً ، ولا يستحيى عن الناس ، بل يكون وجود الناس وعلمهم واعتقادهم في حقّه بلطاعة والمعصية سواءً ، وأن لا يثقل في قلبه تسوية الناس له في المعاملات مع غير الحاجّ وبهذا المقدار يعرف أنّه قصد بحجّه القربة وأنّه أخلص في كونه لله وأمّا أنّه قصد به خصوص مقام القرب والزيارة ، فيعرف ذلك أيضاً بسمة طالبي القرب واللقاء من الجدّ في السعي والاهتمام والشوق وخفّة المشاقّ ، بل ارتفاع المشقّة من البين ، والاستظهار بكلّ القدرة في رفع الموانع .

روي في تفسير قوله تعالى حكاية عن الكليم : ﴿**وعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ**

﴿لِتَرْضَى﴾[(١)] أنّه ما أكل ولا شرب ولا نام أربعين يوماً شوقاً إلى لقاء الله ، وثانياً أن يعمل بلوازم هذا القصد ، ولعمري إنَّ هذا القصد إذا تحقّق إنّما يكفي في البعث على لوازمه ، ولا يحتاج زيادة تنبيه وتعليم ، لأنّ تعليم طرق النياحة على الثكلى غلط ، ومن البديهيّات أنَّ كلَّ ما يشغله عن الله من المحرَّمات والمكروهات والمباحات ، إنّما هي مانعة عن الوصول إلى المأمول ، فلابدَّ له من قطع علاقة الشهوات والمرادات،لّها إلاّ إرادة الوصول إلى الله .

وبالجملة لابدَّ لمن دخل هذا الميدان أن يتهيّأ بكمال جدّه ومبلغ استطاعته مستمدّاً من النفحات الإلهيّة الرحيميّة ، والجذبات الربّانيّة اللطيفة ، لتحصيل عُدَّة حضور ربّ العالمين جلَّ شأنّه ، والعمدة في ذلك تحصيل الشوق ، والأولى في ذلك أن نذكر ما في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام في وصف المشتاق وهو قوله عليه السلام : «المشتاق لا يشتهي طعاماً ، ولا يلتذُّ شراباً ، ولا يستطيب رقاداً ، ولا يأنس حميماً ، ولا يأوى داراً ، ولا يسكن عمراناً ، ولا يلبس ثياباً ، ولا يقرّ قراراً،يعبد الله ليلاً ونهاراً ، راجياً بأن يصل إلى ما يشتاق إليه ، ويناجيه بلسان الشوق معبّراً عمّا في سريرته ، كما أخبر الله تعالى عن موسى في ميقات ربّه ﴿وعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ وفسّر النبيّ صلى الله عليه وآله عن حاله أنّه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجئيه أربعين يوماً شوقاً إلى ربّه ، فإذا دخلت ميدان الشوق فكبّر على نفسك ومرادك من الدنيا ، ودع جميع المألوفات ، اصرفه عن سوى مشوقك ولبّ بين حياتك وموتك (بقولك) لبّيك اللّهمَّ لبّيك[(٢)] هذا .

---

(١) طه : ٨٤ .

(٢) مصباح الشريعة : ١٩٦ - ١٩٧ ؛ عنه البحار : ٧٠ / ٢٤ ح ٢٤ .

ويبالي أنّ أغلب الناس مثلي ليس لهم هذه الهمّة ، فالأولى أن نعرض عن تفصيل هذا النمط فنقول : إن لم تكن من أهل المحبّة والشوق ، فلا محالة من أن تكون من المتوسّطين من أهل اليمين ، الخائفين من افتضاح حضور مجلس الروحانيّين ، فبادر إلى توبة صادقة واجبة على كلّ واحد من الكلّفين لا أقول : توبة الأولياء والأصفياء والخواصّ بل توبة العوامّ الّتي تجب على كلّ عامّي أن يتوب من الذنوب والكبائر الفقهيّة فيما يأتي ويستعلج بما يقدر عليه ما مضى من تدارك ما فات من الواجبات والكفّارات وردّ الحقوق والمظالم على ما قرّر في محلّه .

والأولى أن يأتي بالعمل الوارد في شهر ذي القعدة من الغسل والصلاة والدعاء لمريد التوبة [1] ويدبّر بقدر تكليفه أُموره في وطنه وأهله ، وأمانات ربّه ، بحيث يفرغ قلبه عن الشغل بفكرها ، ويوصي وصيّة ويفرض أنّه لا يرجع عن سفره هذا .

ولكن يكون تدبيره في ذلك لمحض أمر الله ، وبقدر أمر الله ، وأمّا في قلبه وسرّه فيوكّل أمر كلّ ما يتعلّق به في وطنه وأهله وجميع علائقه إلى ربّه ، ويفوّض أمرهم وأمر نفسه وما معه في سفره إلى ربّ البيت ، ويحسن رجاءه بحسن خلافته تعالى فيما خلّفه ، وحسن صحابته وجواره - في طريق زيارته ودار وفادته - في نفسه وما معه ، فانّه نعم الخليفة ، ونعم الصاحب ، ونعم المزور .

وأيضاً ينبغي أن لا يحمل في سفره ما يشتّت فكره ، ويفرّق خياله وهمّه من العلائق ، من النسوان والأولاد والرفيق الغير الموافق ، والأسباب الغير اللاّزمة أو ترك الأسباب اللاّزمة ولا يكون رفيقه إلاّ مثله في الحسب والمقدرة ، لئلا يذلّ

(١) راجع إقبال الأعمال : ٢ / ٢٠ - ٢١ .

المؤمن ، ولا يذلّ نفسه ، ولا يكون كلاً على غيره ، وينبغي أن يكون رفيقه أعلم وأتقى منه ليستفيد من صحبته ، ويستكمل نفسه بتقليده ، ويتذكّر بذكره .

وبالجملة يودّع بقلبه جميع ما خلّفه كلاً حتّى لا يشغل همّه عن التوجّه التامّ إلى ما قصده ، ولا يستصحب معه شيئاً شاغلاً عن ذكر ربّه ، وهمّ زيارته ، والتقرّب إليه بتحصيل رضاه ، ليكون همّه همّاً واحداً ، وحاله في خدمته سرمداً ، حتّى يكون زائراً مقصور الهمّ في زيارة حبيبه ، وعبداً شاخصاً في خدمة مولاه ، وإذا كان كذلك فلابدّ أن يحسن خلقه مع رفقائه ، ويعذّب معاملته معهم ، ويحبّ صلتهم وخدمتهم ، والتحمّل عنهم ، ويلتذّ منهم ، ويستأنس بهم ، حتّى الجمّالين والأكرة بل المراكب والمنازل كما قيل:

أمرُّ على الدّيار ديار ليلى	أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
فما حبُّ الدّيار شغفن قلبي	ولكن حبُّ من سكن الدّيارا(١)

وكما قال الشاعر :

جمال كعبه جنان ميدواندم بنشاط	كه خارهاى مغيلان حرير ميآيد

ولعلّ من هذا الباب ما روي عن السيّد السجّاد وإمام الزهّاد أنّه كان يستصحب في زاد سفر الحجّ لوزاً وسكّراً وغير ذلك من الحلويّات(٢) ، فلابدّ أن يكون ذلك منه عليه السلام ليصرفها في الحجّاج ، وينفق في سبيل الله لزوّار الله أحسن النفقات ، ولأنّ ما يصرفه في هذا الطريق مصروف في الحبيب ، وهو بعين الحبيب .

---

(١) القول لـ«قيس بن الملوّح» المشهور في حبّه وشغفه بليلى ، والقصة معروفة والقصيدة مشهورة تطلب من ديوانه .

(٢) المحاسن : ٣٦٠ ؛ عنه البحار : ٤٦ / ٧١ ح ٥٢ .

وحينئذ لا يتصوّر أن يثقل عليه ما يتلف منه ، أو يصرفه باختياره من ماله ، ويبذله من جاهه وقوته ، ولا يقل عليه جفاء الخادم والرفيق ، بل يحلو عنده مرُّ أذاهم ، يقابلهم من سوء المعاملة بالرفق والإحسان ، ومن الأذيّة بالشكر والامتنان، ُنَّ رضا الخالق في جفاء المخلوق كما أُشير إليه في الحديث القدسيّ [(١)] .

ثمَّ إنّه ينبغي أن يقدّر سيره في الطريق سيراً إلى الله وتقرُّباً إليه وبالجملة كلّما سار بدنه إلى البيت يسير قلبه إلى ربّ البيت ويراعي في هذا السير الروحانيّ أيضاً زاده الّذي هو التقوى ، وراحلته الّتي هي بدنه ، ورفيقه الّذي هو أهل التقوى من المؤمنين ، ودليله الّذي هو من يهديه إلى ربّه من أهل العلم واليقين ، وأمير الحاجّ الّذي هو إمامه عليه السلام .

ومراعاة التقوى أن يجاهد نفسه في تحصيلها بمراتبها وأوّل مراتبها التقوى من المحرَّمات ، ووسطها التقوى من الشبهات ، وآخرها التقوى من كلّ ما يشغله عن الله حتّى المباحات .

ومراعاة بدنه بتدبير أمره بحيث يحمله في سفره إلى الله ، ويحمل زاده ، ويطيعه في الحمل وقطع الطريق ، ولا يعصيه في ذلك إلاّ عن الضعف ولا عن الجموح .

وأمّا مراعاة الرفيق وهو أن يتّخذ لنفسه إخوان الصفا ، ويحذر عن مصاحبة

---

(١) روي في مصباح الشريعة : ٣٧ عن الإمام الصادق عليه السلام : قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله «مثل المؤمن مثل الأرض ، منافعهم منها ، وأذاهم عليها ، ومن لا يصبر على جفاء الخلق لا يصل إلى رضا الله تعالى ، لأنّ رضى الله مشوب بجفاء الخلق» عنه البحار : ٧١ / ٤٢٢ ضمن ح ٦١ .

إخوان المكاشرة ، ويجتهد في اتّحاد قلبه وعمله مع إخوانه ، في تحصيل معرفة الله ومحبّته ، وفي التّعاون على ذلك كلّه ، فانّ للاجتماع واتّحاد القلوب والهمم تأثيراً خاصّاً في نيل المقصود .

وأمّا مراعاة الدليل وهو المقلّدُ في المسائل الفقهيّة ، ومعلّم الخير في تهذيب الأخلاق ، والعارف الكامل في المراتب العرفانيّة ، فمراعاته الاقتداء به ، الاستضاءة بنوره ، والاستهداء بهداه .

وأمّا مراعاة أمير الحاجّ وهو خليفة نبيّه صلى الله عليه وآله وإمام زمانه عليه السلام ، ومراعاته معرفته وولايته وطاعته ، وهذا أهمُّ الأمور وأوجبها ، ولا يتيسّر السير إلى الله بغير ذلك ، هو من الضروريّات ، ولم يدع إلى شيء مثله في هذا الطريق ، ومن تخلّف عن أمير الحاجّ انقطع عن الطريق ، ويهلك مع الهالكين ، ويلحق بحزب الشياطين .

وبالجملة معرفة الإمام وولايته شرط في صحّة العمل وقبوله ، فلو أنّ عبداً صام دهره وقام تمام عمره بصلاة وعبادة وحجّ ، وتصدَّق بجميع ماله ، لم يتقبّل منه إذا لم يعرف إمام زمانه ، أو لم يواله ، ولم يكن ذلك بدلالته [(١)] .

وكيف كان يكون جدُّه وهمّته في إصلاح نفسه ، والاستخلاص من عوالم الطبيعة ، إلى عوالم النور ، بحيث يستعدّ قلبه وروحه لمشاهدة أنوار الجمال ، كشف سبحات الجلال عند زيارة البيت ، رزقنا الله وجميع أوليائه مثل هذ الحجّ .

---

(١) روى الكليني في الكافي : ١ / ٣٧٧ ح ٣ باسناده إلى الحارث بن المغيرة قال : «قلت لأبي عبد الله عليه السلام - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية ؛ قال ، نعم ، قلت : جاهلية جهلاء أو جاهلية لايعرف إمامه ؟ قال : جاهلية كفر ونفاق وضلال» عنه البحار : ٨ / ٦٣٢ ح ٣٩ . وراجع البحار : ٢٣ / ٧٦ ، باب وجوب معرفة الإمام .

لا يقال : إنّ ما ذكر لا يتيسّر إلاّ للأنبياء وخواصّ الأولياء ، بمجاهدات صعبة، تحمّل مشاقّ كثيرة ، في مدّة سنين ، وأمّا أمثالنا فلا يمكن نيلنا بذلك ، وإن فرضنا الامكان أيضاً لاينال إلاّ بمجاهدات أعمار طويلة ، وأمّا في مدّة سفر الحجّ الّتي لا تزيد على شهرين أو ثلاثة أشهر ، فلا مطمع لأحد في الوصول إلى مثل هذا الأمر الجليل العزيز الوقوع .

لأنّا نقول : إنّ هذه الخطرة إنّما هو من الخبيث لسدّ عليه الباب ، فان تبعها فقد سدّ الباب وأضلّه عن الطريق ، وإن ردّها بأنّ الله تعالى إنّما دعا عباده المؤمنين لنيل هذا المراد ، فلو كان محالاً لما دعاهم إلى ذلك ، وأنّه إن كان ذلك بحولنا وقوّتنا فما قلته حقٌّ لا ريب فيه ، إلاّ أنّه لا يختصّ في الطمع لذلك المرام بل هو مشترك بالنسبة إلى جميع الخيرات ، بل جميع الأمور لأنّه لا يوجد الخير إلاّ من عنده ولا حول ولا قوّة بل ولا إرادة ولا وجود لأحد إلا بالله ومن الله .

وإن كان بحوله وقوّته ، ونفحات فضله وكرمه ، فهو أقدر الأقدرين ، وأكرم الأكرمين ، وأجود الأجودين ، وقد أخبر عنه وسائط فضله ، ووسائل عباده إليه أئمّتنا عليهم السلام بأنّ الراحل إليه قريب المسافة ، وأنّه لا يحتجب عن خلقه ، إلاّ أن تحجبهم الأعمال السيّئة دونه ، هذا .

وإذا فقه الحاجّ معنى الحجّ واشتاق إليه ، وعرف عدّته الظاهرة والباطنة فليقصد عند إتيان كلّ ما يفعله في حجّه من اللّوازم العاديّة والعباديّة ما يناسبه من أحوال حجّه الحقيقيّ الواقعيّ وليراقب في صحّة أفعال حجّه الظاهريّ .

مثلاً إذا قصد إلى مهاجرة الأهل والأولاد والأوطان قصد بذلك مهاجرة الشهوات والمعاصي ، وكلّ ما كره الله ، بل كلّ ما يشغله عن الله ، ويعامل فيما

خلّفه برضا الله ، ويقدّر في نفسه أنَّ الله تعالى سيسأله عمّا خلّف ، كيف خلّف ؟ وأنّه لا يعود إليهم ولا يلاقيهم إلاّ يوم القيامة ، وأن يسترضي ويستحلّ عن كلّ من يعرفه .

وليتذكّر بسفره هذا سفر آخرته ، وإذا قصد حمل الزّاد أوجب على نفسه حمل زاد سفر الآخرة وهو التقوى ، ويداقّ في حلّ زاده ، ويستكثر من الزادين للسفرين ، قصد باتّخاذ الراحلة أنّه يحتاج في سفر الآخرة أيضاً إلى الراحلة ، وأنَّ مطيّة سفر الآخرة بدنه ، ويجب مراعاته وتعاهده كما يتعاهد المطايا في السفر ، علفه بما يلزمه من التقوية ، ويمنعه عمّا يزيد على ذلك ، ولا يبعثه على الجموح ويسوقه بما يتقوّى عليه ، ويحمل عليه ما يحتمله ، ويراعي حقوق كلتا المطيّتين ما استرعاه الله .

وأمّا قطع البوادي ، والسير في الفيافي ، ونزول العقبات ، فيتذكّر بذلك عقبات سفر الآخرة من حين الموت إلى حين نزول دار الثواب ، فانّ فيها عقبات كؤودة لا يجوزها إلاّ البكّاؤون في الدّنيا من مخافة الله ، وأيسرها الموت ، وما بعد الموت أعظم وأدهى .

وأمّا لبس ثوبي الاحرام فليقصد بخروجه عن أثوابه خروجه عمّا يخالف إرادة الله ، بلبس ثوبي الاحرام لبس لباس التقوى ، ولباس التقوى هو خير ، ويتذكّر به كفنه الّذي يشبهه وأنّه سيّلف به .

وأمّا نفس الاحرام والتلبية فهو بمنزلة إجابة الله حيث دعاه بلسان خليله على نبيّنا وآله وعليه السلام فليكن على خشية ورجاء من الردّ والقبول .

وليتذكّر ما روي عن سيّد الساجدين عليه السلام أنّه غشي عليه حين أحرم ولبّى

ولم يفق حتّى قضى حجّه وسئل عن ذلك قال : خشيت أن يقال : لا لبيّك ولا سعديك [(١)] .

وروي أنّ من حجّ من غير حلّه ثمّ لبّى قال الله عزّ وجلّ : لا لبّيك ولا سعديك ، حتّى تردّ ما في يديك [(٢)] وليكن على ذكر من نداء الله الخلائق للحشر بنفخ الصور وازدحامهم على العرصات .

وأمّا دخول الحرم ، فليقوّ رجاءه على كرم الله وفضله عنده ، ليأمن من سخط الله وغضبه مع خوف مّا عن الرّدّ والاستدراج ، فلايأمن مكر الله ، ولكن يكون رجاؤه أغلب لأنّ شرف البيت عظيم ، وربّ البيت أكرم وأرحم ، وحقّ الزّائر مرعيّ وذمام المستجير عليه غير مضيّع ، والكريم يسامح مع الوافدين ما لا يتسامح مع غيرهم ، ليكن عليه سمة العبوديّة والخشوع والذلّ كما ورد في الأخبار من أخذ إحدى نعليه بيده [(٣)] .

وبالجملة كلّ ما قدر عليه من الجدّ في إظهار الخشوع والتذلّل فليأت به ، ويكون مثل حاله مثل ما يروى من أحوال العصاة يوم القيامة إذا ظهر سلطان الله ،

---

(١) الخصال : ٧٩ ؛ علل الشرائع : ٢٣٤ ؛ أمالي الصدوق : ١٦٩ باسنادهم عن مالك بن أنس ، عنها البحار : ٤٧ / ١٦ ح ١ . وقد ذكروا الإمام الصادق عليه السلام – بدل الإمام سيد الساجدين عليه السلام .

(٢) الكافي : ١ / ٣٦٣ ، التهذيب : ٢ / ١١١ باسنادهما عن ابن بكير ، عمّن ذكره ، عن الإمام الصادق عليه السلام ، عنهما الوسائل : ١٢ / ٥٩ ح ٣ .

(٣) روى الكافي : ١ / ٢٧٥ باسناده إلى معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إذا دخلت المسجد الحرام فادخله حافياً على السكينة والوقار والخشوع ... » عنه الوسائل : ٥ / ٣٢١ ح ١ ، الباب ٨ من أبواب مقدمات الطواف .

وأُشير إليه في القرآن الكريم ، بقوله : و ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[١] ولكن مختلطاً بسكر الحبّ ، وهيجان الشوق ، وليكن نظره إلى ارض الحرم وسكك مكّة ، ودورها لا سيّما إلى البيت نظر هيبة ومحبّة وليكن يقوّي جهة المحبّة .

ويكثر من قول : «سبحان الله والحمد الله ولا إله الاّ الله والله أكبر» وإن ساعده التوفيق أن يتجلّى له عند التسبيح سبحات الجلال ، وعند الحمد أنوار الجمال ، وعند التهليل صفة التوحيد ، ويلقي عند التكبير جبل الأنانيّة ، ويكبّر على ما سوى الله فقد فاز ونال .

وأمّا الطواف فهو من وظائف عين الزيارة بعد الوصول ، كما شبّهه رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة ، والصلاة الزيارة كما فسّر خليفته ووصيّه أمير المؤمنين عليه السلام «وقد قامت الصلاة» بقوله : أي حان وقت الزيارة .

وأمّا الاستلام فيقصد به البيعة لله بالطاعة ونفي الاختيار ، ويقصد بالتعلّق بالأستار والالتزام ، الالتجاء للقبول والعصمة والتبرّك بالمماسّة .

وأمّا السعي فمثله كمثل من يتردّد بين الخوف والرجاء بعد الوفود على السلطان ، لمنتظر لاستعلام آثار القبول المتردّد في فناء بابه .

وأمّا الوقوف بعرفة فتشمّر بجدّك أن تنال فيه بكمال المعرفة .

واعلم أنّ اجتماع الحجّاج في الدعاء في صعيد واحد لاسيّما بلحاظ حضور الصلحاء وأهل الباطن من الأبدال والأوتاد ، أو غيرهم من الكاملين الّذين لا يخلو الحجّاج من بعضهم لا محالة ، مع اجتماع القلوب والهمم ، لاستنزال الرحمة ، استمطار سحائب الجود والكرم ، بمد الاعناق ، وشخوص الابصار ،

(١) الشورى : ٤٥ .

التضرع والبكاء، والابتهال، كاد أن يكون علّة تامّة للاجابة، فإنّ لاجتماع القلوب والهمم تأثيراً خاصّاً في نجح المقاصد، والوصول إلى المطالب، ولذا قيل: إنّ من أعظم الذنوب أن يحضر أحد عرفات، ويظنّ أنّ الله تعالى لم يغفر له.

وأمّا الوقوف بالمنى فيقصد به المصافاة والتأمين بعباد الله من المضادّة والخلاف في طريق الوداد، وبالتقاط الحصى رفع كلّ خلاف ومعصية لله عزّ وجلّ، وإثبات كلّ علم وعمل، وبرمي الجمار البلوغ للمقصود، وقضاء الحوائج، وبالذّبح [قطع] الطمع عن غير الله، والاقتداء بخليل الله، وبالرجوع إلى مكّة، وطواف الافاضة، الافاضة برحمة الله والرجوع إلى قرب الله.

وأمّا آداب الزيارة للنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته المعصومين عليهم السلام ففيها أمور مهمّة نشير إلى إجمالها:

أوّلها: معرفة حرمة المزور، ومعرفة حقّه عليك فنقول في ذلك: إنّ الّذي عليه عقيدة أهل الاسلام كافّة أنّ نبيّنا صلوات الله وسلامه عليه وآله أشرف خلق الله، افة، وأنّه سيّد خلق الله، وأنّه حبيب الله، وورد في المعتبرة عنه صلى الله عليه وآله أنّه أوّل خلق الله، وأنّه دنا في معراجه من ربّه مقاماً لم يقدر جبرئيل أن يصاحبه، وأنّه ﴿**دَنَا فَتَدلّى * فكانَ قَابَ قَوْسَينِ أو أدنَى**﴾ [1] دنوّاً واقتراباً من العليّ الأعلى، وأنّه اسم الله الأعظم، وأنّه صاحب الوسيلة والحوض، والشفاعة الكبرى، وأنّه المثل الأعلى وأنّه واسطة بين الله تعالى وجميع الممكنات، وأنّه الحجاب الأقرب، وطرف الممكن.

وبالجملة يعرف أنّه من الله تعالى بمكانة يغبطه بها الأوّلون والآخرون، من

---

(١) النجم: ٨ - ٩.

الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقرَّبين ، وأنّه لا يمكننا أن نصل إلى كُنه معرفته وأمّا معرفة حقّه فيكفي في ذلك حديث لولاك ، وأنّه علّة غائيّة لجميع الخليقة ، وأنّه رحمة للعالمين ، هذا بالنسبة إلى عامّة الممكنات ، وأمّا خصوص أُمّته فيزداد لهم حقوق هدايته الخاصّة ، وتحمّل ما وصل إليه من الأذى في ذلك ، حتّى نطق بقوله : «ما أُوذي نبيٌّ مثلي» [(١)] وهو ما ينطق عن الهوى بتصديق الله جلَّ جلاله في كتابه .

وإذا عرفت جلالته وحقّه وعلمت أنّه حيٌّ عند ربّه ينظر إلى زوّاره ويسمع سلامهم ، ويعرف ضميرهم ، ويستغفر لذنوبهم ، ويشفع في حوائجهم ، فعند ذلك تزوره كأنّه حيٌّ يراك ويشافهك ، ولا يشغلك شيء عن التوجّه إليّه ، وتتوجّه بشراشر وجودك إلى حضرته ، مع هيبة ومحبّة ، وتملّق وحياء ، وتراقب أدب حضوره ، ولا تسأم عن طول مناجاته ، وعرض حوائجك عليه ، ولا تكلّم أحداً في حرمه ، بل ولا تنظر إلى شيء يشغلك عن مراقبتك علمه بك ، ونظره إليك،تستعلج لجميع أمراضك وحوائجك باستجلاب عطوفته ، واستمطار سحائب جوده ورأفته صلى الله عليه وآله .

واعلم علماً يقيناً أنّه صلى الله عليه وآله أكرم جميع الخلائق ، وأجود من كلّ جواد كريم جواد عطوف ، شفيق رفيق ، ودود رؤوف ، وقد وصفه الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز بخلق عظيم [(٢)] ، ولا تسامح في الاسترحام والسؤال ، والتضرُّع والابتهال ،

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب : ٣ / ٢٤٧ عنه البحار : ٣٩ / ٥٦ ضمن ح ١٥ في حديث طويل حول مناقب أمير المؤمنين عليه السلام .

(٢) إشارة إلى إلى قوله تعالى : ﴿وإنّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم : ٤) .

فانَّ الكريم لا يضيع حرمة الوافدين ، ويتسامح في تقصيراتهم وزلّاتهم ويصفح عن عمدهم وخطائهم .

وتذكّر معاملته مع قاتل عمّه حمزة عليه السلام حيث قبل توبته ، وتفكّر فيما ناله منك من الجفاء والإيذاء ، حيث يعرض عليه أعمالك ، ويرى معاصيك وذنوبك ، ويتأذّى بذلك ، وكم من أذيّة ومكروه قد أوصلت إلى قلبه الشريف بسوء عملك،أوجعت صدره العزيز بقبيح أعمالك .

وليكن عليك سمة الحياء عند زيارتك ، واعتذر إلى كريم فنائه وجنابه لا محالة عن ذلك ، ولا تضنّ عن الاعتذار بقدر جنايتك ، فانَّ لكلّ جناية اعتذاراً يليق بها ويناسبها ، وتلطّف في الشكر والثناء بقدر نعمه عليك .

ولعمري إنّك لا تؤدّي حقَّ اعتذار جناياتك ، ولو نطقت بجميع جوارحك طول عمرك بالاعتذار ، ولا تأتي بحقّ شكره ولو شكرته مدى الأعمار والأعصار ، لأنَّ الجناية الحقيرة تعظم مع عظمة المجنيّ عليه ، ومع لحاظ إحسانه إلى الجاني ، فإذا جاوز العظمة عن الحدّ ، وكثر الإحسان فوق حدّ الإحصاء ، قصرت الألسن عن أداء حقّه ، والأعمار عن بلوغ غايته .

وهكذا حقّ الشكر إنّما يتزايد بزيادة جلالة المنعم ، وكثرة النعم وجزالتها وليس لحقّ نعمة الوجود ولا الهداية غاية ، ولا لجلالة رسول الله صلى الله عليه وآله منتهى ، حتّى يقدر أحد من أمّته على أداء حقّ شكره ، فيجب بحكم قاعدة الميسور أن يبذل طاقته في أداء الاعتذار ، ويجتهد بكلّ قدرته في الشكر ، ويعترف بقصوره عن أداء حقّهما .

وإذ قد سمعت هذه الأمور فلا عليك أن تجتهد بكلّ جهدك ومقدورك في

زيارته صلى الله عليه وآله فانّك إن أحكمت مباني معرفته، ومعرفة حقوقه وفوائده ومراحمه وكنت على يقين من ذلك فلابدَّ أن تبعث هذه المعرفة في قلبك شوقاً إلى زيارته لا سيّما بلحاظ ما ورد في فضل زيارته (١)، والمشتاق لا يحتاج إلى تعليم مراسم الوداد ولا يمتنع عن الجهد والاجتهاد، في الوصول إلى مشوقه ورضاه، وعرض الشوق والملق والاستكانة بما لا يخطر على ضمير غيره، بل يسير في طريق زيارته برأسه لا برحله كما حكي عن البسطاميّ والرابعة العدويّة أنّهام صلّيا في طريق مكّة المشرّفة في كلّ قدمين ركعتين، فلابدَّ للزائر المشتاق أن يعامل في طريق زيارته مع كلّ ما يتعلّق بهذا الطريق ومع كلّ من يتعلّق معاملة المحبّ فيرفق بالزوّار والأكرة والخدّام والدوابّ ويتحمّل أذاهم ويخدمهم، بل ولا يرى إيذاءهم أذيّة وينفق عليهم ويكرمهم حتّى يقرب من بلد المزور، فيزداد شوقه ويجدُّ في السير يخاطب الطريق ويسلّم على الديار ويحنُّ إلى رؤية سواد البلد، وآثار المشهد.

وإذا شرّف برؤيته يخرُّ ساجداً لله ويقوم مسلّماً وباكياً بإظهار الشوق والملق

---

(١) روى المفيد في مزاره : ٥ / ١٧٠ ح ٤ ضمن مصنفات الشيخ المفيد باسناده إلى أبي يحيى الأسلمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أتى مكّة حاجّاً ولم يزرني بالمدينة جفوته يوم القيامة، ومن زارني وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنّة». ورواه في كامل الزيارات : ١٣ (قطعه) عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد، ومحمد بن يعقوب، عنه البحار : ١٠٠ / ١٤٠ ح ٦. ورواه في الكافي : ٤ / ٥٤٨ ح ٥ (قطعه) عن علي بن محمد بن بندار ... ؛ والتهذيب : ٦ / ٤ ح ٥ عن محمد بن يعقوب. ورواه في علل الشرائع : ٤٦٠ ح ٧، والفقيه : ٢ / ٥٦٥ ح ٣١٥٧ (قطعه) باسناده عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن عباد بن سليمان، عن محمد بن سليمان الديلمي ... ؛ عنه الوسائل : ١٠ / ٢٦١ ح ٣، وأخرجه في البحار المذكور ح ٥ عن العلل.

ويقدّر في نفسه زمن حياته صلى الله عليه وآله وأنّه كان يتوطّن في هذه البلدة ، ويمشي في سككها ، ويسكن في دورها ، وأنَّ هذه المحالَّ مواضع أقدامه الشريفة ، ومواطن جسده المبارك .

ويتبرَّك بدخول البلد ، ويتثاقل عن المشي فيها بالأقدام ، لا سيّما مع النعل ويقبّل جدرانها وترابها ، ويمسُّ وجهه بأرضها محبّة ويقول:

أمرُّ على الديـار ديـار ليـلى أُقبّل ذا الجـدار وذا الجـدارا

وما حبُّ الديار شغفن قـلبي ولكن حبُّ من سكن الديـارا

ويهاب من دخوله ويدعو الله عنده بالتوفيق والاذن ، ويستأذن من حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله ويعرض إلى جنابه شوقه إلى زيارة وجهه المبارك ، ويشتكي من فراقه وغيبته وما بلغ به الأمر بعد وفاته ، من كيد المنافقين ، وغشم الظالمين ، حيث غصبوا الخلافة وتأمّروا على الناس ، وأضلّوا الأنـام ، ووثـبوا لظـلم آله البـررة الكرام، منعوا إرث سيّدة نساء العالمين ، إجمالاً .

ثمَّ يغتسل ويلبس أنظف ثيابه ، ويتطيّب بما يقدر عليه ، ويقصد حرمه على سكينة ووقار ، ويمشي إليه ويقرّب بين خطاه ، مسبحّاً ، حـامداً ، مـهلّلاً مكـبّراً مصلّياً ، ويقدّر أنّه بمرأى منه صلوات الله عليه وآله ، يراه ويـنظر إلى حـركاته ، خطرات ضميره ويشاهد مراتب أشواقه ، وحسرات قلبه وأحزانه .

ويتوجّه بكلّه إليه ويهتمُّ أن لا يخطر غيره - صلوات الله عليه وآله - بقلبه ولا ينظر في طريق زيارته إلى أحد بل إلى شيء من الأشياء ليشغله عن حضور قلبه .

وإذا وصلت إلى باب الحرم فاعلم أنّك قصدت ملكاً عظيماً لا يطأ بساطه إلّا

المطهّرون ، ولا يؤذن لزيارته إلاّ الصدّيقون وأنّك أردت حرماً لا يدخله الأنبياء والمرسلون ، والملائكة المقرّبون بغير إذن ، فاستأذن بقلبك ولسانك الله جلّ جلاله ثمّ استأذن حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ خلفاءه وأوصياءه لا سيّما باب مدينة علمه والبقيّة من خلفائه ، ثمّ استأذن ملائكة الله الموكّلين بحرمه الشريف ، وهب القدوم إلى بساط خدمته ، وحضور مجلسه ، فإنّك على خطر عظيم إن غفلت (١) .

واعلم أنّه قادر بالله جلّ جلاله على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك فان عطف عليك بكرمه وفضله ، وقبلك وقبل زيارتك ، وأجاب سلامك ، واستمع إلى كلامك ، طوبى لك ، ثمّ طوبى لك ، فانّك فزت لزيارة الله جلّ جلاله،شاركت في ذلك الملائكة المقرّبين ، والأنبياء والمرسلين ، وحسن أُولئك رفيقاً .

وإن طالبك باستحقاقه ما يجب عليك من الصدق والخلوص ، والاخلاص والوفاء ، والأدب والصفاء ، وحجبك وردّك ، فويل لك ، ثمّ ويل لك ، وقد خسرت خسراناً مبيناً .

واعترف بعجزك وتقصيرك ، وانكسارك وفقرك ، بين يديه ، فانّك قد توجّهت لزيارته ومؤانسته ، فاعرض حالك وسرّك عليه ، واطلب الهمّة منه بالتوسّل إليه،الالتجاء إلى باب فضله وكرمه ، والاستشفاع بعترته وذرّيّته ، فانّه يعلم باعلام الله وإخباره كلّ ما سنح بخاطرك ، وخطر ببالك في ذلك ، وكن كأدون عبيده ببابه،انظر من أيّ ديوان يخرج اسمك .

---

(١) راجع الاستئذان والدخول عليه صلى الله عليه وآله : المزار الكبير : ٣٦ – ٣٩ ، مصباح الزائر : ٢٨ – ٢٩، عنهما البحار : ١٠٠ / ١٦٠ – ١٦١ صدر ح ٤١ .

فان رقَّ قلبك ، ودرَّت عيناك ، وهاج شوقك ، ووجدت في قلبك حلاوة مناجاته،لذَّة مخاطبته ، وشربت بكأس كرامته ، من حسن إقباله عليك وقبوله فادخل فلك الإذن والأمان ، واللّطف والإحسان ، وإلّا فقف وقوف من انقطع منه الحيل ، وقصر عنه الأمل ، والتجىء إلى الله جلَّ جلاله التجاء المضطرّين في استعطاف قلبه الشريف ، واستدرار لطفه المنيف .

فإن علم الله من قلبك صحّة الاضطرار ، وصدق الالتجاء إليه ، نظر إليك بعين الرحمة والرأفة ، وعطف عليك قلب حبيبه بالكرامة والعطوفة ، ووفّقك لما تحبُّ وترضى ، فانّه كريم يحبُّ الكرامة لعباده المضطرّين إليه ، المحترقين على بابه لطلب رضاه ، وقد أنزل في كتابه ﴿**أمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إذا دَعَاه ويَكشِفُ السُّوء**﴾[1] .

وقبّل عتبته الشريفة ، وادخل قائلاً : «بسم الله وبالله ، وفي سبيل الله ، وعلى ملّة رسول الله ، الحمد لله الّذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله»[2] ثمَّ امش بسكينة وخشوع وذكر حتّى تقف قبال الضريح المقدَّس وقبّله وسلّم عليه بحقيقة السلام وعلى آله وأبائه وعترته على التفصيل والترتيب ، وبالغ في عرض التسليم والتصلية .

واعلم أنَّ السلام من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ، ليستعملوا معناه في معاملاتهم فمن لم يقدر على أن يستعمل معنى السلام مع نبيّه فهو لا يقدر أن يستعمله مع أحد من الناس ، واستعماله مع رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعامله معاملة لا

(١) النمل : ٦٢ .
(٢) المزار الكبير : ٣٦ ؛ عنه البحار : ١٠٠ / ١٦٠ صدر ح ٤١ .

تؤذيه ولا تسيئه لا محالة وهل ترى أن يرى رسول الله صلى الله عليه وآله - مع ما فيه من الشفقة على أمّته - معاصيك الكبيرة ولا يسيئه ذلك ، ولا يتألّم منها، فأين السلام ؟

وبالجملة فلك أن تقدّر حضوره - صلوات الله عليه - بين يديك ، وهو متوجه إليك ، مقبل عليك ، يرى ويسمع كلّ ما تفعله في ظاهرك وباطنك ، وهو مطّلع على سرائرك ، وخفايا أمورك وأعمالك .

إذاً كيف يكون حالك لو كنت متلبّساً فعلاً بما نهى عنه من لباس بدنك أو حرّمه من تملّك مال غيرك ، أو عدم ردّ حقوق عترته ، وذرّيّته ، أو الفقراء من أمّته ، أو شيء من حقوق الله جلَّ جلاله وأنت قائل في زيارته : «أنا محلّل حلالك ، محرّم حرامك» أو قائل : «زرتك يارسول الله صلى الله عليه وآله مستبصراً بضلالة من خالفك» ألست أنت هذا المخالف الضالّ ؟ أو تستثني نفسك من المخالفين .

أو ما تقول في زيارته : «بأبي أنت وأمّي ونفسي ومالي وولدي» وكيف تفديه بذلك كلّه وأنت تخالف أمره ونهيه في مقدار قليل من المال ، ولو قال لك : «ياكاذب أتخدعني» ماذا جوابك ؟ واحذر أن تكذب في دعواك بحضرته ، وهو قد حرّم الكذب ، واعلم أنّ الكذب مع من يعلم الكاذب أنّه يعلم كذبه ، قد يكون استهزاء ، العياذ بالله من هذا الأخطار .

وبالجملة زيارته - صلوات الله عليه - أمر عظيم وقد روي في ذلك أنّه يزور زائره مرّتين ، ولكن خطره أيضاً عظيم جدّاً ، فاحذر أن تقع فيه بجدّك ، ولا تحسبه هيّناً وهو عند الله عظيم .

والأهمّ أن تستحكم معرفته وعظمته وعلمه بحالك وسرائرك ، وأن تعرف آفات قولك وعملك ، وحقائق دعواك ، فاذاً إن لم تقدر على إصلاح قلبك

وعملك فلا محالة من أن تعترف بتقصيرك ، ويكون عليك حياء المقصّرين ، مع خوف وخضوع وتذلّل بقدر جنايتك ، فاذاً لا ترى حيلة إلّا التوسّل إليه ، والالتجاء إلى باب كرمه وصفحه ، مع اضطراب القلب ، من الأخذ بالجناية والردّ واللّعن،الخسران المبين والهلاك الدائم ، أو الصفح والعفو ، والكرم والفضل ، [أن] يشغلك خطر هذه الأحوال لا محالة من دالّة [1] المطيعين .

ولو كان قلبك متأثّراً من هذه الأحوال ، فلا محالة من أن تظهر بعض أثراتها في ظاهرك ، فانّ الخائف من الردّ والأخذ ، ترتعد جوارحه ، ويتغيّر لونه ، أما سمعت أنّ الامام السجّاد عليه السلام مع عظمته وعبادته ، كيف تغيّر لونه عند قوله : «لبّيك اللّهمّ لبيّك» وغشي عليه وسئل عن ذلك وقال - بنفسي هو وروحي وأرواح جميع العابدين المراقبين - : خشيت أن يقال في جوابي لا لبّيك [2] .

وانظر يا مسكين هذا الامام حجّة الله المعصوم من الزلل ، والمطهّر من الإثم كيف يتأثّر من هيبة العظمة ، فكيف بنا لا نخاف أن يقال في جواب سلامنا لا عليك السلام ، أو يقال وعليك اللعنة والعذاب .

وبالجملة يجب على الزائر بحكم العدل أن لا يحضر هذا المحضر العظيم إلّا بعد توبة صادقة مطهّرة له لا محالة من المخالفة الفعليّة ، حتّى يأمن من الردّ وينجو من ورطة العتاب ، فان لم يوفّق لذلك ، فله أن يدخل من غيرها من الأبواب الّتي دخل منه غيره من المقيّدين في أسر الهوى ، والمكبّلين المنهمكين

---

(١) من دلال المطيعين ، ظ .

(٢) الخصال : ٧٩ ؛ علل الشرائع : ٢٣٤ ؛ أمالي الصدوق : ١٦٩ عنها البحار : ٤٧ / ١٦ ح ١ . وقد ذكروا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام بدل الإمام زين العابدين عليه السلام .

في الرّدي فظفروا بالتجاوز والصفح الجميل ، والفضل النبيل ، من أبواب الاعتراف ، والاعتذار والحياء ، والتوسّل والاستغفار ، والالتجاء والاضطرار ، فأنّ لم يسمح نفسه العوّاد بالإهمال ، باحتمال لوازم هذه الأبواب ، فلا محالة من أن يدخل من باب عدم القنوط من الإجابة .

وتدعو الله جلَّ جلاله بالرجاء في استعطاف قلب رسول الله صلى الله عليه وآله عليك فانَّ إبليس دخل من هذا الباب وظفر بالمراد ، ولتقل في دعائك : «اللّهمَّ يا من أجاب لأبغض خلقه إبليس ، حيث استنظره ، فاستجب لي كما استجبت له ، فانّه دعاك وهو عاص ، وأنا أدعوك وأنا عاص ، فكما أنَّ إجابتك شملته حيث دعاك ولم يقنط من رحمتك ، فلتشملني وأنا أدعوك وأرجو إجابتك» .

وإذا دخلت من هذا الباب لا يقنّطك ربّك ، وهو عند حسن ظنّ عبده به ، كيف وهو الّذي أنزل في كتابه ﴿وإذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دعانِ فَلْيَستَجِيبُوا لِي وَلْيُؤمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُن﴾ [1] ﴿وآسْأَلُوا اللهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [2] ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾ [3] .

وإذا رغب الله جلَّ جلاله في عطوفته عليك ، يقبل عليك رسول الله صلى الله عليه وآله بالقبول والاجابة ، والعطف والرحمة ، ويضمّك إلى كتف رأفته وحنانه ، ويكون عليك كالأب العطوف ، والأمّ الرؤوف ، يلبّيك بالجواب ، ويجيبك عن الخطاب ، فتظفر بالمراد وفوق المراد ، وتفلح أبد الآباد .

---

(١) البقرة : ١٨٦ .
(٢) النساء : ٣٢ .
(٣) النساء : ٢٩ .

وإذا راقبت هذه الخصال وأتيت بهذه الأحوال ، وتمثّلت بين يديه للزيارة وعلمت إقباله عليك ، فلك أن تناجيه بلطيف مناجاتك ، وتبثّ في حضرته حوائجك وتشكو لديه ما نالك من هجره وفراقه ، وما بلغ به الحال من مصائب ذرّيّته ، غصب حقوقهم ، وتأمّر المنافقين عليهم ، وما نالهم من القتل والأسر والهوان ، وما بدّل بعده من الأحكام ، وغيّر من شرائع الاسلام ، وتشتكي عنده من سوء حالك وشدّة بلواك .

وتذاكر ما كان عليه من حسن الحال أصحابه ، والمقتبسين من أنواره،المستمتعين بوعظه وبرهانه وبركات زمانه؛ وما فازوا به من العيش في ظلال عطوفته ونالوا به من فضله وكرامته .

وقل : «يارسول صلى الله عليه وآله كنت زمن حياتك في الدنيا علماً للدّين ، ومناراً للهدى،لألاً للمشكلات ، ومبيّناً للمعضلات ، مخبراً عن الله وصفاته ورضاه ، يرجع إليك من استشكل عليه الأمور في الدين والدنيا ، فتكشف عنهم ظلم الأستار ، وتهديهم إلى جلائل الأنوار ، وكنت كهفاً للأرامل ، وأباً للأيتام ، وكنزاً للفقراء والمساكين،ملاذاً لذوي الضرّ والحاجات ، وكان التقوى بك سهلاً لأهل الدين والسير إلى الله منهلاً عذباً للسالكين» .

«وقد خلّفت في الأمّة من يقوم مقامك لهذه الخصال ، وقد كان بعدك ما قد كان،تّى آل الأمر إلى غصب الخلافة ، وقتل الذرّيّة ، واختفاء الخليفة ، وغيبة البقيّة ، وضلال الأمّة ، وابتلاء المسلمين بالمشكلات ، وتحيّرهم في المعضلات وبقيت الأرامل في البلوى بلا كهف ، والأيتام بلا أب ، والفقراء بلا شيء ، وذوي الحاجات بلا ملاذ ، وعسر التقوى في الدين ، وصعب الطريق إلى الله من تغلّب

المتأمّرين على المسلمين ، وبقينا بعدك في تيه الضلالة ، بلا نور ولا هداية ، وكثر الظلم ، وانتشر الجور ، وطوي بساط العدل ، وضعفت أعلام الدين ، وانطمست آثار الإسلام ، وتفرّقت كلمة المسلمين ، واختلفت أهواؤهم ، وذهلت العقول ، اندرست العلوم ، ولم يبق شيء إلى عود الجاهليّة الأولى» .

«يارسول الله صلى الله عليه وآله لو لا ما يلوح لنا من أثرات أنوار الولاية ، من تحت سحائب العماية ، ويظهر من بركات أنوار شمس الخلافة ، من غيب أستار الضلالة والغواية ، لم يبق من الإسلام اسم ، ومن الإيمان رسم ، عاد الإسلام كفراً ، والعقل جهلاً ، والوصل هجراً ، عبد الأصنام والأحجار ، وصار المسلمون كفّاراً ، وقد صرنا بفقدك وغيبة خليفتك كأيتام بلا أولياء ، وأسراء بلا خفراء ، ورعيّة بلا حماة ، أغنام غاب عنها الرعاة ، فارحمنا وترحّم علينا يارحمة للعالمين» .

«ومر سبطك الإمام ، وخليفتك على الأنام ، بالظهور وسطوع النور ، في طخياء الديجور ، لحماية الإسلام ، وإحياء القرآن ، وإحكام الإيمان ، وتقوية الأحلام ونشر العدل ، وطيّ الجور ، وحفظ دماء المؤمنين ، وأعراض المسلمين ، وتربية العالمين» .

«وارغب إلى ربّ العباد والبلاد ، في إنجاز الميعاد ، ونصر العباد ، وقد ظهر الفساد في البرّ والبحر بماكسبت أيدي الناس ، نشكو إليك –ولا مشتكى سواك – فقد إمامنا ، وغيبة سيّدنا ، وشدّة الفتن بنا ، وتظاهر الزمان علينا ، وكثرة الأعداء ، وشوكة الكفار ، وغلبة الفجّار ، والطغاة الأشرار ، وقد عظم البلاء ، وبرح الخفاء ، ضاقت الأرض والسماء» .

وبالجملة تناجيه صلّى الله عليه وآله وتبثُّ لديه أشواقك إلى زمن حضوره

وإشراق نوره ، وتشتكي إليه من هجره وممّا نالك من البلايا العامّة والخاصّة ، ثمّ تقرُّ عنده بإسرافك على نفسك ، وتقصيرك في عبادة ربّك ، وتسأله أن يستغفر لك الله ، وأن يعالج داءك بدوائه ، ويكمّل عقلك ، ويتمّ نورك بدعائه ، ويلحقك بأوليائه ، ويقبلك لجواره ، فانّه أكرم الخلائق لا يردُّ وافده وزائره وضيفه إلاّ بقضاء حوائجه ومزيد فضله .

واعلم يقيناً أنّه صلى الله عليه وآله رحمة الله للعالمين ، فان حرمت من فيضه الأقدس ، ومن نوره الأزهر ، فذلك لمانع من جهتك ، ولا يمنع من ذلك الذنوب – وإن كثرت – حتّى يوجد خلل من جهة الإيمان ، فجدّد إيمانك ، واستعذ بالله من الكفر والشرك الجليّ .

ولكن قد يكون ظلمة المعاصي مانعة من درك فيوضات زيارته الشاملة لك وتعمى من مشاهدة أنواره الواصلة إليك ، فإن كان لك قلب وفطنة ، لابدَّ من درك ذلك ، والعلم ببعض آثاره لا محالة ، فانَّ شفقته صلى الله عليه وآله لأُمّته المؤمنين الموالين لعترته معلومة وإن كانوا عصاة ، كيف وشفاعته للعصاة ، وللزائر الوافد المسلّم عليه المناجي معه ، والمشتكي استكانته لديه ، حقوق زائدة لا تضيع لديه ، يعرف ذلك كلُّ من أخبر عن أخلاقه الكريمة في حال حياته ، ومعاملته مع عموم المسلمين ، وخصوص الوافدين ، والرافعين إليه حوائجهم ، وحال وفاته أولى بذلك من حال الحياة لزيادة القرب من منبع الفيض والنور ، وهل يظنُّ أحد من أُمّته أن يقصده مسلم مؤمن من مسافة بعيدة ، ويأتيه من شقّة بعيدة ، شوقاً إلى زيارته ، وراجياً قبوله ونواله ، متقرّباً إلى الله جلَّ جلاله بولايته وولاية عترته،رجع خائباً من نواله ، ومحروماً من جوده وكرمه ، ولا يظنُّ ذلك لأعراب البوادي ، كيف

لأكرم الخلائق كلّهم ، ومظهر رحمة الله ، والمتخلّق بأخلاق الله .

وكيف كان يجب على زوّاره - صلوات الله عليه وآله - أن يظنّوا بفضله وكرمه وإفاضته كلَّ الظنّ ، ويستمدُّوا من فيض زيارته ، وأنوار إقباله ، ويستضيئوا من إشراق إقبال وجهه ، فانّه يضيئ كلَّ ظلمة ، ويفيض لكلّ الخليقة ، ويكفي للعالمين لأنّه نور الله الأنور ، وضيائه الأزهر ، وفيضه الأقدس [(١)] .

وأطل الوقوف بحضرته ، ولا تملَّ منه لأنَّ العاقل لا يملُّ من الانتفاع ، وزُرْ في ضريحه المقدّس قبر سيّدة النساء عليها السلام ، واعمل في زيارتها مثل ما مرَّ في زيارته ، انّها بضعة منه كريمته وحبيبته [(٢)] .

واقصد بعد زيارتهما زيارة أئمّة البقيع [(٣)] نحو ما قصدت زيارته ، وزُرهم كما مضى في زيارته ، فانّهم بمنزلة نفسه ، من أطاعهم فقد أطاعه ، ومن أحبّهم فقد أحبّه ، من خضع لهم فقد خضع له ، لا فرق بينهم وبينه ، فانّهم خلفاؤه وذرّيّته وكلّهم نور واحد .

وجدَّ حتّى لا ترجع من حضرته إلاّ بعد ظهور آثار الإذن ، كما دخلت بعد ظهور آثاره ، وإذا أردت الانصراف فارجع القهقري قليلاً ثمَّ ارجع إلى مكانك وسلّم عليه ، وقف قليلاً ، وكرّر ذلك وإذا خرجت من الحرم قبّل العتبة .

---

(١) راجع في زيارته ﷺ : الكافي : ٤ / ٥٥٠ ح ١ ؛ كامل الزيارات : ١٥ ، التهذيب : ٦ / ٥ ح ٨ ؛ عنها الوسائل : ١٤ / ٣٤١ ح ١ ، مصباح المتهجد : ٦٥٢ - ٦٥٣ .

(٢) راجع في زيارتها عليها السلام : التهذيب : ٦ / ١٠ - ١١ ، مصباح المتهجد : ٦٥٤ - ٦٥٥ ، مزار الشهيد : ٢٢ - ٢٣ .

(٣) راجع في زيارتهم عليهم السلام - : التهذيب : ٦ / ٧٩ - ٨٠ ، كامل الزيارات : ٥٤ ، مصباح المتهجد : ٦٥٦ - ٦٥٧ .

وليكن الراجع بدنك وأنت مع قلبك وروحك وفكرك مقيم على حضرته وغير مفارق خدمته ، وكلّما انتهيت إلى آخر السكك ، وأردت أن تدخل سكّة أخرى فارجع إما وراءك ، وأشر إلى حضرته بالسلام حتّى تدخل منزلك .

واستقص أيّام وقوفك بالمدينة المشرّفة زيارة المواضع الشريفة الّتي روي وقوفه بها ودخوله عليها ، ومشاهد أهل بيته .

وإذا كان أوان وداعك ، حصّل في قلبك وروحك وعقلك وكلّك حالاً يصلح لوداعه [١] ، ولتكن في وداعك قبره كمن يودّع روحه وحياته ، وأنشيء لوداعه دعاءً وسلاماً أبلغ ممّا أنشأ السجّاد عليه السلام في وداع شهر رمضان ، فانّ حقوق شهر رمضان وإن عظمت ، ولكنّه قليلٌ عند حقوقه صلى الله عليه وآله ، بل هو أيضاً جزء من أجزاء حقوقه الكثيرة الواجبة .

وودّع سيّدة النساء وأئمّة البقيع عليهم السلام كما تودّعه ، وودّع المدينة المشرّفة [٢] وهكذا تزور كلَّ واحد من الأئمّة ، وتناجي مع كلّ واحد منهم بما يناسبه .

وتزيد في زيارة (سيّد) الشهداء أنّك لا تجيد مطعمك ومشربك مادام في الطريق وفي كربلاء وتأكل دوناً وتلبس دوناً وتكون أشعث أغبر ، وتترك الملاذّ مادام كنت ثاوياً في كربلاء ، ويكون عليك سمة أهل العزاء ، وتذكر عنده مصائبه وتبكي وتظهر الأحزان ، وتذكر كلَّ واحد من أهله وأصحابه ، وتذكر ما أصابهم ، وتظهر الأسف الشديد من حرمانك الشهادة بين يديه ، وفدائك روحك دونه ،

---

(١) راجع في وداعه صلى الله عليه وآله الكافي : ٤ / ٥٦٣ ح ١ ؛ وكامل الزيارات : ٢٧ ؛ عنهما البحار : ١٠٠ / ١٥٨ ح ٣٦ و ٣٧ .

(٢) راجع في وداعهم عليهم السلام : التهذيب : ٦ / ٨٠ ، مصباح الزائر : ٢٩٤ .

هذا .

ولتفصيل أسرار زيارتهم عليهم السلام محلاً آخر لا يسعه هذا المختصر ، ولعلَّ الله يوفّقني بعد ذلك باظهار تفاصيلها .



الفصل الثاني عشر

في أسرار مراقبات شهر ذي الحجة

فعلى المراقب أن يهتمّ لا ستهلاله حتّى يكون على يقين من مقامات أوقاته الخاصّة ، بل على المراقب أن يجعل ذلك من حوائجه المهمّة الّتي يذكرها في أوقات دعائه ، ثمّ الدعاء عند رؤية الهلال ببعض ما ورد في الأخبار من الدعاء المطلق للرؤية ، وفي الدعاء الّذي أنشأه السيّد ﷺ أيضاً مضامين عالية لأهل الذكر من المراقبين [1] ، فجزاه الله عنّا خير جزاء المرشدين .

ثمّ من مهمّات [2] أهل المراقبة معرفة حال هذا المنزل الشريف شرفاً وفضلاً ومعرفة شرف مقاماته الكريمة ومعرفة فوائدها .

اعلم أنّ شهر رمضان وإن ورد فيه أنّه أفضل الشهور ، وأيّامه أفضل الأيّام وساعاته أفضل الساعات ، إلّا أنّ هذا الشهر أيضاً ورد لبعض أيّامها من الفضل ما يزيد على شهر رمضان ، ويمكن الجمع بأنّ لشهر رمضان فضلاً على سائر الشهور بالذات وليوم الغدير مثلاً فضلاً من حيث ما ظهر فيه من أمر الولاية ،

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٣١ .

(٢) في الأصل : من أهميات .

وإكمال الدين،إتمام النعمة ، أو أن يخصّص أخبار شهر رمضان بأخبار الغدير أو أن يكون كلٌّ منهما أفضل من جهة لا من جميع الجهات [(١)] .

وبالجملة أمر هذا الشهر عظيم جدّاً وللمراقبين في هذا المنزل مواقف يجب بحكم العبوديّة وحقّ المراقبة أن لا يدخلوها مع الغفلة ، فيضيّعوا حرمتها ، بل عليهم أن يراقبوها قبل حلولها ، ويعدُّوا لها عدَّتها قبل حضورها ، فانّها مشاهد للأبرار والأطهار ، وأهل القدس والأنوار .

وينبغي لمن طمع في حضور مشهد هؤلاء الملوك والأعيان أن يتشبّه بهم في زيّهم وهيئاتهم ، لئلّا يرغبوا عن مجالسته ، ويشمئزُّوا عن مرافقته ، فلينظر العبد المريد لهذا المجلس الكريم أن يتكلّف في التشبّه بهم في أخلاقهم وصفاتهم ، انّ لهم نفوساً زكيّة ، وقلوباً زاكية طاهرة ، وأخلاقاً حسنةً ، وأعمالاً صالحة ، وإنّهم علماء حلماء ، بررة أتقياء ، عرفاء حكماء ، حفظة أزكياء ، صائمون قائمون ، ذاكرون متوكّلون ، مسلمون راضون ، مسبّحون حامدون ، مهلّلون مكبّرون ، وحّدون صادقون مخلصون .

فإن كنت منهم فهنيئاً لك وطوبى ، وإن لم تكن فتكلّف أن تتشبّه بهم فيما هم عليه ، إن لم تقدر فتوسّل إلى كرمهم في قبولك لخدمتهم ، وضع نفسك موضع خدَّامهم وعبيدهم مع خجل واعتذار ، ولكن لا تقصّر في مقدورك من التشبّه وتحصيل العدَّة ، وتنافس في حضور هذه المشاهد العظيمة والمواقف الكريمة ، بذل حياتك وروحك ، فانَّ هؤلاء الأشهاد من أهل الكرم والجود لا يخسر من عاملهم ، ولا يهلك من تابعهم ، ويفلح من خالطهم ، ويعزُّ من

---

(١) راجع إقبال الأعمال : ٢ / ٢٥٤ – ٢٧٠ .

جالسهم، الله تعالى هوالذي أدّبهم بالكرم ، وهو لا يناقش في تبعتهم بل يحبّهم كما أنزل في كتابه :﴿قُلْ إن كُنتُم تُحِبُّونَ اللهَ فاتّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ الله﴾[١] ويقرّب من قرّبوه، يكرم من أكرموه .

وكيف كان فمن جملة المواقف العشر الأوّل منه ، وهي المراد من الأيّام المعلومات في قوله تعالى : ﴿واذكُرُوا اللهَ فِي أيّامٍ [مَعْدُوداتٍ][٢]﴾[٣] والذكر لا يجتمع مع الغفلة ، فاحذر عن أن تدنّس قلبك بالفضلات في هذا الشهر ، لا سيّما بالمعصية ، [من] تمام الذكر أن تكون بعقلك وروحك وقلبك وقالبك ذاكراً الله جلَّ جلاله ، انَّ لكلّ منها ذكراً خاصّة .

واغتنم إذن الله لك في ذكره وقدّر بعقلك ذلك من النعم العظيمة الّتي لاتقدر على أداء شكرها طول عمرك ، وأحضر روحك في مقام الحضور كأنّك حاضر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وأقبل بقلبك على عبوديّته وشكر نعمته الّتي لاتحصى ، واشغل بجميع جوارحك بما يخصّها من العبادات والقربات ، فإذا ذكرته كذلك فابشر أنّه علامة ذكره عزَّ وجلَّ لك في كلّك بكلّك وأنّه يذكرك ثانياً في جميع ذلك جزاءً لذكرك بها ، فانّه تعالى يذكر ذاكريه مرّتين فسبحانه من متفضّل ما أفضله ، ومن شكور ما أشكره .

وتفكّر فيما ورد في فضيلة هذه الأيّام عن النبي صلّى الله عليه وآله من قوله : «ما من أيّام أزكى عند الله تعالى ولا أعظم أجراً من عشر الأضحى ، قيل : ولا الجهاد في سبيل

---

(١) آل عمران : ٣١ .

(٢) في الأصل : معلومات .

(٣) البقرة : ٢٠٣ .

الله قال : لا الجهاد في سبيل الله إلاّ رجل خرج بنفسه وماله ثمّ لم يرجع من ذلك بشيء»[(١)] .

وما ورد من قوله : «ما من أيّام ، العمل الصّالح فيها أحبُّ إلى الله عزَّ وجلَّ من أيّام العشر يعني عشر ذي الحجّة ، قالوا : يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلاّ رجل خرج بنفسه وما له فلم يرجع»[(٢)] .

فانظر إلى هاتين الروايتين ، لاسيّما الرواية الثانية ، وعظّم ما عظّم الله ، وتشمّر عن ساق الجدّ وادخل هذا الميدان بكمال النشاط والشوق ، والدعاء والتوسّل إلى خفراء الأمّة لا سيّما اللّيلة الأولى ، وزد في التضرُّع إلى باب كرمهم أن يدخلوك في همّهم وحزبهم ، ودعائهم وحمايتهم ، وولايتهم وشفاعتهم وشيعتهم ، ويرغبوا إلى الله جلّ جلاله في توفيقك وقبولك ورضاه عنك ، وتأييدك وتسديدك ، وكلّ خيرك لدينك ودنياك وآخرتك ، لنفسك وأهلك وإخوانك في الله ، وجيرانك وذوي حقوقك .

وصلّ في كلّ ليلة منها بين المغرب والعشاء ركعتين تقرأ في كلّ ركعة منهما فاتحة الكتاب والاخلاص ، وقوله تعالى : ﴿**وَواعَدْنا مُوسى ثلاثِينَ لَيلَةً وأتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أربَعِينَ لَيلَةً وقالَ مُوسى لأخِيهِ هارُونَ اخْلُفني فِي قَوْمِي وأصْلِحْ وَلا تَتَّبِع سَبِيلَ المُفْسدِينَ**﴾[(٣)] وإذا فعلت هذا شاركت الحاجّ في ثوابهم وإن لم تحجّ[(٤)] .

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٣٥ .
(٢) إقبال الأعمال : ٢ / ٣٤ - ٣٥ .
(٣) الأعراف : ١٤٢ .
(٤) إقبال الأعمال : ٢ / ٣٥ - ٣٦ ، عنه الوسائل : ٨ / ١٨٣ ح ١ .

وتذكّر عند قراءة الآية الشريفة أنّه ما هذه المواعدة ؟ وزد حسرة وشوقاً إلى لقاء الله ، ولاتكن من الخاسرين ﴿الّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ حَتى إذا جاءَتْهُمُ الساعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَاحَسْرَتَنا عَلَى مَا فَرّطْنَا فِيها وَهُمْ يَحْمِلُونَ أوزَارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِم ألا سَاءَ ما يَزِرُونَ﴾ [(١)] .

وتفكّر فيما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في وصف شوق الكليم إلى هذا الميقات حيث قال : ما أكل وما شرب وما نام في ذهابه ومجيئه أربعين يوماً شوقاً إلى لقاء الله [(٢)] .

وصم أوّل يوم منه فانّه روي في الفقيه : «أنّ من صام أوّل يوم من عشر ذي الحجّة كتب الله له صوم ثمانين شهراً» [(٣)] .

وروى الشيخ أنّه اليوم الّذي ولد فيه الخليل ، وفيه اتّخذ الله إبراهيم خليلاً [(٤)] وأنّه بعث فيه النبيّ صلى الله عليه وآله سورة براءة مع أبي بكر ثم نزل على النبي صلى الله عليه وآله أنّه لا يؤدّيها عنك إلاّ أنت أو رجل منك ، فأنفذ النبيُّ صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام حتّى لحق أبا بكر فأخذها منه ، وردّه [(٥)] ، وتفطّن ما في هذه الحكايات من الاشارات ، وفيه تفصيل طوينا ذكره ومن أراده راجع إقبال سيّدنا قدس سره [(٦)] .

ومن عمل هذا اليوم الأوّل أنّه يستحبُّ فيه صلاة فاطمة الزهراء سلام الله

---

(١) الأنعام : ٣١ .

(٢) مصباح الشريعة : ١٩٦ - ١٩٧ .

(٣) ٢ / ٨٧ ح ١٨٠٦ عنه إقبال الأعمال : ٢ / ٣٦ .

(٤) مصباح المتهجد : ٦٧١ عنه الإقبال : ٢ / ٣٦ .

(٥) مصباح المتهجد : ٦٧١ ؛ عنه الإقبال : ٢ / ٣٦ ، عنه البحار : ٣٥ / ٢٨٦ ح ٦ .

(٦) راجع إقبال الأعمال : ٢ / ٣٧ - ٤٤ .

عليها ، هي أربع ركعات بالحمد مرّة وخمسين مرّة ﴿قل هو الله أحد﴾ ، ويسبّح عقيبها تسبيح الزهراء سلام الله عليها [ويقول] [١] : «سبحان الله ذي العزّ الشامخ المنيف ، سبحان (الله)[٢] ذي الجلال الباذخ العظيم ، سبحان (الله) [٣] ذي الملك الفاخر القديم ، سبحان من يرى أثر النملة في الصفا ، سبحان من يرى وقع الطير في الهواء ، سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره» [٤] .

ويستحبُّ في هذه الأيّام كلّها الدعاء الّذي أوّله : «اللّهمَّ إنّ هذه الأيّام الّتي فضّلتها على غيرها» بعد صلاة الصبح والمغرب [٥] .

ومن أهمّ ما ينبغي أن يفعل في هذا العشر ما روي عن المفيد ﷺ باسناده إلى أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الله أهدى إلى عيسى بن مريم - على نبيّنا وآله وعليهما السلام - خمس دعوات ، جاء بها جبرئيل عليه السلام في أيّام العشر ، فقال : ياعيسى ادع بهذه الخمس الدعوات ، فانّه ليس عبادة أحبَّ إلى الله تعالى من عبادته في أيّام العشر - يعني عشر ذي الحجّة - :

أوّلهنَّ : «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير» .

والثانية : «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ، أحداً صمداً ، لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً» .

والثّالثة : «أشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له ، أحداً صمداً ، لم يلد ولم

---

(١) في الأصل : ويقال ، وما أثبتناه من المصدر .
(٢ و ٣) ما بين القوسين ليس في المصدر و الإقبال .
(٤) مصباح المتهجد : ٦٧١ ، عنه الإقبال : ٢ / ٤٤ .
(٥) إقبال الأعمال : ٢ / ٤٥ - ٤٦ ، مصباح المتهجد : ٦٧٢ .

يولد ، ولم يكن له كفواً أحد» .

والرابعة : «أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيي ويميت وهو حيٌّ لا يموت ، بيده الخير وهو على كلّ شيء قدير» .

والخامسة : «حسبي الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ، أشهد لله بما دعا ، وأنّه بريء ممن تبرّأ وأنَّ لله الآخرة والأُولى» .

قال الحواريّون لعيسى [على نبينا وآله و] عليه السلام : ياروح الله ما ثواب من قال هؤلاء الكلمات ؟ قال :

أمّا من قال الأُولى مائة مرّة لا يكون لأهل الأرض عمل أفضل من عـمله ذلك اليوم،كان أكثر العباد حسنات يوم القيامة .

ومن قال الثانية مائة مرّة ، فكأنّما قرأ التوراة والإنجيل اثني عشر مرّة وأُعطي ثوابها قال عيسى عليه السلام : ياجبرئيل وما ثوابها ؟ قال لايطيق أن يحمل حرفاً واحداً من التوراة والإنجيل من فـي السـماوات السـبع مـن المـلائكة حتّى أُبـعث أنـا وإسرافيل لأنّه أوّل عبد قال لا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

ومن قال الثالثة مائة مرّة ، كتب الله له [بها] عشرة ألف حسنة ، ومحا عنه بها عشرة ألف سيئّة ، ورفع له بها عشرة ألف درجة ، ونزل سبعون ألف ملك مـن السماء رافعي أيديهم يصلّون على من قالها ، فقال عيسى عليه السلام : ياجبرئيل هـل يصلي الملائكة إلاّ على الأنبياء ؟ قال جبرائيل : من آمن بما جاء به الأنبياء من جانب الله،لم يبدل أُعطي ثواب الأنبياء .

ومن قال الرابعة مائة مرة تلقاها ملك يصعد بين يدي الجبار عزَّ وجلَّ فينظر الله عزَّ وجلَّ إلى قائلها ، ومن نظر الله تعالى إليه فلا يشقى .

قال عيسى عليه السلام : ياجبرئيل ما ثواب الخامسة ؟ فقال هي دعوتي ولم يؤذن لي أن أفسّرها لك .

أقول : ليت شعري أهذه المثوبات لمجرّد القراءة أو لها شرط ؟ روي أنّه قال أبو الحسن الرضا عليه السلام في مسيره إلى طوس : «من قال لا إله إلاّ الله وجبت له الجنّة ، ثمّ قال : بشرطها وشروطها وأنا من شروطها »[1] ، ولابدّ أن يكون له شروط ومن الشروط المقطوعة أن يكون معتقداً لا محالة لما يقول وأنا أشرح معناها فانظر هل تعتقد به أم لا ؟

فأقول : معنى «إله» : فزع ، فالإله بمعنى المفزع ، ومعنى الشهادة الحضور ، فمعنى «أشهد أن لا إله إلّا الله» أنا شاهد أن لا مفزع في الوجود إلّا الله «له الملك وله الحمد» أي لا ملك لأحد إلّا لله ولا خير ولا نعمة ولا فضيلة إلّا لله وفي الله ، يعني العالم كلّه ملك الله ، ولا خير ولا فائدة من أحد إلّا الله .

فمن اعتقد أن لا مفزع إلّا الله ، كيف يفزع إلى غير الله في أموره ولا يفزع إلى الله ؟من فزع في مهمّاته إلى أبيه مثلاً أو إلى شيء من عروض الدُّنيا ، وكان اطمئنانه وسكون قلبه إلى مال الدنيا أكثر من وعد الله في كتابه بعد تأكيده بالقسم ، فهل يجتمع ذلك مع اعتقاد أن لا مفزع إلّا الله ؟

ثمّ أقول : من اعتقد أنّ الملك كلّه لله كيف يتصرّف فيه بغير إذنه ؟ وكيف يتوقّع تملّكه من غيره ؟ وكيف يثقل عليه أن يصرف ملك الله في عياله ؟! .

ثمّ أقول : من اعتقد أنّ الحول والقوّة والعزّة والقدرة كلّها لله ، كيف يرغب

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٥ ، عنه البحار : ٤٩ / ١٢٣ خ ٤ و ج : ٣ / ٧ ح ١٦ ؛ وعن ثواب الأعمال : ٢١ ح ١ .

لأحد في مطمع ؟ وكيف يخاف من أحد في محذور ؟ كيف يرى غير الله ضارّاً نافعاً ؟ كيف يخالف مراد الله في ملاحظةالمخلوق ؟ !.

وبالجملة من اعتقد بمضمون هذه الشهادة الموجودة في هذا الدعاء لا يرى في أحد نفعاً ولا ضرّاً ، ويكون الناس عنده كالجماد ، وإذا رأى ظاهراً خيراً من أحد لا يشكر إلّا الله ، وإذا رأى من أحد ضرراً أو محذوراً يعلم أنّه عقاب من الله ، ولم ينله ذلك من الله إلّا من جهته ، جزاءً لسوء عمله .

وأمّا من يرى الخير في عروض هذه الدنيا ، ولا يطمئنُّ لحوائجه إلّا بها ، ويرى الخير والسعادة في الملوك الأغنياء ، ويتملّق للأغنياء والملوك طمعاً في دنياهم،يخالف أمر الله ونهيه في كسب الجاه والمال ، ويحزن بفقد المال ، ويفرح بوجوده ويفزع في الشدائد والنوائب إلى غير الله ، ولا يطمئنُّ بوعد الله لزرقه مع قسمه ، ويأمل غير الله في نوائبه ، فهو كالمنافق في شهادته هذا ، والله يشهد إنّه لكاذب ، ويعجبني أن لا أترك ذكر ما رواه في [الكا]في في هذا الباب من الحديث القدسيّ .

روى ثقة الإسلام فيه عن أبي عبد الله عليه السلام عن الحسين بن علوان قال : كنّا في مجلس نطلب فيه العلم ، ولقد فقدت نفقتي في بعض الأسفار فقال لي بعض أصحابنا من تؤمّل لما قد نزل بك ؟ فقلت فلاناً ، فقال : إذاً لا تسعف حاجتك ، ولا يبلغ أملك ولاينجح طلبتك ، قلت وما علّمك رحمك الله ؟ قال :إنّ أبا عبدالله عليه السلام حدَّثني أنّه قرأ في بعض الكتب أنّ الله تبارك وتعالى يقول : «وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطّعنَّ أمل كلّ مؤمّل غيري باليأس ، ولأكسونّه ثوب الذلّة عند النّاس ، ولأنحّينّه عن قربي ولأبعّدنّه عن وصلي ، أيؤمّل غيري في

الشدائد والشدائد بيدي ، ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني» .

«فمن ذا الّذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها ، ومن ذا الّذي رجاني لعظيمة فقطّعت رجاءه منّي ، جعلت آمال عبادي كلّها عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممّن لا يملُّ من تسبيحي ، وأمرتهم أن لا يغلّقوا الأبواب بيني وبين عبادي . فلم يثقوا بقولي» .

«ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنّه لا يملك كشفها أحد غيري إلّا من بعد إذني فما لي أراه لاهياً عنّي ؟ أعطيته بجودي مالم يسألني ثمَّ انتزعته عنه فلم يسألني ردَّه وسأل غيري ، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثمَّ أُسأل فلا أُجيب سائلي ؟

أبخيل أنا فيبخلني عبدي ؟ أو ليس الجود والكرم لي ؟ أوليس العفو والرحمة بيدي أوليس أنا محلُّ الآمال ، فمن يقطعها دوني ؟ أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري فلو أنَّ أهل سماواتي وأرضي أمّلوا جميعاً ثمَّ أعطيت كلَّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ، ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرَّة ، فكيف ينقص ملك أنا قيّمه ؟ فيا بؤساً للقانطين من رحمتي ، ويابؤساً لمن عصاني ولم يراقبني» [(١)] .

أقول : انظر يا أيّها المسكين في مواعيد هذا الحديث [...] واستدلالاته وعظمته،إنّه أعظم من السماوات السبع ، ومن العرش العظيم ، وخاطب في مطالبته نفسك ، واستفهم عقلك ، وانظر هل تقدر أن تنكر شيئاً ممّا أثبت فيه من قدرته وسلطانه وملكه ، وكون الشدائد بيده ، وكون مفاتيح الأبواب بيده ، وكون

(١) الكافي : ٢ / ٦٦ ح ٧ ؛ عنه البحار : ٧١ / ١٣٠ ح ٧ .

بابه مفتوحاً لمن دعاه .

أو لم ينزل في ذلك قرآناً ودعاك إلى دعائه ؟ أو لم يخبرك أنّه قريب ممّن دعاه ومجيب لمن ناداه ؟ أو هل رايت أحداً أمّله لنوائبه فقطعه دونـها ، ورجـاه لعظيمة فقطع رجاءه ، ولا تتخيّل أنّك تؤمّل الله لنوائبك فيقطع أملك ، وترجوه لحوائجك ويخيبك ، لأنّك كاذب في أملك منه ، وغير صادق في رجائك له .

ولو كنت راجياً له لكنت طالباً رضاه ، وهارباً من سخطه ، لأنّ الرجاء والأمل عملان للقلب ينشئان من العلوم الثلاثة : العلم بـالقدرة والكـرم والعـناية ، فـما يحصل من هذه العلوم الثلاثة للقلب من الظنّ بـالكرم ، وانـتظار الخـير يسـمّى رجاء،الظنُّ في الرجاء أقوى منه في الأمل .

ومن اعتقد من قادر عنايته ، وظنَّ كـرمه ، لابـدَّ أن يـراقـبه ، ويـخضع له ويتملّق ، كلّما زاد الرجاء وكان المرجوّ من الخير جليلاً عند الراجي ، لا سيّما إذا كان غير منحصر في خير وسعادة ، ولاسيّما إذا كان غير محصور ، وكان من جملته ما يضطرُّ إليه الراجي في وجوده وبقائه وسلامته ، وجميع أنحاء تعيّشه ، زادت المراقبة والملق والخضوع ، والجدُّ في طلب مرضاته ، والهـرب عـن سـخطه ، والإنسان مجبول في ذلك وهو عبد النعيم ، كما هو المعمول فيما يرتجيه العامّة من ملوك الدنيا وأرباب الجود ولا خلف .

مع أنّهم يعتقدون بحكم الإيمان ، ويرون بحكم التجربة أنَّ قلوب هؤلاء المخلوقين إنّما هو بيد الله ، يقلّبها كيف يشاء ، ولذلك قيل : الناس عبيد الإحسان إذا أمّلوا من أحد إحساناً يخضعون له خضوع العبيد ويطيعونه .

وبالجملة لو تيقّن أحد في مورد قدرة وكرماً وعنايةً خضع له بالفطرة ، ولا

يعصيه بالاختيار ، فهذه المخالفات لله تعالى من جهة ضعف الإيمان وفقد الايقان فبقدر الإيمان يحصل المراقبة .

فإذا تمهّد ذلك تبيّن أنَّ المخالف لله تعالى في أوامره ونواهيه ، ليس راجياً وغير الراجي ليس صادقاً في شهادة أن لامفزع إلّا الله ، وأنَّ الملك والخير منحصر لله ولا يوجد من غيره ، هذه في الأدعية الأربعة ، وأمّا الخامس ففيه تفصيلات لا يقدر على صدق القول بها إلّا عبد موحّد موقن بالتوحيد ، ونفي التأثير عن الغير ، وأنّه كاف لحوائجه ، وأنّه منزَّه من كلّ شين ، ومن جملة ما تنزَّه منه العجز والبخل والكذب ، وقد أنزل في كتابه : **﴿ومَن يَتَوَكَّلْ على اللهِ فَهُوَ حَسْبُه﴾**[1] وقال : **﴿ادْعوني أستَجِب لَكُم﴾**[2] .

فمن تيقّن ذلك كلّه في الله ، هل يمكن أن يرى لشيء دخلاً في مطالبه وحوائجه ؟ الموحّدون إنّما يرون ذلك شركاً ، بل ينزّهون الله عن الشريك في الإرادة ، بل عن الشريك في الوجود ، ويقولون لا مؤثر في الوجود إلّا الله .

وإذا تمهّد عندك هذه المقدّمات ، يسهل لك تصديق ما روي من المثوبات في الرواية السالفة على هذه الدعوات ، وتتفطّن من ذلك أنَّ الثواب بقدر الإيمان بها والتحقّق بمضامينها ، وتقطع بأنَّ المراد ليس مطلق قراءتها .

هذا كلّه من جهة الصدق في قصد معاني ما يقول ، ولذلك جهة أُخرى وهو أن يقرأها بحضور القلب وقصد المعنى ، فمن يقرؤها وهو غافل عن معناه بل ولفظه فكيف يدخل ذلك في هذه الرواية ؟ لأنَّ قراءتها من حيث إنّها ذكر الله

---

(١) الطلاق : ٣ .

(٢) غافر : ٦٠ .

والدعاء ومن قرأها وهو غافل عمّا يقول : لا يقال : إنّه قرأ الدعاء ، وأنّه دعا ، بل يقال تلفّظ بألفاظ الدعاء ، ولأنَّ للدعاء صورة وروحاً ، صورته ألفاظها وهي قائمة باللّسان ، روحه معانيه ، وهي صفة للقلب وقائمة به ، فمن كان قلبه غافلاً عن دعائه وما يتلفّظ به ، فدعاؤه دعاء بلا روح ولا حياة .

فان قيل : فعلى ما قلت لا فائدة في قراءة هذه الدعوات لمن يعمل بالمعاصي ؟ لا سيّما إذا كان غافلاً عن قصد معناه ؟ وهذان الأمران لا يتمّان إلاّ في الكاملين من المؤمنين ، بل يختصُّ بزمرة المقرَّبين .

قلت : ليس الأمر كذلك ، بل الّذي يلزم على ما قلناه أنَّ جميع هذه المذكورات في الخبر إنّما هو حقٌّ من قرأها حقَّ قراءتها وأنَّ من لا يخاف الله ولا يرجوه ولا يطيعه في شيء من أوامره ونواهيه ، فهو محروم من فوائدها كلّها ، وأمّا من كان مؤمناً بالله ، ومطيعاً له بقصده ، ولا يملك نفسه في بعض الأوقات ويعصي ويسيئه معصيته فهو إذا كان قاصداً لمعاني ما يقول ، فهو ليس محروماً من فوائدها ، بل المرجوُّ من كرمه تعالى أن يكمّل له أكثر ما ذكر في الرواية من الفضل ويزيده ، وأمّا من كان حاله هذا ، وهو غافل عن قصد معانيها في قراءة بعضها ، وقاصد لها في البعض الآخر ، فهو أيضاً قد يناله فضل من الله وأحيا ما قرأه بالغفلة بقصده الاجماليّ الّذي بعثه إلى قراءته ويربّيه له .

وبالجملة فبقدر إيمانه وعمله وقصده يثاب جزماً ، وقد يتفضّل عليه ، ويسامح في تقصيره ، ويعطيه نوراً زائداً على ما وعده في حكمه العامّ ويربّي ما ناقصه [1] ويكمّله فيوفّي عليه جزاء الكامل التامّ .

---

(١) في الاصل : ما قصده.

وبالجملة للمكلّف أن لا يترك شيئاً من الخير والعبادة، لشبهة أنّه لا ينفعني من جهة سوء حالي، لأنّ كلّ ما يسنح من الخواطر لترك العمل، فهو شيطانيٌّ، بل له أن يجدَّ ويسعى في تصحيحه، ولو لم يقدر حين العمل على إتيان الشروط، وهو عازم على أن يأتي بها، ولكن يمنعه عدم القدرة فهو [حينئذ] مضطرٌّ يسقط عنه غير المقدور فليأت بمقدروه، ويلتجئ إلى الله في قبوله، وإذا علم الله من قلبه أنّه في مقام الاضطرار إمّا أن يمنَّ عليه بالقدرة، أو يقبله بمقدوره، ولا يردُّه من جهة مالا يقدر عليه من الشرائط، ولو كان عدم قدرته بسوء اختياره فيما تقدَّم، إذا ندم منه وتاب عند العمل.

ومن أهمّ ما ورد في هذا العشر التهليلات العشر كلَّ يوم عشراً، وهو: «لا إله إلّا الله عدد اللّيالي» الخ وقد ورد لها ثواب عظيم [1]، وليتفطّن أنَّ الله تعالى من فضله وكرمه يقبل من العبد التضعيف بهذا الوجه مكان المضاعف الخارجيّ فمن قال: الحمد لله مائة مرَّة مثلاً يقبل ذلك منّه بمائة حمد، ويجزيه جزاء من حمده مائة مرَّة.

ثمَّ ليتفطّن أنَّ تغيير الأُسلوب في الفقرة الثالثة وهو قوله: لا إله إلاّ الله ورحمته خير ممّا يجمعون» حيث لم يقل: لا إله إلاّ الله عدد ما يجمعون لأنّه عبارة عن عروض هذه الدنيا الفانية، وهي من جهة حقارتها عند الله، بل من جهة كونها عدوَّة لله – لأنّها تقطع طريق عباده إلى الوصول بقربه وكرامته، لكونها شاغلة لهم عن ذكره وفكره وعبادته – فلذلك عدل عن التصريح بتهليله عدده بالاشارة بكلام فيه إشارة إلى علّة الاستحقار والعدول، وهو أنَّ رحمة الله خير من عروض هذه

---

(١) راجع الإقبال: ٢ /٤٧ – ٤٨.

الدنيا يعني الآخرة خيرٌ من الأولى والله خير وأبقى .

فإذا تفطّن لذلك فليستقلَّ همَّ الدنيا في قلبه ، وليعلم أنَّ من كثر همّها في قلبه يسقطه عن الشرف الّذي لقلب المؤمن في عين الله .

ومن الأهمّ [(١)] صوم هذه الأيّام التسعة لا سيّما اليوم الأوّل ، روي أنَّ صومه يكتب ثمانين شهراً [(٢)] ، وصوم التسعة صوم الدَّهر [(٣)] ، وصوم التروية كفّارة ستّين [(٤)] سنة [(٥)] ، وكلُّ ذلك للرواية .

وأمّا ليلة عرفة فروي أنَّ ليلة عرفة يستجاب فيها ما دعا من خير ، وللعامل فيها بطاعة الله تعالى أجر سبعين ومائة سنة ، وهي ليلة المناجاة وفيها يتوب الله على من تاب [(٦)] [(٧)] .

ويستحبُّ فيها أن يدعو بالدعاء الّذي أوّله : اللّهمَّ ياشاهد كلّ نجوى [(٨)] .

أقول : لا تغفل عن مضامين هذه المناجاة الفاخرة ، ولعمري لو كنت من أهلها لرأيت فيها علوماً ينبغي للمسلم أن يصرف عمراً في تحصيلها ، وادع بها حيّاً ، ولا تدع بها ميّتاً ، وتفكّر فيما تضمّنته من أسماء الله وصفاته وأفعاله ، فان

---

(١) في الأصل : ومن الاهميات .

(٢) الفقيه : ٢ / ٨٧ صدر ح ١٨٠٦ عنه الإقبال : ٢ / ٣٦ .

(٣) الفقيه : ٢ / ٨٧ ذيل ح ١٨٠٦ ؛ ثواب الأعمال : ٩٩ ؛ إقبال الأعمال : ٢ / ٤٨ .

(٤) في المصدر تسعين .

(٥) الفقيه : ٢ / ٨٧ ح ١٨٠٨ ؛ عنه الإقبال : ٢ / ٤٩ ؛ والوسائل : ١٠ / ٤٦٦ ح ١٠ ؛ ثواب الأعمال : ٩٩ .

(٦) في الأصل : آب ، وما أثبتناه من المصدر .

(٧) إقبال الأعمال : ٢ / ٤٩ - ٥٠ .

(٨) راجع إقبال الأعمال : ٢ / ٥٠ - ٥٥ .

انكشف لك شيء من حقائق بعضها أو انشرح صدرك بفهم بعض مراداتها لصدَّقت ما قلناه بحقيقة التصديق .

وتفطّن أنّ المراد بالأسماء الّتي يقسم فيها على الله هل هو اسم لفظيٌّ أو اسم عينيٌّ لعلّك لو تفكّرت في مضامينها لا سيّما في مثل ما فيها : «وباسمك الّذي رفعت به السماوات بلا عمد وسطحت به الأرض» الخ عرفت أنّ المقصود منه الاسم العينيّ وهكذا قوله : «وباسمك السبّوح القدُّوس البرهان الّذي هو نور على كلّ نور ، ونور من نور ، ونور يضيئ منه كلّ نور إذا بلغ الأرض انشقّت» الخ لا يلائم بالأسماء اللّفظيّة ، فانَّ هذه الصفات لا يتعقّل في الأسماء اللفظيّة إلاّ بتأويل يرجع إلى الأسماء العينيّة .

وأيضاً لا تغفل عن التصريح فيها وكذا في أغلب المناجاة الطوال أنَّ وجود كلّ شيء وخلقه إنّما هو بأسماء الله فتفكّر في هذه المعاني لعلّك تعرف بنور التفكّر ما كنت غافلاً عنه من جواهر العلوم ، وأسرار الكون الّتي أشير إليها في القرآن العزيز من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، واشكر نعمة من علّمك بها .

وروي أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله عشر تسبيحات من قرأها ألف مرّة لم يسأل الله عزَّ وجلَّ شيئاً إلاّ أعطاه إلاّ قطيعة رحم أو إثم [١] ويستحبُّ فيها زيارة الحسين عليه السلام [٢] .

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٥٥ - ٥٦ باسناده إلى عبد الله بن مسعود .

(٢) روى شيخ الطائفة في مصباحه عن ابن ميثم عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : «من زار الحسين - أو قال : من زار ليلة عرفة - أرض كربلاء وأقام بها حتى يعيد ثم ينصرف ، وقاه الله شر سنته» عنه البحار : ١٠١ / ٩١ ح ٣٤ .

ومن مهمّات الليلة مراجعة الحماة عليهم السلام في أوّلها وآخرها على ما كرّرنا ذكره في أمثالها من الأوقات الشريفة .

وأمّا يوم عرفة فمن قدر فيها إلى حضور عرفات أو كربلا فذلك من أهمّ ما ينبغي فيها للدعاء ، وهو يوم كأنّه محّض للدعاء ، فللمراقب أن يستعدّ بكلّ ما يقدر عليه لهذا الموسم الجليل والعمدة في ذلك أن يحصّل شرائط استجابة الدعاء ، وأهميّة الدعاء في هذا اليوم بحيث منعوا من يضعّفه الصوم عن الدعاء عن الصوم فيه ، مع أنّ في بعض الأخبار الصحيحة المعتمدة أنّ صومه كفّارة تسعين سنة [1] .

ثمّ إنّ ما ذكرناه من رجحان حضور عرفات وكربلاء ، أمّا عرفات فبالضرورة من تشريع ، الحجّ وأمّا كربلاء فبالأخبار الكثيرة الواردة في ثواب زيارته عليه السلام في يوم عرفة :

وفي رواية الصدوق عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ الله تبارك وتعالى يتجلّى لزوّار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ، يقضي حوائجهم ، ويغفر ذنوبهم ، ويشفّعهم في مسائلهم ، ثمّ يأتي أهل عرفات فيفعل بهم ذلك [2] .

وروي عنه عليه السلام أنّ من زار الحسين بن علي عليهما السلام يوم عرفة كتب الله عزّ وجلّ له ألف ألف حجّة مع القائم عليه السلام وألف ألف عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعتق ألف ألف نسمة وحملان ألف ألف فرس في سبيل الله ، وسمّاه الله عبدي الصدّيق آمن بوعدي [3] .

---

(١) الفقيه : ٢ / ٨٧ ح ١٨٠٨ ؛ عنه الوسائل : ١٠ / ٤٦٦ ح ١٠ :

(٢) ثواب الأعمال : ١١٦ عنه الإقبال : ٢ / ٦١ ، مصباح المتهجد : ٧١٥ ؛ كامل الزيارات : ٧٠ ؛ عنها البحار : ١٠١ / ٨٦ ح ١٠ .

(٣) كامل الزيارات : ١٧٢ ؛ عنه البحار : ١٠١ / ٨٨ ح ١٨ ؛ مزار المفيد : ٤٦ ح ١ . وفي

قال السيّد قدّس الله نفسه الزكيّة والأخبار في فضل زيارته عليه السلام في عرفة متواترة[١].

أقول: وأمّا اختلاف الأخبار في تعيين ثوابها بألف وألفين وألف ألف فلعلّه بالنسبة إلى درجات الزائرين، أو بالنسبة إلى كيفيّة الزيارات، مع الخوف أو عدمه أو غير ذلك من جهة الرجحانات.

ولكنّ الأولى للزائر العارف أن يغتسل للزيارة وليوم عرفة، ويبتدئ بها بحيث يتمّها إلى الزوال، فيشرع من حين الزوال إلى مقدّمات الصلاة والدعاء وأمّا آداب الزيارة فقد مضى في زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله ما ينفع هنا ولكن الأهمّ في زيارة الحسين عليه السلام أن يكثر في شعار العزاء من الأحزان والأشجان والبكاء، ويكون أشعث وأغبر، ويتمنّى مكانة أصحابه عليه السلام في الوفاء بحقّه، والشهادة بين يديه، ويكثر من قول: ياليتنا كنّا معكم» عن حقيقة قلبه، ويتوجّه بقلبه وسرّه إلى روحانيّة الحسين عليه السلام ويستمدّ من فضله وأنواره وبركاته في قبوله وقبول زيارته وسائر أعماله وإلحاقه بأصحابه[٢].

وليعلم أنّ باب الحسين عليه السلام باب واسع الرحمة، سريع القبول والرضا، وكان عليه السلام يقول في حياته «مثل الإحسان مثل المطر يصيب البرّ والفاجر»[٣].

ويعجبني أن أشير في هذا المقام إلى ما حكى لي بعض أجلّة الثقات من

التهذيب: ٦ / ٤٩ ح ٢٨ عنه الوسائل: ١٠ / ٣٥٩ ح ٢. وأورده مرسلاً في روضة الواعظين: ٢٣٣. ومصباح الكفعمي: ٥٠١.

(١) إقبال الأعمال: ٢ / ٦٢.

(٢) راجع زيارته عليه السلام في يوم عرفة وآدابها في: مصباح الزائر: ١٨٢ – ١٨٥؛ مزار الشهيد: ٥٢ – ٥٥، عنها البحار: ١٠١ / ٣٦٠ – ٣٦٣.

(٣) تحف العقول: ١٧٥؛ عنه البحار: ٧٨ / ١١٧ ح ٣.

أهل العلم عن بعض الثقات أنّه كان له رفيق في صغره من أهل بلده يعرفه ، ثمَّ إذا كبر الرفيق صار عشّاراً ومضى عليه مدَّة في هذا الشغل ، فمات ودفن في مقبرة فرآه في النوم في حال جيّد وعيش هنيئ وسأله عن ذلك وعن سبب نجاته ، قال : إنّي كنت معذَّباً [بعد موتي] بسوء أعمالي إلى أن دفنت في هذه المقبرة في اليوم الفلاني الامرأة الفلانيّة زوجة فلان فزارها الحسين عليه السلام في اللّيلة الّتي دفنت فيها ثلاث مرَّات ، وإذا صار المرَّة الثالثة أمر الملائكة أن يرفعوا العذاب من جيرانها ، فرفع عنّا العذاب وحسن حالنا وإذا استيقظ من نومه،تفقّد عن زوجها فوجده، وسأله عن زوجته وموتها ، ومكان دفنها وكان كما أخبره العشّار ، وسأل زوجها عن أحوالها وأعمالها ولم يجد لها عملاً مربوطاً بالحسين عليه السلام إلاّ مداومتها لزيارة عاشوراء.

فانظر يا أخي في ودّه ووفائه عليه السلام أنّه يزور مرأة في ليلة ثلاث مرَّات ، ويوصل إليها من شفاعته وبركاته ما يكون حظّ جيرانها حتّى العشّار منهم ارتفاع العذاب وحسن الحال ، اللّهمَّ بلغّه عنّا في كلّ لحظة إلى أبد الآباد من الصلوات والتحيّات والتسليمات ، عدد ما أحاط به علمك ، ومبلغ رضاك ، وما لا نفاذ له .

وبالجملة إذا زاره عليه السلام على ما ينبغي وأراد الدعاء ، واقتضى حاله وتوفيقه فليصلّ اثنتي عشرة ركعة في كلّ ركعة فاتحة الكتاب مرَّة ، وآية الكرسيّ و﴿**قل هو الله أحد**﴾ مرَّة ، وليقرأ ماتيسّر من القرآن ويخرُّ ساجداً ويرفع (رأسه) ويقول .

«سبحان من لبس العزَّ» الخ ويدعو بما أحبَّ [1] .

وإن لم ينشط لذلك فليصلّ ركعتين قبل الخروج بارزاً تحت السماء ثمَّ

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٦٧ .

يأتي الحرم ويزوره ، وإن كان في غير كربلاء فليصلّ بعد الظهرين ونوافلها تحت السماء ثمّ يأتي محلّ دعائه ، فليبالغ في هاتين الركعتين فانّها بمنزلة الهدية يهديها المتشرّف بحضور الملوك قبل الحضور [(١)].

ثمّ اعلم أنّ فتح أبواب الدعاء من ملك الملوك تعالى جلّ جلاله كرامة لا يمكن أن يوجد من أحد من المخلوقين مثله ، وأنّه باب واسع يقابل كلّ أبواب السعادات ، أسهل مؤونة من جميع هذه الأبواب ، وليس في أبواب السعادات باب يكون طريقاً لكلّ مطلوب ممكن : جزئيّ وكليّ ، دينيّ ودنيويّ ، من جميع وجوه الآمال ، ولا يكون له حدٌّ في ذلك ، وليس في شرائطه عمل يثقل على الأبدان .

نعم شرائطه متعلّقة بتصحيح العقائد والمعارف ، وسائر شرائطه الدائرة على الأعمال البدنيّة كلّها شرائط كماليّة قليلة المؤونة لا ثقل فيها ، مثل البكاء والتختّم والتلبّث والتمجيد والتحميد والصلاة على النبيّ وآله والإقرار بالذنوب ، وتشريك المؤمنين والختم بالصلوات وماشاء الله ولا قوّة إلاّ بالله ، وجامع شرائطه المعنويّة القلبيّة التحقّق بحقيقة الإيمان بالله وصفاته وأسمائه ، وإذا اتّصف قلب العبد بصفة الإيمان بالله ، وبقدرته وعلمه ، وعنايته وجوده ، وكرمه وصدقه ، ودعوته عباده إلى دعائه [ودعاه] فالحاجة أو بدلها النعميُّ بالباب ، ولا خلف .

وإذا جلست للدعاء فعليك بسكينة ووقار ، ولتبتدئ قبل الشروع بما ورد في ذلك من الذكر .

أقول : فليلاحظ العبد حاله فان نشط لمفصّلات ما ورد فيه ، من حمد الله وتهليله وتمجيده والثناء عليه أوّلاً إجمالاً ثمّ يكبّر مائة مرّة ثمّ يحمد كذلك مائة

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٦٧ .

ويسبّح كذلك ويهلّل كذلك ويقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مائة مرّة وسورة القدر مائه مرّة وفي روايةٍ آية الكرسيّ مائة مرّة، ويصلّي على النبيّ وآله مائة مرّة [(١)].

وإن وجدت في نفسك كسلاً عن ذلك فاقتصر بالتكبير والتهليل والتحميد والتسبيح والصلوات، ولتكن مع [الحضور و] الصدق والإخلاص.

ولاتنس عند التكبير ما في مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام قال: «إذا كبّرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه، فانّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر، وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال: ياكاذب أتخدعني وعزّتي جلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري، ولأحجبنّك عن قربي والمسرّة بمناجاتي» [(٢)].

قال: «فاعتبر أنت قلبك حين صلواتك، فان كنت تجد حلاوتها، وفي نفسك سرورها وبهجتها، وقلبك مسروراً بمناجاته، ملتذٌّ بمخاطباته، فاعلم أنّه قد صدّقك في تكبيرك، وإلاّ فقد عرفت من سلب لذّة المناجاة، وحرمان حلاوة العبادة، أنّه دليل على تكذيب الله لك، وطردك عن بابه».

أقول: هذا حقٌّ واقع صدق، لأنَّ التكبير له صورة في اللسان، وهو قولك «الله أكبر» وحقيقة في قلبك وعملك، وهو أن يكون الله جلَّ جلاله في نفسك أكبر من كلّ كبير، وأكبر من أن يوصف، وعلامة ذلك أن يكون قلبك وروحك وقالبك كلّها خاضعة له جلَّ جلاله خضوعاً لا تخضع لأحد من الكبراء مثله، وتشتاق إلى مجالسته ومؤانسته ومناجاته اشتياقاً لاتشتاق مثله في مؤانسة أحد من

---

(١) مصباح المتهجد: ٦٨٧؛ إقبال الأعمال: ٢ / ٧٠.
(٢) مصباح الشريعة: ٨٧ – ٨٨.

العظماء فحينئذ لابدَّ أن تتبرَّك بذكره ، وتتشرَّف بخدمته ، وتتمجّد من مجالسته وتلتذُّ من مناجاته ومؤانسته ، فوق ماتتأثّر بشيء من ذلك مع أحد من الملوك والشرفاء ، فانَّ العقل يلتذُّ بالشرف والمجد فوق ما يلتذُّ بسائر الملاذّ .

فإذا صدّق روحك وقلبك وعملك لسانك في التكبير فهو جلَّ جلاله أشكر من كلّ شاكر ، سيكبّرك ويعظمّك وينزّهك في متنزهات دار الجلال ، كما أُشير إليه في الرواية ، وإذا خالف قلبك وحقيقتك وعملك لسانك ، فيكون إظهارك بلسانك تكبيره خدعة فتستحقُّ تكذيبه لك ، وطرده لك عن بابه ، فتخسر خسراناً مبيناً .

واذكر عند التهليل ما تلونا عليك في تفسيره عند ذكر أذكار العشر ، وهكذا عند التحميد ، ونزّهه حقَّ تنزيهه ، ومن بعض تنزيهه - جلَّ جلاله - أن تتّصف بالاخلاص له في عبادتك ، [ومنه تحقيق] معاني التنزيه في التوحيد كما في مصباح الشريعة [(١)] ، ومنه أن تنزّهه عن الشريك في الارادة كما هو المراد بتسبيح الركوع ومنه أن تنزّهه عن الشريك في حقيقة الوجود ، كما هو المراد بتسبيح السجود ، وهو مقام الفناء وحقيقة التوحيد .

أقول : هذه المراتب مراتب أهل الكمال ولا يتأتّى من أمثالنا أرباب الاهمال نواقص الألباب والأعمال ، فلا محالة [من أنّ] لا نغفل عن ذكر هذه الألفاظ عن قصد معانيها بقدر فهمنا ، والتحقّق بما تيسّر لنا من حالنا ومقامنا ، ولا نشغل عند ذكره تعالى عن ذكره بذكر غيره ، بل بذكر عدوّه ، فنستحقّ بذلك الخذلان ، وفوت الإحسان .

---

(١) مصباح الشريعة : ٣٦ - ٣٧ .

وتفكّر عند الصلوات على النبيّ وآله أنَّ الله أوصل صلواته بصلواته، وطاعته بطاعته وانظر لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم فوائد صلواته .

ثمَّ اقرأ من الدعوات المأثورة ما يقتضيه نشاطك عن قلب حاضر ، وعن تدبّر وتفهّم لما تقول ، ولا تترك دعاء الحسين عليه السلام [(١)] مع ما ألحق به العلاّمة ، والسيّد قدس سرهما فهو وإن لم يكن من دعاء الحسين عليه السلام ، ولكن مضامينه عالية [(٢)] ، وأكثر الجدَّ في فهم معانيها فانّها مثار للفكر الفاخر ، ولاتترك دعاء الصحيفة السجّاديّة [(٣)] .

وإن ضممت إليهما دعاء الصادق عليه السلام [(٤)] ثمَّ دعوت بإنشاء نفسك في حوائجك ، قدَّمت الدعاء على الإخوان المؤمنين لا سيّما من علّمك علوم الدين ، والوالدين والآباء والأُمّهات ، وسائر الأرحام ، وذوي الحقوق [فهو أحسن] وبالغ في حال الدعاء أن تكون هيئتك أجلب الهيئات لرحمة أرحم الراحمين ، من البكاء والابتهال والضراعة ، ولبس المسوح ، وغلّ الأيدي ، وكلامك ألطف الكلمات في المبالغة في الاسترحام والاستعطاف .

وقد روي أنَّ الله أوحى إلى الكليم عليه السلام : كن إذا دعوتني خائفاً مشفقاً وجلاً وعفّر وجهك في التراب واسجد لي بمكارم بدنك ، واقنت بين يديَّ بالقيام ،

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٧٤ - ٨٧ عنه البحار : ٩٨ / ٢١٦ - ٢٢٧ ؛ رواه الكفعمي في البلد الأمين : ٢٥١ - ٢٥٨ .

(٢) راجع إقبال الأعمال : ٢ / ١٥٥ - ١٨٧ .

(٣) الصحيفة السجادية : الدعاء ٤٧ ؛ عنه البلد الأمين : ٤٨٣ ، مصباح الكفعمي : ٦٧١ ، ينابيع المودة : ٥٠٥ ؛ إقبال الأعمال : ٢ / ٨٧ - ١٠٢ ، اتحاف السادة المتقين : ٤ / ٤٨٠ عنه احقاق الحق : ١٢ / ٤٦ .

(٤) راجع إقبال الأعمال : ٢ / ١١٧ - ١٥٥ .

وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل [(١)] .

وإلى عيسى عليه السلام : ياعيسى صبّ لي من عينك الدُّموع ، فاخشع لي بقلبك،اعيسى استغث بي في حالات الشدَّة فانّي أُغيث المكروبين ، وأُجيب المضطرِّين ، وأنا أرحم الراحمين [(٢)] .

وإذا وفّقت لهذه الأحوال ، وأردت أن تدعو الله في حوائجك ، فان آثرت إخوان الصفا على نفسك ، وذكرتهم بأسمائهم ، ودعوت إليه في حوائجهم ، وذكرت ما تعرف من حوائجهم الخاصة حاجة حاجة ، ثم حوائجهم العامّة ، فاعلم أنّك لم تخسر ، بل وربحت أربح التجارات ، لأنّك إن قدَّمتهم على نفسك في الدعاء لله ، عوت لنفسك بلسانٍ لم يعص الله طرفة عين ، بلسان الملائكة المعصومين ، بل بلسان الله ربّ العالمين ، بل عوّضت من دعاء واحد بدعوات غير محصورة لما روي عن ابن أبي عمير ، عن زيد النرسيّ قال :

كنت مع معاوية بن وهب في الموقف وهو يدعو فتفقّدت دعاءه فما رأيته يدعو لنفسه بحرف ، ورأيته يدعو لرجل رجل من الآفاق ، ويسمّيهم ويسمّي آباءهم حتّى أفاض النّاس ، فقلت له ياعمّ : لقد رأيت منك عجباً ، فقال : فما الّذي أعجبك ممّا رأيت ؟ قلت : إيثارك إخوانك على نفسك في هذا الموضع ، وتفقّدك رجلاً رجلاً ، فقال لي : لا يكون تعجّبك من هذا يابن أخي فانّي سمعت مولاي

---

(١) عدة الداعي : ٩٧ عنه البحار : ٩٣ / ٣٤١ ضمن ح ١١ . ورواه في روضة الكافي : ٤٢ باسناده عن علي بن عيسى في مناجاة الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام ؛ عنه البحار : ٧٧ / ٣٤ ضمن ح ٧ .

(٢) روضة الكافي : ١٤١ ، أمالي الصدوق : ٣١٢ ؛ عنها البحار : ١٤ / ٢٩٩ ذيل ح ١٤ . رواه في البحار : ٩٣ / ٣٠٥ ضمن ح ١ عن عدة الداعي .

ومولاك ، ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة ، وكان والله سيّد من مضى ، وسيّد من بقي بعد آبائه عليهم‌السلام ، وإلاّ فصمّت أذنا معاوية وعميت عيناه ، ولا نالته شفاعة محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله إن لم أكن ، سمعت منه،قول : من دعا لأخيه بظهر الغيب ، نادى ملك من السماء الدُّنيا : ولك يا عبد الله مائة ألف ضعف ممّا دعوت .

وناداه ملك من السماء الثانية : ياعبد الله ولك مائتا ألف ضعف ممّا دعوت .

وناداه ملك من السماء الثالثة : ياعبد الله ولك ثلاثمائة ألف ضعف ممّا دعوت .

وناداه ملك من السماء الرابعة : ياعبد الله ولك أربعمائة ألف ضعف ممّا دعوت .

وناداه ملك من السماء الخامسة : يا عبد الله ولك خمسمائة ألف ضعف ممّا دعوت .

وناداه ملك من السماء السادسه : يا عبد الله ولك ستّمائة ألف ضعف ممّا دعوت .

وناداه ملك من السماء السابعة : يا عبد الله ولك سبعمائة ألف ضعف ممّا دعوت .

ثمّ ناداه الله عزّ وجلّ : أنا الغنيُّ الذي لا أفتقر . يا عبد الله ولك ألف ألف ضعف ممّا دعوت ، فأيّ الخطرين أعظم يا ابن أخي ؟ ما اخترته أنا لنفسي أو ما تأمرني به ؟ [1] هذا .

---

(١) نوادر الراوندي : ٢٨٩ ح ٣٠ ؛ عنه البحار : ٩٣ / ٣٨٧ وأخرج نحوه في ص ٣٨٨ ح ٢١ عن كتاب زيد النرسي : ٤٤ ؛ وفي الوسائل : ٧ / ١١٢ ح ٥ عن عدة الداعي : ١٧٢ .

وههنا دقيقة وهي أن تكون مع دعائك لأخيك محبّاً له واقعاً ، وأدّيت له سائر الحقوق أيضاً ، ولكن إذا لم تكن محبّاً له ، وفعلت في الدعاء ذلك ، أخاف أن لا يؤثّر هذا الدعاء الأثر المرويّ في هذه الرواية الجليلة .

ثمّ إنّ للداعي أن يتذكّر ما في مصباح الشريعة من قول الصّادق عليه السلام : «احفظ أدب الدعاء ، وانظر من تدعو ؟ كيف تدعو ؟ ولماذا تدعو ؟ وحقّق عظمة الله وكبرياءه،عاين بقلبك علمه بما في ضميرك ، واطّلاعه على سرّك ، وما يكون فيه من الحقّ والباطل ، واعرف طريق نجاتك وهلاكك ، كيلا تدعو الله بشيء عسى أن يكون فيه هلاكك ، وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك ، قال الله تعالى : **﴿وَيَدْعُ الإنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالخَيْرِ وكانَ الإنسانَ عَجُولاً﴾**[1] .

«وتفكّر ماذا تسأل ؟ وكم تسأل ؟ ولماذا تسأل ؟ والدّعاء استجابة الكلّ منك للحقّ،تذويب المهجة في مشاهدة الربّ ، وترك الاختيار جميعاً ، وتسليم الأمور كلّها ظاهراً وباطناً إلى الله تعالى ، فان لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة فانّه يعلم السرّ وأخفى ، فلعلّك تدعوه بشيء قد علم من سرّك خلاف ذلك»[2] .

والظاهر أنّ المراد بقوله : «استجابة الكلّ منك للحقّ» يعني يدعو الله جلّ جلاله إجابة لأمره ، حيث ندب عباده لدعائه في كتابه الكريم بقول : **﴿وآسْألُوا الله﴾**[3] وبقوله : **﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾**[4] بشراشر وجوده .

وأمّا قوله : «في مشاهدة الربّ» لعلّ وجهه أنّ الداعي لو لم يعرف المدعوّ لا

---

(١) الإسراء : ١١ .
(٢) مصباح الشريعة : ١٣٢ – ١٣٣ .
(٣) النساء : ٣٢ .
(٤) البقرة : ١٨٦ .

يتحقّق دعاؤه ، ولعلّه لو لم يعرفه دعا غيره ، ويتخيّل أنّه دعا الله ، وهذا هو الأغلب في غير الكاملين من الداعين ، ومعرفته أن يكون معرفة حقيقيّة حتّى يشاهده بروحه وقلبه ، كما في دعائه عليه السلام : «اللّهمّ نوّر ظاهرنا بطاعتك ، وباطننا بمعرفتك،قلوبنا بمحبّتك ، وأرواحنا بمشاهدتك» .

وأمّا قوله : «ترك الاختيار جميعاً» فالمراد منه أن يدعوه جلّ جلاله لمراده ولا يعيّن له طريقه وفرده ، مثلاً إذا أراد المال لا يعيّن عليه أن يعطيه من يد فلان أو شراء شيء ، أو بيع شيء ، إلّا أن يكون هو أيضاً من أصل مراده ، أو يكون المراد أنّ الاصل في المرادات كلّها الخير والسعادة ، وأقصى كلّ خير وسعادة معرفة الله وقربه وجواره ، كما في قولهم : «ياغاية آمال العارفين» فليدع الداعي لكلّ مراداته ذلك ، ولا يختار السعادات المتفرّقة المتشتّة دونها ، فان كان ما يعنيه للسعادة والخير موصلاً إلى هذه الغاية يعلمه الله ، وإلاّ فلا ثمرة في تعيينها بل قد يكون مضرّاً في الغاية القصوى من مراداته ، ولكن هذا مقام الكاملين من أهل المعرفة الّذين أُشير إليهم في حديث المعراج بقوله : «وأستغرق عقله بمعرفتي ، وأقوم له مقام عقله» فياله من مقام ما أعلاه وعلوّ ما أسناه .

ثمّ إذا قرأت الأدعية المأثورة ، فكن في قراءتك متفهّماً بما تقول ، متحققّاً بحقائق ما تذكره في دعائك ، وإيّاك وإيّاك أن تواجه ربّك بدعوى كاذبة ، وإظهار ما لست عليه من أحوال العبوديّة ومراسم التضرع والابتهال والمسكنة .

مثلاً إذا قرأت في الدعاء : «ياربّاه لا غناء لي عن نفسي ولا أستطيع لها ضرراً ولا نفعاً ، ولا رجاء لي ، ولا أجد أحداً أصانعه ، تقطّعت أسباب الخدائع عنّي واضمحلّ عنّي كلُّ باطل ، أفردني الدهر إليك ، فقمت بهذا المقام إلهي بعلمك ،

كيف أنت صانع بي ؟ ليت شعري ولا أشعر كيف تقول لدعائي ، أتقول نعم أو تقول لا ؟ فإن قلت : لا ، فياويلتاه ياويلتاه ياويلتاه ، ياعولتاه ياعولتاه ياعولتاه ، ياشقوتاه ياشقوتاه ياشقوتاه ، ياذلاّه ياذلاّه ياذلاّه ، إلى من ؟ وعند من ؟ أو كيف ؟ أو بماذا ؟ أو إلى أيّ شيء أرجو ؟ ومن يعود عليَّ إن رفضتني» .

يا أخي تفكّر في هذه الألفاظ من إظهار الانقطاع عن الكلّ ، واليأس عن النّاس ، القيام إلى الله بين الخوف والرجاء ، والوحشة عن الردّ والدعاء بالويل والعويل والذلّ ، فانَّ صاحب هذا الحال مجاب عند الله ، ومرحوم لديه ، ومكرَّم عنده قطعاً ، بل مقرَّب محبوب ، وكيف بمن يقرأ هذه الألفاظ ولا يرى أثر الإجابة ولا يزيد في دعائه إلا يأساً وبُعداً ، نعوذ بالله ، لا يكون ذلك إلّا من جهة النّفاق ، الكذب في الدعوى .

فمن كان رجاؤه إلى الفلوس أزيد من ربّ العالمين ، وإلى أبيه وابنه أكثر من جبّار السماوات والأرضين ، ومغروراً بماله ، ومطمئنّاً بتدبيره ، بل متمسّكاً في تدبيره إلى ما نهاه الله جلَّ جلاله عنه من المحرّمات ، وأخبره عن عدم نجاح مقصوده به،قلبه مشغول عن الله بها وقرأ هذا الدعاء لا سيّما إذا التفت حين القراءة ولم يخجل من فضاحة حاله ، ولم يتأثّر من الكذب في مقاله ، فهو مستهين بعظيم جلاله جلَّ جلاله ، ومستحقر لشديد سلطان الله ، وحقيق على الردّ والطرد والإبعاد، بل الغضب والمقت والعقاب ، ولا يكون ذلك إلاّ من جهة ضعف الإيمان ، وفقدان المعرفة ، نعم لفساد القلب من جهة الاستهتار والاستغراق بمحبّة الدنيا وذكرها أيضاً مدخل في ذلك .

وكيف كان فمن قام في مثل هذا المقام وأتى بهذه الأعمال ، ودعا ربّه بهذه

الألسنة ولم ينل بهبوبات نسيم الفضل والقبول، وإنجاح المسؤول والمأمول، ولم يشعر بذلك بآثار تغيّر الحال، أو أحوال ترد على البال، فليبك على هلاك قلبه، وضعف إيمانه فانّه عبد سقيم ذميم.

وبالجملة يجب للمراقب أن لا ينسى في حوائجه طلب توفيق ربّه في أعمال العيد لا سيّما حضور صلاة العيد وقبولها، وأن يراجع في أوّل اليوم وآخره إلى خفراء اليوم كما مضى تفصيله في أمثال المقام.

وأمّا ليلة العيد روي عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام «أنّ علياً عليه الصلاة والسلام كان يعجبه أن يفرّغ نفسه أربع ليال في السنة وهي أوّل ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة الأضحى»[1] يمكن أن يكون المراد تفريغ النفس لعبادتها بإحيائها، بل هو الظاهر بقرينة أخواتها، والمراد من الإحياء تفريغ النفس والقلب والجوارح لخدمة الله جلّ جلاله بأن يكون قلبه مشغولاً بذكر الله وبدنه وقفاً لطاعة الله وعبادته، ولا يغفل في شيء من ليلته بغير الله، حتّى بالمباحات إلاّ لله وبالله، وهذا أوّل درجة المراقبة.

ويستحبُّ فيها وفي يومها زيارة الحسين عليه السلام لما روي عن الصادق عليه السلام: «أنّه من زار الحسين عليه السلام ليلة من ثلاث غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»، قال الراوي: أيُّ الليالي فذكر [ليلة][2] الأضحى[3].

وليكن من دعائك توفيق الفوز بمراضي الله جلّ جلاله في موقف عيدك

---

(١) مصباح المتهجد: ٦٤٨؛ عنه إقبال الأعمال: ٢/ ١٨٩. ورواه في دعائم الإسلام: ١/ ١٨٤ وقرب الاسناد: ١٧٧ عنه البحار: ٩١/ ١٢٢ ح١٢.

(٢) في الأصل: ليالي وما اثبتناه من المصدر هو الصحيح.

(٣) مصباح المتهجد: ٧١٦؛ عنه الاقبال: ٢ / ١٩٠؛ عنها والبحار: ١٠١ / ٩٠ ح ٢٦ و ٢٧.

فانّه من المواقف الخطيرة الّتي ينبغي أن يذكر طول السنة .

وأمّا يوم العيد كما أُشير إليه في عيد الفطر من مواسم نداء الله -جلّ سلطانه وعظمت آلاؤه - عبيده وإماءه بالإذن العامّ ، والفيض الخاصّ ، لمغفرة الذنوب ، علاج العيوب ، وإنجاح المسؤول ، والفوز بالمأمول ، وإعطاء الخلع والجوائز ، وأمان الأخطار عند الهزاهز .

فاغتنم يا مسكين إقبال ملك الملوك تعالى عليك بوجهه الكريم ، وذكره لك قبل وجودك بجعل هذا العيد العظيم ، وتفكّر بما فعل بك من الكرم والإحسان، العطف والحنان، وذكرك بالعطاء والجود، قبل أن تكون شيئاً مذكوراً، فإنّه خلق أسباب قوّتك وقدرتك ، قبل وجودك ووجود ضعفك ، وهيّأ لك أُصول نعمة قبل أن تكون قابلاً للتنعّم ، وبعث لهدايتك من أوليائه وأعزّته قبل ن يوجد آباؤك وأمرهم أن يدبّروا أمر هدايتك وتربيتك ، بسفك المهج وخوض اللّجج ، والقتال مع الكفّار ، وإبادة الفجّار ، حتّى يسلم عليك دينك ، وتتفرّغ لعبادة ربّك وتحصّل معرفة مولاك ، وتفوز بخدمة ربّ العباد ، إلى سلطنة يوم المعاد والنعم الباقية أبد الآباد .

فانظر كم من نبيّ كريم قد قتل في ترويج الدين ؟ وكم من وليّ لله ذبح في تشييد الإسلام المتين ؟ وكم من حريم قد هتكت ، وأموال قد نهبت ، وكريمات قد سبيت ؟ حتّى ظهر دين الله ، وعلت كلمة الله ، وأنت ولدت في زمان كفيت من هذه المجاهدات ، والمناقشات والمناقضات ، وأعلام الدين شاهرة ، ومبانية ظاهرة ، وأركانه قائمة ، في هدنة وراحة ، وعزّة ونعمة ، ووفّقت لاقتناء المعارف بأسباب قويّة كثيرة شائعة ، وهديت بأنوار ظاهرة باهرة ، وقد ألّف السلف كتباً في

تفاصيل كيفيّة العلم والعمل ، وبلغك ذلك من دون أن تعمل فيه فكراً ، أو تقاسي جوعاً ، أو تكابد سهراً أو ترى طعناً ، أو تسمع هجراً ، والسابقون الأوَّلون قد ابتلوا من ذلك بأشدّها للنفس وأفجعها للقلب .

وأنصف يا عاقل لو توانيت أنت بعد تهيّؤ هذه الأسباب ، من غير مقاساة وتعب ، و شدَّة ونصب ، ماذا تستحقُّ أن يفعل بك ، أو يقال لك ؟ وأيّ نعم فاخرة من نعم الله قد ضيّعتها ، وأيّ تجارات رابحة قد خسرتها ، واذكر يوماً يكشف لك عن حقائق هذه الأحوال الخاسرة ، والأعمال الكاسرة الحاسرة ، ورأيت ما بدَّلتها من النعمة والكرامة ، بالخزي والمهانة ، تقطّع قلبك بالحسرات ، ودعوت بالعويل والزفرات .

فارحم نفسك في وقت المهلة ، ولا تفوّت عليك الفرصة ، واستعدَّ لغدك في أمسك ، وابك على نفسك واستمسك ، بعروة هذا الموسم الجليل ، والمقام الجميل ، فانّك مدعوٌّ لموائد ضيافة الله ، في محلّ كرامة الله ، مع القوم الأطهار ، أولياء الملك الجبّار ، وإن ساعدك التوفيق ، بإتيان أدب هذا المجلس الشريف ، والمنزل اللطيف ؛ فزت بالكرامة العظمى والسعادة العليا ، والدرجة القصوى .

فراقب بدخول يوم العيد جميع ما يرض به ربّك ، ويعطف عليك مولاك ، وكن كعبد متملّق لمالكه ، كيف يجدُّ أن ينشأ خدمة لمولاه ، وهو مالكه في بعض وجوه الطاعة ، والله تعالى مالك وجودك ، ومالك دنياك وآخرتك ، ومحياك ومماتك ، لا يجوز الغفلة عن هذا الربّ الودود ، والملك العطوف ، والغافل في خطر المنع .

واستحي مع فقرك وغناه ، وذلّك وعزَّته ، أن تكون معرضاً عنه حين إقباله

عليك بوجهه الكريم ، وتكون في موائد ضيافته مع حضوره وإنعامه عليك مشغولاً عن ذكره بذكر عدوّه ، ومشغوفاً بحبٍّ من يبعّدك عن محبّته وجواره ، فيالله من هذا الخطب الجسيم ، والجهل العظيم ، والعقل السقيم ، وما يورثه من العذاب الأليم وقد بعث إلى دعوتك لهذه الضيافة سيّد خلقه ، وأعزّ مخلوقه عليه .

وإن عقلت مكان هذا اللطف الجليل ، والتشريف والتجليل ، لفديت بروحك لمقدم هذا الداعي العظيم ، والرسول الكريم ، الّذي ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ ماعِنتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيم﴾[1] .

واعقل أنّه تعالى قد خصّ بأنوار هذا العبد العزيز هذه الأمّة من بين سائر الأمم،هل لهذا التخصيص حقٌّ واجب عند ذوي الألباب ، فاشكر بما يليق ، لاختصاص هذه النعمة ، وعطاء هذه الكرامة .

واغتسل في أوّل اليوم ، واقصد به تطهير قلبك عن الاشتغال بغير الله ، وكبّره بحقيقة التكبير ، واستصغر بتكبيره ما بين العلى والثرى دون كبريائه ، والبس أنظف ثيابك ، واقصد به التستر والتحلّي بلباس التقوى ، والأخلاق الحسنة الجميلة وتقول عند ذلك : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى آخر الدعاء المرويّ في إقبال سيّدنا قدّس الله نفسه[2] .

ثمّ تخرج إلى مصلاّك وتقول وأنت في الطريق : بسم الله وبالله أكبر إلى آخر ما روي في هذا الكتاب المستطاب[3] ، وإذا وصلت إلى المصلّى ، وجلست

---

(١) التوبة : ١٢٨ .

(٢) إقبال الأعمال : ٢ / ١٩٣ - ١٩٧ ؛ عنه البحار : ٩٨ / ٢٩٥ ضمن ح ٢ و ج ٩١ / ٤٧ ح ١.

(٣) إقبال الأعمال : ٢ / ١٩٧ - ١٩٩ .

في موضع صلاتك ، تقول : الله أكبر الله أكبر إلى آخر ما ذكر في ذلك الكتاب [١] .

وتفهّم معاني ما تدعوه في هذا الدعاء فانّ مواقعه صعبة عظيمة ، لاتـنال بالهوينا ، لأنّ فيها دعاوي حالات فاخرة ، وصفات حسنة داخـرة ، مـن الهـيبة والاستجارة،الحياء الشديد والاستغاثة ، والفـقر والاعـتراف ، والهـرب إلى الله ، الانقطاع إليه فكلُّ واحد من هذه الصفات ملكة سنيّة تستدعي حالاً يصدّقها ، إلاّ فأنت في خطر الكذب والنفاق ، والعياذ بالله من هذا الشقاق .

فان صلّيت على التراب لعلّه يكون أنسب للخضوع بين يدي ربِّ الأرباب .

وأمّا كيفيّة الصلاة فما رواه المشايخ عن كتاب فضل الدعاء باثنتي عشـرة تكبيرة:

سبع تكبيرات في الأولى ، وخمس تكبيرات في الثانية . وذكر في وصفها ما يظهر منه أن لا تكبير فيها بعد رفع الرأس من الركوع والسجدتين [٢] ، ويستحبُّ أن يدعو بعدها بدعوات واردة ذكرها في **«الاقبال»** [٣] ، ومنها دعاء الندبة ، وهو يهديك إلى ما يناسب هذه الأيّام من ذكر إمامك ، وسلطان زمانك ، ومن هو أولى بك من نفسك ، من كلّ أحد ، وما يجب عليك من الوجد والحزن والبكاء بفقده .

ثمَّ إن قدرت أن لا يشغلك مراسم العيد عن ذكر مولاك طول يومك فهنيئاً لك ، وإن لم تقدر على أن تجمع حضور الناس مع حضور قلبك لذكر الله جلَّ جلاله فجدَّ أن لا تغفل رأساً عن ذكره وحضوره في هذا الوقت السعيد ، وليكن

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ١٩٩ – ٢٠١ ؛ عنه البحار : ٩١ / ٥٠ ضمن ح ١ .
(٢) إقبال الأعمال : ٢ / ٢٠١ – ٢٠٤ عنه البحار : ٩١ / ٦٠ – ٦٢ ح ٢ .
(٣) إقبال الأعمال : ٢ / ٢٠٤ – ٢١٩ ؛ عنه البحار : ٩١ / ٦٩ – ٧٦ ح ٣ .

سرُّك لا محالة مشغولاً به ، وشغلك بغيره أيضاً ، بإذنه ورضاه .

ومن المهمّات في هذا اليوم الأُضحيّة وهي واجبة كما في الأخبار [(١)] وإن كان المراد بوجوبه تأكيد استحبابه ، فليراع العبد فيه أدب العبوديّة ، وليعتبر فيه من عمل ابني آدم عليه السلام حيث ﴿قَرَّبا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَلَم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ﴾ [(٢)] وما روي من علّة ردّ قربان قابيل ، لأنّه عمد في قربانه برديّ متاعه ، وأعقبه ذلك مع ردّ قربانه الهلاك الدائم ، والخزي الخالد ، وقبول قربان هابيل حيث إنّه عمد إلى أجود متاعه وأنفسها ، فتقبّل قربانه ، وأعقبه ذلك بالشهادة في سبيل الله ، والفوز بالكرامة الخالدة حتّى ذكره [الله] بالثناء في كتابه الكريم ، فانَّ من لؤم النفس أن يزهد المرء في مثل هذا المقام ، عن فداء يسير من المال ، في خدمة مولاه ، ومالك دنياه وأُخراه ، وقد وهبه وجوده ، وكلَّ شيء يملكه من النعم الّتي لا تحصى ، وهو يحتاج إليه فيما يأتي في جميع حوائجه .

ويقول عند الذّبح ما روي من قول أمير المؤمنين عليه السلام : «بسم الله ، وجّهت وجهي للّذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إنَّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين ، اللّهمَّ منك ولك» [(٣)] ولا تغفل أنَّ هذا القول قول من لا يرى في الوجود مؤثّراً إلاّ الله ، وهو غائب عن نفسه ، باق بربّه ، إن لم يكن هو الذابح ، يضع يده على يد الذّابح عند الذّبح ، ويقرأ الدعاء ويسمّي هو أيضاً .

---

(١) روى الصدوق في الفقيه : ٢ / ٤٨٨ باسناده إلى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : «الأضحية واجبة على من وجد ، من صغير أو كبير ، وهي سنّة» عنه الإقبال : ٢ / ٢٣٣ .

(٢) المائدة : ٢٧ .

(٣) الفقيه : ٢ / ٤٨٩ ح ٣٠٤٦ ؛ عنه الإقبال : ٢ / ٢٣٤ .

فليكن إفطاره بلحم الأضحية فليقسّم لحمه ثلاثة فليتصدّق بثلثه على الجيران وثلثه على السؤال ، ويمسك ثلثه لأهل البيت ، ويتصدّق بجلده ويعطي أجرة الذابح من غير الأضحيّة [(١)] .

وإذا كان آخر النهار فليلاحظ حالات يومه ، فلا محالة يجد نفسه مقصّراً في خدمة مولاه ، فليراجع خفيره ومضيفه من المعصومين عليهم السلام ، ويستعلج بالتوسّل بهم إلى الله ، والاستشفاع منهم عنده ، بتبديل سيّئاته بأضعافها من الحسنات ، فانّه وليّ ذلك لمن يشفعون في حقّه ، ويرغبون إلى الله في قبوله وقبول أعماله .

وليبالغ في التضرع إليهم بالاستعطاف والاسترحام ، وليقل فيما يناجيهم :

«مواليّ إنّ ذنوبي قد أخلقت وجهي عند الله فبحقّ من عصمكم من ذلك وأكرمكم بخفارة عبيده وإمائه ، اشفعوا لي بوجوهكم المشرقة عند ربّكم ، فانّه لا يردُّكم وقد قبلكم للشفاعة والخفارة ، فانّه يحبُّ الكرامة لعباده المخلصين ، ويحبُّ منهم الكرامة لمن دونهم من عباده المحتاجين» هذا .

وأمّا يوم الغدير وما أدراك ما يوم الغدير ؟ وقد أشرنا فيما أسلفناه في يوم مبعث النبي صلى الله عليه وآله أنّ هذا اليوم من جهة شرافة هذا المبعث الشريف أشرف الأيّام والأوقات ، وأشرنا إلى ما يدلّ عليه من الأخبار ، ويوم الغدير من هذا اليوم بمنزلة الجزء الأخير من العلّة التامّة ، بل بمنزلة الباطن من الشيء الظاهر ، وبمنزلة الروح من الانسان ، لأنّ كلّ ما في هذا المبعث الشريف من الخير والفوز والسعادة مشروطة بولاية أمير المؤمنين والأئمّة من ولده لما وردت في الأخبار الكثيرة العامّيّة والخاصّيّة أنّ أنوارهم كانت واحدة إلى أن افترقا في صلب عبد الله وأبي

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٢٣٥ .

طالب ، وأنّ الله أوجب ولايتهم على جميع الخلق [(١)].

والغدير يوم ظهور هذه الولاية ، ولذا نزل فيه : **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً﴾** [(٢)].

وقد روى الصدوق في «**علل الشرائع**» عن مفضّل بن عمر حديثاً مفصّلاً فيه أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أُرسل إلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام خليفته فيهم كلّهم وأنّه يجب طاعته عليهم كما يجب إطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ حكمه جار على سدنة الجنان ، وخزنة النيران ، وأنّ الملائكة متعبّدون بالاستغفار لشيعته كتعبّدهم بالتوحيد والنبوّة والولاية ، قال الله تعالى : **﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ [وَيُؤْمِنُونَ بِهِ] وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾** [(٣)] فعلم من ذلك أنّ جميع الهدايات والسعادات منسوبة إليهما وإلى خلفائهما [(٤)].

ولذلك ورد من طريق العامّة والخاصّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لو أنّ الرياض أقلام والبحر مداد والجنّ حُسّاب والانس كُتّاب ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام [(٥)].

أقول : كونهما صلوات الله عليهما وكذا أوصياؤهما الأحد عشر عليهم السلام أصل كلّ خير ومنشأه ممّا قد وردت فيه أخبار قطعية ، وقد روينا فيما مضى من أئمّة

---

(١) راجع إرشاد القلوب : ٢٧٢ - ٢٧٤ عنه البحار : ٣٦ / ٣٠١ ح ١٤٠ . وراجع البحار : ٣٥ / ٢ ، الباب ١ ففيه أخبار كثيرة حول هذا الموضوع .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) غافر : ٧ .

(٤) علل الشرائع : ١٦١ ح ١ .

(٥) كنز الكراجكي : ١٢٨ - ١٢٩ باسناده إلى ابن عباس ؛ عنه البحار : ٤٠ / ٧٠ ح ١٠٥ ؛ والطرائف : ٣٣ ؛ عنه البحار : ٤٠ / ٧٤ ذيل ح ١١٠ .

العامّة مثل أحمد بن حنبل في مسنده وأبي يعلى في كتابه «الفردوس» ، وعن كتاب «منهج التحقيق» عن ابن خالويه رواية فيه تصريح بأنَّ شيعتهم تعلّموا التسبيح والتقديس والتحميد والتهليل والتوحيد منهم ، والملائكة تعلّموا من شيعتهم [١] .

كيف وزيارة الجامعة الكبيرة قد رواها الصدوق في الفقيه [٢] وقبلها جميع علماء الشيعة ، وعملوا بها ، وفيها مواضع تدلُّ على أنّهم أصل كلّ خير وسعادة ، وأنَّ حساب الخلق وإيابهم إليهم ، وأنّه طأطأ كلُّ شريف لشرفهم ، وأنّهم معادن الرحمة ، وأنَّ كلَّ من وحّد الله جلَّ جلاله قبل ذلك منهم ، ومن أراد الله بدأبهم،أنَّ الله فتح بهم وختم بهم ، وينزّل الغيث بهم ، ويمسك السماء بهم ، وأنَّ أجسادهم في الأجساد وأرواحهم في الأرواح ، وأنفسهم في النفوس ، وأنَّ محلّهم ومنزلتهم من الله جلَّ جلاله بحيث لا يلحقه لاحق ، ولا يطمع في إدراكه طامع .

أقول : روى المخالف والمؤالف أنّه : «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : لولا أن يقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت اليوم فيك مقالاً لا تمرُّ على ملأ من المسلمين إلّا أخذوا من تراب رجليك وفضل طهورك ، يستشفوا به ، ولكن حسبك أن تكون منّي وأكون منك ، ترثني وأرثك» [٣] .

---

(١) راجع كشف الغمة : ١ / ٤٥٨ ؛ عنه البحار : ٣٧ / ٨٠ ح ٤٩ .

(٢) الفقيه : ٢ / ٦٠٩ – ٦١٨ح ٣٢١٣ .

(٣) كنز الكراجكي : ٢٨٠ – ٢٨١ باسناده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ؛ عنه البحار : ٣٧ / ٢٧٢ ضمن ح ٤١ . ورواه في اعلام الورى : ٨٨ – ٨٩ ؛ وأمالي الصدوق : ٥٩ – ٦٠ مثله ؛ عنها البحار : ٣٩ / ١٨ . ورواه في كشف الغمة : ٨٣ – ٨٤ باسناده عن علي عليه السلام ؛ عنه البحار : ٣٨ / ٢٤٧ ضمن ح ٤٢ .

فانظر ياعاقل إنّ هذه الرواية ناصّة في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله إنّما أخفي فضائله خوفاً من ارتداد الناس ، ومع ذلك ظهر منه ما ملأ الخافقين ، وورد في الأخبار الكثيرة أنّهم علل الإيجاد ، وحديث لولاك معروف مشهور[1].

وبالجملة من عرف كيفيّة حكمة الله في خلق العالم قطع بأنّ من المخلوقين من هو أوّل خلق الله وأقربهم إليه وأنّه واسطة الفيض الأقدس ، وأنّه الأسم الأعظم والحجاب الأقرب ، والمثل الأعلى ، كما ثبت ذلك كلّه بالأخبار والكثيرة في نبينا وآله صلوات الله وسلامه عليهم ، ومن حقّق ذلك لم يشكّ فيما ورد في حقّهم عليهم السلام من الفضائل ، وصدّق عن حاقّ قلبه أنّ عقولنا لاتصل إلى كنه معرفتهم ولو صرفنا في ذلك أعمارنا ، لأنّه : ﴿**لَوْ كَانَ البَحْرُ [مِدَاداً] لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أن تَنفَدَ كَلِماتُ رَبِّي**﴾[2].

وأبــاح طــرفي نــظرة أمّــلتها	فغدوت مـعروفاً وكـنت مـنكّراً
فـدهشت بـين جـلاله وجـماله	وغدا لسان الحال عـني مـخبراً
فأدر لحاظك في محاسن وجهه	تلقي جميع الحسن فيه مـصوّراً

---

(١) روى أبو الحسن البكري في كتاب الأنوار باسناده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام في حديث طويل حول بدء خلق نور الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قال : «فلمّا خلق الله تعالى نور نبيّنا محمد صلى الله عليه وآله بقي ألف عام بين يدي الله عزّ وجل واقفاً يسبّحه ويحمده ، والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول : ياعبدي أنت المراد والمريد ، وأنت خيرتي من خلقي ، وعزّتي وجلالي لولاك ما خلقت الأفلاك» عنه البحار : ٥٧ / ١٩٩ صدر ح ١٤٥ وج ١٥ / ٢٨ ضمن ح ٤٨ ؛ باسناده عن ابن عباس ووهب بن منبه وكعب الأحبار . ورواه في مناقب ابن شهر آشوب ضمن حديث طويل : ١ / ١٤٨ – ١٥٧ عنه البحار : ١٦ / ٤٠٦ ضمن ح ١ .

(٢) الكهف : ١٠٩ .

لو أنَّ كلَّ الحسن يكمل صورة   فـــرآه كـــان مـــهلّلاً ومكـــبّراً

فما في كلمات الله كلّها من فضيلة إلا وهم أصلها ومنشأها ومنتهاها .

وإذا عرفت هذا الأصل لا تشكّ في أنّ فضائل عليّ عليه السلام لا تعدُّ ولا تحصى ، ولكن يعجبني أن أحكي لك ما أشير إليه فيما وجد بخطّ الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام وصورته : قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوّة والولاية ، ونوّرنا سبع طبقات أعلام الفتوى بالهداية ، فنحن ليوث الوغى ، وغيوث الندى ، وطعناء العدى ، فينا السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد والعلم في الآجل وأسباطنا حلفاء الدين [(١)] ، وخلفاء النبيّين ، ومصابيح الأمم ، ومفاتيح الكرم ، فالكليم لبس حلّة الأصفياء لما شاهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاغورة ، ذاق من حدائقنا الباكورة وشيعتنا الفئة الناجية ، والفرقة الزكيّة ، صاروا لنا ردءاً وصوناً،على الظلمة إلباً وعوناً ، وستفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران ، لتمام الم ، وطه،الطواسين وهذا الكتاب ذرّة من جبل الرحمة ، وقطرة من بحر الحكمة ، كتب الحسن بن عليّ العسكريّ عليهما السلام في سنة أربع وخمسين ومائتين [(٢)] .

أقول : لا حجّة أقوى بين المتحلين بالإسلام من كتاب الله جلّ جلاله ، وفيه آيات بيّنات تدلُّ على فضائل رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّه مرسل على كافّة الناس ، وأنّه رحمة للعالمين ، وأنّه **﴿دنا﴾** – من ربّه – **﴿فتدلّى * فكانَ قابَ قَوسَينِ أو أدنَى﴾** [(٣)] ، دنوّاً واقتراباً من العليّ الأعلى ، وأنّه حبيب الله وخاتم النبيّين ، وأنّه

---

(١) حلفاء : جميع حليف وهو كل من لزم شيئاً ولم يفارقه .

(٢) رواه في البحار : ٢٦ / ٢٦٤ ح ٥٠ و ج ٥٢ / ١٢١ ح ٥٠ عن المحتضر ، وفي ج ٧٨ / ٣٧٨ ذيل ح ٣ عن كتاب الدرة الباهرة (مخطوط) .

(٣) النجم : ٨ – ٩ .

أخذ ميثاق النبيّين له وأنّه أعطاه الكوثر والمقام المحمود ، وقد أمر الله فيه نبيّه صلى الله عليه وآله أن يبيّن للناس أنّ علياً عليه السلام بمنزلة نفسه في آية المباهلة ، فتبيّن من ذلك أنّ علياً عليه السلام أشرف الخلائق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقد حكي ذلك عن الكتب السماويّة أيضاً بشرح أبسط ، فعن الصحيفة الّتي ورثها شيث من أبيه آدم أنّ آدم نظر إلى نور قد لمع ، فسدّ الجوّ المنخرق فأخذ بالمطالع من المشارق ، ثمّ سرى كذلك حتّى طبّق المغارب ، ثمّ سما حتّى بلغ ملكوت السماء ، فنظر إليّ فإذا هو نور محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا الأكناف به قد تضوّعت طيباً ، وإذاً أنوار أربعة قد اكتنفته عن يمينه وشماله ، ومن خلفه وأمامه، أشبه شيء به أرجاً ونوراً – إلى أن قال – يا آدم هذا وهؤلاء وسيلتك ، ووسيلة من أسعدت من خلقي .

إلى أن قال –: هذا أحمد سيّدهم ، وسيّد بريّتي ، اخترته بعلمي ، واشتققت اسمه من اسمي ، فأنا المحمود وهو محمّد ، وهذا صنوه ووصيّه آزرته به –إلى أن قال –: ثمّ اطّلعت في قلوب المصطفين من رسلي فلم أجد فيهم أطوع ولا أنصح لخلقي من محمّد خيرتي وخالصتي ، واخترته على علم ، ورفعت ذكره إلى ذكري، ثمّ وجدت قلوب خاصّته الّتي من بعده على صبغة قلبه فألحقتهم به ، وجعلتهم ورثة كتابي ووحي وأوكار حكمتي ونوري ، وآليت بي أن لا أعذّب بناري من لقيني معتصماً بتوحيدي وحبل مودّتهم أبداً .

وعن صحيفة إدريس الّتي ورثها من شيث أنّه اجتمع إلى إدريس قومه فخبّرهم – فيما اقتصّ عليهم – أنّ بني أبيكم آدم عليه السلام وبني بنيه وذرّيّتهم اختصموا فيما بينهم وقالوا : أيُّ الخلق عندكم أكرم على الله عزّ وجلّ ، وأرفع لديه

مكاناً ، وأقرب منه منزلة ، فقال بعضهم : أبوكم آدم وخلقه الله عزَّ وجلَّ بيده ، وأسجد له ملائكته،جعله الخليفة في أرضه ، وسخّر له جميع خلقه ، وقال الآخرون : بل الملائكة الّذين لم يعصوا الله عزّ وجلّ ، وقال بعضهم : لابل رؤساء الملائكة الثلاثة جبرئيل وميكائيل وإسرافيل .

فانطلقوا إلى آدم عليه السلام فذكروا الّذي قالوا واختلفوا فيه ، فقال : يابنيَّ أنا أُخبركم بأكرم الخلائق جميعاً على الله عزّ وجلّ ، والله لمّا أن نفخ فيَّ الروح حتّى استويت جالساً فبرق لي العرش العظيم ، فنظرت فيه ، فإذا فيه : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله فلان أمين الله فلان خيرة الله عزَّ وجلَّ ، فذكر عدَّة أسماء مقرونة [1] بمحمّد صلى الله عليه وآله .

وقال آدم : لم أر في السماء موضعاً أو قال صفيحاً منها إلّا ومكتوب فيه لا إله إلاّ الله ، وما من موضع فيه مكتوب لا إله إلّا الله إلّا وفيه مكتوب خلقاً لا خطّاً محمّد رسول الله ، وما من موضع فيه مكتوب فيه محمّد رسول الله إلّا ومكتوب فلان خيرة الله ، فلان صفوة الله ، فلان أمين الله عزَّ وجلَّ ، فذكر عدَّة أسماء فنظم الحساب المعدود ، قال آدم عليه السلام : فمحمّد صلى الله عليه وآله يابنيَّ ومن خطَّ من تلك الأُسماء معه أكرم الخلائق على الله عزَّ وجلَّ جميعاً .

وعن صلوات إبراهيم الخليل : أنّه نظر إبراهيم في التابوت ، ونظر فاذا بيت محمّد صلى الله عليه وآله آخر الأنبياء عن يمينه عليٌّ بن أبي طالب أخذ بحجزته فاذا شكلٌ عظيمٌ يتلألأ نوراً ، فيه : هذا وصيّه وصنوه المؤيّد بالنصر ، فقال إبراهيم : ياربّ إلهي وسيّدي من هذا الخلق الشريف ؟

(١) في الأصل : مقرون ، وما أثبتناه من المصدر ، وهو الصحيح .

فأوحى الله عزَّ وجلَّ : هذا عبدي وصفوتي الفاتح الخاتم ، وهـذا وصيّه الوارث .

قال : ربّي ما الفاتح الخاتم ؟ قال : هذا محمّد خيرتي وبكر فطرتي وحجّتي الكبرى في بريّتي نبّأته وأحييته إذ كان آدم بين الطين والجسد ، ثمَّ إنّي باعثه عند انقطاع الزمان لتكملة ديني وخاتمٌ به رسالاتي ونذري ، وهذا عليٌّ أخوه وصدّيقه الأكبر،خيت بينهما واخترتهما ، وصلّيت فباركت عليهما ، وطهّرتهما وأخلصتهما والأبرار منهما وذرّيّتهما قبل أن أخلق سمائي وأرضي وما فيهما من خلقي ، وذلك لعلمي بهم وبقلوبهم إنّي بعبادي خبير عليم الخ .

وعن السفر الثاني من التوراة أنّي باعثٌ في الأمّيّين من ولد إسماعيل رسولاً أُنزل عليه كتابي وأبعثه بالشريعة القيّمة على جميع خلقي ، أُوتيه حكمتي وأُؤيّده بملائكتي وجنودي ، يكون ذرّيّته من ابنة له مباركة باركتها - إلى أن قال - يكون منهم اثنا عشر فيما أكمّل بمحمّد ﷺ وبما أرسله به من بلاغ وحكمة ديني،أختم به أنبيائي ورسلي .

وعن المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح عليه السلام : ياعيسى يابن الطـاهرة البتول اسمع قولي وجدَّ في أمري ، إنّي خلقتك من غير فـحل ، وجـعلتك آيـة للعالمين ، وإيّاي فاعبد ، وعليَّ فتوكّل ، وخذ الكتاب بقوّة ثمَّ فسّره لأهل سوريا ، وأخبرهم أنّي أنا الله لا إله إلّا أنا الحيُّ القيّوم الّذي لا أحول ولا أزول ، فآمنوا بي وبرسولي النبيّ الأمّي الّذي يكون في آخر الزمان ، نبيّ الرحمة والملحمة ، الأوّل الآخر قال : وّل النبيّين خلقاً وآخرهم مبعثاً ذلك العاقب الحاشر[1] .

---

(١) في الأصل : الخاثر والظاهر أنه تصحيف وما أثبتناه من المصدر وهو الصحيح .

أقول : هذا الّذي رويناه عن الكتب السماوية إنّما رواه السيّد في «**الإقبال**» بالأسانيد الصحيحة إلى أبي المفضل محمّد بن عبد المطّلب الشيبانيّ ومن أصل كتاب الحسن بن إسماعيل بن أشناس من كتاب عمل ذي الحجّة عند ذكر مباهلة خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله وإنفاذه لرسله إلى نصارى نجران ، واختلافهم في بيعتهم في صفة النبيّ الموعود في الكتب السماويّة ، واضطرارهم إلى مراجعة الجامعة ، استخرجوا هذه الألفاظ بعينها من الكتب المذكورة ، على ما وصفناها ، وفيها كفاية لمن عقل [(١)] ، هذا .

والّذي فلق الحبَّ والنوى إنَّ فضائل علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام الّتي رواها المخالفون بل الناصبون أكثر من حدّ التواتر ، بل نفس حديث الغدير ، ونصُّ النبيّ صلى الله عليه وآله له بالأولويّة أيضاً أكثر من حدّ التواتر في رواياتهم ، فضلاً عن روايات الشيعة ، حتّى أنَّ ابن حجر العسقلانيّ مع نصبه حكم في حديث الغدير أنّه رواه أكثر من ثلاثين صحابيّ بطرق صحاح وحسان ، وإن ذكر في جوابه - بعد حكم نفسه بصحّة الرواية - أنّه ضعّفه فلان ، ولعمري إنَّ هذا لشيء عجاب .

وبالجملة روى السيّد عن كتاب أبي سعيد مسعود بن ناصر السجستانيّ المخالف (لأهل البيت) نصَّ النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام بتلك المناقب عن مائة وعشرين نفساً من الصحابة ، وعن صاحب التاريخ محمّد بن جرير الطبريّ عن كتاب الردّ على الحرقوصيّة حديث الغدير ونصّ النبيّ صلى الله عليه وآله على عليّ عليه السلام بالولاية من خمس وسبعين طريقاً وعن ابن عقدة الحافظ نصّه صلى الله عليه وآله على أمير

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٣٣٤ ـ ٣٤٠ ضمن حديث طويل يروي ما جرى يوم المباهلة ، فراجع .

المؤمنين عليه السلام بالولاية من مائة وخمس طرق[1] .

ومن أراد تفصيل ذلك كلّه وأزيد فليراجع إلى كتاب عبقات الأنوار تأليف سيّد العلماء الأعلام المير حامد حسين – قدّس الله نفسه الزكيّة – فانّ هذا الكتاب لم يعمل مثله في الإسلام ولا في سائر الأديان في إثبات الوصية .

وأمّا تفصيل يوم الغدير وقضيّة تخليف النبي علياً عليهما السلام فقد روي في ذلك مجملاً ومفصّلاً مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ ولكنّ الجامع من الألفاظ المرويّة عن علماء العامّة ، المتّفق على روايتها في المتواتر وفوقه أنّه صلى الله عليه وآله بعد نزول آية : ﴿**النَّبِيُّ أوْلى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنفُسِهِمْ وأزْوَاجُهُ أمّهاتُهُمْ وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُم أوْلَى بِبَعضٍ فِي كِتابِ الله**﴾[2] قال الناس : يارسول الله ما هذه الولاية الّتي أنتم بها أحقُّ منّا بأنفسنا ؟ فقال : السمع والطاعة فيما أحببتم وكرهتم ، قال يوم الغدير : يا أيّها النّاس ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا : بلى ، قال : من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه ، وهذا اللفظ المتّفق على روايته من جماعة المخالفين نصٌّ في معنى الخلافة لا سيّما إذا لوحظ بقرائنه القطعيّة الواضحة ، وما روي مفصلاً ، فمن أرادها فليراجع إلى المفصلات[3] .

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٢٣٩ – ٢٤٠ .

(٢) الأحزاب : ٦ .

(٣) روي حديث الغدير من المخالفين بطرق كثيرة ومصادر شتى نذكر منها ما يلي : ابن حجر في لسان الميزان : ٢ / ٣٧٩ ؛ والإصابة : ٢ / ٤١٤ ؛ وابن كثير في البداية والنهاية : ٥ / ٢١١ ؛ وأحمد بن حنبل في الفضائل : ٢٩٠ ، والنسائي في الخصائص : ١٠٠ ، والترمذي في المناقب المرتضوية : ١٢٥ ، وابن حبان في مسنده : ٢ / ١٧٩ ؛ والمتقي الهندي في كنز العمال : ١٢ / ٢٥٨ و ١٥ / ١١٥؛ والسيوطي في تاريخ الخلفاء : ١٦٩ ، والجامع الصغير : ١٤١ ؛ وابن عساكر في تاريخ دمشق : ٢ / ٢٦ ؛ والذهبي في ميزان الاعتدال : ٢ / ٣٠٣ ، وغيرها من ←

ومن جملة ما روي من المخالفين في التفصيل ما روي عن كتاب الخالص عن أحمد بن محمّد باسناده عن حذيفة بن اليمان قال: سألته عن إقامة النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام يوم الغدير - غدير خمّ - كيف كان؟ فقال: إنّ الله أنزل على نبيّه صلى الله عليه وآله: **﴿النَّبِيُّ أوْلى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أنفُسِهِمْ وأزْوَاجُهُ أمّهاتُهُمْ وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُم أوْلى بِبَعضٍ فِي كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِين﴾**[1] فقالوا: يارسول الله ما هذه الولاية الّتي أنتم أحقُّ بها منّا بأنفسنا؟ فقال عليه السلام: السمع والطاعة فيما أحببتم أو أكرهتم، قلنا: معنا وأطعنا فأنزل الله: **﴿واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ومِيثاقَهُ الّذي واثَقَكُمْ بِهِ إذ قُلتُم سَمِعْنا وأطَعْنا﴾**[2].

فخرجنا إلى مكّة مع النبيّ في حجّة الوداع، ونزل جبرئيل فقال: يامحمّد إنّ ربّك يقرئك السّلام، ويقول: انصب عليّاً علماً للنّاس، فبكى النبيُّ صلى الله عليه وآله حتّى اخضلّت لحيته فقال: ياجبرئيل إنّ قومي حديثوا عهد بالجاهليّة ضربتهم على الدين طوعاً وكرهاً حتّى انقادوا لي فكيف إذا حملتُ على رقابهم غيري؟ قال فصعد جبرئيل عليه السلام.

ثمّ قال: - صاحب كتاب النشر والطيّ، عن حذيفة -: وقد كان النبيُّ بعث عليّاً إلى اليمن فوافى مكّة ونحن مع الرسول صلى الله عليه وآله ثمّ توجّه عليٌّ يوماً نحو الكعبة يصلّي فلمّا ركع أتاه سائل فتصدّق عليه بحلقة خاتم فأنزل الله: **﴿إنّما وَليُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصّلاةَ ويُؤْتُونَ الزكوةَ وهُمْ راكعونَ﴾**[3] فكبّر

← المصادر الكثيرة.

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) المائدة: ٧.

(٣) المائدة: ٥٥.

رسول الله وقرأه علينا ثمّ قال : قوموا نطلب هذه الصّفة الّتي وصف الله بها ، فلمّا دخل رسول الله المسجد استقبله سائل فقال : من أين جئت ؟ فقال : من عند هذا المصلّي تصدّق عليّ بهذه الحلقة وهو راكع .

فكبّر رسول الله صلى الله عليه وآله ومضى نحو عليّ عليه السلام فقال : ياعليُّ ما أحدثت اليوم من خبر ؟ فأخبره بما كان منه إلى السائل ، فكبّر ثالثة .

فنظر المنافقون بعضهم إلى بعض وقالوا : إنّ أفئدتنا لا تقوى على ذلك أبداً مع الطاعة له ، فنسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبدّله لنا ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبروه بذلك فأنزل قرآناً وهو : **﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أن أُبدِّلَهُ مـن تِـلقاءِ نَـفسِي﴾**[1] فقال جبرئيل : ارسول الله أتمّه ، فقال : حبيبي جبرئيل قد سمعت ما تآمروا به فانصرف [عن][2] رسول الله الأمين جبرئيل .

ثمّ قال صاحب كتاب النشر والطيّ من غير حديث حذيفة : فكان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع بمنى : يا أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم أمرين إن أخذتم بهما لن تضلّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنّه قد نبّأني اللطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض كاصبعيَّ هاتين - وجمع بين سبّابتيه - ألافمن اعتصم بهما فقد نجا ومن خالفهما فقد هلك ، ألا هل بلغت أيّها الناس ؟ قالوا : نعم ، قال : اللّهمّ اشهد .

ثمّ قال صاحب الكتاب : فلمّا كان آخر يوم من أيّام التشريق أنزل الله عليه : **﴿إذا جَاءَ نَصْرُ الله﴾**[3] إلى آخرها فقال عليه السلام : نعيت إليَّ نفسي ، فجاء إلى مسجد

(١) يونس : ١٥ .
(٢) من المصدر .
(٣) النصر : ١ .

الخيف فدخله فنادى الصلاة جامعة ، فاجتمع النّاس فحمد الله وأثنى عليه وذكر خطبته عليه السلام

ثمَّ قال فيها : أيّها النّاس إنّي تارك فيكم الثقلين : الثقل الأكبر كتاب الله عزَّ وجلَّ ، طرفٌ بيد الله وطرف بأيديكم فتمسّكوا به ، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي ، فانّه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض كاصبعيَّ هاتين -وجمع بين سبّابتيه -ولا أقول كهاتين -وجمع سبّابته والوسطى - فتفضل هذه على هذه .

فاجتمع قوم وقالوا : يريد محمّد أن يجعل الإمامة في أهل بيته ، فخرج منهم أربعة ودخلوا مكّة ، ودخلوا الكعبة ، وكتبوا فيما بينهم : إن أمات الله محمّداً أو قتل لا نردُّ هذا الأمر في أهل بيته فأنزل الله تعالى : ﴿**أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَنَسْمَعُ سِرَّهُمْ ونَجْواهُمْ بَلى وَرُسُلَنا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾[1] .

قال حذيفة : وأذّن النبي ﷺ بالرحيل نحو المدينة ، فارتحلنا ثمَّ قال صاحب كتاب النشر والطيّ :

فهبط جبرئيل فقال : اقرأ : ﴿**يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ**﴾[2] الآية وقد بلغنا غدير خمّ في وقت لو طرح اللّحم فيه على الأرض لانشوى،انتهى إلينا رسول الله ﷺ فنادى : الصلاة جامعة ، ولقد كان أمر عليّ أعظم عند الله ممّا يقدّر .

فدعا المقداد وسلمان وأبا ذرّ وعمّاراً فأمرهم أن يعمدوا إلى أصل شجرتين

(١) الزخرف : ٧٩ - ٨٠ .
(٢) المائدة : ٦٧ .

فيقمّوا ما تحتها فكسحوه وأمرهم أن يضعوا الحجارة بعضها على بعض كقامة رسول الله ﷺ وأمر بثوب فطرح عليه ثمّ صعد النبي ﷺ المنبر ينظر يمنةً ويسرة ، نتظر اجتماع النّاس إليه ، فلمّا اجتمعوا فقال :

الحمد لله الّذي علا في توحّده ، ودنا في تفرُّده -إلى أن قال - وأقرُّ له على نفسي بالعبودية ، وأشهد له بالربوبيّة ، وأُؤديّ ما أُوحي إليَّ حذار إن لم أفعل أن تحلَّ بي قارعة ، أوحَي إليَّ : ﴿**يا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّك**﴾ الآية .

معاشر النّاس ما قصّرت في تبليغ ما أنزله الله تبارك وتعالى ، وأنا أُبيّن لكم سبب نزول الآية إنَّ جبرئيل هبط إليَّ مزاراً أمرني عن السلام أن أقول في المشهد ، وأُعلم الأبيض والأسود ، أنَّ عليَّ بن أبي طالب أخي وخليفتي والإمام بعدى .

أيّها النّاس علمي بالمنافقين الّذين يقولون بألستهم ما ليس في قلوبهم ويحسبونه هيّناً وهو عند الله عظيم ، وكثرة أذاهم لي ، مرّة سمّوني أُذناً لكثرة ملازمته إيّاي وإقبالي عليه ، حتّى أنزل الله : ﴿**ومِنْهُم الّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ويقُولُونَ هُوَ أذن قل أُذُن خَيْرٌ لَكُم**﴾[1] - [محيطٌ] ولو شئت أن أُسمّي القائلين بأسمائهم لسمّيتهم .

واعلموا أنَّ الله قد نصبه لكم وليّاً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والأنصار ، على التابعين ، وعلى البادي والحاضر ، وعلى العجميّ والعربيّ ، وعلى الحرّ والعبد ، وعلى الكبير والصغير ، وعلى الأبيض والأسود ، وعلى كلّ موحّد،هو ماض حكمه ، جائز قوله ، نافذ أمره ، ملعون من خالفه ، مرحوم من صدَّقه .

---

(١) التوبة : ٦١ .

معاشر النّاس تدبّروا القرآن ، وافهموا آياته ومحكماته ، ولا تتّبعوا متشابهاته ، فو الله لا يوضح تفسيره إلّا الّذي أنا آخذ بيده ، ورافعها بيدي ، ومعلّمكم أنّ من كنت مولاه فهو مولاه .

واعلموا معاشر النّاس أنّ عليّاً والطيّبين من ولدي من صلبه ، هم الثقل الأصغر ، القرآن الثقل الأكبر ، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض ، ولا تحلُّ إمرة المؤمنين لأحد بعدي غيره .

ثمّ ضرب بيده إلى عضده فرفعه على درجة دون مقامه متيامناً عن وجه رسول الله فرفعه بيده

فقال : أيّها النّاس من أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : الله ورسوله فقال:لا من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه ، اللّهمَّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، إنّما أكمل الله لكم دينكم بولايته وإمامته ، وما نزلت آية خاطب الله بها المؤمنين إلّا بدأ به ، ولا شهد الله بالجنّة في ﴿**هل أتى**﴾ إلّا له ، ولا أنزله في غيره ، ذرّيّة كلّ نبيّ من صلبه ، وذرّيّتي من صلب عليّ ، لا يبغض عليّاً إلاّ شقيٌّ ولا يوالي عليّاً إلاّ تقيٌّ وفي عليّ نزلت ﴿**والعصر**﴾ وتفسيرها وربّ العصر : القيامة ﴿**إنَّ الإنسَانَ لَفِي خُسْر**﴾ أعداء آل محمّد ﴿**إلّا الّذِينَ آمَنُوا**﴾ بولايتهم ﴿**وعَمِلُوا الصَّالِحات**﴾ بمواساة إخوانهم ﴿**وتواصَوْا بالصَّبْر**﴾[1] في غيبة غائبهم .

معاشر النّاس : ﴿**آمِنُوا باللهِ ورَسُوله والنّور الّذي أنزلنا**﴾[2] أنزل الله النّور فيَّ ثمَّ في عليّ ثمَّ النّسل منه إلى المهديّ الّذي يأخذ بحقّ الله .

(١) العصر : ١ – ٣ .

(٢) التغابن : ٨ .

معاشر النّاس : إنّي رسول الله قد خلت من قبلي الرُّسل ألا إنَّ عليّاً الموصوف بالصبر والشكر ثمَّ من بعده من ولده من صلبه .

معاشر النّاس : قد ضلَّ من قبلكم أكثر الأوّلين ، أنا صراط الله المستقيم ، الّذي أمرتم أن تسلكوا الهدى إليه ثمَّ عليٌّ من بعدي ثمَّ ولدي من صلبه أئمّة يهدون بالحقّ إنّي قد بيّنت لكم ، وفهّمتكم ، هذا عليٌّ يفهّمكم بعدي ، ألا وإنّي بعد انقطاع خطبتي أدعوكم إلى مصافحتي على بيتعه ، والاقرار له ألا إنّي بايعت لله وعليٌّ بايع لي ، أنا آخذكم بالبيعة له عن الله ﴿**فَمَن نَكَثَ فَإنَّما يَنْكُثُ على نَفْسِهِ ومَنْ أوفَى بِما عاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيه أجْراً عَظِيماً**﴾[1] .

معاشر النّاس : أنتم أكثر من أن تصافحون بكفّ واحدة ، قد أمرني الله أن آخذ من ألسنتكم الإقرار بما عقّدتم الإمرة لعليّ بن أبي طالب ، ومن جاء بعده من الأئمة منّي ومنه ، على ما أعلمتكم أنَّ ذرّيّتي من صلبه ، فليبلّغ الحاضر الغائب ، قولوا : امعين مطيعين راضين لما بلّغت عن ربّك ، نبايعك على ذلك بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا ، على ذلك نحيا ونموت ، ونبعث ، لا نغيّر ولا نبدّل ، ولا نشكُّ ولا نرتاب ، أعطينا بذلك الله وإياك وعليّاً والحسن والحسين والأئمة الّذين ذكرت بكلّ عهد وميثاق ، من قلوبنا وألسنتنا ، لانبغي بذلك بدلاً ، ونحن نؤدّي ذلك إلى كلّ من رأينا .

فبادر النّاس بنعم نعم سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسول الله آمنّا به بقلوبنا ، وتداكّوا على رسول الله وعليّ بأيديهم إلى أن صلّيت الظّهر والعصر في وقت واحد ، وباقي ذلك اليوم إلى أن صلّيت العشائين في وقت واحد ، ورسول الله

---

(١) الفتح : ١٠ .

يقول كلمّا أتى فوجٌ الحمد لله الّذي فضّلنا على العالمين [١]، هذا.

وروى أبو سعيد السّمان باسناده أنَّ إبليس، أتى رسول الله صلى الله عليه وآله في صورة شيخ حسن السمت، فقال: يامحمّد ما أقلَّ من يبايعك على ما تقول في ابن عمّك عليّ فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِم إبلِيسَ ظَنَّهُ فاتّبَعُوهُ إلّا فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنين﴾ [٢] فاجتمع جماعة من المنافقين الّذين نكثوا عهده فقالوا قد قال محمّد بالأمس في مسجد الخيف ما قال، وقال هيهنا ما قال؛ فان رجع إلى المدينة يأخذ البيعة له، والرأي أن نقتل محمّداً قبل أن يدخل المدينة.

فلمّا كان في تلك اللّيلة قعد له عليه السلام أربعة عشر رجلاً في العقبة ليقتلوه وهي عقبة بين الجحفة والأبواء، فقعد سبعة عن يمين العقبة، وسبعة عن يسارها، لينفروا ناقته فلمّا أمسى رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّى، ارتحل وتقدّم أصحابه وكان عليه السلام على ناقته ناجية فلمّا صعد العقبة ناداه جبرئيل: يامحمّد إنَّ فلاناً وفلاناً وسمّاهم كلّهم وذكر صاحب الكتاب أسماء القوم المشار إليهم.

ثمّ قال: قال جبرئيل: يامحمّد هؤلاء قد قعدوا لك في العقبة ليقتلوك، فنظر رسول الله إلى من خلفه فقال: من هذا خلفي فقال حذيفة بن اليمان، أنا حذيفة يارسول الله، قال: سمعت ما سمعناه، قال: نعم قال: اكتم، ثمَّ دنا منهم فناداهم بأسمائهم وأسماء آبائهم، فلمّا سمعوا نداء رسول الله فرُّوا ودخلوا في غمار النّاس وتركوا رواحلهم، وقد كانوا عقلوها داخل العقبة، ولحق النّاس برسول الله، انتهى رسول الله إلى رواحلهم فعرفها.

---

(١) إقبال الأعمال: ٢ / ٢٤٠ - ٢٤٧، عنه البحار: ٣٧ / ١٢٦ - ١٣٣.
(٢) سبأ: ٢٠.

فلمّا نزل قال: ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن أمات الله محمّداً أو قتل لا نردُّ هذا الأمر إلى أهل بيته؟ ثمّ همّوا بما همّوا به فجاءوا إلى رسول الله [يحلفون أنّهم لم يهمّوا بشيء من ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى]: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إسْلامِهِم وَهَمُّوا بِما لَمْ يَنالُوا**﴾[1] [2].

أقول: روى قضيّة العقبة جماعة من المخالفين أيضاً في تفاسيرهم وغيرها[3].

وأمّا فضيلة هذا اليوم والعمل فيه فقد روي في ليلته اثنتي عشر ركعة لا تسلّم إلّا في آخرهنّ وتجلس بين كلّ ركعتين، وتقرأ في كلّ ركعة الحمد و﴿**قل هو الله أحد**﴾ عشر مرّات، وآية الكرسيّ مرّة فاذا أتيت الثانية عشر فاقرأ فيها الحمد سبع مرّات و﴿**قل هو الله أحد**﴾ سبع مرّات، واقنت وقل:

«لا إلهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لاشَرِيكَ لَهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ يُحْيي ويُمِيتُ ويُمِيتُ ويحيي، وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ بِيَدِهِ الخَيْرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قَدِير».

وتركع وتسجد وتقول في سجودك عشر مرّات:

سُبحانَ مَن أحْصى كُلَّ شَيْءٍ عِلْمُهُ، سُبْحانَ مَن لا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إلّا لَهُ، سُبحانَ ذِي المَنِّ والنِّعَم، سُبحانَ ذِي الفَضْلِ والطَوْل، سُبحانَ ذِي العِزِّ وَالكَرَم، أسْألُكَ بِمعاقِدِ العِزِّ مِن عَرشِكَ، ومُنتَهى الرَّحمَةِ من كِتابِكَ وبالاسْمِ الأعظَمِ، وكَلِماتِكَ التامّةِ أنْ تُصَلّي على محمّدٍ رَسُولِكَ وأهْلِ بَيْتِهِ الطاهِرِينَ، وأن تَفعل بِي

---

(١) التوبة: ٧٤.

(٢) إقبال الأعمال: ٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠؛ عنه البحار: ٣٧ / ١٣٥.

(٣) راجع تفسير الكشاف للزمخشري: ٢ / ٢٧٧ و ٢٩١.

- كذا وكذا - إنَّكَ سَمِيعٌ مُجيب»[١].

وروي أيضاً دعاء شريف مضمونه شاهد صدق على الصدق أوّله : اللّهمّ إنّك دعوتنا إلى سبيل طاعتك الخ[٢].

وأمّا يومه فقد روى السيّد تَتِرُّ فيه رواية جليلة باسناده إلى أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه ، عن آبائه الطاهرين عن أمير المؤمنين عليه السلام خطبة طويلة فاخرة في يوم الغدير قال في آخرها : «عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم والبرّ باخوانكم ، والشكر لله عزّ وجلّ على ما منحكم ، اجمعوا يجمع الله شملكم ، وتبارُّوا يقبل الله اُلفتكم ، وتهانؤوا نعمة الله كما هنّأكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله وبعده ، إلاّ في مثله .

والبرُّ فيه يثمر المال ، ويزيد في العمر ، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه وهبوا لإخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من جودكم ، وبما تناله المقدرة من استطاعتكم ، وأظهروا البشر فيما بينكم ، والسرور في ملاقاتكم ، والحمد لله على ما منحكم ، وعوّدوا بالمزيد على أهل التأميل لكم ، وساووا بكم ضعفاءكم من ملككم وممّا تناله القدرة من استطاعتكم ، وعلى حسب إمكانكم فالدرهم فيه بمائتي ألف درهم والمزيد من الله عزّ وجلّ .

وصوم هذا اليوم ممّا ندب الله إليه وجعل الجزاء العظيم كفاءة عنه ، حتّى لو تعبّد له عبد من العبيد ، في التشبيه من ابتداء الدنيا إلى انقضائها صائماً نهارها قائماً ليلها ، إذا أخلص المخلص في صومه لقصرت أيّام الدنيا عن كفاءته ، ومن أسعف

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٢٣٧ - ٢٣٨ .
(٢) إقبال الأعمال : ٢ / ٢٣٨ - ٢٣٩ .

فيه أخاه مبتدئاً ، وبرّه راغباً ، فله كأجر من صام هذا اليوم وقام ليله ، ومن أفطر مؤمناً في ليلته ، فكأنّما أفطر فئاماً وفئاماً - يعدُّها بيده عشرة» .

فنهض ناهضٌ فقال : يا أمير المؤمنين وما الفئام ؟ قال : «مائة ألف نبيّ وصدّيق وشهيد - فكيف بمن يكفل عدداً من المؤمنين والمؤمنات ، فأنا ضمينه على الله تعالى الأمان من الكفر والفقر ، وإن مات في ليلته أو يومه أو بعده إلى مثله من غير ارتكاب كبيرة فأجره على الله ، ومن استدان لإخوانه وأعانهم فأنا الضامن على الله إن أبقاه قضاءه ، وإن قبضه حمل عنه ، وإذا تلاقيتم فتصافحوا بالتسليم ، وتهانؤا بالنعمة في هذا اليوم فليبلّغ الحاضر الغائب والشاهد البائن وليعد الغنيُّ على الفقير ، والقويُّ على الضعيف ، أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك» .

ثمَّ أخذ صلوات الله عليه في خطبة الجمعة وجعل صلاته جمعة صلاة عيد، انصرف بولده وشيعته إلى منزل أبي محمّد الحسن بن عليّ عليهما السلام بما أعدَّ له من طعامه ، وانصرف غنيّهم وفقيرهم برفده إلى عياله [(١)] .

وروي أيضاً عن الرضا صلوات الله عليه قال : إذا كان يوم القيامة زفّت أربعة أيّام إلى الله كما تزفُّ العروس إلى خدرها قيل : ما هذه الأيّام ؟ قال :

يوم الأضحى ويوم الفطر ، ويوم الجمعة ، ويوم الغدير ، وإنَّ يوم الغدير بين الأضحى والفطر والجمعة كالقمر بين الكواكب ، وهو اليوم الّذي نجا فيه إبراهيم الخليل عليه السلام من النار،صامه شكراً لله ، وهو اليوم الّذي أكمل الله فيه الدين في إقامة النبيّ عليّاً أمير المؤمنين علماً ، وأبان فضيلته ووصايته ، فصام ذلك [اليوم] [(٢)] .

---

(١) مصباح المتهجد : ٧٥٢ ؛ عنه الاقبال : ٢ / ٢٥٤ - ٢٦٠ ؛ والوسائل : ١٠ / ٤٤٤ ح ١١ .
(٢) من المصدر .

وإنّه يوم الكمال ، ويوم مرغمة الشيطان ، ويوم تقبل أعمال الشيعة ، ومحبّي آل محمّد ، وهو اليوم الّذي يعمد الله فيه إلى ما عمله المخالفون ، فيجعله هباءً منثوراً ، ذلك قوله ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾[1] وهو اليوم الّذي يأمر جبرئيل أن ينصب كرسيّ كرامة الله بازاء البيت المعمور ويصعده جبرئيل ، ويجتمع إليه الملائكة من جميع السماوات ، ويثنون على محمّد صلى الله عليه وآله ويستغفرون لشيعة أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام ، ومحبّيهم من ولد آدم عليه السلام .

وهو اليوم الّذي يأمر الله فيه الكرام الكاتبين أن يرفعوا عن محبّي أهل البيت وشيعتهم ثلاثة أيّام من يوم الغدير ، ولايكتبون شيئاً من خطاياهم كرامة لمحمّد وعليّ والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين .

وهو اليوم الّذي جعله الله لمحمّد وآله وذوي رحمه ، وهواليوم الّذي يزيد الله في مال من عبد فيه ، ووسّع على عياله ونفسه وإخوانه ، ويعتقه الله من النار - إلى أن قال - وهو يوم التبسّم في وجوه الناس من أهل الإيمان ، فمن تبسّم في وجه أخيه يوم الغدير نظر الله إليه يوم القيامة بالرحمة ، وقضى له ألف حاجة ، وبنى له في الجنّة قصراً من درّ بيضاء ، ونضّر وجهه .

وهو يوم الزينة ، فمن تزيّن ليوم الغدير غفر الله له كلّ خطيئة عملها صغيرة أو كبيرة ، وبعث الله إليه ملائكة يكتبون له الحسنات ، ويرفعون له الدرجات ، إلى قابل مثل ذلك اليوم ، فان مات مات شهيداً ، وإن عاش عاش سعيداً ، ومن أطعم مؤمناً كان كمن أطعم جميع الأنبياء والصدّيقين ، ومن زار مؤمناً أدخل الله قبره سبعين نوراً ، ووسّع في قبره ، ويزور قبره كلّ يوم سبعون ألف ملك يبشّرونه بالجنّة .

---

(١) الفرقان : ٢٣ .

وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السماوات السبع فسبق إليها أهل السماء السابعة ، فزيّنها بالعرش ، ثمَّ سبق إليها أهل السماء الرابعة فزيّنها بالبيت المعمور ، ثمَّ سبق إليها أهل السماء الدنيا فزيّنها بالكواكب .

ثمَّ عرضها على الأرضين فسبقها مكّة فزيّنها بالكعبة ، ثمَّ سبقت إليها المدينة فزيّنها بالمصطفى محمّد صلى الله عليه وآله ثمَّ سبقت إليها الكوفة فزيّنها بأمير المؤمنين عليه السلام .

وعرضها على الجبال فأوّل جبل أقرَّ بذلك ثلاثة أجبال : العقيق ، وجبل الفيروزج ، جبل الياقوت ، فصارت هذه الجبال جبالهنَّ وأفضل الجواهر ، ثمَّ سبقت إليها جبال أُخر فصارت معادن الذهب والفضّة ، وما لم يقرَّ بذلك ولم يقبل صارت لاتنبت شيئاً .

وعرضت في ذلك اليوم على المياه فما قبل منها صار عذباً وما أنكر صار ملحاً أُجاجاً ، وعرضها في ذلك اليوم على النبات فما قبله صار حلواً طيّباً وما لم يقرَّ صار مرّاً .

ثمَّ عرضها في ذلك اليوم على الطير فما قبلها صار فصيحاً مصوّتاً وما أنكرها صار أخرس مثل الألكن .

ومثل المؤمنين في قبولهم الايمان وولاء أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير كمثل الملائكة في سجودهم لآدم ، ومثل من أبى ولاية أمير المؤمنين في يوم الغدير كمثل إبليس ، وفي هذا اليوم أُنزلت هذه الآية : ﴿**اليَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم**﴾[1] الآية . وما بعث الله نبيّاً إلاّ وكان يوم بعثه مثل الغدير عنده وعرف

(١) المائدة : ٦٨ .

حرمته إذا نصب لأمّته وصيّاً وخليفة من بعده في ذلك اليوم [(١)] .

وروي أنّ العمل فيه يعدل ثمانين شهراً [(٢)] . وروي أنّه كفارة ستّين سنة [(٣)] .

ثمّ إنّ هذه الولاية الّتي عرضت لجميع أصناف المخلوقين من الجماد والنبات والحيوان والانسان والملائكة إنّما هو ولاية الوليّ المطلق الّتي كانت في رسول الله وأمير المؤمنين وخلفائهما الأحد عشر وهي كما قاله بعض المحقّقين : باطن النبوّة المطلقة الّتي هي اطّلاع النبيّ المخصوص بها على استعداد جميع الموجودات بحسب ذاوتها وماهيّاتها وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه الّذي يطلبه بلسان استعداده من حيث الإنباء الذاتيّ والتعليم الحقيقيّ الأزليّ ، وصاحب هذا المقام هو الموسوم بالخليفة الأعظم ، وقطب الأقطاب ، والانسان الكبير ، وآدم الحقيقيّ ، المعبّر عنه بالقلم الأعلى والعقل الأوّل ، والروح الأعظم .

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله : أوّل ما خلق الله نوري ، وكنت نبيّاً وآدم بين الماء والطين ، وإليه استند كلُّ العلوم والأعمال ، وإليه ينتهي جميع المراتب والمقامات نبيّاً كان أو وليّاً ، رسولاً كان أو وصيّاً ، ومرجعه إلى فناء العبد في الحقّ وبقائه به [(٤)] .

وإليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله : «**أنا وعليٌّ من نور واحد**» [(٥)] ، وقوله : «**خلق الله روحي وروح عليّ بن أبي طالب قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ، وبعث عليّاً مع كلّ**

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٢٦٠ – ٢٦٢ .

(٢) ثواب الأعمال : ١٠٠ عنه الإقبال : ٢ / ٢٦٤ .

(٣) ثواب الأعمال : ١٠٠ ح ٣ ، الفقيه : ٢ / ٥٥ ح ٢٤١ ؛ بإسنادهما إلى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام . عنهما الوسائل : ١٠ / ٤٤٢ ح ٥ ؛ مصباح المتهجد : ٦٧٩ مثله ، عنه الوسائل : ١ / ٤٤٣ ح ٥ .

(٤) راجع البحار : ١٥ / ٢ ، الباب ١ في بدء خلق الرسول صلى الله عليه وآله وبدء نوره وظهوره .

(٥) معاني الأخبار : ٢١ عنه البحار : ١٥ / ١١ ح ١٢ .

نبيّ سراً ومعي جهراً» ، ويقول أميرالمؤمنين عليه السلام : «**كنت وليّاً وآدم بين الماء والطين**» ، وقوله : «**أنا وجه الله ، وأنا جنب الله ، وأنا يد الله ، وأنا القلم الأعلى ، وأنا اللوح المحفوظ**»، إلى آخر ما قاله في خطبة البيان [(١)] وغيرها .

وهذا هو المراد بقول الصادق عليه السلام : «الصورة الإنسانية هي أكبر حجج الله على خلقه ، وهو الكتاب الّذي كتبه بيده ، وهو مجمع صور العالمين ، وهو النسخة المختصرة من اللوح المحفوظ ، وهو الجسر الممدود بين الجنّة والنار» . وقد كان هذه الولاية في النبيّ والوصيّ وهما فاتحها وخاتمها فمن أجل عظمة هذا الأمر جعل هذه المثوبات العظيمة لتعظيم هذه الولاية .

روي عن الرضا عليه السلام أنّ يوم الغدير في السماء أشهر منه في الأرض ، إنّ الله عزّ وجلّ في الفردوس الأعلى قصراً لبنة من ذهب ولبنة من فضّة ، فيه مائة ألف قبّة من ياقوت حمراء ، ومائة ألف خيمة من ياقوت أخضر ، ترابه المسك والعنبر فيه أربعة أنهار : نهر من خمر ، ونهر من ماء ، ونهر من لبن ، ونهر من عسل ، حواليه أشجار جميع الفواكه ، عليه طيور أبدانها من لؤلؤ ، وأجنحتها من ياقوت ، تصوّت بألوان الأصوات .

فاذا كان يوم الغدير ورد إلى ذلك القصر أهل السماوات يسبّحون الله ويقدّسونه ويهلّلونه ، فتطاير تلك الطيور ، فيقع في ذلك الماء وتمرغ على ذلك المسك والعنبر ، فاذا اجتمعت الملائكة طارت تلك الطيور ، فيقع من ذلك وإنّهم في ذلك اليوم ليتهادون نثار فاطمة صلوات الله عليها فاذا كان آخر اليوم نودوا : انصرفوا إلى مراتبكم فقد أمنتم من الزلل والخطاء إلى قابل في مثل هذا اليوم

---

(١) إلزام الناصب : ٢ / ١٧٨ .

مكرمة لمحمّد وعلي عليهما السلام [(١)] اه.

ويستحبُّ مؤكّداً زيارة الأمير صلوات الله عليه [(٢)].

وأن يصلّي ركعتين أيَّ وقت شاء وأفضله قرب الزوال وأن يسجد بعدهما شكراً لله ويقول: شكراً لله، مائة مرّة ويدعو بدعاء مرويّ في «**الاقبال**» أوّله: اللّهمَّ إنّي أسألك بأنَّ لك الحمد، ويسجد بعد تمام الدعاء ويحمد الله مائة مرّة ويشكره كذلك، وهو ساجد فانّه من فعل ذلك كان كمن حضر ذلك اليوم وبايع رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك وكان درجته مع درجة الصادقين الّذين صدقوا الله ورسوله في مولاة مولاهم ذلك اليوم، وكان كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ومع الحسن والحسين صلوات الله عليهما، وكمن يكون تحت راية القائم – صلوات الله عليه وروحي فداه – في فسطاطه من النجباء والنقباء [(٣)].

وروي أنّه من قرأ في هاتين الركعتين الحمد مرّة و﴿**قل هو الله أحد**﴾ عشر و﴿**إنّا أنزلناه**﴾ عشراً، وآية الكرسيّ عشراً وصلاّهما قبل أن تزول الشمس بنصف ساعة عدلت عند الله عزَّ وجلَّ مائة ألف حجّة، ومائة ألف عمرة، وما سأل الله عزَّ وجلَّ حاجة من حوائج الدنيا والآخرة كائنة ما كانت إلاّ أتى الله عزَّ وجلَّ على قضائها في يسر وعافية، و[من] دعا في دبر الركعتين بدعاء أوّله: «ربّنا إنّنا سمعنا. وسأل بعده حوائجه للآخرة والدنيا، قال: فانّها والله والله مقضيّة [(٤)].

---

(١) إقبال الأعمال: ٢ / ٢٦٩ – ٢٧٠.

(٢) راجع الإقبال: ٢ / ٢٧٢ – ٢٧٥.

(٣) إقبال الأعمال: ٢ / ٢٧٦؛ عنه البحار: ٩٨ / ٢٩٨ ح ١.

(٤) إقبال الأعمال: ٢ / ٢٨٢ – ٢٨٩؛ عنه البحار: ٩٨ / ٣٠٢ – ٣٠٧ ح ٢.

ويستحبُّ أيضاً مؤكّداً أن يغتسل في أوّل اليوم ، ويلبس أنظف ثيابه ويتطيّب ويقول عند مصافحة المؤمنين : الحمد لله الّذي جعلنا من المتمسّكين بولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام [(١)] .

وورد أيضاً صلاة بعد الدعاء مرويّة في الاقبال أوّلها:للّهمّ صلّ على وليّك وأخي نبيّك [(٢)] هذا .

يا أخي إن كنت موقناً بما تلونا عليك في هذه الأخبار الكثيرة من فضل يوم الغدير ، فضل العمل فيه فالبدار البدار ، فاشكر لله الّذي فضّله ، ومنح بهذا الفضل العظيم ، الّذي يعسر الإيمان به من عظمته ، عليك بولاية إمامك ، وجدّ بغاية جهدك في معرفته ، فانّه أصل كلّ خير ، لأنّ الانسان إذا عرف الفضل والخير يحبّه وإذا أحبّه سعى في تحصيله ، والمعرفة قبل الولاية .

وإذا تولّيته لابدّ لك من السعي في موجبات الولاية ، وإذا اتيت بموجبات المحبّة والولاية ، اتّبعته في أفعاله وأخلاقه وهداه ، وسعيت في تحصيل رضاه ، فاذا أحبّك وقرّبك وأدناك وارتقيت من العلى والفضل مرتقى عظيماً ، وجاورت بذلك سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله لأنّه وعد علياً عليه السلام أنّ شيعته على منابر من نور مبيضّة وجوههم حوله في الجنّة ، وهم جيرانه ، لمثل هذا فليتنافس المتنافسون .

فانظر في سيرته : في كرمه وشجاعته ، وزهده وخشيته ، ورجائه وتوكّله ، ورضاه وتسليمه ، ومعرفته وتوحيده ، وتفكّر في علمه وعبادته ، وبكائه وتصلّبه في ذات الله وسخائه وإيثاره وتحمّله على مشاقّ الأعمال ، وصبره على النوائب

(١) الإقبال : ٢ / ٢٨٠ - ٢٨١ .
(٢) الإقبال : ٢ / ٣٠٧ ؛ عنه البحار : ١٠٠ / ٢٧٣ .

وجمعه لمكارم الأخلاق ، ومحامد الأوصاف الّتي يعسر اجتماع كمال بعضها مع البعض ، انَّ الرقّة يخالف في الأغلب مع جهاد الكفّار ، وقتل النفوس ، والقوّة تنافي مع كثرة الصوم والجوع ، والتواضع لا يجتمع غالباً مع الهيبة والعظمة ، والطرف لا يناسب الحشمة ، وكان صلوات الله عليه جامعها لها وحائزاً لكمالها .

روي عن .... [1] .

وبالجملة ينبغي بل يجب في حكم العقل لكلّ مؤمن بهذا الأمر أن يعمد في هذا اليوم لكلّ ما ورد فيه فضل من الخيرات ، ويأخذ منها حظّاً كاملاً بحسب طمعه في فضل الله وكرم أوليائه ، وهي الغسل ، ولبس ثياب الزينة ، والتطيّب ، وزيارة المؤمنين ، والتبسّم في وجوههم ، وبرّهم وصلتهم ، وإفطارهم في الليلة الآتية ، التوسّع على النفس والعيال ، والتصدّق والإطعام ، والصيام ، وإظهار السرور،الحمد لله ، والشكر له ، لاسيّما عند مصافحة الأخوان ، لا سيّما بما ورد ، وتهنئة الإخوان ومصافحتهم ، وقضاء حوائجهم من غير سؤالهم ، وإعانتهم ، زيارته صلوات الله عليه والصلاة والدعاء كما ذكرنا ، ويكثر اهتمامه في التصدُّق وإطعام المؤمنين،لاسيّما بافطارهم، ويزيد في تهجّد ليلته وقيامه على سائرالليالي.

وقد سمعت عن تاجر من أهل بلدتنا أنّه قام ليلة من أوّل الليل يناجي ويخاطب أمير المؤمنين عليه السلام ويقول :

گر بشكافند سرا پاي من　　　جز تو نيابند در اعضاي من

قائماً على رجليه يردّد هذا الشعر حتّى سمع أذان الصبح كان شديد المحبّة

---

(١) بياض في أصل المصنف نحو أسطر وكأنّه أراد نقل ما ذكره ابن أبي الحديد في جمعه عليه السلام بين الاضداد من الصفات . فتدبر .

لأمير المؤمنين عليه السلام واتّفق في سني مجاورتي لمشهده صلوات الله عليه لتحصيل العلوم أنّه زار قبره الشريف وبقي أيّاماً وسأله صلوات الله عليه أن لا يخرجه من جواره فاتّفق رجوعه وودّعه عليه السلام وركب المحمل مع سيّد من الخدّام وأخذوا في طريق مسجد السهلة وحكى لي السيّد الخادم قال : وبينا نحن في وسط الطريق سمعته يقول : أنزلوني من المحمل فأنزلوه فمات من ساعته فأرجعوه إلى المشهد الشريف وغسّلوه فيه وطافوا بجسده الشريف حول الضريح المقدّس ، ودفنوه في جوار أمير المؤمنين عليه السلام هنيئاً له وطوبى .

وبالجملة إذا كان آخر اليوم يختم يومه بمراجعة خفيره من المعصومين عليهم السلام بكلّ جهده في الابتهال والتضرّع والاسترحام ، ويقسمه بحقّ هذه الولاية العظمى أن يكملوا نواقص أعماله ويشفعوا إلى الله في قبولها وتربيتها ، وأن يجعل جزاءه منها الزيادة في معرفة أمير المؤمنين عليه السلام ومحبّته ومتابعته وجواره ، وأن يلحقه بشيعته المقرّبين ، وأوليائه السابقين ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، أبد الآبدين ودهر الداهرين .

ومن عظائم الأوقات وشرائف الأيّام في هذا الشهر العظيم اليوم الرابع والعشرون لما وقع فيه من إقدام سيّد المرسلين لمباهلة النصارى وظهور تغيّر في العالم بحيث أذلّ رقابهم بقبول الصغار ، وإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون .

وبالجملة أعزّ الله تعالى في هذا اليوم الاسلام بذلّة النصارى ، وأكرم الشيعة بتكريم أهل بيت نبيّه حيث أنزل آية المباهلة ، وأمر رسوله أن يباهل الكفّار بعليّ أمير المؤمنين وفاطمة زوجته سيّدة نساء العالمين ، وولديه الحسنين سيّدي شباب أهل الجنّة أجمعين وعبّر في هذه الآية الكريمة عن عليّ عليه السلام بنفس النبيّ

وأذلّ بذلك رقاب المخالفين المنافقين .

وإجمال هذا التفصيل أنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا فتح مكّة ، وانقادت له العرب أرسل رسلاً وكتب كتباً إلى الأمم ودعاهم إلى الاسلام ومن جمله من أرسلهم إلى نصارى نجران ، أرسل آليهم عتبة بن غزوان ، وعبد الله بن أبي أميّة ، والهدير بن عبد الله وصهيب بن سنان ، يدعوهم إلى الإسلام فإن أجابوا فإخوان وإن أبوا واستكبروا فإلى الحطّة المخزية إلى أداء الجزية عن يد فان رغبوا عمّا دعاهم إليه من أحد المنزلتين وعندوا ، فقد آذنهم على سواء ، وكان في كتابته صلى الله عليه وآله : **﴿قُلْ يا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَينَكُم ألّا نَعْبُدَ إلّا الله وَنُشْرِكَ بِهِ شَيئاً ولا يَتّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أرْباباً مِن دُونِ اللهِ فإنْ تَوَلّوْا فَقُولُوا اشهَدُوا بِأنّا مُسْلِمُون﴾**[1] .

فازدادوا لورود رسل نبيّ الله صلى الله عليه وآله وكتابه هوراً واقتراحاً ، ففرغوا إلى بيعتهم العظمى ، واجتمعوا للمشورة ، وأسرعت إليهم القبائل من مذحج ، وعك ، وحمير وأنمار ومن دنا منهم نسباً وداراً من قبائل سبأ وكلّهم قد ورم أنفهم غضباً لقومهم .

وكان أسقفهم الأوّل رجلاً موحّداً يؤمن بالمسيح وبالنبي صلى الله عليه وآله ولكن يكتم إيمانه ولمّا رأى مذاكرتهم في المسير إلى يثرب لمشاجرتهم رسول الله ، وعظهم ونصحهم ووصّاهم بالتّأمل والتأنّي واغتاظ من وعظه كرز بن سبرة الحارثي وهو يومئذ زعيم بني الحارث بن كعب وفي بيت شرفهم والمعصّب فيهم ، وأمير حروبهم وردّ على أبي حامد قوله ، وردّه السيّد والعاقب وهما من عظماء القوم وأجابهم أبو حامد . فطال التشاجر بينهم حتّى آل الأمر في تعيّن تطبيق أوصاف

---

(١) آل عمران : ٦٧ .

النبيّ ﷺ مع الّذي أخبرت به الأنبياء إلى إحضار الجامعة ، فأحضروه ووجدوا ما ذكر أبو حامد من المطابقة صحيحاً وأنّه هو الّذي أخبرت به الأنبياء في كتبهم ، فاضطرب حال السيّد والعاقب والتجئا إلى المسير إلى المدينة لمشاهدة صفات النبيّ ﷺ والتطبيق بمن بشّر به الأنبياء .

فلمّا تجهّزا للمسير إلى النبيّ ﷺ انتدب معهما أربعة عشر رجلاً من نصارى نجران من أكابرهم فضلاً وعلماً وسبعون رجلاً من أشراف بني الحارث ابن كعب وسادتهم ، فساروا ولمّا دنوا من المدينة أحبّا أن يباهيا المسلمين وأهل المدينة بأصحابهما وبمن حفَّ من بني الحارث معهما قالوا : لو كففتم صدور ركابكم،مسستم الأرض فألقيتم عنكم تفثكم وثياب سفركم ، وشننتم عليكم باقي مياهكم كان ذلك أمثل .

فانحدر القوم عن الركاب فأماطوا من [أنفسهم] شعثهم وألقوا عنهم ثياب بذلتهم ولبسوا ثياب صونهم من الأنجميّات والحرير والحبر ، وذرُّوا المسك في لممهم ومفارقهم ثمَّ ركبوا الخيل واعترضوا بالرماح على مناسج خيلهم وأقبلوا يسيرون زروقاً واحداً وكانوا من أجمل العرب صوراً وأتمّهم أجساماً وخلقاً حتّى دخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده وحانت صلاتهم فقاموا يصلّون إلى المشرق فأراد الناس أن ينهوهم عن ذلك فكفّهم رسول الله ﷺ عن ذلك .

ثمَّ أمهلهم وأمهلوه ثلاثاً فلم يدعهم ولم يسألوه لينظروا إلى هداه ويعتبروا ما يشاهدون منه ممّا يجدون من صفته فلمّا كان بعد ثالثة دعاهم ﷺ إلى الإسلام فقالوا : يا أبا القاسم ما أخبرتنا كتبُ الله عزَّ وجلَّ بشيء من صفة النبيّ المبعوث من بعد الروح عيسى عليه السلام إلاّ وقد تعرَّفناه فيك إلاّ خلّة واحدة هي أعظم الخلال

آية ومنزلةً ، وأجلاها أمارةً ، قال : وما هي قالوا : إنّا نجد في الانجيل من صفة النبيّ الغابر من بعد المسيح عليه السلام أنّه يصدّق به ويؤمن به وأنت تسبّه وتكذب به ، وتزعم أنّه عبد .

قال : فلم تكن خصومتهم إلّا في المسيح فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله : لا بل أُصدّق به وأُؤمن به،أشهد أنّه النبيُّ المرسل عن ربّه عزَّ وجلَّ ، وأنّه عبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً قالوا : وهل يستطيع العبد أن يفعل ما كان يفعل ؟ هل جاءت الأنبياء بما جاء به من القدرة القاهرة ؟ ألم يكن يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ، وينبّئهم بما يكنّون في صدورهم ويدَّخرون في بيوتهم، فهل يستطيع هذا إلاّ الله عزَّ وجلَّ أو ابن الله ؟ قالوا في الغلوّ فيه وأكثروا تعالى الله عن ذلك .

فقال صلى الله عليه وآله : قد كان عيسى أخي كما قلتم يحيي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص ويخبر قومه بما في نفوسهم وبما يدَّخرون في بيوتهم وكلّ ذلك باذن الله عزَّ وجلَّ وهو لله عبد وذلك عليه غير عار وهو منه غير مستنكف فقد كان لحماً ودماً وشعراً وعظماً وعصباً وأمشاجاً يأكل الطعام ويظمأ وينصب بأدبه [1] وربّه الأحد الحقُّ الّذي ليس كمثله ، شيء وليس له ندٌّ ، قالوا : فأرنا مثله جاء من غير فحل ولا أب ؟ قال : هذا آدم أعجب منه خلقاً جاء من غير أب ولا أمّ ، وليس شيء بأهون على الله عزَّ وجلَّ في قدرته من شيء وأصعب : **﴿إنّما أمرُهُ إذا أراد شيئاً أن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُون﴾** [2] وتلا عليهم :**﴿إنَّ مَثَلَ عِيسى عَندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن**

---

(١) وينضب باربه خ ل .
(٢) يس : ٨٢ .

تُرابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونَ﴾[(١)] .

قالا : فما نزداد منك في أمر صاحبنا إلاّ تبايناً ، وهذا الأمر الّذي لانقرُّه لك هلمَّ فلنلاعنك أيّنا أولى بالحقّ فنجعل لعنة الله على الكاذبين فانّها مثلة وآية معجلّة فأنزل الله عزَّ وجلَّ آية المباهلة على رسول الله ﷺ : ﴿فَمَن حَاجّكَ فِيهِ مِن بَعْدَ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالُوا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُمْ وأنفسَنا وأنفُسَكُم ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ على الكاذِبِين﴾[(٢)] .

فتلا عليهم رسول الله ﷺ ما نزل عليه في ذلك من القرآن فقال : إنَّ الله أمرني أن أصير إلى ملتمسكم وأمرني بمباهلتكم إن أقمتم وأصررتم على قولكم ، قالا : وذلك آية ما بيننا وبينك إذا كان غداً باهلناك ثمّ قاما وأصحابهما من النصارى معهما .

فلمّا أبعدوا - وقد كانوا أنزلوا بالحرّة - أقبل بعضهم على بعض فقالوا : قد جاءكم هذا بالفصل من أمركم وأمره فانظروا أوّلاً بمن يباهلكم ؟ أبكافّة أتباعه ؟ أم بأهل الكتابة من أصحابه ؟ أو بذوي التخشّع والتمسكن والصفوة ديناً وهم القليل منهم عدداً ؟ فان جاءكم بالكثرة وذوي الشدّة منهم فانّما جاءكم مباهياً كما يصنع الملوك فالفلج إذاً لكم دونه ، وإن أتاكم بنفر قليل ذوي تخشّع سجيّة الأنبياء وصفوتهم ، موضع بهلتهم فايّاكم والإقدام إذاً على مباهلتهم ، فهذه لكم أمارة وانظروا حينئذ ما تصنعون بينكم وبينه ؟ فقد أعذر من أنذر .

فأمر ﷺ بشجرتين فقصدتا وكسح ما بينهما وأمهل حتّى إذا كان من الغد

---

(١) آل عمران : ٥٩ .
(٢) آل عمران : ٦١ .

أمر بكساء أسود رقيق فنشر على الشجرتين فلمّا أبصر السيّد والعاقب ذلك خرجا بولديهما صبغة المحسن ، وعبد المنعم ، وسارة ومريم ، وخرج معها نصارى نجران وركب ، وفرسان بني الحارث في أحسن هيئة .

وأقبل النّاس من أهل المدينة والمهاجرين والأنصار وغيرهم من النّاس في قبائلهم وشعارهم من راياتهم وألويتهم وأحسن أثارتهم وهيئتهم لينظروا ما يكون من الأمر ولبث رسول الله صلى الله عليه وآله في حجرته حتّى ارتفع النهار ثمَّ خرج وأخذ بيد عليّ والحسن والحسين أمامه وفاطمة عليها السلام خلفه فأقبل بهم حتّى أتى الشجرتين فوقف بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئة الّتي خرج بها من حجرته فأرسل إليهما يدعوهما إلى ما دعاه إليه من المباهلة .

فأقبلا فقالا : بمن تباهلنا يا أبا القاسم ؟ قال : بخير أهل الأرض وأكرمهم على الله عزَّ وجلَّ ، بهؤلاء وأشار لهما إلى عليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم ، قالا : فما نراك جئت لمباهلتنا بالكبير ولا من الكثير ، ولا أهل الشارة ممّن نرى ممّن آمن بك واتّبعك ، وما نرى هيهنا معك إلاّ هذا الشابّ والمرأة والصبيّين فبهؤلاء تباهلنا ؟ قال : نعم بهؤلاء أُمرت - والّذي بعثني بالحقّ - أن أباهلكم،اصفارّت حينئذ ألوانهما وكرّا وعادا إلى أصحابهما .

فلمّا رأى أصحابهما ما بهما وما دخلهما قالوا : ما خطبكما فتماسكا وقالا : ما كان ثمَّ من خطب فنخبركم ، وأقبل عليهم شابٌّ كان من خيارهم قد أُوتي فيهم علماً فقال : ويحكم لا تفعلوا واذكروا ما عثرتم عليه في الجامعة من صفته فو الله إنّكم لتعلمون حقَّ العلم أنّه الصادق وإنّما عهدكم بإخوانكم حديث قد مسخوا قردة وخنازير ، فعلموا أنّه نصح لهم فأمسكوا .

قال : وكان للمنذر بن علقمة أخي أسقفهم حظٌّ من العلم فهم يعرفونه بذلك فلمّا رأى المنذر انتشار أمر القوم وتردُّدهم في رأيهم أخذ بيد السيّد والعاقب ، قال : خلوني وهذين فاعتزل بهما ثمَّ أقبل عليهما فقال : إنَّ الرائد لا يكذب أهله ، وأنا لكما جدٌّ شفيق ، فإن نظرتما لأنفسكما نجيتما وإن تركتما ذلك هلّكتما وأهلكتما قال : أنت الناصح جيباً ، المأمون عيباً ، فهات .

قال : أتعلمان أنّه ما باهل قوم قطُّ نبيّاً إلاّ كان مهلكهم كلمح البصر ، وقد علمتما وكلُّ ذي أرب من ورثة الكتب معكما أنَّ محمّداً أبا القاسم صلى الله عليه وآله هذا هوالّذي بشّرت به الأنبياء ، وأخرى أنذركما بها فلا تغشّوا عنها ، قالا : وما هي ؟ قال : انظر إلى النجم قد استطلع على الأرض ، وإلى خشوع الشجر ، وتساقط الطير بازائكما لوجوههما قد نشرت على الأرض أجنحتها ، وفات ما في حواصلها ، وما عليها لله عزَّ وجلَّ من تبعة ليس ذلك إلاّ لما قد أظلَّ من العذاب .

وانظرا إلى اقشعرار الجبال ، وإلى الدخان المنتشر ، وقزع السحاب هذا ، ونحن في حمارَّة القيظ وإبّان الهجير ، وانظرا إلى محمّد صلى الله عليه وآله رافعاً يده والأربعة من أهله معه إنّما ينتظر ما تجيبان به ، ثمَّ اعلموا أنّه إن نطق فوه بكلمة من بهله ، لم نتدارك هلاكاً ، ولم نرجع إلى أهل ولا مال ، فنظرا فأبصرا أمراً عظيماً فأيقنا أنّه الحقُّ من الله عزَّ وجلّ فتزلزلت أقدامهما وكادت أن تطيش عقولهما ، واستشعرا أنّ العذاب واقع بهما .

فلمّا رأى المنذر ما قد لقيا من الخيفة قال لهما : إنّكما إن أسلمتما له سلمتما في عاجله وآجله ، وإن آثرتما دينكما وغضارة أيكتكما وشحتما بمنزلتكما من الشرف في قومكما فلست أحجر عليكما ، الضنين بما نلتما من ذلك ولكنّكما

بدءتما محمّداً صلى الله عليه وآله بتطلّب المباهلة ، وجعلتماها حجاراً وآية بينكما وبينه،شخصتما من نجران فأسرع محمّد صلى الله عليه وآله إلى بغيتكما ، والأنبياء إذا أظهرت بأمر لم ترجع إلاّ بقضائه وفعله ، فان نكلتما عن ذلك وأذهلتكما مخافة ما ترون فالحظُّ في النكول لكما فالوحا يا إخوتي الوحا ، صالحا محمّداً صلى الله عليه وآله وارضياه ولا ترجيا ذلك فانّكما وأنا معكما بمنزلة قوم يونس لمّا غشيهم العذاب .

قالا : كن أنت الّذى تلقى محمّداً صلى الله عليه وآله بكفالة ما يبتغيه لدينا ، والتمس لنا ابن عمّه إليه ليكون هو المبرم لأمر بيننا وبينه فانّه ذوا الوجه والزعيم عنده ، ولا تبطئنَّ لنطمئنَّ بما ترجع إلينا به .

وانطلق المنذر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : السلام عليك يارسول الله أشهد أن لا إله إلاّ الله الّذى ابتعثك وأنّك وعيسى عبدان لله عزّ وجلّ مرسلان ، فأسلم وبلّغه ما جاء له فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام لمصالحة القوم فقال عليّ عليه السلام : بأبي أنت وأمّي يارسول الله على ما أُصالحهم ؟ فقال له : رأيك رأيي فيما تبرم معهم .

فصار إليهم وصالحهم على ألف حلّة وألف دينار خرجاً في كلّ عام يؤديّان شطراً [من] ذلك في المحرّم وشطراً في رجب فسار عليّ عليه السلام بهما الى رسول الله صلى الله عليه وآله ذليلين صاغرين وأخبره بما صالحهما عليه وأقرّا له بالخرج والصغار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قد قبلت ذلك منكم أمّا انّكم لو باهلتمونى تحت الكساء لأضرم الله عليكم الوادي ناراً تأجّج ثمّ لساقها[1] إلى من ورائكم في أسرع من طرفة عين فحرقهم تأجّجاً .

فلمّا رجع النبيّ صلى الله عليه وآله بأهله ، وصار إلى المسجد هبط إليه جبرئيل فقال :

---

(١) لسانها ، ظ .

يامحمّد إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقرئك السلام ويقول لك : إنَّ عبدي موسى باهل عدوّه قارون بأخيه فخسف بقارون وأهله وماله ومن آزره من قومه ، وبعزَّتي وجلالي أقسم يا أحمد لو باهلت بك وبمن تحت الكساء من أهلك لهلك أهل الأرض والخلائق جميعاً ، ولتقطّعت السّماء كسفاً ، والجبال زبراً ، فلم تستقرَّ أبداً ، إلّا إن شاء ذلك .

فسجد النبيُّ صلى الله عليه وآله ووضع على الأرض وجهه ثمَّ رفع يديه حتّى تبيّن للناس عفرة إبطيه فقال : شكراً للمنعم ثلاثاً ، فسئل عن السجدة وعن تباشير السرور في وجهه فقال : شكراً لله عزَّ وجلَّ لما أبلاني من الكرامة في أهل بيتي ثمَّ حدَّثهم بما جاء به جبرئيل عليه السلام [(١)] ، هذا .

ومن العجب أنّ جماعة من أعيان علماء المخالفين ذكروا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما جعل أهل المباهلة عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقد أنزل الله عليه :

﴿تعالَوْا نَدعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسكم ثمَّ نبتهل﴾ ولم يبق لعلي عليه السلام إلاّ مقام النفس بتصديق الله جلَّ جلاله ، ومع ذلك يقدّمون عليه غيره ؟! هذا والله لظلم عظيم ، وحكم العقل السقيم !! .

ومن جملة من صرّح بذلك مارواه مسلم في صحيحه : أنَّ الّذين باهل بهم النبيُّ : عليٌّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين [(٢)] .

وروى ذلك الثعلبيُّ،مقاتل والكلبيُّ ، وابن مردويه ، وعبد الله بن عبّاس ،

---

(١) رواه مفصلاً في إقبال الأعمال : ٢ / ٣١٠ ـ ٣٤٨ ، فراجع .

(٢) صحيح مسلم : ٤ / ١٨٧١ .

والحسن والبصريّ ، الشعبيّ ، والسدّيّ والزمخشريّ وغيرهم [(١)] .

وروى الزمخشريّ في ذيل هذه الرواية عن عائشة أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج وعليه مرط مرحّل من شعر أسود ، فجاء الحسن فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله ثمّ فاطمة ثمّ عليّ ثمّ قال : **﴿إنما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم﴾** [(٢)] . ثمّ قال :

فان قلت : ما دعاه إلى المباهلة إلاّ لتبيّن الكاذب منه ومن خصمه وذلك أمر يختصّ به وبمن يكاذبه فما معنى الأبناء والنساء .

قلت : ذلك آكد في دلالته على ثقته بحاله ، واستيقانه بصدقه ، حيث استجرأ على تعريض أعزّته وأفلاذ كبده وأحبّ الناس إليه لذلك - إلى أن قال - : وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام ، وفيه برهان على صحّة نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله [(٣)] ، هذا .

وللمراقب أن يعرف حرمة هذا اليوم ومحلّه للإسلام ومكانته للإيمان .

أقول : لهذا اليوم من الشرف وجهان كلٌّ منهما في الشرف نظير صاحبه :

الأوّل : ثبوت النبوّة .

والثاني : ثبوت الولاية .

فبالأوّل بناء الإسلام ، وبالثاني مباني الإيمان ، وقد استبصر بهذه الآية الشريفة حكيم من حكماء الإسلام من أهل السنّة واختار التشيّع بالتأمّل في آية

---

(١) راجع الأقبال : ٢ / ٣٤٩ .

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

(٣) الكشاف : ١ / ٣٦٨ - ٣٧٠ ؛ عنه الطرائف : ٤٣ .

المباهلة وتصديق الله جلّ جلاله لعليّ عليه السلام مقام النفس والاتّحاد مع نبيّه صلّى الله عليهما وآلهما .

فللمنصف الحكيم أن يضع هذا اليوم موضع ثبوت الإسلام والإيمان من الشرف والكرامة ، ويفرض كأنّ هذه الكرامة بمنزلة كرامة الإيمان بالله وبرسوله ، وبحججه وآياته ، وكتبه ورسوله كلّها ، بل ويعتقد لهذا اليوم فضيلة جميع النعم الأخرويّة بل الدنيويّة أيضاً ، ثمّ يتأمّل في لطفه تعالى في تسبيب هذه الأسباب لهدايته وعزّته في الدنيا بعزّة الإسلام .

ولو اكتفى في هدايته للإسلام ببعض الوجوه العقليّة ، ولم يؤكّده بهذه المواسم الجليلة ، الواضحة البيّنة ، أمكن أن يدخل عليه عدوّه بعض الشكوك والشبه ويغرُّه عن دين الإسلام ، ويغويه عن نور الايمان ، ويوقعه في مهوى الكفر والعذاب الخالد الدائم .

ويتصوّر في نفسه أنّه لو لم يكن هذه الآية المذلّة لأعناق الكفّار ، بقبول الجزية والصغار ، وكانوا على عزّتهم وقوّتهم لطمعوا في مناجزة المسلمين ، ومعارضة الإسلام ، فاحتيج في دفعهم إلى المقاتلة والخوض في أخطار الجهاد ، وانجرَّ إلى قتل النفوس وضياع الأموال ، وقلّة نسل المسلمين ، وكلُّ ذلك أسباب شوكة الكفر وضعف الإسلام ، والعقول قاضية بأنّ ضعف شوكة الدين مانع عن قبوله والتديّن به على النفوس الضعيفة ، بل ربّما يصير سبباً للخروج عن الدين ، واللحوق بالكافرين بعد الإسلام ، ولا أقلّ من الوقوع في الاشكال والصعوبة فبدّلنا الله من ذلّ هذه الأخطار الوخيمة بعزّة قويمة ، ومن صعوبة المجاهدات الشديدة براحة عريضة طويلة بإظهار شرف أوليائه ، وكرامة وجوه أحبّائه ، فيالها

نعمة لا يقدّر قدرها القادرون ويعجز عن شكرها الشاكرون .

فإذا تمهّد عندك هذه المقدّمات ، يلزمك بحكم العقل الحاكم بالصواب وجوب شكر هذه النعمة بقدرها ، وإذا فرض العجز عن القيام بحقّها فلابدّ من الإتيان بالميسور ، بقدر المقدور .

وأيضاً يجب بحكم العقل أن يعرف موقع نعمة وجود هؤلاء السادة الكرام ويثني لهم ويصلّي عليهم بكلّ ما يقدر عليه ، فانظر كيف يكون حالك إذا ابتليت ببليّة فيها هلاكك وخلودك في العذاب الدائم ، أو ابتلاؤك بمناجزة الفرسان ، ومقاتلة الشجعان ، وما يلزمها من قتل النفوس ، وضياع الأعراض ، فعلم بليّتك وضعفك عن احتمال هذه الفوادح سلطان زمانك ، وأنجاك من هذه البليّة بشفاعة بعض خدمه وعبيده ، وأعزّك مكان الذلّ والهوان في سلطانه ، وأمكنك من الراحة في مملكته ، كيف يكون شكرك لهذا السلطان ولهذا الشفيع ؟ وكيف تراك رهيناً بمنّة هذا السلطان وهذا الشفيع ، ويقبح عندك أن تعصيه ، وتطيع عدوّه في محضره بعد هذه النعمة ، أليس المفروض : أنّه خالقك وموجدك ووليّ سائر نعمك الّتي لا تحصيها ؟ ، وهكذا هذا الشفيع ، لم يكن علّة وجودك وسائر نعمك ؟ فقس من ذلك قبح ما أنت فيه من مخالفة ربّك ومالكك ، وخالق نفسك وعقلك وحياتك وجميع نعمك ، وعلّة ذلك كلّه .

وبالجملة إذا حكّم الإنسان عقله في معاملاته فلا يرضى العقل على (مخالفة ربّه) بعضو ذرّة وإذا عزل العقل عن الحكم ، فله أن يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد وأنت يا أخي إذا تأمّلت في شأن هذا اليوم وشرفه من جهة نعمة المباهلة ، من جهة وضوح برهان النبوّة ، وسطوع أنوار الولاية ، وتفكّرت فيما أشرنا إليه من

فروع هاتين النعمتين ، يعظم في نفسك موقع هذا اليوم ، واجتهدت في القيام بحقّه واستقللت ما ورد فيه من العبادة ، وسمحت لا محالة بهذه الأعمال الخفيفة ، أتيت بها عن شوق ولم تتثاقل عن إتيانها ، وسعيت في إخلاصها بخالص قصد شكر المنعم تعالى جلّت آلاؤه ويكون عليك خجل المقصّرين ، أو سمة القاصرين وبعدت لا محالة عن دلالّة المتعبّدين وفزت بكرامة ربّ العالمين .

ومن جملة الأعمال الواردة في هذا اليوم ما رواه سيّدنا قدّس الله نفسه الزكيّة في **«الإقبال»** باسناده إلى محمّد بن عليّ بن أبي قرّة باسناده إلى محمّد بن عليّ القمّيّ رفعه في خبر المباهلة قال : وأصحُّ الروايات يوم أربعة وعشرين والزيارة فيه ، قال :

«إذا أردت ذلك فابدأ بصوم ذلك اليوم شكراً لله تعالى ، واغتسل والبس أنظف ثيابك ، وتطيّب بما قدرت عليه ، وعليك بالسكينة والوقار ، والّذي يعمله من يريد أن يمضي إلى مشهد وليّ من أولياء الله ، أو موضع خال ، أو جبل عال ، أو واد حصر وعليه ألاّ يقيم في منزله ، ويخرج بعد أن يغتسل ويلبس أحسن ثيابه» .

«فاذا وصل إلى المقام الّذي يريد فيه أداء الحقّ وطلب الحاجة والمسألة بهم صلّى ساعة ويدخل بقراءة وتسبيح فإذا جلس في التشهّد وسلّم ، استغفر الله تعالى سبعين مرّة ، ثمّ يقوم قائماً ويرفع يديه ، ويرمي طرفه نحو الهواء ، ويقول - وذكر الدعاء الّذي مشتمل على حمد الله من جهة تعريف الولاية بآية المباهلة تعريفاً مفصّلاً ثمّ قال - وتصلّي عند كلّ دعاء ركعتين وتقيم إلى انتصاف النهار أو زوال الشمس وقد قيل إلى اصفرارها» ثمّ قال -:

ومن الدعاء في يوم المباهلة دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله رويناه باسنادنا إلى الشيخ محمّد ابن أبي قرة باسناده إلى سليمان الديلميّ إلى الحسين بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : لو قلت إنّ في هذا الدعاء الاسم الأكبر لصدقت ، ولو علم الناس ما فيه من الإجابة لاضطربوا على تعلّمه بالأيدي ، وأنا لأقدّمه بين يدي حوائجي فينجح ، وهو دعاء المباهلة من قول الله تعالى : ﴿**قُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكُم ونساءَنا ونساءَكُم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل**﴾ إلى آخر الآية ، وإنّ جبرئيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بهذا الدعاء قال : اخرج أنت ووصيّك وسبطاك وابنتك ، وباهل القوم وادعوا به قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا دعوتم فاجتهدوا بالدعاء فانّ ما عند الله خير وأبقى من كنوز العلم ، فاشفعوا به واكتموه من غير أهله السفهاء والمنافقين ، الدعاء : «اللّهمّ إنّي أسألك من بهائك»[1] اهـ

أقول : «من» في قوله : «من كنوز العلم» بيانيّة وهمّ عليهم السلام معادن علم الله كما صرّح به في الزيارة الجامعة ، وهم أسماء الله الحسنى ، كما ورد في الروايات فلا يبعد أن يكونوا هم المراد من أبهى بهاء الله وأجلّ جلال الله ، وأجمل جمال الله إلى آخره،لنا في استقراب هذا المعنى براهين عقليّة ، ودلالات نقليّة ، ليس هنا موضع ذكرها ، لا سيّما بعد أمره عليه السلام بالكتمان .

ومن الدعاء في هذا اليوم دعاء جليل منسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومتن الدعاء أمتن شاهد على صدق النسبة فانّ فيه علوماً جمّة من الإشارة إلى معاني

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٣٥٤ ـ ٣٥٩ .

أسماء الله وآثارها الّتي لا يعرفها غيرهم أو من تعلّم من كلامهم [(١)].

ثمَّ إنَّ لهذا اليوم شرفاً آخر وكرامة أُخرى من جهة صدقة صاحب الولاية عليه السلام فيه بخاتمه على المسكين في حال الركوع ودلالة الله جلَّ جلاله في كتابه له بالولاية ، ذكر هذا العنوان ووصفه عليّاً عليه السلام بمحامد أوصاف جليلة بقوله : **﴿يا أيُّها الّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أذِلّةٍ عَلَى المُؤمِنِينَ أعِزَّةٍ عَلَى الكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِي سَبيلِ اللهِ ولا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائمٍ ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ واللهُ واسعٌ عِليم * إنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ ورَسُولُهُ والّـذِينَ آمَنُوا الّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلوةَ ويُؤْتُونَ الزَّكوةَ وهُم راكِعُون﴾** [(٢) (٣)].

وقد روى المخالف قوله صلى الله عليه وآله لمّا انهزم المسلمون في خيبر : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ اللّه ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله كرّار غير فرّار لا يرجع حتّى يفتح الله عليه» فأعطاها عليّاً عليه السلام [(٤)].

وهكذا حديث الطائر وهو قوله صلى الله عليه وآله : «اللّهمَّ ائتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي هذا الطائر» فكان مولانا عليٌّ سلام الله عليه هو المشهود له بهذه المحبّة الباهرة [(٥)].

أقول : هذه إشارات منّا إلى ما في آيات الكتاب ممّا نزلت في هذه الأيّام بالتصريح لفضائل عليّ عليه السلام الّتي تعدُّ من محكمات القرآن ويفهمه العامّة ، وذكر

---

(١) إقبال الأعمال : ٢ / ٣٥٩ – ٣٦٨.

(٢) المائدة : ٥٤ ـ ٥٥.

(٣) الإقبال : ٢ / ٣٦٨.

(٤) راجع الطرائف : ٥٥ ـ ٥٩.

(٥) راجع الطرائف : ٧١ ـ ٧٢.

المخالفون تصديقها في تفاسير هذه الآيات ، وأمّا ما في القرآن العزيز من الدلالات الخاصّة على ذلك الّذي يختصُّ بفهمها الخواصُّ فهو أضعاف ذلك ، ويقرب من ثلث القرآن ، فمن أراد أن يعرفها فعليه بروايات الخاصّة الواردة عن أهل بيت الرسالة الّذين هم شركاء القرآن ، وكتب فضلاء الشيعة ، ومن ذلك كتاب فضل بن شاذان عليه الرحمة والرضوان .

وأمّا ما يختم به هذا اليوم فعرف ممّا ذكر في أمثاله من الأيّام ويزيد في هذا اليوم على التوسّل بخفراء القوم توسّلاً مخصوصاً لأصحاب المباهلة ، ويعترف لهم بكمال المنّة العظيمة ، والنعمة الفخيمة ، ويشكر نعمة وجودهم وهدايتهم وبرّهم وإحسانهم وعظيم فضلهم ، ويناجيهم بلطيف المقال والضراعة والابتهال أن يتمّوا منّتهم ويكملوا نعمتهم بالشفاعة إلى الله جلَّ جلاله في أن يجعل عاقبة أمره إلى قبوله ورضاه وقربه وجوراه واللحوق بأوليائهم في زمرة شيعتهم المقرّبين وأحبّائهم السابقين صلوات الله عليهم أجمعين .

ويقول في جملة مناجاتهم : «مواليَّ أنتم عرّفتمونا أنَّ من شواهد نعماء الكرام استتمام نعمائه ، ومن شواهد آلاء الجواد استكمال آلائه ، وأنتم خلفاء الله في خليقته ومظاهر كرمه ورحمته ، فيجب عليكم بحكم المظهريّة أن تتمّوا علينا نعمكم ، وتكمّلوا آلاءكم ، وإن حكم علينا عدلكم بعدم الاستحقاق ، وقد عرّفتمونا أيضاً الحجّة في ذلك بأنَّ الكريم تعالى مبتدئ بالنعم قبل استحقاقها،من مظهر هذا الاسم غيركم ، ونحن متى ما أتيناكم وافدين ، ولإحسانكم راجين ، لفضلكم آملين لا تحرمونا من فضلكم ، ولا تطردونا من بابكم ، ولا تؤيسونا من نائلكم ، وإن لم يصدّق أعمالنا وقلوبنا حقيقية أدب الوفود ، وآثار الرجاء وكنّا في

صورة الوافدين والراجين صورة مزوَّرة غير مطابقة للمعنى» .

«وقد حكي عن بعض كرام الدنيا أنّه زوّر لهم رقاع بالعطايا فعلموا أنّه مزوَّر عليهم وأطلقوا مع ذلك ما زوَّروا ولم يردُّوها وهؤلاء الكرام إنّما أعطوا الكرامة بكم ، كرمكم أصل وكرمهم من فروعه ، ولا يزيد الفرع على أصله فلا تردُّوا صورنا ، وأطلقوا علينا بحكم صورنا ولو كانت صوراً مزوَّرة بكرمكم ، وإن لم تجدوا أعمالنا وأفعالنا مصدّقة لدعوى حبّكم ، ولم تروا فينا سجايا محبّيكم فاسمحوا لنا بعداوة أعدائكم لنا ، فانّهم طالما عادونا في سبيل ولايتكم ، وآذونا لأجل انتسابنا إليكم» .

«مواليَّ ياسادتي ولو عرض عليَّ الخبيث من هذه الخواطر أضعاف ما ذكرت لأجل أن يؤيسني من فضلكم ، ويقطعني عن روح رجائكم ، فبحول الله وقوَّته أحتجُّ عليه ، وبهدايتكم أردُّه ، ولا أقطع عنكم رجائي لأنّكم جنب الله وبابه، ووجه الله الّذي إليه يتوجّه أولياؤه ، ولا أحد لي دونكم» .

«أنتم السبيل الأعظم ، والصراط الأقوم ، وشهداء دار الفناء ، وشفعاء دار البقاء والرحمة الموصولة ، والشفاعة المقبولة ، من أتاكم فقد نجا ، ومن لم يأتكم فقد هلك سعد والله من والاكم ، وهلك من عاداكم ، وفاز من تمسّك بكم ، وأمن من لجأ إليكم ، وهدي من اعتصم بكم» .

«فعلى زعم الخبيث أنا أُحبّكم محبّة أجد حلاوتها في قلبي ، ونورها في عقلي وروحي ونفسي ، وولايتكم قد اختلطت بلحمي وعظمي ومخّي وشعري وبشري وعصبي وقصبتي وكلّ شيء منّي ، وأقول :

گر بشفكافند سرا پاى من   جز تو نيابند در اعضاى من

«وأرجو من الله أن يزيد حبّكم في قلبي حتّى يلحقني بكم ، ويجعلني من شيعتكم المقرّبين ، وأوليائكم السابقين ، في أعلا علّيّين ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر» .

وبالجملة إذا عرف العبد مكانة ساداته من الله العليّ العظيم ، ونعمة وجودهم عليه ، ومقام لطفهم به ، فليقطع عند ذلك أنّ أعماله في هذا اليوم وفي كلّ يوم من بركات وجودهم ، وأنوار هدايتهم ، وآثار دعواتهم [مقبولة] وأنّ نقصها وضياعها من جهة نقصه وقصور نفسه عن تلقّي فيوضاتهم ، فليطو كلّ ما عمله في يومه وفيما قبله من العبادات ويسلّمها إليهم ويتوجّه إلى الله تعالى بهم في الإذن بالشفاعة ، وإصلاح مفاسدها وتكميل نقصانها ، وتبديلها بالأعمال الحسنة المقبولة ، وعرضها على الله ، هذا .

واليوم الخامس والعشرون أيضاً من هذا الشهر العظيم موسم جليل لموالي أئمة الدين لما قد أكرم الله فيه إيّاهم بسورة ﴿هل أتى﴾ ، وشكر صدقتهم ، وقبل هديّتهم وأنزل في كتابه وصفهم ومدحهم والثناء عليهم .

وتفصيل ذلك ما روي في الأخبار المستفيضة بالأسناد المعتبر أنّ الحسنين عليهما السلام مرضا وعادهما جدّهما صلى الله عليه وآله وعامّة العرب ، فقال صلى الله عليه وآله : يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك ، وكلُّ نذر لا يكون له وفاء فليس بشيء فقال علي عليه السلام : إن برأ ولداي ممّا بهما صمت ثلاثة أيّام شكراً لله عزَّ وجلَّ ، وقالت فاطمة سلام الله عليها وجاريتهم فضّة مثل ذلك ، وألبس الغلامان العافية وليس عند آل محمّد شيء قليل ولا كثير .

فانطلق عليٌّ عليه السلام إلى شمعون الخيبريّ فاقترض منه ثلاثة أصوع من شعير

وفي بعض الروايات : فانطلق عليّ عليه السلام إلى جار له من اليهود يعالج الصوف يقال له شمعون ، فقال له : هل لك أن تعطيني جزّة من الصوف تغزلها فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله بثلاثة أصوع من شعير ، فقال : نعم ، فأعطاه فجاء بالصوف وبالشعير إلى فاطمة سلام الله عليها فأخبرها فقبلت وأطاعت .

قالوا : فقامت فاطمة عليها السلام فطحنت واختبزت منه خمسة أقراص لكلّ واحد منهم قرص وصلّى عليّ عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله المغرب ، وأتى المنزل فوضع الطعام بين يديه إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله مسكين من مساكين المسلمين ، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة ، سمعه عليّ عليه السلام فأمر باعطائه فأعطوه ومكثوا يومهم وليلتهم ، لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح .

فلمّا كان اليوم الثاني قامت فاطمة عليها السلام إلى صاع فطحنته واختبزته وصلّى عليّ عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله وأتى المنزل فوضع الطعام بين يديه فأتاهم يتيم فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنّة ، فسمعه عليّ عليه السلام فأمر باعطائه فأعطوه ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئاً إلّا الماء القراح .

فلمّا كان اليوم الثالث قامت فاطمة عليها السلام إلى الثالث فطحنته واختبزته وصلّى عليّ عليه السلام مع النبيّ صلى الله عليه وآله وأتى المنزل فوضع الطعام بين يديه ، فأتاهم أسير فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله تأسرونا ولا تطعمونا ؟ سمعه عليّ عليه السلام فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام ، ومكثوا ثلاثة أيّام بلياليها لم يذوقوا شيئاً إلّا الماء القراح .

فلمّا كان اليوم الرابع ووفوا بنذرهم أخذ عليٌّ عليه السلام بيده اليمنى الحسن عليه السلام وبيده اليسرى الحسين عليه السلام وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وآله وهم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع ، فلمّا بصر بهم النبيُّ صلى الله عليه وآله قال : يا أبا الحسن ما أشدَّ ما أراه بكم ؟ فانطلق بنا إلى منزل فاطمة فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها من شدَّة الجوع ، وغارت عيناها .

فلمّا رآها النبيُّ صلى الله عليه وآله قال : واغوثاه بالله يموت أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله جوعاً فهبط جبرئيل على النبيُّ صلى الله عليه وآله فقال : يامحمّد خذ ما هنّاك الله في أهل بيتك فقال : ما آخذ ياجبرئيل ؟ فأقرأه : ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ** - إلى قوله - **لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلاَ شُكُوراً**﴾ إلى آخر السورة ، وروى الثعلبي أنه اُنزلت عليهم في هذا اليوم مائدة من السماء فأكلوا منها سبعة أيّام [(١)] .

أقول : روى نزول هل أتى في أمير المؤمنين وأهله عليهم السلام ونزول المائدة جماعة من أعيان المخالفين [(٢)] فيلزم الشيعة أن يشكروا الله تعالى بجهدهم في هذا اليوم لتكريمهم عليهم السلام بهذه الآيات الجليلة ، والفضائل الجسيمة ، وتعريفهم لنا بذلك معرفة لا يبقى للارتياب فيه وجه ، وتكميله بمعرفتهم ديننا ، وإتمامه نعمه علينا ، له الحمد وله الشكر كما يحبُّ ربّنا ويرضى .

ومن جملة وجوه الشكر في هذا اليوم وأمثاله الصوم وهكذا صلوات الشكر وسجداته وغير ذلك من القربات ، والأهمُّ في الشكر معرفة قدر النعمة حقَّ معرفته وهو يستدعي فكراً وعلماً ، فإذا عرف المراقب النعمة ، لابدَّ أن تورث هذه

---

(١) راجع الإقبال : ٢ / ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

(٢) راجع : الكشاف : ١ / ٣٥٨ ؛ المناقب للخوارزمي : ١٨٨ .

النعمة أن يعامل معها ما يقتضيه هذه المعرفة من تعظيمها ومن جملة وجوه التعظيم العمل بالأركان .

وروي في اليوم السادس والعشرين أيضاً قتل عدوّ لأهل بيت النبوّة .

وفي الثامن والعشرين وقع قتل عدوّ آخر (١) وهكذا في التاسع والعشرين فمن كمل إيمانه بولاية من ولاّه الله عليه في الإسلام ، يكون سروره وشكره بهلاك أعدائهم بقدر محبّتهم عليهم السلام في قلبه (٢) ، هذا .

وليوم آخر ذي الحجّة عمل مرويٌّ مهمٌّ عند أهل المراقبة وهو أن يصلي ركعتين بفاتحة الكتاب مرّة ، والإخلاص عشر مرّات ، وآية الكرسيّ عشر مرّات ثمّ يدعو ويقول : «اللّهمّ ما عملت في هذه السنة من عمل نهيتني عنه ولم ترضه ، ونسيته ولم تنسه ، ودعوتني إلى التوبة بعد اجترائي عليك ، اللّهمّ فإنّي أستغفرك منه فاغفرلي ، وما عملت من عمل يقرّبني إليك فاقبله منّي ، ولا تقطع رجائي منك ياكريم» وروي هذا الدعاء [أيضاً] باختلاف يسير .

أقول : هذا العمل نفسه في هذا اليوم شاهد صدق عند أهل المراقبة على صحّة الرواية فلو لم يرد فيه هذه الرواية الخاصّة كفى في تعيّن مضمون هذا الدعاء بل الصلاة في الأخبار الواردة لاستعلاج ما سبق في أواخر النهار من كلّ يوم وأواخر الشهور ، فآخر السنة بحكم الألباب أحوج وأنسب للاستعلاج من غيرها ، من مناسبة العمل والدعاء تعرف أنّ هذا العمل إنّما صدر من أئمّة الدين عليهم السلام .

وروي : من صلّى هذه الصلاة ، ودعا هذا الدعاء ، قال الشيطان : يا ويله ما

---

(١) في هذا اليوم كان قتل مروان الحمار آخر ملوك بني أمية وزوال ملكهم .
(٢) الإقبال : ٢ / ٣٧٩ .

تعبت فيه هذه السنة هدمه أجمع بهذه الكلمات ، وشهدت له السنّة الماضية بخير [(١)] .

أقول : فاشكر أيّها المؤمن بالله وبدين الله ، لربّك ولأوليائه لهذه المعارف شكراً لاتشكره لشيء من النعم الدنيويّة ، وتفكّر في أنّه لو ابتليت في سنتك بأمور مهلكة موجبة لضياع مالك وسوء حالك ، ولأسرك ونهبك وقتلك ، فعلّمك شفيق عليك عملاً خفيفاً وكلمات معدودة إن عملت بها وقلت هذه الكلمات دفع عنك كلَّ ما أوردت على نفسك من البلايا ، وأحييت بها كلّ ما ضيّعت من مالك وملكك وصرت إلى روح وريحان ، وملك وسلطان ، وراحة دائمة باقية ، بل وعيش هنيئ وحياة باقية ، كيف يكون موقع هذا العمل في نظرك ؟ ومحلّ هذا الشفيق عندك ؟ هل تؤثر هذا العمل على الاكسير أم لا ؟ وهل يعظم عندك هذا الشفيق مثل من علّمك وأعطاك إكسيراً أم لا ؟

فقس يا عاقل في قسطاس عقلك ما علّمك إمامك من يسير عمل ، وأرشدك إليه من أثره ، فأيُّ إكسير فيه ذلك الأثر ، وقصارى ما في الأكسير أن يكثر مالك ، ويدفع به عنك ما يدفع بالأموال من الواردات ، فأين ما ينفع في دفعه مال ولا بنون من الأمراض واالآفات والعاهات .

فاحتفظ واغتنم واشكر ربّك ونبيّك وإمامك بما منّوا به عليك من الهداية إلى طرق النجاة ، والوصول إلى أتمّ السعادات ، ورفيع الدرجات ، مقدار عظمة منّهم وعطائهم ، فانَّ كلَّ عطاء يستدعي شكراً مناسباً لائقاً به ، ولكن هيهات هيهات من يقدر شكر أصغر نعمه تعالى ، ولو أتى بشكر الثقلين ، فإذاً لا تضنّ بما

(١) الإقبال : ٢ / ٣٨٠ ؛ عنه المستدرك : ٦ / ٣٩٧ ح ٣٧ .

تقدر عليه من الجهد والسعي ، وإن كان جدُّك وسعيك أيضاً من نعمه عليك ، ولكن على حياء من قصورك وتقصيرك ، هذا .

والّذي أراه على أنفسنا من هوان هذه الألطاف العظيمة ، والمواهب الجسيمة عندنا - بعد فرض الإيمان بأصلها - من أمور شتّى عائقة عن هذه السعادات :

منها : عدم الوثوق بجهات إخلاص العمل من الآفات فيصير سبباً لردّه .

ومنها : عدم الوثوق ببقائه سالماً إلى وقت ظهور الآثار من جهات ما يعرض على الأعمال من الآفات المتعقّبة من العجب والذكر وبعض المعاصي الموجبة لضياعها ، الّتي يستفاد من قوله تعالى : **﴿وَقَدِمْنا إلى ما عَمِلُوا فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثوراً﴾**[١] .

ومنها : عدم الوثوق من معصية يقال لمرتكبها : «افعل ما شئت لا أغفر لك (بعدها) أبداً» .

ومنها : وجود أبدال لهذه الأعمال من جنسها وغير جنسها ينفع نفعها وأزيد منها فلا يبقى عند العامل بها موقع غرّة لها من كثرتها ، سبحان من صارت نعمه من كثرتها وعظمتها غير عزيزة على المنعم بها .

ومنها : عدم الوثوق من جهة احتمال سوء الخاتمة الموبقة للخيرات من أثر السّابقه في عالم الذرّ .

وكيف كان فلا محالة للعاقل بعد هذه الخطرات من احتمال هذه الخطرات ،

---

(١) الفرقان : ٢٣ .

يكفي بحكم [العقل] أن يسعى كلَّ سعيه في تحصيل هذا المحتمل لخطره، فالعقلاء يعملون عند الآثار الخطيرة بالاحتمال، مالا يعملون عند المنافع اليسيرة بالقطع.

ولذا تراهم يزهدون عن زهرة هذه الدُّنيا الحاضرة باحتمال نضرة عالم الآخرة النسيئة المحتملة، ويؤثرون الآجل المحتمل على العاجل المقطوع وليس ذلك إلّا من جهة أنَّ متاع هذه [الدنيا] الدنيّة لاخطر له عندهم، وهي أحقر في أعينهم ممّا يطأُونه بأرجلهم، والسعادات الأُخرويّة لا سيّما ما يتعلّق منها بجهة القرب واللقاء أنفس عندهم من جميع الأشياء الخطيرة، عظُم الخالق في أنفسهم وصغر ما دونه، لولا الآجال الّتي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أبدانهم طرفة عين أبداً، شوقاً إلى لقاء الله والثّواب، رزّقنا الله معرفتهم، ووفّقنا الله لاقتفاء آثارهم، التشبّه بهم بحقّ أوليائه الطاهرين.



الخـاتـمـة

هذه الأعمال والمراقبات الّتي أشير إليها إن أمكن العبد أن يؤدّيها ، ويراعي حقّها ، يخلّصها من آفاتها ، فطوبى له ثمّ طوبى له ، ولكنّها مظنّة الاشتباه حتّى على الكاملين ، فعلى المراقب الحذر عن غرورها .

وإن لم يقدر على إتيانها أو لم يقدر على رعايتها حقّ رعايتها ، فله حينئذ :

أوّلاً : أن يستغفر ذنبه حيث إنّ ذنبه صار سبباً لسلب التوفيق .

وثانياً : أن يستفهم خصوص الذنب الّذي صار سبباً لهذا الخذلان ، فيمحوه بتوبة واستعلاج ، ويراقب اجتنابه عند كلّ عمل ، حتّى يخلص من الخذلان فيما بعد أيضاً .

ويحزن لما فاته ويتداركه بقضاء إن كان ممّا يقضى ، أو بعمل غير القضاء ويرى نفسه خاسراً ، لأنّ الفائت المتدارك بالبدل وإن كان متداركاً ببدله إلّا أنّ المبدل أيضاً كان ممكناً مع المتدارك ففات ، فلا بدل له إلّا أن يؤثّر الفوائت في قلبه حزناً وحسرتاً يحرق بها آثار الخذلان ، ويتدارك معها نور التوفيق ، بل قد يزيد نورهما على نور توفيق العمل ، فانّه تعالى كريم العفو ، قد يعفو عن التقصير بعفوه ، ويبدّله بالاجتهاد بكرمه ، ويزيد في البدل أضعاف ما فات .

ثمّ إنّ هذا الّذي ذكرنا أوّلاً إنّما هو بحكم الفرض ، وأمّا حكم الواقع غالباً أو دائماً [فهو] أنّ المجاهد لا يطمئنّ بإصابة الواقع في مجاهداته ، فله أن يبذل كلّ

مقدوره في العمل بكمال جدّه حتّى يعرف معرفة جزئيّة حقيقيّة ناشئة من العمل أنَّ الاصابة لا يمكن إلّا بعون الله وحوله وقوّته ، لأنَّ المخلص كما عن الصادق عليه‌السلام : «اذل روحه ، وذائب مهجته [١] ، في تقويم ما به العلم والعمل ، والعامل والمعمول بالعمل» [٢] ، وهذا أمر صعب لاسبيل للعبد إلى البلوغ إلّا بتوفيق خاصّ من الله جلَّ جلاله .

وإذ قد أتى العبد مجهوده ، وعرف عجزه عن نيل المراد فيضطرُّ عند ذلك للاستعانة بحقيقة قلبه ، ويحترف على باب كرم الله جلَّ جلاله ، فيدركه عند ذلك نفحات رحمته الرحيميّة ، لأنّه تعالى كريم يحبُّ الكرامة لعباده المضطرّين المحترفين على بابه لطلب مرضاته ، فيقبله ويرضى عنه ، ويدخله في عباده المخلصين ، لأنَّ الإخلاص معنى مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرضا ، وقبل القبول والرضا لايوجد الإخلاص .

فعلى العبد أن يكون تمام جدّه وغاية سعيه في معرفة آفات الأعمال ، حتّى يجتهد في تخليص عمله ببذل مجهوده ، حتّى يورثه ذلك معرفة العجز والاضطرار والتسليم إلى الله ، والطلب منه ، وإذا أتى بذلك ، ووكل أمره إليه فانّه يكفيه في كلّ ما سلّم إليه ولا يضنّ ولا يبخل ، ولايخون ولايجفو .

ولكن الحذر الحذر أن يختدعه الخبيث ، فيوقعه في ترك المجاهدة ، ويسمّيه بمعرفة العجز والاضطرار والتسليم ، فيجمع له مع ترك المجاهدة دعوى هذه المقامات العالية بالكذب والفرية ، فيلزم للأمن من الاختداع والنجاة من

---

(١) في المصدر : ذائب روحه وباذل مهجته .

(٢) مصباح الشريعة : ٣٦ .

الغرور أن يستكشف حقائق هذه الصفات ، ويختبر حاله بالعلوم الربّانيّة ، والكواشف القطعيّة البرهانيّة .

ولا يمكنه استكشاف حقيقة معرفة العجز عن دعواها ، ومعناها عن صورتها إلّا بأن يضع نفسه في عمله موضع العاجز بالنسبة إلى جميع الأمور ، ولا يرى في الوجود قدرة إلّا لله ، فإذا تحقّق العبد بهذه المعرفة لا يرى في العالم ضارّاً ولا نافعاً إلّا الله ، فإذاً لا يسعى ولا يتحرّك ولايسكن إلّا من جهة أمر الله ، وبقوّة الله .

ومن لوازم هذه الصفة أن لايتملّق للسلطان ، ولايخاف أحداً إلّا الله ، بل ولا يشكر أحداً ولا يذمّه بعطاء ومنع ، فيشكر الله عند عطائه ويذمّ نفسه بمنعه ، وإذا انضمّ إلى ذلك معرفة وجه الحاجة إلى نعمة الله ، وعدم الاستغناء من نعمه ، تحقّق الاضطرار ، وإذا انضمّ إلى ذلك معرفة عنايته وقدرته وجوده تحقّق أمر التسليم والتوكّل .

وإلّا فمن يرى التأثير في الأسباب ويسعى لها بغير أمر الله ، بل في محلّ نهي الله ولايطمئنّ بضمان الله في وعده بالرزق ، وإجابة الدعاء ، وكفاية المتوكّلين ، يخاف من الفقر عند البذل الواجب أو الحسن ، ويذمّ النّاس بالمنع ويتملّق للأغنياء والسلاطين ، ولايجتنب في تحصيل رزقه وكسب معاشه عن الشبهات ، بل ويتكسّب المحرّمات ، ويسعى في طلب المال طلب الحريص ، ولايجمل في الطلب كما ورد به الشرع ، كلّ ذلك يخالف هذه الصفات ، فيتبيّن عند العارف أنّ تسليمه[1] عبارة عن عدم المبالاة بأمر المجاهدة ، وهو في دعواه كاذب ،

---

(١) تسميته – خ .

ومستحقٌّ لخذلان آخر ، غير ترك أمر المجاهدة .

فعلم من ذلك كلّه أنّه لابدَّ للعاقل من بذل غاية الجهد لاسيّما في الإخلاص آيساً من قدرته على ذلك ، ولكن رجاء بفضل الله وعنايته ، فعند ذلك يرحمه ويمنّ عليه بكرمه بالقبول والرضا والإخلاص ، وأمّا ترك المجاهدة فلايجوز بحال سواء في ذلك حال التسليم وعدمه .

وبالجملة للصورة حكم في جميع العوالم وللمعنى أيضاً حكم يختلفان لايؤثّر الصورة أثر حكم المعنى في شيء من العوالم ، وقد يكون للصورة المخالفة للمعنى حكم مضادّ لحكم المعنى ، فيؤثّر ضدَّ أثر المعنى كما أنَّ الشهادة للإسلام والتوحيد إذا خالف بما في القلب يؤثّر أثر النفاق المضادّ لحكم معنى الإسلام وحقيقته ، فيوجب الخلود في أسفل الدركات .

وهذا الحكم مطّرد في جميع الأمور الدينيّة والدنيويّة ، فانّك لاتقبل من أولادك وخدمك في طاعتهم لك وخدمتهم الصورة المحضة المخالفة لحقيقة الطاعة ، بل تعدُّها استهزاءً وتجازيه جزاء المعصية ، مثلاً إذا أردت منه تعظيمك وقال بلسانه : أنت عظيم العظماء ، ورأيته يخالف بقلبه وعمله في هذا التعظيم فلا تقبل منه هذا القول للتعظيم ، بل تقول : إنّه أهانني واستهزأ بي ، وأيُّ فرق في أمر الله تعالى لعباده بتكبيره في الصلاة مثلاً مع توقّعك من عبيدك وخدمك تكبيرك وتعظيمك ، كيف لاتقبل منه للتكبير قوله : أنا أُكبّرك ، إذا خالف في ذلك قلبه وأعماله ، وحقٌّ على الله تعالى أن [لا] يقبل منك لفظ التكبير ، المخالف لقلبك وعملك .

أما سمعت ما في مصباح الشريعة من قوله عليه‌السلام : «إنَّ الله إذا اطّلع على قلب

العبد إذا كبّر ورأى فيه عارضاً عن حقيقة تكبيره ، قال له : ياكاذب أتخدعني»[١] .

وفي بعض الروايات[٢] أنَّ العبد إذا كبّر في صلاته وأثنى على الله قال الله : اشهدوا ياملائكتي كيف رفع يده ونزّهني وكبّرني فأُشهدكم إنّي سأكبّره وأنزّهه في منزّهات دار كرامتي[٣] .

فانظر يا أخي هذا المقام السنّي الّذي يبهر العقول ويزيد على المأمول للتكبير الواقعيّ ، كيف يتبدَّل حكمه بالطرد والعقاب ، على التكبير الصوريّ المخالف لحقيقة التكبير ، وإنّما حكم الآثار بهذا المنوال في غيره من الأذكار والأفعال ، فلا يقبل الصورة عن المعاني في شيء منها .

وفي الأخبار المستفيضة أنّه : كان النبيُّ صلى الله عليه وآله إذا ادَّعى عنده أحد الإيمان أو شيئاً من مقامات الدين ، يقول له : «ألا لكلّ شيء حقيقة فما حقيقة دعواك»[٤] أما يكفي في ذلك ما في كتاب الله تعالى حيث يقول : ﴿وإذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إنّكَ لَرَسُولُ اللهِ واللهُ يَعْلَمُ إنّكَ لَرَسُولُهُ واللهُ يَشهَدُ إنّ المُنافِقِينَ لكاذِبُون﴾[٥] .

---

(١)مصباح الشريعة : ٨٧ ـ ٨٨ .

(٢) الرواية نقلت بالمعنى لا باللفظ ، منه عفي عنه .

(٣) تفسير الإمام : ٢٣٩ ؛ عنه البحار : ٨٢ / ٢٢١ صدر ح ٤٢ .

(٤) روى الكليني في الكافي : ٢ / ٥٣ - ٥٤ باسناده إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «استقبل رسول الله صلى الله عليه وآله حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري ، فقال له : كيف أنت ياحارثة بن مالك النعماني ؟ فقال : يارسول الله مؤمن حقاً ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك ؟ فقال : يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت هواجري ، وكأنّي أنظر إلى عرش ربّي وقد وضع للحساب ، وكأنّي أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة ، وكأنّي أسمع عواء أهل النار في النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : عبد نوّر الله قلبه» عنه البحار : ٢٢ / ١٢٦ ح ٩٨ ورواه في نوادر الراوندي : ٢٠ باسناده إلى موسى بن جعفر عليه السلام باختلاف عنه البحار : ٢٢ / ١٤٦ ح ١٣٩ .

(٥) المنافقون : ١ .

وبالجملة فعلى العبد أن يجعل همّه وجدّ، كلّه في تصحيح العمل وإخلاصه عن الآفات، وعن شوائب الهوى، فلو قدر أن يقول: لاإله إلّا الله مرّة بقلبه وعمله بل وروحه وسرّه وجميع جوارحه، فهو أنفع من أن يأتي تمام عمره بقيام الليالي وصيام الأيّام مع دوام الذكر من دون إخلاص.

وإن شئت تصديق ذلك فانظر إلى عمل إبليس فانّه عبد الله مع الملائكة آلاف سنين لم ينفعه ولم يمنعه عن العذاب واللعن، وإلى آدم عليه السلام حيث إنّ كلمات منه في التوبة صارت سبباً لقبول توبته، ومقام الاجتباء، وفي الأخبار أنّ للمرائي في القيامة أربعة أسماء: ياكاذب، يافاجر، ياغادر، يامرائي [1]، هذا.

ومن أهمّ ما يترتّب على المجاهدة في إخلاص العمل عن الآفات، التواضع القلبيُّ الحاصل من معرفة ضياع أعماله، فانّه يورث في القلب ذلّة باطنيّة بحيث يتنفّر عن عمله وعن نفسه، ويكون زارياً لنفسه غير مدلّ بعبادته، وغير معجب بها فكلّما سعى أن يأتي بعمل صحيح ولم يقدر عرف عجزه، ويضطرُّ إلى الاحتراف بأبواب الفضل والكرم والجود، ويرى نفسه وهواه أعدى عدوّه فيزري نفسه.

وهذه الذلّة الباطنة، وإزراء النفس ينفعه أكثر من عبادة سبعين سنة، كما روي أنّ عابداً عبد الله سبعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فطلب إلى الله حاجة فلم يقض له فأقبل لوماً على نفسه وقال: من قبلك أُوتيت، لو كان عندك خير

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٤٦ باسناده إلى ابن زياد عن الإمام الصادق عليه السلام؛ تفسير العياشي: ١ / ٢٨٢ مثله؛ معاني الأخبار: ٣٤٠؛ وثواب الأعمال: ٢٢٨ باسنادهما عن هارون مثله؛ عنهما البحار: ٦٩ / ٢٩٥ ح ١٩. وذكر الجميع: ياخاسر، بدل قوله: يامرائي.

قضيت حاجتك .

فأنزل الله إليه ملكاً فقال : يابن آدم ساعتك الّتي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك الّتي مضيت [١] .

نعم هو عند المنكسرة قلوبهم كما ورد في الأخبار [٢] ، ولعمري إنّ العمدة في ضياع أمر الآخرة والأديان ، وصحّة أمر الدنيا واستقامة أمر الهوى ، إنّما هو من هذا الباب لما نراه بالوجدان أنّ الغالب على أهل الدين في أمور الآخرة من عباداتهم وأعمالهم ، بل وإيمانهم وأخلاقهم الاكتفاء بالصورة ، والغالب على أهل الدنيا عدم الاكتفاء بها بل يداقّون في تكميل المعنى .

مثلاً أهل الأديان يكتفون غالباً في صلاتهم بإقامة الصورة ، ويسعون في تكميل الصورة ولايبالون بفقدان المعنى والروح ، فانّ للصلاة صورةً وروحاً في كلّ جزء من أجزائها وشرائطها ، من طهارتها وتكبيرها إلى تسليمها وتعقيبها ، من أفعالها وأذكارها وهيئاتها ، ترى المصلّين يتعلّمون الصورة حتّى أنّهم يجتهدون في تصحيح أمر تقليدهم وتعلّم صورة الصلاة ويحتاطون في ذلك ويناقشون في علم المقلّدين وورعهم ، ويداقّون في تصحيح الرسائل ويناقشون في عباراتها ، ويبالغون في تطهير الماء وتطهير الأعضاء ، ويجتهدون في إيصال الماء على أعضاء الوضوء ، ما لم يأت به الشرع بل نهى عنه صريحاً وهكذا في تطهير المكان واللباس وفي أداء الحروف عن المخارج في القراءة والأذكار بحيث يفسدون

(١) عدة الداعي : ١٢٨ عنه البحار : ٩٣ / ٣٤٢ ضمن ح ١١ .

(٢) روى قطب الدين الراوندي في دعواته كما في البحار : ٧٣ / ١٥٧ ضمن ح ٣ قال : «قال رسول الله ﷺ : إنه ليأتي على الرجل منكم زمان لايكتب عليه سيّئة ، وذلك أنّه مبتلى بهم المعاش ، وقال : إن الله يحب كلّ قلب حزين . وسئل أين الله ؟ فقال : عند المنكسرة قلوبهم».

القراءة والذكر من كثرة المبالغة وأمّا تطهير الجوارح من المعاصي والقلب عن الأخلاق الرذيلة وعن النفاق وعن محبّة الدنيا وعن الشغل بغير الله فكأنّه غير مأمور به .

وهكذا يسامحون في إتيان حقائق الأفعال والأذكار حتّى ترى الفحول من أهل العلم لم يتعلّم المراد من بعض أفعال الصلاة مع أنّه مذكور في الأخبار مثل رفع اليد بالتكبير ونفس القيام وهكذا الركوع والسجود ومدّ العنق في الركوع ورفع الرأس من السجود والتشهّد والسلام ، وقد ورد في أخبار آل محمّد عليهم السلام لكلّ منها معنى وحقيقة إن لم تأت [بها] بقصد ذلك المعنى منه فكأنّك لم تأت بها .

وهكذا التكبير والقراءة والتسبيح والتحميد والشهادة بالتوحيد وبالرسالة والسلام لكلّ منها حقائق إن لم يتحقّق المتكلّم بها بهذه الحقائق لايصدق عليه أنّه مكبّر ومسبّح وحامد وقارىء وهكذا ، فمن أراد تحقيق ما ذكرنا فليراجع لما شرحناه في كتاب «**أسرار الصلاة**» في حقائق هذه المذكورات ، وما ورد فيها من الروايات .

وأمّا أهل الدنيا في اُمورهم الدنيويّة ، فلا يقنعون بالصورة بل يجدُّون في إتيان الحقائق ، فما رأيت أحداً من الناس أن يكتفي من الحلوى بصورتها ونقشها أو قراءة لفظها بل إذا نقص أحد أجزاءها عن حدّ الكمال ينفون الاسم ، ويقولون : هذا ليس بحلوى ، وهكذا في غيرها من الأشياء والأمور .

مثلاً إذا تواضع الولد لوالده في أغلب حالاته واقعاً ، وأتى في بعضها الآخر بالصورة الخالية عن المعنى ، وعرف ذلك الوالد ، يقول : إنّه لم يتواضع لي

واستهزأ بي ، وإذا أمر البنّاء أن يبني له عمارة وسوّى هذا البنّاء العمارة من بابها إلى محرابها كما أمره ولكن لم يتّخذ لما بنى أساساً وعرف صاحب العمارة أنّها تخرب بعد أشهر لا يعطيه الأجرة ويقول له : إنّك لم تبن ما أمرتك به ، فلا تستحقّ أجرة ، بل يطلب منه قيمة الجصّ وغيره .

وبالجملة ما رأيت أحداً يقنع في أمور دنياه بالصورة ، ولكن أغلب الناس إن لم يكن كلّهم لا يأتون في أغلب الأمور الأخروية إلاّ بالصورة ، ومع ذلك يتوقّعون من الصورة أثر الرُّوح فلا يجدون .

ومن جملة هذه الأمور قرباتنا حتّى هذا الكتاب الّذي صرفت في كتابته عمراً فانّ صورته كاملة في حدّها ، ولكن من أين يغني الصورة من المعنى ، فانّ معنى كتابة أمثال هذه الكتب وروحها هو أن يكون قصد الكاتب القربة ، وتحصيل مرضاة الله جلّ جلاله ، ويكتب أموراً وعلوماً ربّانيّة ينتفع منها الناظر فيها ويعمل بها .

فإذا كان قصد الكاتب إثبات علوم نافعة للمسلمين لا يكتب إلّا ما هو أنفع ولا يبالي لما يقال ، ولا يهمُّ بتحسين العبارة ، ولا يعتني بإظهار الفضيلة ، بل لا يهمُّ بحسن النظم والترتيب ، بل يكون اهتمامه في إثبات مطالب نافعة مؤثّرة في القلوب مرضيّة للخالق .

وبالجملة ابتلينا في أمر الدين وما يتعلّق بالآخرة بالتهوين ، واكتفينا بالصورة الخالية من الحقائق ، وسامحنا في تحصيل المعاني ، هذا .

ولا يذهب عليك أنّ مقصودنا من الاهتمام بالحقائق والمعاني والزجر عن الاكتفاء بالصور ، ليس نفي الاهتمام بالصورة فانّ الصورة أيضاً مطلوبة جداً ،

ولكنّ المقصود الترغيب في الجميع بين الاهتمام بالصور والمعاني كلٌّ بحسبه على ما يقتضيه حكم الله واهتمام رسول الله ﷺ وأمّا رفض الصور كليّة كما قد تتراءى من بعض الصوفيّة - خذلهم الله - فهو أيضاً ضلال ، بل هو ضلال مع إضلال ، وفيه خروج عن الدين .

بل الّذي يتراءى من هذه الطائفة المدّعين للحقائق والمهملين للصور والتاركين لها ، أنّهم يتركون المعاني أيضاً بل التارك للصورة أترك للمعاني من الصور ، وهذا أضرّ للإسلام من كلّ شيء ، لأنّ بقاء الدين بحفظ الصورة غالباً .

لا لأنّ الإسلام عبارة عن الصورة والمعنى معاً ، والتارك للجزء تارك للكلّ وإن كان هذا حقّاً لامرية فيه ، بل لأنّ المراقبة للصورة وحفظها أقوى في اقتداء الناس بالشرائع والديانات لأنّ المعاني أمور باطنيّة لا يظهر في الأغلب على الناس حتّى يوجب اقتداؤهم والظاهر إنّما هو الصور ، ولكن زيادة الاهتمام بالأرواح والمعاني من جهة أنّها أنفسها أهمّ عند الشارع من الصور فليكن الاهتمام بكلا الأمرين مساوياً ، ولكن يزيد الاهتمام بالظواهر والصور في الظاهر والصورة ، وبالأرواح والمعاني باطناً ومعنىً .

ثمّ إنّ سيّدنا قدوة أهل العلم والعمل طاووس أهل المراقبة ومعلّمهم ، ومروّج هذا العلم وعامله قدس سره إنّما كتب في كتابه **«الاقبال»** أُصول مراقبات أعمال السنة على أحسن ما يمكن أن يكتب ، ولم يكتب مثله في هذا المعنى ، ويظهر من هذا الكتاب أنّه - عليه سلام الله وسلام آبائه الطاهرين - أكمل في تحرير هذا الكتاب أيضاً مراقبة الله جلّ جلاله ، ولذا أنشأ في آخر الكتاب دعاء ومناجاةً وقال فيه :

قد امتثلت مرسومك اللّهمّ فيما اعتمدت عليه مجتهداً بك في الإخلاص فيما هديتني إليه [(١)] .

وأمّا هذا المفلس من الخيرات كلّها والمتدنّس بالأسواء جلّها الّذي لم يحكم علماً ولا عملاً ، ولم يأمن من عمل نفسه بالإخلاص ، ولو في عبادة واحدة، ولا بالخلوص ولو في نفس واحد ، كيف يناجي ربّه ؟ وبماذا يعرض كتابه إلى حضرة خالقه ومالكه ، بأيّ لسان يناجيه ؟ وبأيّ وجه يلقاه ؟ أبوجهه العاصي المظلم أم بلسانه الناسي الأبكم ، عن ذكر مالكه الأرحم ، ماذا يقول لو لم يحرز عن نيّته الصدق والإخلاص ، بل علم الريب ولالتباس ؟

أيجترئ بالكذب على ربّه في دعواه ، وهو المخبر عمّا في سريرته ومعناه ، أم يصدق ويجسر ويقول : هذا ما قصدت به غيرك يا مولاه ، أو أشركت فيه عبادك يا سيّداه ، أما يخاف أن يقال له : أيّها العبد اللّئيم ما أجسرك على ربّك الكريم ، وما أجرأك على مولاك الحليم ، أما تستحيي عن وجهك المظلم أن تواجه وجه ربّك المنير ، وعن لسانك الكاذب أن تخاطب إلهك الصادق ، أما تخاف من سطوات سلطانه ، أن تهدي إلى حضرة قدس جلاله بشركك وكفرك ، وهو أغنى الأغنياء من الشرك .

كيف يكون حالك لو قال لك : ألم تجد أهون منّي حيث راقبت عبيدي وإمائي ولم تراقبني ، بأيّ خيال راقبتهم وتركتني ، ألم ترج من خيري مارجوت منهم والخير كلّه بيدي ، أليس قلوبهم بيدي ؟

أما اختبرت في تمام عمرك وجرّبت طول حياتك مقام لطفي وكرمي بك ،

---

(١) إقبال الأعمال : ٣ / ٣٦٩ .

وسبوغ نعمتي عليك ؟ أليس وجودك وحياتك وروحك وعقلك وقلبك وجميع جوارحك وجميع أسبابك كلّها من نعمي عليك ؟

ألم تعرف أنّ عبيدي الّذين آثرتهم عليّ لايقدرون على نفعك وضررك ، ولا يقدرون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولاحياةً ولا نشوراً ؟

أليس قوّتك على هذا العمل الّذي قصدت به قلوب عبادي من نعمي عليك وجميع أسبابه الداخليّة والخارجيّة بإيجادي وبقيت بحفظي ؟

ألم أخلق لك عقلاً تعقل به الحقّ من الباطل ، والإيمان من الكفر ، حتّى هديتك للإيمان ، وهديتك إلى العلوم الشرعيّة السرّيّة ، ودقائق علوم المراقبة حتّى عقلت ما يجب على العباد من حقّ أسرار معاملتهم معي ، ووفّقت لكتابتها ، ونشرتها،مننت عليك بأسبابها الّتي لاتحصيها من كثرتها ؟

كيف لم يكفك هذه المنن العظيمة ، والنعم المتواترة الجسيمة ، أن تصادقني بالعبوديّة ، وتوحّدني بالإلهيّة ، ولم تراقب حضوري معك ، ولم تحفظ علمي بك ووصيّتي لك ، فغرّك عدوّك عنّي ، وعن سعادتك وخيراتك ، والفوز بكراماتي وأدخل في قلبك مراقبة عبيدي وإمائي ، وقد عرّفتك بمنّي عليك أنّهم بكلّهم موجودون بإيجادي ، وأحياء بأمري ، لا وجود لهم من أنفسهم ، ولاحياة ولا قدرة ولاملك ولا شيء أبداً إلّا بي ، والموجودون كلّهم ملكي والملك قائم بي وأنا قيّمه والخير كلّه بيدي ولا ضارٌ ولا نافع غيري ، أكفر بعد الإيمان ، وشكٌّ بعد الكشف والايقان ؟

آه آه واحسرتاه وافضيحتاه ماذا أصنع ؟ وكيف الجواب من هذا العتاب ؟ أأسكت وأقرّ وأعترف ؟ أم أجسر وأحتال وأحترف . والأولى أن استهدي ربّي أن

يهديني إلى ما هو أرضى له ، فأقول مستعيناً :

بسم الله الرحمن الرحيم

سيّدي يا إلهي أنا عبدك الّذي لم أكن شيئاً مذكوراً ، فأوجدتني بعنايتك وأكرمتني بمواهبك ، وتفضّلت عليّ بالنعم الّتي لا أُحصيها من كثرتها .

مولاي أنت الّذي أنعمت ، أنت الّذي أحسنت ، أنت الّذي أجملت ، أنت الّذي أفضلت ، أنت الّذي مننت ، أنت الّذي أكملت ، أنت الّذي رزقت ، أنت الّذي أعطيت ، أنت الّذي أغنيت ، أنت الّذي أقنيت ، أنت الّذي آويت ، أنت الّذي كفيت ، أنت الّذي هديت ، أنت الّذي عصمت ، أنت الّذي سترت ، أنت الّذي غفرت ، أنت الّذي أقلت ، أنت الّذي مكّنت ، أنت الّذي أعززت ، أنت الّذي أعنت ، أنت الّذي عضدت ، أنت الّذي أهديت ، أنت الّذي نصرت ، أنت الّذي شفيت ، أنت الّذي عافيت ، أنت الّذي أكرمت وتباركت ربّي يا إلهي وتعاليت .

أنا الّذي أخطأت ، أنا الّذي أغفلت ، أنا الّذي أذنبت ، أنا الّذي عصيت ، أنا الّذي خالفت ، أنا الّذي جهلت ، أنا الّذي عميت ، أنا الّذي سهوت ، أنا الّذي اعتمدت ، أنا الّذي تعمّدت ، أنا الّذي وعدت ، أنا الّذي أخلفت ، أنا الّذي نكثت .

أنا إلهي الّذي أمرتني فعصيتك ، ونهيتني فارتكبت نهيك ، فأصبحت لا ذا براءة فأعتذر ، ولا ذا قوّة فأنتصر ، فبأيّ شيء أستقبلك يامولاي ؟ أبوجهي الخلق المظلم ، أم بسمعي المذنب ، أم بلساني العاصي ، أم بيدي المسيئ ، أم برجلي المتعدّي أليس كلّها نعمك عندي وبكلّها عصيتك ؟!

ويلاه لو علمت الأرض بذنوبي لساخت بي وابتلعتني ، ويلاه لو علمت الجبال بذنوبي لهدّتني ، ويلاه لو علمت البحار لأغرقتني ، الويل لي إن كان عقابي مذخوراً لآخرتي .

فياويلي والعول لي إن أتي بي يوم القيامة مغلولةً يدي إلى عنقي ، وياويلي والعول لي إن بدّلت النار جسدي ، ياويلي والعول لي إن قصف على رؤوس الخلائق ظهري ، ياويلي والعول لي إن اسودَّ يوم القيامة وجهي ، فياويلي والعول لي إن قويست أو حوسبت أو جزيت بعملي .

ويلاه ليت الّذي خفت منه نزل بي ولم أسخط ، ويلاه إنّي لمفتضح بعظيم ذنوبي عند لقاء ربّي فما أقلّ حيائي .

فياسبحان هذا الربّ الودود يستر عليّ عيوبي كأنّه استحياني عند معصيتي له،أظهر محاسني وكتم معصيتي حتّى كأنّي لم أزل في طاعته ، وأرضيت عباده بسخطه ولم يكلني إليهم وكفاني من سعته ، وعصيته فستر عليَّ ، وغضب على من عيّرني بمعصيته ، وسترني من الآباء والأمّهات أن يزجروني ، ومن العشائر والإخوان أن يعيّروني ، ومن السّلاطين أن يعاقبوني ، ولو أطّلعوا على ما اطّلع منّي إذاً ما أنظروني .

مولاي إلهي لو علمت أنّك لاتحييني بعد الموت لألقيت بيدي استحياء من مواجهتك يوم ألقاك ، وفراراً من فضيحة يوم القيامة عند الأبرار ، وياسيّدي ومولاي لو كان لي جلد على انتقامك ، وطاقة على عذابك ، لما سألتك العفو عنّي ، رضيت أن تعذّبني سخطاً على نفسي ، كيف عصتك ولم تراقب حضورك،أقبلت عليها فأعرضت عنك .

ثمّ إنّي يامولاي قد أكثرت التفكّر في أحوالي حتّى حار في ذلك ذهني ، وكلّ عقلي ، ولم أجد حيلة لإصلاح نفسي ، وعمدت إلى الإخلاص في عبادة ربّي فغلبني هواي وغرّني عدوّي ، فكلّما دنوت من رضاك شبراً أبعدني عنه ذراعاً ، فما بقي لي حيلة ولا وسيلة إلّا عصمتك إنْ مننت بها عليّ .

فأيقنت أنّه لاحول عن المعصية ، ولاقوّة للطاعة إلّا بك ، فبقيت مضطرّاً إلى رحمتك فها أنا ذا بين يديك ذليل عليل [مذعن] بذنوبي ، مقرّ بقبائحي ، معترف بمساءتي ولؤمي ، موقن بأنّه لا نجاة لي ممّا أوقعت فيه نفسي إلّا منك ، ولاسبيل إلى الوصول بكرامتك إلّا بك .

فأنا اليوم مفتضح بعملي ، وذلّ مقامي وقبيح فعالي ومستوجب لأليم عذابك،بئيس عقابك بل وطردك وإبعادك إلاّ أن تدركني عنايتك ، وتسعني رحمتك وينالني كرم عفوك ، وتمحو عنّي دنس الخطيئات ، وتطهّرني من دنس السيّئات بعفوك وتبدّل سيّئاتي بأضعافها من الحسنات بكرمك وتوصلني إلى رفيع الدّرجات بفضلك .

وإن ناقشني فضلك بعدم الأهليّة فمن أين آتي بها إن لم تجد بها عليّ ، وإن كان ذنبي قد أخلق وجهي عندك ، ومنع عن شمول رحمتك بي ، فبوجوه أوليائك المشرقة عندك أتوجّه إليك وأتوسّل أن لا تؤاخذني بلؤمي وذنبي ولاتخيّبني من جودك وكرمك وتقبّلني بمحمّد وعلي وآلهما الطّاهرين - صلواتك عليهم أجمعين - كما قبلت سحرة فرعون بموسى وهارون فانّك جعلتهم الوسائل إليك وذرائع إلى رحمتك ، فاقبلني بهم وعملي المشوب بإخلاصهم ، ومعصيتي بإطاعتهم ، وكسلي بجدّهم ، وسوء خلقي بحسن أخلاقهم ، وغفلتي بذكرهم ،

لؤمي بكرمهم ، وألحقني بهم واجعلني من شيعتهم المقرّبين وأوليائهم السّابقين كما مننت عليَّ بمعرفتهم وولايتهم .

فبقديم فضلك الّذي وهبتني ولايتهم والانتساب بهم أثبتني في أهل ولايتهم ، احشرني في زمرتهم ، وأكرمني بجوارهم ، واقبل منّي كتابي هذا بقبولك الحسن ، واجعله يوم القيامة بيميني والخلد في الجنان بيساري ، فإنّي وإن لم أخلص فيه نيّتي ولكنّي بيد عبادك المخلصين أعرضه إلى جناب قدسك ، وباب اكرمك ، فاقبل زيّف عملي بخلوصهم .

فانّك ياسيّدي إن مننت عليَّ في جملة ماكتبته من مراتب الإخلاص فاغلبه على شوائب الهوى فإنّ التغليب للشريف أمر معمول ، لاسيّما إذا عرض عليك بأيدي أشرف بريّتك وأكرم خليقتك ، وأحبّ أوليائك صلواتك عليهم فانّ ظلمتي لا يقوم قبال نورهم ومقتضى حكمتك أن تقبل مسيئاً بمحسن وعاصياً بمطيع ، مشوباً بخالص ، فاقبل منّي كتابي واقبل استشفاعي بهم وإذا قبلت فعوّضني منه رضاك قبل لقاك ، ثمّ لقاك لقاك لقاك .

إلهي يامولاي تقدّس رضاك أن يكون له علّة ، فكيف يكون علّة منّي وأنت غنيٌّ عنّي وعن كتابي ، وانفع به إخواني المؤمنين واجعله من أسباب مغفرتك ووسائل رضاك ، وحبائل توفيقك لي ولإخواني المؤمنين والمؤمنات ، وانظمه في عداد رسائل أوليائك الخالصة لوجهك ، فانّه لا يعظم عليك شيء من ذلك ولاينقص من ملكك عطاؤك .

مولاي يا إلهي وسيّدي أنا من خوفك وخشيتك ماقدرت أن أحسب رسالتي هذه من حسناتي ، بل عددتها من سيّئاتي ، ولكن لا أستبعد من كرم عفوك

أن تبدّلها بالحسنات ، فتعطيها يوم القيامة بيميني ، فتقرُّ بها عيني ، ويـفرّح بـها قلبي، وأقبّلها وأضمّها إلى صدري وأستأنس بها وأقول :

هذا ممّا قبلها ربّي ، ولك الحمد على ما وهبتني من الرّجاء بعظيم فضلك ، وكرم عفوك ، كيف ولولا رجاؤك لأهلكنا القنوط وخوف العقاب . والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطّاهرين وسلّم .

اللّهمّ نوّر ظاهرنا برحمتك ، وباطننا بمعرفتك ، وقلوبنا بمحبّتك ، وأرواحنا بمشاهدتك ، وأسرارنا باستقلال اتّصال حضرتك ، وصلّ على محمّد وآله وارزقنا بهم مغفرة بلا عذاب ، وجنّة بلا حساب ، وعفواً بلا عتاب ، ورؤية بلا حجاب بمحمّد وآله الأطياب .



مصادر الكتاب



١ – اتحاف السادة المتقين :

السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بـ«مرتضى» (م ١٢٠٥ هـ) (بيروت – ١٤٠٩ هـ) .

٢ – إحقاق الحق :

الشهيد السيد نور الله الحسيني التستري (١٠٩١ هـ)(طهران – لا . ت) .

٣ – الإرشاد :

محمّد بن محمد بن النعمان (٣٣٦أو ٣٣٨ – ٤١٣ هـ) ، (قم المقدسة – ١٤٠٢ هـ) .

٤ – إرشاد القلوب :

الديلمي : الحسن بن محمد (من أعلام القرن الثاني الهجري)، (قم المقدسة – لا.ت).

٥ – الاستبصار :

الطوسي : محمد بن الحسن (٣٨٥ – ٤٦٠ هـ) ،(إيران – ١٣٩٠هـ) .

٦ – أُسد الغابة :

ابن الأثير : علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري (م ٦٣٠ هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٧ – أعلام الدين :

الحسن بن أبي الحسن الديلمي (من أعلام القرن الثامن الهجري) ، (قم المقدسة – ١٤٠٨ هـ) .

٨ – أعلام الورى :

الطبرسي : الفضل بن الحسن (٤٧١ – ٥٤٨ هـ) طبع إيران .

٩ – أعيان الشيعة :

السيد محسن الأمين العاملي (١٣٧١ هـ) ، (بيروت – لا . ت) .

١٠ - إقبال الإعمال :
ابن طاووس : رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (٥٨٩ - ٦٦٤ هـ) ثلاثة أجزاء ، (قم المقدسة - ١٤١٤ هـ) .
١١ - إكمال الدين :
الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ - ٣٨١ هـ) ، (طهران - ١٤٠٥ هـ).
١٢ - إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب :
الشيخ علي اليزدي الحائري (م ١٣٣٣ هـ) ، (بيروت - ١٣٩٧ هـ) .
١٣ - الأمالي :
الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ - ٣٨١ هـ) ، (بيروت - ١٤٠٠ هـ).
١٤ - الأمالي :
الطوسي : محمد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) ، (بيروت - ١٤٠١ هـ) .
١٥ - الأمالي :
المفيد : محمد بن محمد النعمان (٣٣٦ أو ٣٣٨ - ٤١٣ هـ).(قم المقدسة - ١٤٠٣ هـ).
١٦ - أمان الأخطار :
ابن طاووس : علي بن موسى بن جعفر (٥٨٩ - ٦٦٤ هـ)(قم المقدسة - ١٤٠٩ هـ) .
١٧ - بحار الأنوار :
العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هـ) ، (بيروت - ١٤٠٣ هـ) .
١٨ - البداية والنهاية : ابن كثير : الحافظ أبو الفداء (م ٧٧٤ هـ).(بيروت - ١٤٠٢ هـ)

١٩ – بشارة المصطفى لشيعة المرتضى :

أبو جعفر محمد بن أبي القاسم محمد بن علي الطبراني (من أعلام القرن السادس الهجري) ، (النجف الأشرف – ١٣٨٣ هـ) .

٢٠ – بصائر الدرجات :

الشيخ المحدث أبو جعفر محمد بن الحسين بن فروخ الصفار القمي (م ٢٩٠ هـ) (قم المقدسة – ١٤٠٤ هـ).

٢١ – البلد الأمين :

ابراهيم بن علي العاملي الكفعمي (من أعلام القرن التاسع الهجري) الطبعة الحجرية .

٢٢ – تاريخ بغداد :

الخطيب البغدادي : أحمد بن علي (م ٤٦٣ هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

٢٣ – تحف العقول :

أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني ، المعاصر للصدوق (من أعلام القرن الرابع الهجري) ، (قم المقدسة – ١٤٠٤ هـ) .

٢٤ – تفسير الرازي المسمّى «مفاتيح الغيب» :

محمد بن عمر الخطيب الرازي (٥٤٤ – ٦٠٦ هـ) دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٥ – تفسير الدر المنثور :

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ) دار الفكر ، بيروت – ١٤٠٣هـ

٢٦ – تفسير الطبري المسمّى «جامع البيان» :

محمد بن جرير الطبري (م ٣١٠ هـ) دار المعرفة ، بيروت .

٢٧ - تفسير القمي :

أبو الحسن علي بن إبراهيم القمّي من مشايخ الكليني (م ٣٠٧ هـ) في مجلّدين ، (قم المقدسة - ١٤٠٤ هـ) .

٢٨ - تفسير الكاشف :

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ) (بيروت ، لبنان).

٢٩ - تفسير مجمع البيان :

الطبرسي : الفضل بن الحسن (م ٥٤٨ هـ) عشرة أجزاء في خمسة مجلدات ، دار المعرفة ، بيروت - ١٤٠٦ هـ .

٣٠ - التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام :

أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام (المستشهد في ٨ ربيع الأول من سنة ٢٦٠ هـ) ، (قم المقدسة - ١٤٠٩ هـ) .

٣١ - تنبيه الخواطر ونزهة النواظر المعروفة بـ«مجموعة ورّام» :

أبو الحسين ورّام بن أبي فراس المالكي (م ٦٠٥ هـ) .

٣٢ - التهذيب :

الطوسي : محمد بن الحسن (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ) دار الكتب الإسلامية ، طهران - ١٣٩٠ هـ .

٣٣ - تهذيب التهذيب :

العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) دار الفكر بيروت - ١٤٠٤ هـ

٣٤ - التوحيد :

الصدوق:محمدبن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٩ - ٣٨١هـ)(طهران-لا.ت)

٣٥ - ثواب الأعمال :

الصدوق : محمد بن بابويه القمي (٣٠٦ - ٣٨١ هـ) (طهران - لا. ت) .

٣٦ - الجعفريات :

(المطبوع مع قرب الإسناد) أبو علي : محمد بن محمد الأشعث (من أعلام القرن الرابع الهجري) (طهران - ١٣٧٠ هـ) .

٣٧ - حلية الأولياء :

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (م ٤٣٠ هـ) ، (بيروت - ١٣٨٧ هـ) .

٣٨ - الخرائج والجرائح :

قطب الدين الراوندي (م ٥٧٣ هـ) ، (قم المقدسة - ١٤٠٩ هـ) .

٣٩ - الخصال :

الشيخ الصدوق: محمد بن بابويه القمي (٣٠٦ - ٣٨١ هـ)،(قم المقدسة - ١٤٠٣ هـ).

٤٠ - الخصائص :

النسائي : أبو عبد الرحمن محمد (٢١٥ - ٣٠٣ هـ) ، (النجف الأشرف - ١٣٨٨ هـ).

٤١ - الدروس :

الشهيد الأول : محمد بن مكي العاملي (٧٣٤ - ٧٨٦ هـ) (قم المقدسة - ١٤١٢ هـ).

٤٢ - دعائم الإسلام :

أبو حنيفة : النعمان بن محمد التميمي المغربي (م ٣٦٣ هـ) ،(بيروت - ١٣٨٣) .

٤٣ - دعوات الراوندي :

أبو الحسين سعيد بن هبة الله المشهور بـ«قطب الدين الراوندي» (م ٥٧٣ هـ) (قم المقدسة - ١٤٠٧ هـ) .

٤٤ - دلائل الإمامة :

أبو جعفر محمد بن جرير بن رُستم الطبري (من أعلام القرن الخامس الهجري) (النجف الأشرف - ١٣٨٣ هـ) .

٤٥ - الذريعة :

آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩ هـ) (بيروت - ١٤٠٣ هـ) .

٤٦ - روضة الواعظين :

الفتال النيسابوري : محمد بن علي (من أعلام القرن السادس الهجري) تبريز ، ايران - ١٣٣٠ هـ .

٤٧ - ريحانة الأدب :

محمد علي التبريزي المدرس (١٢٩٦ - ١٣٧٣ هـ) تبريز - ١٣٨٧ هـ .

٤٨ - السنن :

ابن ماجة : محمد بن يزيد القزويني (٢٠٧ - ٢٧٥ هـ) ، (بيروت - ١٣٩٥ هـ) .

٤٩ - سنن البيهقي المسمّى بـ«السنن الكبرى» :

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (م ٤٥٨ هـ) ، (بيروت ، لبنان).

٥٠ - سنن الترمذي :

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) دار الفكر ، بيروت - ١٤٠٣ هـ

٥١ - السنن :

الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن (١٨١ - ٢٥٥ هـ) دار إحياء السنّة النبوية .

٥٢ - شرح نهج البلاغة :

ابن أبي الحديد (م ٦٥٥ هـ) دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة - ١٣٧٨ هـ

٥٣ – صحيح البخاري :

محمد بن اسماعيل البخاري (١٩٤ – ٢٥٦ هـ) مكتبة عبد الحميد أحمد حنفي ، مصر – ١٣١٤ هـ .

٥٤ – صحيح مسلم :

مسلم بن الحجاج القشيري (م ٢٦١ هـ) مؤسسة عز الدين ، بيروت – ١٤٠٧ هـ

٥٥ – الصحيفة السجادية الكاملة

المنتهي سندها إلى الإمام زين العابدين : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (قم المقدسة – ١٤١١ هـ) .

٥٦ – الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف :

ابن طاووس : علي بن موسى بن جعفر (٥٨٩ – ٦٦٤ هـ).(قم المقدسة – ١٤٠٠ هـ

٥٧ – عدة الداعي :

أحمد بن فهد الحلّي (م ٨٤١ هـ) ، (بيروت – ١٤٠٧ هـ) .

٥٨ – العرائس :

الثعلبي الشافعي ، استنابول ، مخطوط .

٥٩ – علل الشرائع :

الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ – ٣٨١ هـ) ، النجف الأشرف – ١٣٨٥ هـ .

٦٠ – علماى بزرگ إسلام (فارسي) :

م – جرفادقاني ، منشورات معارف إسلامي ، قم المقدسة – ١٤٠٦ هـ .

٦١ – علماء معاصرين :

ملا علي واعظ الخياباني ، التبريزي ، الطبعة الحجرية ، تبريز – ١٣٦٦ هـ .

٦٢ – علم اليقين في أُصول الدين :
الفيض الكاشاني (م ١٠٩١ هـ) ، (إيران – ١٤٠٠ هـ) .
٦٣ – عوالم فاطمة عليها السلام :
الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني الاصفهاني من تلامذة العلاّمة المجلسي ، (قم المقدسة – ١٤١١ هـ) .
٦٤ – عوالم اللئالي :
ابن أبي جمهور الإحسائي : محمد بن علي بن إبراهيم (م ٩٤٠ هـ) ، (قم المقدسة – ١٤٠٣ هـ) .
٦٥ – عيون أخبار الرضا عليه السلام :
الصدوق : محمد بن بابويه القمي (٣٠٦ – ٣٨١ هـ) ، (بيروت – ١٤٠٤ هـ) .
٦٦ – فضائل الأشهر الثلاثة :
الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ – ٣٨١ هـ) ، (النجف الأشرف – ١٣٩٦ هـ) .
٦٧ – فضائل الخمسة من الصحاح الستة :
السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي ، (بيروت – ١٤٠٢ هـ) .
٦٨ – فلاح السائل :
علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (م ٦٦٤ هـ) ، (قم المقدسة) .
٦٩ – الفوائد الرجالية :
الشيخ محمد المظفري ، قم المقدسة – ١٤٠٥ هـ .
٧٠ – فيض القدير :
المناوي : محمد بن عبد الرؤوف الحدادي المصري (م ١٠٣١ هـ)

٧١ - قصص الأنبياء :
عبد الوهاب النجار ،(طهران - ١٣٨٨ هـ) .
٧٢ - قرب الإسناد :
الحميري القمي : عبد الله بن جعفر (من أعلام القرن الثالث الهجري) مكتبة نينوى الحديثة ، طهران .
٧٣ - الكافي :
محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩ هـ) دار الكتب الإسلامية ، طهران - ١٣٩٧ هـ .
٧٤ - كامل الزيارات :
ابن قولويه : جعفر بن محمد ، منشورات ميقات ، طهران - ١٤٠٦ هـ .
٧٥ - كشف الغمة :
الأربلي : علي بن عيسى (م ٦٩٣ هـ) دار الأضواء ، بيروت ١٤٠٥ هـ .
٧٦ - كنز العمال :
المتقي الهندي (٩٧٥ هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٤٠٥ هـ .
٧٧ - كنز الفوائد :
الكراجكي : محمد بن علي بن عثمان (م ٤٤٩ هـ) دار الأضواء ، بيروت - ١٤٠٥ هـ
٧٨ - لسان العرب :
ابن منظور : محمد بن مكرم (٦٣٠ - ٧١١ هـ) قم المقدسة - ١٤٠٥ هـ .
٧٩ - المحاسن :
البرقي : أحمد بن محمد خالد (م ٢٧٤ أو ٢٨٠ هـ) ، (قم المقدسة) .
٨٠ - المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء :
الفيض الكاشاني : محمد بن المرتضى (م ١٠٩١ هـ) منشورات مكتبة الصدوق ،

طهران - ١٣٨٢ هـ.

٨١ - مدينة المعاجز :

السيد هاشم البحراني (م ١١٠٧ هـ) ، (قم المقدسة) .

٨٢ - المزار :

الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي (٧٣٤ - ٧٨٦ هـ) (قم المقدسة - ١٤١٠ هـ) .

٨٣ - المزار الكبير :

ابن المشهدي ، مخطوط في مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قده - قم المقدسة .

٨٤ - مزار :

المفيد : محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ أو ٣٣٨ - ٤١٣ هـ) ضمن مصنفات الشيخ المفيد ، الجزء الخامس ، (قم المقدسة - ١٤١٣ هـ) .

٨٥ - مسار الشيعة :

الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (٣٠٦ - ٣٨١ هـ).

٨٦ - المستدرك :

الحاكم النيسابوري : محمد بن عبد الله (م ٤٠٥ هـ) دار المعرفة ، بيروت .

٨٧ - مستدرك الوسائل :

النوري : الحسين بن محمد تقي (١٢٥٤ - ١٣٢٠ هـ) ، (قم المقدسة - ١٤٠٧ هـ) .

٨٨ - المسند :

ابن داود : سليمان الجارود الطيالسي (م ٢٠٤ هـ) دار المعرفة ، بيروت .

٨٩ - المسند :

أحمد بن حنبل (م ٢٤١ هـ) دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٩٠ – مصباح الزائر :

ابن طاووس : علي بن موسى بن جعفر (٥٨٩ – ٦٦٤ هـ) الطبعة الحجرية .

٩١ – مصباح الشريعة :

الإمام جعفر بن محمد الصادق ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت – ١٤٠٠ هـ .

٩٢ – مصباح الكفعمي أو جنة الأمان الواقية وجنة الأعيان الباقية :

ابراهيم بن علي العاملي الكفعمي ومن أعلام القرن التاسع الهجري ، (قم المقدسة) .

٩٣ – مصباح المتهجد :

الطوسي : محمد بن الحسن (٣٨٥ – ٤٦٠ هـ) بإشراف إسماعيل الزنجاني ، إيران .

٩٤ – مطالب السؤول :

محمد بن طلحة الشافعي (م ٦٥٢ هـ) النجف الأشرف .

٩٥ – معاني الأخبار :

الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن بابويه القمي (٣٠٦ – ٣٨١ هـ) دار المعرفة ؛ بيروت – ١٣٩٩ هـ .

٩٦ – معجم المؤلفين :

عمر كحّالة ، ١٥ جزء في ٨ مجلّدات ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٩٧ – المقنعة :

المفيد : محمد بن محمد بن النعمان (٣٣٦ أو ٣٣٨ – ٤١٣ هـ) (قم المقدسة – ١٤١٠ هـ) .

٩٨ – مكارم الأخلاق :

الشيخ رضي الدين أبي نصر الحسن بن الفضل الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) قم المقدسة – ١٤١٢ هـ .

٩٩ - مناقب آل أبي طالب :

ابن شهر آشوب : محمد بن علي السروري المازندراني (٤٨٨ - ٥٨٨ هـ) المطبعة العلمية ، قم المقدسة .

١٠٠ - مناقب الخوارزمي :

احمد بن محمد الخوارمي (م ٥٦٨ هـ) ، (قم المقدسة - ١٤١١ هـ) .

١٠١ - من لا يحضره الفقيه :

الشيخ الصدوق : محمد بن بابويه القمي (٣٠٦ - ٣٨١ هـ) ، (طهران - ١٣٩٠ هـ).

١٠٢ - نقباء البشر في القرن الرابع عشر :

الشيخ آقا بزرگ الطهراني (١٢٩٣ - ١٣٨٩ هـ) ، (مشهد المقدسة - ١٤٠٤ هـ).

١٠٣ - النوادر :

أحمد بن عيسى (من أعلام القرن الثالث الهجري) ، (قم المقدسة - ١٤٠٨ هـ) .

١٠٤ - نوادر الراوندي :

فضل الله بن علي الحسيني (من علماء القرن الخامس) المطبوع مع الفصول العشرة في الغيبة للشيخ المفيد ، والمسائل الصاغانية للشيخ المفيد أيضاً ، ومواليد الأئمة ، طبع قم المقدسة مصوّراً من طبع النجف - ١٣٧٠ هـ .

١٠٥ - وسائل الشيعة :

الحر العاملي : محمد بن الحسن (١٠٣٣ - ١١٠٤ هـ) (قم المقدسة - ١٤١٠ هـ) .

١٠٦ - ينابيع المودة :

القندوزي : سليمان بن إبراهيم البلخي (م ١٢٩٤ هـ) مطبعة اختر ، اسلامبول - ١٣٠١ هـ .

فهرست محتويات الكتاب



الموضوع الصفحة

الفصل الأول

مراقبات شهر محرم الحرام

الفصل الثاني

مراقبات شهر صفر الخير

الفصل الثالث

مراقبات شهر ربيع الأوّل

في أهم أعمال الشهر

الفصل الرابع

مراقبات شهر ربيع الآخر

الفصل الخامس

مراقبات شهر جمادى الأولى

الفصل السادس

مراقبات شهر جمادى الآخرة

الفصل السابع

مراقبات شهر رجب المرجّب

الفصل الثامن

مراقبات شهر شعبان المعظّم

الفصل التاسع

مراقبات شهر رمضان المبارك

فيما يتعلق بالليلة الأخيرة

في مراقبات ليلة الفطر

الفصل العاشر

في مراقبات شهر شوال ويوم العيد

الفصل الحادي عشر

مراقبات شهر ذي القعدة الحرام

الفصل الثاني عشر

مراقبات شهر ذي الحجة الحرام

خاتمة المطاف

المراقبات
تاليف : الميرزا جواد آغا الملكي التبريزي

الطبعة الأولىٰ : ذي الحجة ١٤١٦هـ. ق، العدد : ٢٠٠٠ نسخة
المطبعة : مهر ، عدد الصفحات ٤٧٢ ، السعر : ١٠٠٠تومان